قصة

فيروز شاه

ابن الملك ضاراب

كن عارفا باحاديث الاولى سلفوا   يزيدك العرف آدابا على أدب

ضرب نفع عزيز لست تدركه   بدا بما أغمضته سالف الحقب

المجلد السابع

الطبعة الأولى



ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٦٧

الجزء الثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وكان طارق يتكلم بفصاحة لسان أعجب كل من حضر وقد مال الجميع إلى معرفة مافي الكتاب فتناوله الملك ودفعه إلى أحد اعيانه فقرأه وعرف الكل معناه وكان فرح الملك بذلك لايوصف وقال لقومه اعلموا أيها السادات الكرام انى كنت بانتظار مثل هذا اليوم لأخرج عن طاعة جهان فهو عات ظالم لايعرف الله يرغب في إذلال الناس وانقيادهم لعبادة النار التى جعلت لخدمتنا فتى شئنا أضرمناها ومتى شئنا أطفئناها فلو كان فيها القوه التى يزعمونها لكانت تدافع عن نفسها من قوة الماء التى هى عنصر مثلها، إنما مسلطة عليها فى يدنا نحن عبيده تعالى وهذا الله الذى يخبرنا به فيروزشاه هو الذى تعلمنا عبادته من آبائنا وأجدادنا وطالما رغبنا فى طاعته وهوذا قد أرسل الينا من يقدر أن يحمينا من عدونا ويرجع الينا ديننا وبلادنا فسبحانه لا يترك عباده وحاشاه من ذلك فهو القدير الرحيم ولاخفا كم أن ملك العجم هو الآن أقدر ملك بالدنيا رجالا ومالا وملكا وقد وصلت اليكم أخباره وأخبار ولده فيروزشاه صاحب هذا المكتوب فاذا لم يكن قادرا على نجاتنا فلا يمكن لغيره قط أن ينجينا فأجيبوا كلكم معى طلبه واجروا أمره ونادوا فى المدينة من هذ الساعة بعبادة الله وخلع طاعة جهان ملك الصين والقوا عن عاتقكم هذا النير الثقيل وادخلوا فى طاعة الفرس تنالون خيرا عظيما فأجابوا كلهم طلبه وقالوا ليس فينا من يمانع أليس هذا فيروز شاه الذى حكت عنه الركبان وأخبرت السياح بأخباره وعظم سطوته أليس هو الذى قيل عنه أنه دخل وحده إلى بلاد الزنوج أسيرا مكتوفا مقادا للقتل وتخلص بعنايته تعالى وتسلط على كل البلاد وقادها إلى عبادة الله أليس فيروز شاه هذا الذى قتل صفراء الساحرة وطومار الزنجى واخيرا جاء مصر وقتل كل طاغ وأمير فيها وتملكها وخبر أفعاله قد ملأ الكون ولا سيا قتله القنطر الساحر خال شمس الساحرة المقيمة الآن فى الصين فمتى يكون موفقا إلى هذا الحد يركن اليه ويتخذ ملجأ وحصنا .

قال وفى تلك الساعة أمر الملك عجيب أن يطاف فى المدينة بمثل ماتقدم وأن يسار إلى معابد النار والأوثان فيبيدونها ويقيمون فيها عبادة الله وينادون بها فى كل المدينه و يبشرون الناس باتيان فيروز شاه بن الملك ضاراب لنصرة دين الله ويخبرون الجميع

برغبة الملك فيه ودخوله فى طاعته قال وانتشر الخبر فى المدينة فخرج الناس يصفقون من الفرح ويستبشرون بزوال النحوس وهجموا على معبد النار فنزعوا كل ما فيه وكسروا القوائم القائمة فيه وقتلوا المرزبان الذى كان عليها من قبل جهان وجماعته وكذلك دخلوا هياكل الاوثان فكسروها ورموها إلى الخارج وأحرقوها وقتلوا الكهنة الذين جاءوا من قبل الصينيين لخدمتها وقامت الافراح فى مدينة السرور من كل ناح وعادوا يتهيئون للخروج إلى ملاقاة نصيرهم الجديد الآتى اليهم وأما الملك فكتب إلى فيروز شاه يقول :

بسم الله الهادى النصير لا إله إلاهو وحده قادر على كل شىء .

من العبد الضعيف صاحب مدينة السرور إلى فيروز شاه بن الملك ضاراب من ذكر اسمه يغنى عن التلقيب والتعظيم .

تشرفت بأمرك مع عبارك طارق وكان على بشير رحمة وخير ونذير سعادة وإقبال فاذا هو يأمرنى بطاعة الله وترك عبادة النار فنحن ياسيدى مجبورون اليها فى كل صباح ننهض من سررنا وندعو الله إلى معاونتنا ومساعدتنا وإذا به قد أجاب ولم ينسنا وفى الحال ترانى قد أسرعت إلى انفاذ أمرك فهدمت كل ماهو من متعلقات النار وكسرت الاوثان ودثرتها وأبدتها ورفعت الهياكل لله وأعلنت العبادة وقام جميع من فى مملكتى يصيحون صياح الفرح ويصلون فى الأسواق وعلى الطرقات لذاته تعالى وأيضا فانى قد أمرت فى كل المدينة بنزع طاعة جهان ملك الصين ونشرت وجوب الطاعة لمن أرسل لخلاصنا ورفع ضيقاتنا وهاانذا ترانا قائمون بانتظار قدومك فمدينتنا وبلادنا مفتوحة لك ونحن مستعدون لخدمتك والقتال بين يديك فاقبلنا كعبيد طائعين ونرجو من الله لك النجاح والسلام .

ثم دفع الكتاب إلى طارق فأخذه وسار إلى سيده فيروز شاه فأعطاه الجواب وأخبره بكل ماسمع ورأى ففرح فيروز شاه مزيد الفرح وأمر رجاله بالركوب إلى مدينة السرور ليتخذها مركزا ويقيم فيها مدة لأنه كان محصور الفكر من جهة عساكره خائفا مزيد الخوف من إفشاء مرض فيهم لكثرتهم ومشاقهم وعدم موافقة مناخ بلاد الصين لهم ولاسيما إذا عرضوا للشمس والحرارة الشديد أو البرودة القوية ولم يكن من مأوى يأوون اليه ومن أرض رحيبة خصيبة يمكنهم أن يضربوا خيامهم فيها ومنها يتوصلون إلى داخل بلاد الصين إلى العاصمة المقيم فيها جهان ملكها .

وبقى سائرا شيئا فشيئا إلى أن كاد يقرب من مدينة السرور وإذا به يرى الملك

عجيب قد خرج مسرورا فرحا بكل مايشاهد ويرى لأنه نظر إلى حالة الفرس وترتيبهم وعظمتهم عن بعد فأسرته جدا واندهش مما شاهد من كثرة فرسانهم وأبطالهم ولما وصل اليهم ترجل مع قومه ومشى على قدميه ففتح له الأمراء وعساكر الفرس طريقا للتوصل إلى فيروز شاه حتى وصل إلى بين يديه فتلقاه ملتقى الفرح ونزل اليه فسلم عليه وعامله بكل بشاشة ولطف وشكره على انقياده اليه وامر أن يركب فركب وسار إلى جانبه مع أعيان قومه وكبار بلاده وكلهم ينظرون إلى رجال إيران وحسن ملابسهم وانتظام حالهم وعظمة فرسانهم نظر المأخوذ المندهش وبقوا راجعين حتى دخلوا المدينة بالترحيب والاكرام وقد التقاهم أهلها أحسن ملتقى ودخل أمراء الفرس إلى دار الحكومة وأمر فيروز شاه أن تضرب خيامها فى تلك الارض المتسعة طولا وعرضا وتسرح المواشى والانعام وان تأتى المدينة فتشترى كلما يلزم لها منها فتدفع ثمنه بحسب استحقاقه وهكذا كانت حالتهم وأقام هو فى قصر مخصوص أعد له وأعد للوزراء والأمراء والقواد أماكن القيام فيها وعمل لهم الملك المذكور الولائم والاحتفالات اللائقة بشأنهم ورأى فيروز شاه من نفسه كدرا فأقام فى تلك المدينة نحو سنتين دون مباشرة عمل أو افتتاح حرب .

واختلط رجاله بأهل المدينة اختلاطا عظيما ووقعت الألفة فيما بينهم وتزوج كثير منهم من نساء المدينة وصارت من علاقتهم

وكان فى مدة هاتين السنتين قد بلغ جهان خروج الملك عجيب عن طاعته ودخوله فى طاعة الفرس ووصول الفرس إلى بلاده فكاد يغيب عن الصواب من شدة الغيظ والكدر إلا أنه كان مشغلا بنعيمه فلم يرسل له قوات وعساكر بل كتب له كتابا يقول له فيه انى عرفت بتعديك على حقوقى ونكثك لجميلى وخلعك سلطتى ولذلك فقد تكدرت مزيد الكدر ولا أعلم إن كان هذا وقع منك بطريق الغلط أو الخوف من الفرس أو بقصد منك ورغبة فاذا كنت خائفا من الفرس فاخبرنى لابعث اليك من يزيل مخاوفك ويفرج عنك الفرس وإذا كان بقصدك وإرادتك فانى أجازيك على ذلك بالعزل منذ هذه الساعة وإذا وقعت فى يدى صلبتك على أبواب مدينة السرور ليتأدب بك قومك ولايعود غيرك إلى مثل هذه القحة وبعث كتابه مع رسول فأوصله اليه والفتحه وقرأه عرضه على فيروز شاه وسأله فيما يجيبه .

فقال له لاتكتب له شيئا الآن سوى قل لرسوله ان الفرس ذاهبون إلى بكين فمروا بهذه المدينة وقد وجدت الدخول فى طاعتهم موافقا لى ففعلت وهم بعد مدة يكونون فى نواحى بكين بقصد حربك وقتالك . ففعل ما أمره وبلغ الرسول ذلك وسار إلى

سيده وعرض عليه كل ما كان من أمر الملك فؤاد حنقه وقال ألم يكتب لى كتابا فلابد من قصاصه على هذه القحة وهذا الاحتقار وكبح جماح الذين التى اتكاله عليهم وسوف يشاهد بعينيه ما يحل بالفرس وما يصل اليهم منى وحيث غاية الفرس الوصول إلى بلادى فما من حاجة لركوبى اليهم أو بعث عساكرى لقتالهم فى تلك الناحية لكن لا بد من جمع العساكر والاستعداد للقتال فى هذه النواحى

قال وبعد أن مضى سنتين على فيروزشاه وعساكره فى مدينة السرور وجد أن لا بد له من المسير إلى بكين عاصمة الصين للحرب والقتال ولذلك أمر عساكره بأن تتهيأ للركوب بعد أيام بقصد المسير وملاقاة عساكر الصين وكانوا من الراحة والهناء وحسن مناخ تلك المدينة وموافقته لهم قد اصبحوا بصحة ابدان جيدة وتقووا مزيد القوى وتعطشوا إلى الخوض فى معامع القتال وما صدقوا ان سمعوا امر فارسهم وسيدهم حتى استعدوا مزيد الاستعداد وانتظروا ركوبه إلى ان كان صباح ذات يوم خرج فيروزشاه من المدينة واعتلى فوق الكمين ونادى بقومه ان تركب فركبوا وركب معه ايضا عساكر مدينة السرور وقوادها بقصد الجهاد فى سبيل خدمة الدين ونشره فى تلك البلاد ومن ثم ساروا من تلك الأرض يقصدون بكين وهم يتقدمون شيئا فشيئا على الترتيب المعروف عندهم إلى أن وصلوا إلى فسحة أرض وسيعة تبعد نحو ثلاثة أيام عن المدينة فأمر فيروزشاه بنزول العساكر فيها للراحة مدة أسبوع ليتمكن يكون كتب كتابا إلى ملك الصين يدعوه إلى الصلح والسلام اجابة لطلب أبيه وإذ ذاك أخذ فكتب

بسم الله العلى العظيم

من فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس واليمن ومصر والرومان صاحب الصيت البعيد وناصر الدين القويم إلى جهان ملك الصين

اعلم أيها الملك ان أبى قد بعث اليك بكتاب قبل الآن يفصل لك غايته منك ويطلب اليك تسليم الأسارى المقيمين عندك وهم طهمور وسيامك سياقبا وبهمزار قلى وقادرشاه واخبرك إذا امتنعت بعث اليك بكل قواه ورجاله لمحاربتك وتخلصهم منك بالقوة الفعالة فلم تصغ ولا أجبت بل لعب بك الكبر إما عن جهالة منك بحالة الفرس وما اعطيوا من القوة والحكمة والادراك والنصر ومحبة الله لهم وإما عن ظن منك أننا نتهدد ولا نفعل وتأكد لديك بحسب فكرك أننا لا نأتى هذه البلاد قط غير أنه لما كان من الواجب علينا دينا وأدبا حفظ راية رعايانا صغارا كانوا أو كبارا أمراء كانوا أو أنفارا جمع أبى العساكر وأعهد بى إلى هذه الحرب وسير معى الف الف وثلثمائة فارس وبطل وبينهم من الفرسان والأبطال كل واحد يقدر

وحده أن يكسر جيشك ويفله غير أنه أوصانى قبل المباشرة بالحرب معك أعرض عليك ثانية التدين بدين الله عز وجل خالق المخلوقات ومكون الكائنات واطلب اليك أيضا تسليم الأسارى فاذا أنعمت وأجبت كان خيرا فارجع من حيث أتيت واحقن دماء عباده تعالى والق صلحا وسلاما بينى وبينكم والا فأباشر الحرب ولا يغرنك كثرة العساكر وتجمع الجيوش ومناعة الأسوار فما من سبيل لنجاحها أمامنا وسوف ترى بعينك قوة الفرس وقدرتهم وما خصهم الله به ومن ثم ينفع بك الندم وما من وسيلة تنجيك فالآن وقت التبصر والتعقل والسلام

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى شبرنك واوصاه بسرعة العودة فاخذه وسار حتى أتى الوزير مهريار فدفعه اليه فاخذه إلى قصر جهان ودخل عليه وقرأه امامه فلما سمعه اغتاظ مزيد الغيظ وقال لم يعد من وسيلة بعد التقاعد عن الحرب وترك هذا الطاغى يفعل ما يريد فى البلاد فلا بد من هلاكه وهلاك قومه الذين جاءوا معه ليعلم أن رجال الصين ليسوا كمن لاقوا من الرجال . فاذهب الآن واعلن فى كل المدينة انى فى الغد انزل من مقامى لقتال الفرس والا يقاع بهم فلينتظرنى كبار قومى فى دار الأحكام ودع رسول الفرس يبقى إلى الغد عندك إلى حين كتابة الجواب له وليكن على الراحة والهناء . وكان جهان مع ماهو عليه من الكبر والعظمة والكفر رقيق الطبع يحب حفظ قوانين الملوك واكرامهم فلا يهين ملكا وقع بيده ولا يؤذى رسولا جاء من عدوه اليه وبناء عليه اخذ الوزير مهريار شبرنك العيار إلى قصره وامر ان يقدم له الطعام الطيب الفاخر وان يكرم وكان مهريار هذا يكره عبادة النار فى قلبه ويميل إلى عبادة الله سبحانه وتعالى فاضمر فى نفسة معاونة الفرس بما امكن وقدر عليه . ولما استقر فى القصر دعا بالمنادين وأمرهم ان ينادوا فى كل المدينة ان فى الغد ينزل الملك إلى دار الأحكام لمحاربة اهل الفرس وشاع الخبر فى المدينة فاضطربت من كل اطرافها وكنافها إلى ان كان اليوم الثانى وفيه نزل جهان من سمائه ولبس ملابسه الحربية وتقدم من باب قصره فوجد الناس تزدحم فى الطرقات وكلهم رافعين بايديهم الأسلحة ينادون بهلاك العدو وقتاله وخدمة ملكهم ولما ركب على جواده ومشى خر الجميع إلى الأرض ساجدين له فرفع ايديه وباركهم وبقى سائرا على تلك الحالة والناس تنادى فى الطرقات وتصيح بتلك الأحوال إلى ان وصل إلى قصر الأحكام وإذا بوزرائه وقواده ينتظرونه خارجه ولما وقعت عينهم خروا إلى الأرض ودعوا له ثم مشوا امامه إلى داخل القصر إلى الديوان فجلس على كرسيه وسأل منكوخان ان يعلمه كم عدد العساكر المتجمعة قال له الف الف وثمانمائة الف فارس . فقال ان هذا الجيش يكفى الآن للحرب والقتال ومنازلة الفرس الا انه

تعصبا من وقوع ما لم يكن فى الحسبان أطلب اليك أن تكتب الآن الى بلاد الهند والسند وتطلب الى ملوكها ارسال الجيوش وتعلمهم بوصول الفرس الينا وقدومهم علينا . فاجابه بالطاعة وأخذ فى ارسال الكتب . ثم أمر أن يكتب كتاب الى فيروزشاه يطلعه به على كل شيء من استعدادات الصين وكثرة جيوشه ويتهدد فيروزشاه بالهلاك والاعدام مع جيوشه وفرسانه الا أنه اذا طاع ودخل صاغرا وخر له واعترف بعبادة النار فانه يعفو عنه وينعم عليه . وحينئذ أخذ مهريار فكتب

من جهان ملك الصين ورسول النار ومالك رقاب العباد الى فيروزشاه ابن الملك داراب ملك الفرس

وقفت على كتابك وقرأت خطابك وتعجبت من جهلك وجهل أبيك وتعديكما على حقوق الملوك الكبار وطمعكما بما ليس لكما وعليه انى أجيب أنك بعثت الى تطلب ارجاع الاسارى الذين وقعوا فى يدى من قومك كأنى عبد التزم بالطاعة لك ولأبيك وقد غاب عن ذهنك أنكم قتلتم أولاد منكوخان السبعة وشتتم لى جيشا عظيما وما طلبتكم به صبرت وفى نفسى أن أبقى عندى هؤلاء الاسارى وسيلة لحضوركم واتيانكم الينا لنأخذ منكم بالثار وهو قتم ذلك يقينا ولازلتم الآن تطلبون الى أن أسلمكم قومكم لترجعوا فمن ياترى يسمع بهذا الخبر ولا يضحك منه ويسخر بى اذا سمع أنى سلمتكم اياهم وتقاعدت عن أخذ ثارى وتركت دم رجالى يذهب هدرا . وانك منذ الآن لاترى منى الا حربا سجالا من فرسان لاتعرف الموت ولاتهابه ولاسيما اذا رأونى فى وسط المجال وعرفوا أنى سأقوم بالقتال بنفسى وأكون بينهم وقد جمعت لك جيوشا لايعرف عددها غير الله وفوق كل ذلك فقد كنت بعثت الى صديقى شنكال ملك الهند أن يمد لى بعساكره لقتالك حتى لايطول أمركم بل يكون هلاككم عاجلا وانى منذ هذه الساعة أبعث بوزيرى منكوخان مع ألف ألف فارس وعلى كل مائة ألف فارس قائد من القواد العظام المشهورين فى اضرام نار الحروب والصدام ليلاقوكم فى الطريق ويحاربوكم هناك فاما أن يقضوا أمركم ويرجعوا الى باخبار النصر والظفر واما أن يتأخروا فيعودون الى بعد أن يضعفوكم بالقتال وانى أنصحك اذا رأيت وزيرى منكوخان فأتى اليه وأخدم ركابه وأحضر الى ديوانى فانى أرقيك وأرفع منزلتك وأعلى شأنك اذ قد بلغ آذانى أنك من الابطال الشداد أصحاب البطش والاقتدار ومن طبعى أحب الذين مثلك ولا أكره بالصلح والأمان على شرط أن تكونوا أنتم المنقادين الينا التابعين أوامرنا التاهين بنهينا واياكم من المخالفة والمكابرة فان النار تذهب بكل حرارتها اليكم فتحرقكم كلكم والويل لمن يعصاها وينكر عبادتها ويجحد فضلها ومنافعها

وبعد أن ختم الكتاب وسلمه إلى شبرنك ليرجع به إلى سيده وأخذه من يده وسار من أمامه . أمر منكوخان أن يركب فى الحال ويسير إلى ملاقاة فيروزشاه فى مكان إقامته وقال انى رأيت من العدل أن لا تتركه يصل إلى بلادنا فاما أن تهلكه مع رجاله وتنتصر عليه واما أن تضعفه بالحرب ويهلك منه قسم لاسيا وإن رجاله الآن تعبون من معاناة أسفار الطريق ومشاقها ومن الاصابة أن لا تترك لهم فرصة كافية للراحة والاطمئنان . فاجابه منكوخان إلى طلبة ونهض كاللبوة الفاقدة الاشبال وأخذ معه نحو الف الف رجل تحت امرة عشرة قواد من أمراء الصين العظام وركب الجميع ورفعوا الراية الصينية وخرج الملك ووقف عند الباب وكلما خرج طاقم من العساكر تخر بين يديه تنظر إلى الأرض لاثمة التراب فيدعى لها بالنصر ويباركها وكلهم فى حالة مسرة يؤملون بالنجاح ببركة وثقة ملكهم وخرج كثير من الأعيان لوداع السائرين والدعاء لهم . وفى مدة خمس ساعات سار منكوخان بعد أن قدم إلى الملك وقبل يديه ووعده بكل جميل ورجع جهان إلى قصره ينتظر وصول خبر من السائرين . وبقى سائرا حتى قرب من المكان النازل فيه فيروزشاه بقومه وشاهدهم عن بعد وكان اذ ذاك الوقت آخر النهار فأمر أن تقف العساكر فى تلك الناحية وأن تبات الى الصباح ففعلوا وحطوا هناك وباتوا ينتظرون الصباح لمباشرة الحرب والكفاح . وكان شبرنك قد وصل الى فيروز شاه فدفع اليه كتاب جهان وأخبره بماسمع وشاهد وأطلعه على أن منكوخان آت بالابطال والفرسان على أثره ففرح بذلك وأقام ينتظر وصوله الى أن وصل وحط تجاهه فأمر قومه بالتأهب وأوصى بالاستعداد وأن يكونوا فى الصباح على نية الهجوم ليوقع بالصينيين ويذيقهم حر نار حربهم

قال ولما كان صباح اليوم الثانى ضربت طبول الحرب وصاح نفير القتال ونادى بصوته يطلب التأهب وينذر بوقوع الأهوال فهب القومان من مراقدهما وتعددا وركب كل فارس جواده وانضم الى رفيقه ورفعت الرايات والأعلام وركب منكوخان وأمر برفع الرايات الصينية فوق رأسه وركب القواد الذين معه وتقدموا الى ساحة الكفاح وركب فيروزشاه بابطاله وفرسانه واذا بطيطلوس قد تقدم منه وقال له اعلم ياسيدى ان من الاصابة والحكمة أن تبقى أنت مع العلم الكبير لانتظام حال الجيش وليعلم أن له سيد يرقب أعماله وملك يلاحظ قتاله وقد أوصانى سيدى الملك بذلك وأن ابدى لك غايته اثناء الحرب والقتال فانت عندنا الآن بمنزلة الملك والملك فى شريعتنا لايباشر بنفسه الحرب الا وقت قطع اليأس والرجاء . قال ان ذلك يكون لى عندما ترانى قد رفعت تاج فارس على رأسى واختص بى العلم الكبير وانما هذا

أريده الآن وأفضل أن أبقى العمر بين مشتبك السيوف وأروى كبدى من الأعداء وأشفى غليل فؤادى منهم وأنا أعرف أن بسيفى تقوم قوائم الفرسان والأبطال وتشتد أعصابهم وتقوى شوكتهم غير أنى إجابة لطلب أبى امتنع فى مثل هذا اليوم عن القتال إلى أن أرى نفسى مضطرا اليه لأن عساكرنا الآن هى أكثر من الأعداء وفرساننا أشداء لا خوف عليهم إلا أنى لا أقبل ذلك عند ما أجد أن الأعداء أكثر عددا منا فتكون أنت إذذاك صاحب العلم لأنك معتمد ومدبر فارس ولهذا دعا بهزاد اليه وقال له أريد منك أن تكون حريصاً فى القتال فانى لا أنزل هذا اليوم إكراما لأمر أبى فوعده بكل جميل . ومن ثم أطلقت الفرسان أعنتها . وقومت أسنتها . وصاحت صياح الآساد . وهجمت طالبة الحرب والطراد . منادية بقرب ساعة الميعاد . ولم يكن إلا القليل حتى اشتبك القومان . وامتزج الفريقان . وقام سوق الحرب والطعان . وانقطع سبيل الراحة والأمان . وكانت الفرس قد صرفت مدة طويلة لاتباشر حرباً ولاتواصل طعنا ولاضرباً . حتى تعطشت كل التعطش إلى الطعان . واشتاقت اليه كما يشتاق العاشق الولهان إلى ملاقاة الأحباب والخلان . فارتفع الغبار إلى العنان . وتقدم الشجاع وتأخر الجبان . واضطرمت نار الوغى أى اضطرام . ونشر الموت على القوم لواء الانتقام فسلموا بأنفسهم اليه ولم يروا سبيلا للخلاص . ولا مفرا ولا مناص . قال وكان فيروزشاه يشاهد ويرى نفسه تحركه إلى الخوض فى ذاك البحر المتلاطم وجلده يدعوه إلى مباشرة الحرب والطعان إلا أنه كان يصبر نفسه ويجبرها على التامل وقد رأى أعمال الفرس وانحطاطهم على الصينيين انحطاط البواشق على العصافير وهم يصولون ويجولون كالأسود بين الأغنام فكان يسر بذلك ويفرح مزيد الفرح ويطلب النصر فى نفس ذاك النهار للتقدم إلى أسوار بكين وإنهاء هذه الحرب التى هى أطول من غيرها من الحروب التى لاقوها .

قال ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم . والطعن مختلف بين كل الطوائف والأمم واتخذ السيف لنفسه خطة الحكم . فجار فى الحكم على غير إنصاف . وجعل النفوس ضحية التلاف . وما انقضى ذاك النهار . إلا حتى امتلأ من جثث القتلى ذاك البر والقفار . وعند ذاك ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان إلى الخيام وهم لا يصدقون بالرجوع لأخذ الراحة والمنام . وشرب الماء وأكل الطعام . تقوية الأجسام . وتلقى فيروزشاه عساكره وأبطاله بالبشاشة والاكرام . وشكرهم على ماشاهد منهم فى ذاك اليوم الكثير الوحام . ولاسيما بهزاد فارس ميدان الحرب والخصام . فانه عاد وهو مغموس بالدم من الرأس إلى القدم . وقد فعل بالصينيين العجائب وأنزل على رؤوسهم أشد البلايا والمصائب . وأقام كل فى ناحية ينتظرون الصباح . للعود إلى الحرب والكفاح . ورأى

منكوخان أن جميع عساكره قد اضطربت ووقع بها النقص والاضمحلال . فخاف من أنه إذا طال الحال على هذا المنوال مدة أيام . ينقرضون ويقعون بالخسران . ولذلك طلب من القواد المطاولة بالبراز عسى يهلك منهم الأبطال الذين عليهم المعول في القتال .

وفى صباح اليوم الثانى رجع الفريقان إلى ساحة الميدان ورفعت الرايات من كل الجهات وتقدم القوم للترتيب والانتظام وإذا بأحد قواد الصين قد توسط الميدان . وكان اسمه الغضبان . وهو أحد العشرة قواد . الذين عليهم المعول والاعتماد . فصال وجال ولعب بأربعة أركان الميدان . ومن ثم وقف وأشار إلى أهالى ايران بالبراز وسرعة الانجاز فما أتم كلامه حتى صار أمامه أحد فرسان مصر . فأخذ معه فى الكر وصالا وجالا وأوسعا فى الميدان من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين . حتى اندهش من قتالهما كل فارس صنديد وبطل عنيد نحو ساعة من الزمان واذا بالغضبان قد ضرب بعمده المصرى على رأسه فأدخله ببعضه ووقع الى الارض قتيلا وفى دمه جديلا فنزل اليه آخر ففعل به كالذى قبله ولا زال على تلك الحال . حتى قتل خمسة رجال . وهو ممرور من نفسه بذاك النصر وقد لعب به الانتفاخ والكبر . واذا بفرخوزاد قد صار أمامه . وفاجأه مفاجأة الاسود . وسطا عليه سطوة الفهود . ودار بينهما القتال . أشد من لهيب النار ذات الاشتعال . فغاصا بالعرق . وكل منهما أسرع الى الايقاع بخصمه وسبق . غير أن فرخوزاد . أقدر فى ميدان الحرب والطراد . لانه من نسل فيلزور بن رستم زاد . فضايق خصمه كل المضايقة ورفع بيده الحسام وأرسله الى وسطه فأرماه قتيلا وفى دمه جديلا . وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال حيث كان قد قرب الزوال . وباتوا تلك الليلة تحت مشيئته تعالى ينتظرون اتيان الغد حتى جاء بنوره وأشرقت شمسه على المتقاتلين فركبوا ونزلوا الى الساحة يطلبون الرجوع الى ما كانوا عليه فى اليوم الأول . وما انتظم القومان . حتى برز من الصينيين فارس شديد البطش يقال له أوهان . ابن عم منكوخان . فصال وجال وطلب القتال وما أتم كلامه حتى صار بيلتا أمامه وصاح فيه وأشهر فى وجهه حسامه . وانتشب القتال بين الاثنين . وحام من فوق رؤوسهما غراب البين . ينتظر منهما قتيلا ليجعله لنفسه طعاما . وما كان الا ساعة من الزمان . حتى سطا بيلتا على خصمه وصاح وفاجأه مفاجأة ليوث البطاح وضربه بالصارم اليمان على رأسه شقه الى تكة لباسه . فمال الى الأرض كطود من الأطواد . ثم جال بيلتا وطلب الحرب والجلاد . وهجم على فئة من جهة اليمين قتل فيها مقتلة عظيمة ثم رجع الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان . فبرز اليه فارس شديد الحيل . يقال له راعى الخيل . فتعارك واياه ساعة ثم ضربه بحسامه فألقاه

قتيلا يعض الأرض بنواجذه وإذ ذاك تكدر منكوخان . فأمر أحد القواد العشرة الذى كان قد قتل منهم فرخوزاد واحداً أن يبرز اليه وكان اسمه المشمال . فتهاوشا وتناوشا وأوسعا فى القتال . وأظهرا فيه العجائب والأهوال . بقية ذاك النهار إلى قرب الزوال . فضربت طبول الحرب والانفصال . ورجع الفريقان إلى الخيام لطلب الراحة والمنام . وفى صباح اليوم الذى بعده نهضوا وطلبوا القتال . وبرز إلى الساحة القائد مشمال وكان من أشد الأبطال . فصال وجال وسال البراز والنزال . فأراد بيلتا أن ينزل اليه ويأخذ معه على ما كانا عليه فى اليوم الأول وإذا بعساكر الفرس قد اهتزت واضطربت وخرج من بينها بهزاد . سيد الفرسان والقواد . وعروس القتال والطراد من اعترف السيف أنه سيده ومولاه . واتخذ النصر أمه وأباه . راكب على ذاك الجواد العالى الذى تقدم معنا ذكره وهو من خيول البحر فمالت اليه الأنظار . وأحدقت به الأبصار . مؤملة منه رجال إيران الانتصار . لما تعهده فيه من البطش والاقتدار .

قال ولما صار بهزاد . فى ساحة الحرب والطراد . هجم على المشمال . هجوم الأسد الرئبال . وأخذ معه القتال والحرب والنزال ووقعت بينهما الأهوال . مقدار ساعة من الزمان . وإذا ببهزاد قد صاح صياحه المعتاد . وقال أنا بهزاد أنا بهزاد ابن فيلزور البهلوان بن رستم زاد . نشئة الملك ضاراب سيد الأسياد . ورهين سيف والده فارس فرسان الطراد . ثم رفس مشمال برجله رفسة قوية قنطره عن جواده وأدركه بأسرع من لمح البصر بضربة من سيفه وهو فى الهواء قطعه نصفين وصاح فى عساكر الصين وطلب تقدم الفرسان والأبطال اليه وقال لهم فليأت منكم عشرة أوعشرين وإذا شئتم فاحملوا بأجمعكم على فما أتم كلامه حتى حمل عليه فارس آخر وهو القائد الثالث وكان اسمه أبو نسناس . فالتقاه بهزاد بقلب قوى وجنان جرى إلى ما بعد الظهر وهو يحاوله ويراوغه ويلاعبه كما يلاعب الهر الفأر حتى أتعبه وأهلكه ولم يعد يقدر على الحراك وإذا به انقض عليه واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الأرض بقوة عزمه ومقدرته فجاء على رأسه فأدخل إلى جسده ومات على تلك الحال . ومن بعده نادى بهزاد يسأل القتال فلم يتقدم أحد اليه وقد خافه الجميع مما شاهدوا ورأوا منه ولما رأى توقفهم وامتناعهم صاح وانحذف عليهم كالقضاء المنزل وأخذ يضرب فيهم ضربات أحر من لهيب النار حتى انفتح لهم طريق بينهم فغاص فيهم وهو يطردهم أمامه طرد الأغنام حتى صار فى وسطهم ومالوا به من كل الجهات فخاف فيروزشاه عليه من كثرة الازدحام وعليه فقد أمر بقية الفرسان أن تحمل على الصينيين بالعساكر والأبطال . وفى الحال حملت الفرس على أهالى الصين وهى مسرورة من عمل بهزاد مرجحة الفوز والانتصار

على أولئك القوم فانتشب القتال فى كل ناحية ومكان . واشتبك الفرسان بالفرسان والأبطال بالأبطال . وقام سوق الجهال ودار فيه الاستيفاء والاستلال وانتفع منه كل أسد ريبال وخسر فيه كل جبان قليل الأعمال ردىء الأفعال حتى خيل للرائى أن الأرض قد اضطربت من كل الجهات ووقع عليها مارد الويلات يختطف منها من قتل ومن مات وقامت القيامة وقلت السلامة وانفجرت ينابيع الدماء من الأبدان كمياذيب السحاب عند الهطلان وكان من وسط تلك النار المتسعرة الاتقاد يسمع صوت بهزاد ينادى بشرف الفرس وفخرها ويقرر عزها ونصرها وهو كالبرق الخاطف يقلب اليمين على الشمال وينزل البلايا والاهوال ويذهب بالارواح إلى عالم المحال وكلما اجتمعت من حوله الرجال فرقها تفريق الجمال وما أمسى مساء ذاك اليوم إلا وقد هلك من رجال الصين أكثر من ربعهم ماعدا المجروحين والمصابين بالشلل والعطل وحينئذ أمر فيروزشاد بضرب طبول الانفصال لرجوع الفرسان والابطال وتقدم من بهزاد فقبله ما بين الاعيان وقال له لو كان بالفرس مثلك اثنان لسادت على الانس والجان وتملكت الارض بالطول والعرض فقال له من أنا ياسيدى وهل يحق لى أن أذكر إذا كنت موجودا فأنت مولانا ولولاك لما أقيم لنا مجد ولا شرف ولا اعتزت الفرس ولا نالت النصر والظفر .

وبعد ذلك عاد كل إلى خيامه ينتظرون اليوم القادم وعاد منكوخان بن هلكوخان لا يعرف يمينه من شماله ولا يرى ما بين يديه وقد وجد الارض مملوءة من رجال الصين وفرسانهم ووقع النقص بهم من كل مكان وقتل ثلاثة قواد عظام عدا عن غيرهم من القواد الذين عليهم الاعتماد وأراد أن يبعث إلى جهان يخبره بما جرى وكان ويطلعه على ماحل بهم من الفرس إلا أن عزة نفسه منعته وقال ماذا يقال عنى إذا وقع بى التأخر بمدة أسبوع واحد ولدى من الابطال ما يضيق بهم البر الفسيح . ولهذا دعا اليه بقية القواد واستشارهم فيماذا يفعل وقال لهم إن الحرب على مثل هذا اليوم تهلكنا عن آخرنا ولا نقدر أن نثبت أكثر من يومين أو ثلاثة فقال له أحدهم إن النصر معقود بارادة النار واننا من الموافق أن نثبت فى القتال ونحارب إلى آخر رمق عنا ولا نرجع حتى نهلك عن آخرنا واننا سنعود إلى المبارزة عسى يجد بين رجال الصين من يقدر على قتل بهزاد الذى فعل بنا ما فعل فى مثل هذا اليوم قال إنى أعرف أنه ليس فيكم من يقدر يقارنه أو يقاتله قالوا اننا سنتكل على النار ذات الشرار ونطلب منها المعونة والانتصار وباتوا على مثل تلك الحال الى أن كان صباح اليوم الآتى فنهض الجميع من مراقدهم وتنصلوا بنصولهم وتدرعوا بدروعهم وعلوا على ظهور خيولهم وتقدموا الى ساحة الحرب

والكفاح مصطفين صفوفا صفوفا ومرتبين مئاتا وألوفا وبينما هم على مثل ذلك واذا بالأمير بيلتا قد توسط الميدان ولعب على ظهر حصانه بما أدهش الأنظار وحير الاذهان وطلب مبارزة الفرسان وفى الحال سقط اليه أحد القواد السابق ذكرهم وأخذ معه فى القتال والصدام والافتراق والالتحام والقرب والبعد والاخذ والرد وقد ارتفع فوقهما الغبار وقدحت حوافر جواديهما شرار النار حتى توسط النهار واذا ببيلتا قد ضرب خصمه بالحسام فوقع على رقبته براها كما يبرى الكاتب القلم ومن ثم صاح فى الابطال ثانية وطلب من رجال الصين أن تبعث اليه بفرسانها وأبطالها فنزل اليه قائد آخر وصاح فيه وحمل عليه فالتقاه بيلتا وسلك معه سوق الحرب والطعان وأكثرا من الجولان وأوسعا فى ساحة الميدان وطلب بيلتا النصر من العزيز الرحمن وهما تارة يجتمعان وتارة يفترقان كأنهما من مردة الجان وصرفا كل أبواب الحرب وتفننا بأحوال الطعن والضرب وكان خصم بيلتا من الابطال الشداد المعدودين يوم الحرب والجلاد فثبت أمامه كثير الثبات مفضلا الهلاك والممات على الفرار والشتات إلى أن ولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وقبل أن تضرب طبول الانفصال صال بيلتا عليه ومال خوفا من أن يركب طريق الرجوع والانفلال ويتخلص من شرب كاس الهلاك والوبال وضربه بصارمه الفصال أرداه قتيلا فى الحال واذا بالطبول قد ضربت ورجع الفريقان عن الحرب والصدام الى المضارب والخيام وهم مندهشون من أفعال بيلتا الاسد الضرغام ويترحمون على أبيه فيلزور صاحب الصيت الجيد والذكر السعيد وهنأه فيروزشاه عند رجوعه بالسلامة والرجوع بأمان فشكره على اكرامه ومعاملته اياه بالانس واللين وبعد انقضاء السهرة فى صيوان ابن ملكهم تفرق كل الى صيوانه يطلبون الراحة والمنام ليقوموا فى صباح اليوم الثانى الى القتال ويزحفوا على الاعداء بالخيول زحف الابطال

قال وكانت عساكر الصين قد وقع فى قلبها الخوف والوهم مما شاهدت ورأت وثبت لديها أن لا أحد من الفرسان يقدر على الثبات فى وجوه رجال ايران وأن لا فارس منهم الا ويقدر على الايقاع بألف وألفين معاً ولذلك قال منكوخان قد أصبحنا بحالة يرثى لها وتقطعت ظهور رجالنا فأصبحوا خائفين كل الخوف منهم وعندى أن نبعث الى الملك جهان نطلعه على أمرنا ونعرض عليه كل ما كان منا وننتظر منه الجواب فاذا أمرنا بالرجوع رجعنا اليه واذا بعث الينا بزيادة عسكر وفرسان وأبطال ثبتنا وقاتلنا ولا نفعل الا غايته قال فأجاب القواد بموافقة آرائه وكتب كتاباً الى جهان يخبره بالفشل الذى وقعوا فيه وبالتأخر العظيم وأنه قتل من الفرسان رؤساء

الجيوش خمسة وكثير غيرهم ممن يعز أمرهم ويرفع شأنهم ويستخبره فيما يفعل أيبق فى مكانه أو يتأخر إلى المدينة وبعث الكتاب مع رسول . وبات تلك الليلة إلى الصباح وفيه نهض العسكران إلى ساحة الطعان وقد تقلدوا بالنصول واعتلوا فرق الخيول ولما اصطف الصفان . وترتب الفريقان . برز فرخو زاد بن فيلزور البهلوان وقاتل فى ذلك اليوم الفرسان وقتل جانبا من رجال الصين وقوادها وعاد عند المساء. وهو كانه النمر الكاسر أو الليث الزائر وبقى عائدا إلى الخيام حيث كانت رجعت العساكر إلى مقرها قال ودام القتال على مثل تلك الحال نحو عشرين يوما على التمام وفى اليوم الحادى والعشرين ورد على رجال الصين نجدة من قبل جهان يبلغ عددها نحو ثلاثة الف مقاتل فتقووا بها وفرحوا بوصولها وصبروا إلى اليوم الذى بعده وفى نيتهم اشعال نار القتال والهجوم على الايرانيين إلى أن كان صباح اليوم الثانى اصطفت الصفوف وترتبت من اليمين والشمال وإذا بالبطل بهزاد قد توسط الميدان ولعب على أربعة أركانه بأشكال وألوان ثم وقف فى الوسط ونادى هيا يابطال الصين فليبرز منكم كل بطل صنديد وفارس شديد وإذا شئتم فابرزوا بأجمعكم فترون من سيف الموت الذى تعلمونه وقد أعددته لكم وهيئته لخطف أرواحكم . فلما سمع رجال الصين كلامه لم يقو أحد منهم على الدنو منه والتقرب اليه فتأخروا جميعا وكان على العساكر الجديدة قائد مشهور من الأبطال الشداد اسمه عنبر بن شداد فلما سمع كلام بهزاد لعب به الغيظ والحنق وتحير كيف أن الصينيين قد تأخروا عنه ولم يقربوا منه وسأل من بعض الرجال فقيل له هذا بهزاد قد ألقى الرعب فى قلوب الجميع لأن أفعاله من أفعال الجان وليست من أفعال الانس فاثار هذا الكلام فى رأسه النخوة وقال اليوم يعرف الجميع من منا أقدر وأعرف بمواقع القتال . ثم لكز الجواد فمر من تحته كالسهم الطيار وصدم بهزاد صدمة الرجل الجبار فالتقاه بصدر رحيب وأخذ معه فى الحرب والصدام بما يحير الخواطر ويشغل الاوهام ودام معه فى أشد قتال وحرب ونزال وهما تارة يصيحان ويظهران للعيان وطورا تحت الغبار يختفيان . والناس تنظر إلى قتالهما بالعيان وترجو منهما النهاية على أى وجه كان

قال وكان بهزاد يزيد على خصمه الدرهم قنطار . اذ لم يكن من هذا العيار ولذلك ضايقه كل المضايقة وصاح به بصوت فيروزى ونادى بندائه المعتاد . أنا بهزاد أنا بهزاد . ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد . وامتشق فى يده الحسام حتى اجتمعت من حوله جيوش الحمام . وأرسله بقوة عزم وثبات فؤاد . فوقع على طارقة عنبر بن شداد فقطعها الى نصفين وسقط على الخوذة فشقها ووصل الى رأسه فتعمده وهوى من هناك ياخذ مداه ووقع عنبر الى الأرض واذ ذاك لم يصبر بهزاد ان يطلب فارسا آخر لأنه

علم أنهم لا يأتون اليه ولا يبرزون لديه وان عنبر لولم يكن جاء مع القادمين لما ارتكب هذا الخطر المبين بل صاح صياح الابطال وارتمى على فرسان الصين وأشعل فيهم نار الحرب والقتال وحملت من ورائه سائر قومه من الرومان والمصريين والفرس واليمنيين وسائر الفرسان المتجمعين وحمل خورشيد شاه وأخوه جمشيد شاه وحمل أيضا مصفر شاه وابن عمه كرمان شاه وارتجت لحملتهم الارض من كل الجهات وعلت منهم الصيحات والصرخات واشتبك القومان وقام بينهما سوق الحرب والطعان حتى تدفقت الآدمية كالغدران وسالت فى جداول تلك البرارى والقيعان ولم يبق من وسيلة للصلح والأمان ولا من مفر للخائف الجبان لأن كل الطرقات قدسدت فى وجوههم وامتلأت من الرجال وقامت عليها جيوش الموت المنتظرة نهاية الحال لتسير بالأرواح التى فقدت إلى مقرها وتذهب بها إلى المحاسبة لتنال جزاء خيرها أو شرها وكان رجاؤها الأكبر ببهزاد سيد الأبطال الشداد لأنه كان يكثر لها من تسليم الأرواح التى يخرجها من الأجساد وهى مسرورة كل السرور كما كانت تسر منه الوحوش والطيور إذ تراه يمدها بقوتها ويكثر لها من الطعام ويهيء لها مؤنتها إلى عدة أعوام ويفعل فى رجال الأعداء كما تفعل النار فى الورق ودام القتال على مثل تلك الحال إلى أن جاء الزوال فافترق الفرسان ورجع الفريقان وقوم الصين فى تأخر وارتباك جسيمين وقوم فيروز شاه فى فرح وسرور عظيمين تضرب بين أيديهم الموسيقات معلنة بالانتصار مهنئة بالظفر والفخار وعاد الجميع إلى الخيام على تلك الحالة من الاستبشار وصرفوا تلك الليلة ينتظرون الصباح ليكروا إلى إبادة القوم الباقين ولما كان الصباح عادوا إلى القتال وبرز بيلتا وأخذ فى ذاك النهار على نفسه عهدة النزال وقتل أكثر من عشرة أبطال وعاد عند المساء

ودام الحرب بين الفرس والصينيين فى ذاك المكان نحو شهر ونصف على التمام وهى منحصرة على أولاد فيلزور البهلوان بهزاد وبيلتا وفرخوزاد يقتلون ولا يرحمون حتى ضعف جيش الصين كل الضعف وكاد يضمحل وحينئذ أمر فيروز شاه عساكره أن تحمل حملة واحدة على الاعداء ولا يرجعون ما لم يبددوا شملهم ويفرقوهم ويبقوا لهم من أثر قط فى تلك الجهات فوعده بهزاد باجابة سؤاله وانه سيكون ذاك اليوم آخر الايام وكان فيروز شاه يرغب فى أن يقاتل بنفسه ليشفى غليله من الاعداء إلا أنه رأى نفسه غير مضطر اليه وأن الامر قد قضى بدون قتاله وفى صباح اليوم الذى بعده ركب بهزاد برجال مصر وقومه الخصوصيين وتوسط الجيش وجعل أخاه بيلتا من اليمين وفرخوزاد من الشمال وكذلك بقية الملوك والشاهات كل واحد جمع تحت جناحيه قومه وأوصاهم بالحمل دفعـــة واحدة وأقام الجميع ينتظرون أمر فيروز شاه بالحملة

حتى أشار اليهم بها وفى الحال انطبقت على عساكر منكوخان وأنزلت بها الذل والهوان وجودت بها الضرب والطعان وأنزلت عليها المصائب من كل ناحية ومكان واحتاطت بها إحاطة الهالة بالقمر وطوقتها باطواق البلايا والعبر وكان الصينيون قد اعتمدوا فى ذلك النهار على الهرب والفرار والرجوع إلى بلاد الصين حيث كان جهان لهم بانتظار فقاتلوا قتال الخائف الفزعان من التشتيت والقلمان ولم ينسهل لهم كل ما أملوه ولا رأوا طريقا سهلا يسلكوه وكيف مالو كانوا يرون الاعداء تقاتل وتهاجم وتناضل وتصيح صياح الرعود وتنحط انحطاط الاسود وهى تنادى باسم فيروز شاه فى كل مكان فخر رجال ايران حتى كان ذاك اليوم من الايام التى تذكر جيلا بعد جيل ويحكى فى سهر كل ليل طويل ومن ثم انفرطت الصينيون فى كل الجهات وتشتتت فى تلك الفلوات وحل بها الوبال والشتات لاتعرف لاى طريق تسلك فيه ولاأى مكان يلجأ اليه ورجال الفرس ساعية فى أقفيتها من كل ناحية تسير وراءها وتضرب فيها كى لايقوم لها بعد ذلك قائمة ولاتقدر من ثم على جمع شملها وكان الوزير منكوخان قد انفرد وتاخر منذ البداية وطار هائما على وجهه من مكان الى مكان يطلب الخلاص والامان حتى غاب ولم يعد يرى تلك الساحة فاطمأن باله وثبت عنده الخلاص ولم ينظر من جماعته الا القليل وقد تاكد أن من هلك منهم هلك ومن خلص سار فى غير طريق إذ لم يكن من سبيل إلى خلاصهم من جهة بلادهم بل تشتتوا فى كل الجهات ولذلك بقى سائرا إلى بكين وهو فى تلك الحالة الرديئة السيئة المشينة وبقى الفرس على عملهم حتى أقلعوا الصينيين من تلك الارض أى إقلاع ولم يبق لهم من أثر فيها وبعد ذلك عادوا يجمعون الاسلاب والغنائم والذخائر التى كانت معهم وأخذوا الخيول التى وصلت أيديهم اليها من خيول المقتولين وكان شيئا كثيرا فاضافوه إلى مؤنهم وأتوا فيروز شاه يدعون له بالنصر والظفر فشكرهم كل الشكر وسر منهم مزيد السرور ومدحهم على أفعالهم وقال لهم يسرنى أن أراكم وأنتم فى حالة النصر والظفر فهى من خصائصكم لا تليق بغيركم قط وإن كانت لاتدوخكم وتسكركم لتعودكم عليها إلا أنها لاتخفى عليكم بل تسر بكم وتفرح باعمالكم وأقاموا فى الخيام كل تلك الليلة على الراحة والامان وأمر فيروز شاه فى اليوم الثانى أن تنظف الارض من القتلى وتدفن جثث الاموات فى الارض فأخذ عسكره فى إنفاذ أمره وإقام على تلك الحالة فى هذه الناحية عشرة أيام حتى ارتاح قومه ورجاله ومن ثم سألهم بالركوب والتقدم من بكين عاصمة الصين حيث يكون الحرب هناك عظيما قويا فركب الجميع على ما تقدم من الترتيب وركب هو كمينه ورفعت فوق رأسه الرايات الفارسية وإلى جانبه

طيطلوس الحكيم وبقية الأمراء والقواد وبين يديه العياروون ومنهم بهروز ابن الغول
وتركوا تلك الارض وساروا إلى حيث يقصدون

قال وكان جهان قائما فى المدينة يجمع العساكر من كل ناحية ومكان وهى ترد اليه بكثرة حتى ضاء بها الفضاء وكانت المدينة حصينة جدا منيعة ذات أسوار لا يمكن أن يوجد مثلها قط ولهذا السبب كان جهان يفكر بالنصر وخذلان رجال الفرس ودام على حالته إلى أن وصل اليه خبر وصول منكوخان مهزوما فارامن وجه الاعداء فزاد به الغيظ والحنق ولعن وكفر وقال انى أعجب من النار كيف قد غضبت علينا كل الغضب ولم يعد لها من قوة أن تمنحنا إياها فنتقوى بها على الذين جاءوا بلادنا وقصدوا الايقاع بنا وخرابها وطلب أن يأتى منكوخان اليه فقدم وهو فى حالة ذل وهوان فسأله عما كان من حربه وماذا حل برجاله فقال له اعلم ياسيدى أن قوم الفرس أبالسة قتال لا يمكن أن يوجد بين فرسان الدنيا من يقدر أن يقف أمامهم وانى أقول الحق ولا أخاف من لوم ولا تعنيف أنهم لا يمكن أن يغلبوا إلا بالقوة والكثرة فاذا لم تجمع لهم أضعاف الأضعاف وتحمل عليهم دائما من كل الجهات وكلما فقد منك جيش تأتى بغيره يسد مسده حتى يبادوا وينقرضوا الآن من قتل منهم لا يقدرون على الاتيان بعوضه ثم حكى له كل ما كان من أمرهم وكيف أوقعوا برجاله وقتلوا قواده وحكى له عن بهزاد وبيلتا وفرخوزاد وقال له فى آخر الكلام هذا وأن فيروز شاه لم يباشر حربا ولا نزالا ولا تحرك من مكانه لانه رأى أن الأمر لا يحتاج اليه فاقام عاطلا بحرسه الذين هم من رجال إيران الخاص كلهم فرسان وأبطال وإلا لو باشر بنفسه القتال وحمل بمن معه لما ثبتنا أكثر من أسبوع واحد وانى شاهدت قتاله فى بلاد الرومان وأفعاله فى الابطال والفرسان فزاد ذلك فى قلق جهان وقال لا بد لى من صرف كل القوة وجمع كل جيش وجيوش أحلافى الهنود إلى تبديد هذه الفيئة القليلة وإقلاعها وانى اقدر أن أن أدخل بكل عساكرى المدينة وأتركهم خارجا أعواما وأجيالا لا يصادفون غير حرارة الشمس فى النهار وشدة البرد فى الليل إلى أن تميتهم الطبيعة وما من وسيلة لهم فى التسلط على أسوار المدينة أو الدخول اليها من أى جهة كانت فاخرج أقاتلهم وإذا عدت إلى الداخل وذلك بعد أن أرى نفسى محتاجا اليه وأما الآن فان عساكرى عددها الف الف وثمانمائة الف فارس قائمة فى الخارج تنتظر خروج وقدوم الاعداء لتهجم عليهم دفعة واحدة وتبيدهم عن آخرهم بقوة النار التى فوضت اليها أمرهم ثم أنه نهض من تلك الساعة وقدم للنار الضحايا وسألها النصر والظفر على الأعداء وأن ترسل بعضها إلى رجال الفرس وتحرقهم بحرارتها وأمر المرازبة أن تديم لها التقدمات ولا تنقطع

عن الطلب اليه فأجابوه وأقام مدة أيام على الانتظار إلى أن كان يوم وصول الفرس إلى تلك النواحي فاضطربت بقدومهم المدينة لأنهم كانوا قد نشروا الخوف فى قلوبهم ولولا أملهم بملكهم وبمساعدة النار لما باشروا حربا ولا قتالا .

قال وكان وصول فيروزشاه وقت العصر فأمر شبرنك أن يختار مع بهروز المكان الموافق لقيامهم لأنه جاء إلى تلك الجهة قبل ذلك الوقت وعرفها واكتشف على أماكنها فسار بهم إلى مكان متسع يانع الأشجار بارد الهواء فضربوا فيه الخيام وأقاموا هناك على الانتظار وسرحوا وراءهم الأغنام والنوق والبغال وأقاموا عليها الحراس واختاروا مقاما يحفظون فيه الذخائر والمؤن والمهمات وباتوا تلك الليلة على الراحة والاطمئنان وفى اليوم الثانى لم يباشروا قط حربا ولا كفاحا ولا الذى بعده وأقاموا ثلاثين يوما على تلك الحالة . وبعد أن مضى عليهم أكثر من شهر مرتاحين وكان غاية فيروزشاه أن يألف قومه تلك البلاد ويعتادوا على مناخها ولا يكون قد باشر الحرب حالا وجلب اليهم التعب فيؤثر فيهم تغيير الهواء ويأخذون بالضعف والانحلال وبعد ذلك أمر أن تضرب قبل الصباح طبول الحرب والكفاح إنذاراً للصينيين الذين كانوا فى ضواحى المدينة يرغبون فى التطويل لازدياد الجوع فأجابوا طلبه وقبل إشراق شمس النهار ضربت الطبول فارتجت منها تلك الأرض وعلم الصينيون أن فى نية الأعداء القتال وسمع جهان ضرب الطبول وهى تشاق الجبال والوديان فخرج إلى معسكره وأمر أن تضرب طبوله بجيبة باصرار واعتماد على انتشاب نار الوغى .

قال ولما نظرت الشمس إلى الأرض بكل حدقتها وأرسلت نورها إلى كل مكان ووصلت اليه أسرع الفرسان إلى خيولهم فركبوها وهم يعدون أنفسهم بانتشاب حرب قوية فى ذاك النهار لأن رجال الصينيين كانوا يزيدونهم بأضعاف ورجال الفرس أقدر منهم بأسا وبسالة بأضعاف الاضعاف وتقدم القومان إلى ساحة القتال كأنهم أسود الدحال . واصطف الصفان . وترتب الفريقان . وخرج فيروزشاه من عن العلم الكبير وفى نيته المباشرة بالحرب فى ذاك النهار صيانة لقومه ورغبة باشفاء غليله منهم . قال وعنـــد وصوله إلى أول الساحة أشار إلى رجاله بالحملة فانطبقت على الاعداء وهى مسرورة بمرأى سيدها وقتاله مؤملة النصر على يده والظفر من سيفه لعلمها أنها تتقوى به ويحميها كما تحمى اللبوة الاشبال وكذلك رجال الصين لما رأت سيدها والهها جهان قد خرج معها إلى ساحة الحرب والطعان وطدت عزمها على أن تفديه بنفوسها ولا تقصر فى مواقف الوغى لتنال بركته ورضاه ولا يسعنا المقام أن نصف تلك الوقعة بالتمام . لانها من أعظم الوقائع التى لاقاها الايرانيون . واشد

مقاتلة قاتلها الصينيون. وبأسرع من لمح البصر اشتبكت الأخصام بالأخصام . واضطرمت نار الوغى أى اضطرام . وسلمت الفرسان بأنفسها إلى أيدى الحمام . تختار ثبات المقام. على الانفلال والانهزام . أملا بارتفاع الشأن وعلو المقام واخترق فيروزشاه تلك الصفوف وأهلك منها الميئات والألوف وألبسها لباس البلايا والحتوف وقطع بضرباته المعاصم والكفوف وأنزل عليهم غضب العزيز الرحمان العادل الديان قصاصاً لهم على عبادة النيران وإكرام الأصنام والاوثان وتركهم عبادته التى هى أكرم العبادات واستمدادهم من أحقر صنيعته المساعدة والالتفات وما مضى ساعة من ذاك النهار إلا واكتست الارض من الدماء بألوان البهار وهطلت من سماء الصدور هطول الامطار وتقلبت فى حجر الهلاك والبوار وسلمت برقابها إلى أكف الهلاك والدمار واستترت تحت سواد ذاك الغبار فلم تنتفع بذاك الاستتار بل كان لمعان الصارم البتار يقدح على زناد القتام فيبعث إليهم بالانوار ويظهرهم للأنظار أى إظهار وكان لايرى فيما بينهم إلا تطاير الشرار وتزايد الاعتكار بما يوسع فى ضرام تلك النار ويهيج منها الهيب والاستعار ويروح بأرواحها إلى عالم الاسرار ويطوق أجسادها باطواق الاضرار ويكفنها باقمشة الغفار وينادى بين الباقين بالتاهب لأطول الاسفار ويريهم أن الحرب من أقرب الاشياء لتقصير الاعمار وتطويل المصائب والاكدار فلله در فيروزشاه الفارس الجبار صاحب العظمة والفخار والمجد المعهود على هامة الانتصار فانه أشفى غليله من أولئك الاشرار وأجرى من أعناقهم الدماء جريان الانهار وطوقتها كما يطوق بالمعصم الاسوار وشردها ذات اليمين وذات اليسار وفعل مثله بهزاد الليث المغوار صاحب البطش والاقتدار من خدمته السعادة خدمة العبيد للأحرار واتخذته البسالة ماخذ الاكرام والاعتبار فانه فاض بقتاله كما تفيض الابحار وفعل فى الاعداء أفعالا تدهش الابصار وتشغل الافكار فما ضرب رأسا إلا وطار ولاطعن صدرا إلا وفار. ولا فاجا فارساً وحار وكذلك فرخوزاد الاسد الكرار وبقية الفرسان والامراء الاخيار فانهم سلكوا سلوك مولاهم فيروزشاه واقتدوا بما فعله وما أبداه وبالاختصار أن الحرب كانت ثقيلة لم ير مثلها منذ أجيال ولا سمع بمثلها قط أحد من الشيوخ أصحاب الاعمار الطوال ولا كتبت بتواريخ الاعصر السابقة ولايظن بوقوع نظيرها فى الاجيال اللاحقة

قال وما جاء آخر النهار وفى القوم بقية رمق من عظم ما لاقوا وما شاهدوا وما رأوا وعند إقبال الظلام ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال

وهما لايصدقان بالرجوع بالسلامة إلى الخيام وكل منهم يندب رفيقه وخصمه ويتعجب مما رأى فى ذلك النهار وكان أكثر الجميع عجبا جهان ملك الصين فانه كان تحت أعلامه يشاهد ما هو جاريا بين قومه والأعداء وفى ظنه أنه يفوز فى ذاك اليوم وأن رجاله إذا علمت أنه واقف وراءها تلتهم الأعداء التهام النار القش اليابس ولم يخطر له أن أهل إيران هم فرسان ذاك الزمان وأن رجاله مهما جودوا الطعن وأجهدوا النفس لايلاقون منهم غير الهلاك والوبال ومما زاد فى دهشته وحيرته ما كان يشاهده من فيروزشاه وهو يطارد الفرسان فتنفر بين يديه وتشرد من حواليه وهو كالبرق السريع اللمعان ينتقل بأعجل آن من مكان إلى مكان وينادى باسمه واسم أبيه واسم أجداده وأسلافه وفى المساء رجع المدينة ومن حوله أعيانه ووزيره مهريار ودخل قصره وهو مكدر وقال لوزيره إنى فى حيرة وارتباك لا أعلم ماذا يحل بى من هؤلاء القوم الذين جاءوا بلادنا بقصد الايقاع بها وهلاك رجالنا مع أنى كنت أظن أننا لا نلبث أن ننتصر عليهم من أول وقعة . فقال له وإنى مثلك يا سيدى مأخوذ من أعمالهم متكدر من قوتهم فهم بالحقيقة أصحاب السيف وما من أحد من رجالنا يقدر على الثبات أمامهم . قال إنى أفكر أن أدخل بعسكرى إلى المدينة وأقيمها فى اسوارها وأجعل القتال مناوشة وأطيله إلى زمن طويل إلى أن يضجروا منه فاما أن يرحلوا عنا وإما أن يهلكوا بمديد الزمان وطول الأيام . قال إن هذا رأى صائب يمكن أن من إطالة القتال يأتينا الفرج فيما بعد فتى وقع بيننا وبينهم عدة وقعات وفازوا فى كل وقعة كفوزهم فى هذا النهار ليس لنا إلا الالتجاء إلى الأسوار فهى منيعة حصينة لايقدر الانس والجان على اختراقها وذكما قال وأما رجال إيران فانهم رجعوا فرحين منصورين مما فعلوه ذاك النهار وما وقع على أعدائهم من الخول والنقص وترحب بهم فيروزشاه وشكرهم على هذا القتال وقال لهم إذا دامت القتال على مثل اليوم أسبوعا واحدا نلنا السعادة والتوفيق وتملكنا المدينة وفزنا على الجميع وانقرضت هذه الجيوش بسيوفنا فقال له طيطلوس إن انتصارنا على الصينيين لابد منه وتملكنا البلاد لا يفوتنا قط لكن لا يكون ذلك بوقت قريب وأرى أن حروبنا مع الصينيين لا تكون سهلة على الدوام مثل ما هى فى البداية ولا بد لنا من مقاساة وصعوبات وملاقات أهوال شديدة والأمل منه تعالى تتخلص منها بدون أن يلحق بنا أدنى أذى أو مضرة توجب كدرنا كدرا أبديا . قال فيروزشاه إننا ندعو لله المساعدة وأن يكون معنا وهو على كل حال لا يترك نصرتنا ويميل إلى أعدائنا .

وفى صباح اليوم التالى خرج جهان من المدينة وركب على ظهر جواده وأمر أن ترفع الأعلام فوق رأسه وتضرب الموسيقات بين يديه وتصف العساكر بقصد القتال

والحرب والنزال وفعل مثل ذلك فيروزشاه فانه تقدم بمن معه من أبطال إيران وفرسانها العظام إلى الامام ورتبهم كالعادة فأقام هو فى الوسط وبهزاد عن اليمين وفرخوزاد وبيلتا فى اليسار وما تم الانتظام والترتيب حتى أشار لها بالحملة والهجوم فأطلقت خيولها وقدمت عددها وارتمت على الصينيين ارتماء الصواعق فالتقوها بالمدافعة والمقاومة وبأقل من ساعة من النهار قامت قيامة القتال وارتفع صوت المقاتلين حتى اهتزت منه تلك الجبال . وكان يوما عظيما وقتالا جسيما . فعل فيه كل من أبطال إيران الافعال الحسان وأجريت الدماء كالغدران وتقطعت الرؤوس فصلت عن الابدان وانفرطت سبحة ذلك الانتظام وامتزج الفريقان ببعضهما الامتزاج التام وبالاختصار لحق بالصينيين التأخر فى ذاك اليوم أكثر من اليوم الاول وقد قتل منهم خلق كثير ولاقوا صعوبات جمة حتى جاء آخر النهار وضربت طبول الانفصال ورجع الجميع إلى المضارب والخيام بعد أن تقطعت الارض من جثث القتلى ولم تعد الخيول تقدر على السلوك فى وسط الساحة ولما رجع فيروزشاه إلى صيوانه اجتمع حواليه الجميع فقال لهم إنى مسرور جدا من هذه الحالة إنما أخاف أن يدخل الصينيون إلى المدينة ويقيموا فى الاسوار فنلتزم إلى المحاصرة وهذه الحالة تعيقنا جدا ونلتزم أن نبقى عدة سنين حولها إلى أن يفتح الله لنا باب النصر والظفر فقال طيطلوس هذا لا بد منه وأنا أعرف أننا سنقيم سنين كثيرة فى هذه البلاد وما من سبيل لملك هذه الاسوار والتغلب عليها وإنى أطلب من سيدى أن لا يباشر فى الغد حربا وقتالا بل نبادر إلى تنظيف ساحة القتال ومتى رأينا الصينيون على مثل ذلك بادروا هم أيضا اليه وإلا فسد المناخ وفشت فينا وفيهم الامراض الوبائية التى نأباها ونتحاشاها منذ خروجنا من قيصرية إلى هذه الايام فاجابه اليه وأمر أن تبكر العساكر فى الغد إلى دفن القتلى ورفع الاجساد عن وجه الميدان وأمر أيضا أن لا تضرب طبول الحرب فى الصباح الآتى وأما جهان فانه عاد إلى المدينة وهو على مثل اليوم السابق لا يدرى يمينه من شماله والغضب يمزق أحشاءه ويعمى بصائره ودعا اليه وزيره منكوخان ومهريار وبقية الاعيان وسألهم فى الدخول إلى المحاصرة والقيام على الاسوار فقال مهريار إن ذلك أوفق لنا فاننا ندخل العساكر إلى داخل المدينة ونقفل الابواب فى الليل ولا نفتحها إلا فى النهار فاذا رأينا أن الايرانيين هجموا على المدينة أقفلنا فى وجوههم الابواب ونقيم على ذلك إلى أن يتسهل لنا الفرج وتأتينا النجدات من الهند وغيرها فقال منكوخان ان لا نجاح لنا ولا نصر إلا إذا كتبنا كتابا إلى البطل ديدار بن كركانى الساحرة صاحب قلعة سوسانشهر وهو لا مثيل له الآن فى هذا الزمان ووحده يكفى لقتال الفرس وإيران

. لا أظن أن فيروزشاه أو بهزاد أو غيرهما يقدر على الثبات أمامه وأما الآن فعند أول وقعة تكون بين رجالنا والاعداء نقاتل وندخل المدينة ونقفل أبوابها ونبعث بعياربنا إلى بينهم ياتونا منهم بالفرسان ولا سيا بفيروزشاه فقال جهان لقد أصبت فاكتب كتابا إلى ديدار وأعرض عليه كل ما كان من أمر الفرس وقتلهم لفرساننا وأبطالنا وعجل عليه بالحضور فكتب له كتابا بمثل هذا المعنى واتفقوا على مثل ذلك وفى الصباح نهض الصينيون فرأوا رجال إيران يرفعون جثث القتلى فسرجهان وأمر فيئة من رجاله أن تخرج فتقيم أجساد جماعته المقتولين وتدفنهم فى الارض ففعلوا وأقاموا مدة أيام على الراحة والامان وبعد مضى أكثر من شهر أمر فيروزشاه أن تضرب طبول الحرب إنذارا للأعداء بالقتال فكان كما أمر وفى الصباح نهض فركب جواده وخرج فى المقدمة ونهض معه جميع رجاله وأبطاله وفرسانه وتقدموا من الساحة ووقف فى مقابلتهم قوم جهان حتى كمل انتظامهم وصاح نفير الهجوم فحملوا حملة تزعزع الجبال وتقصر الأعمار الطوال . وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وكثر القيل والقال . واشتدت المصائب والأهوال . وعمل السيف القرضاب . فى محكم الصدور والرقاب . وسار ملك العذاب . وأنزل على القوم بالويلات والأوصاب . وسد فى وجوههم كل باب فشاهدوا عزرائيل مشاهدة العيان وألقوا على مرآه مآلفة الخلان الخلان وفضلوا الممات على البقاء فى مقاتلة الأعداء ولما جاء المساء رجع الفريقان بضرب طبول الانفصال ورجع الايرانيون إلى الخيام بحسب عادتهم وأمر فيروزشاه أن يضبط عدد عساكره ليعرف ما فقد منهم فبلغوه أن الذين فقدوا منذ البداية إلى ذلك اليوم يبلغ المائة ألف فارس كان أكثرهم من الرومان والمصريين فتكدر من هذا الخبر وقال إن هذا العدد ليس بقليل وقد يسوءنى جداً أن أسمع بقتل رجل من رجالى أكثر مما يسرنى انتصارى على أعداى فغفر الله لهم وأسكنهم فسيح جنانه وأمر أن يصلى على أرواحهم وتذبح الذبائح وتفرق على الفقراء والمساكين فعملوا لهم مناحة عظيمة .

وأما جهان فانه دخل المدينة وأمر رجاله جميعها بالدخول فدخلت وأقامت على الأسوار وداخل الأبواب وأمر الحرس أن تكثر على الابواب وأن لا تمنع أحدا من الدخول أو الخروج لكن عند إقبال الظلام تقفل الابواب وتقيم على أتم تيقظ وانتباه وفى الصباح لا تفتح الابواب ما لم تر أن رجال إيران بعيدون عنها وإذا شاهدت هجومهم تعود فتقفل الأبواب ولا تدع سبيلا لدخولهم المدينة وإذا دخل جماعة منهم مسلحين تقبض عليهم وتأتيه بهم وهكذا كان وأقام جهان على مثل ذلك داخل المدينة ينتظر قدوم النجدات عليه وما يكون من أمر الفرس ورأى فيروزشاه ذلك

فتكدر مزيد الكدر وشعر بوقوع الصعوبات والعذاب فطيب بخاطره طيطلوس وقال له ما من سبيل للكدر فاننا ناجحون الآن ولا بد من مساعدته تعالى فنتغلب على المدينة ونستلمها وهكذا يظهر لى من حال الاستقبال فصبروا فى الخارج أكثر من شهر آخر دون مباشرة حرب ولا قتال إلى أن كان ذات يوم اجتمع منكوخان بالملك جهان وقال له إننا الآن قائمون على الراحة والأمان لكن لا يزال فكرنا متعوب من جهة الاعداء ولا بد لهم من أخذ التدابير التى لا تكون لنا فى حساب فيدخلون المدينة بغتة وعندى من الاصابة أن نبعث بعيارينا إلى ما بينهم فيدخلون خيامهم وينتشلون لنا فيروزشاه فاذا وقع فى أيدينا ثبت لنا النصر والظفر وأخذنا الباقين بعده إما بالقتال وإما بالحيلة وتنهى الامر من أقرب طريق فاستصوب رايه وكان عنده عيار من أكبر عيارى ذاك الزمان اسمه ونك العيار قد أتقن مهنته حق الاتقان وتعلم كل أبواب الحيل والخداع حتى أصبح طامة كبرى وآفة عظمى يتزيا بكل زى فلا يعرف قط تعلم لغات العالم وألسنتها فاذا حكى فارسيا كان من أعظم رجال الفرس وأفصحهم لغة ولهجة ومثله مصريا أو يمنيا أو افرنجيا أو غير ذلك فدعاه فى تلك الساعة جهان وقال له لما هذا التهامل يا ونك فلأى سبب قد رفعت منزلتك وعينت لك العلوفات والمعينات وأقمتك رئيسا على كل العيارين أليس لمثل هذه الايام وها نحن الآن فى حاجة اليك ونريد منك أن تذهب فى الليل القادم إلى ما بين الاعداء وتأتينا بفيروزشاه رئيس جيوش الفرس أسيرا دون أن يراه أحد وإذا فعلت ما أطلبه اليك زدت لك المرتب وأفرغت عليك ثوبا من أحسن أثواب العيارين مزركشا بالذهب ولا أنسى لك هذه الهمة والخدمة قال إنى أعدك يا سيدى انى لا أدع الليلة القادمة أن تمضى دون أن يكون فيروزشاه مقيداً بين يديك وانى عندما كنت فى الخارج مع الجيوش طرقت كثيرا صيوانه وقصدت ما أمرتنى به غير أن هذا لا يتسهل لى كون عنده عيار اسمه بهروز لا ينام الليل ولا يغفل ساعة عن حراسة مولاه يدور حول صيوانه كالولب وأعينه تقدح كالمشعال أو كالشهب ينظر إلى بعيد وكثيرا ما كدت تقع فى يديه لو لم أتغلغل بين الخيام وأختفى عن أنظاره وكان ذلك منه لعلمه أن عيارينا لا بد من الدخول إلى جيوشهم وإلقاء شرورهم عليهم وأما الآن فلا بد أن يكون فى أمان لظنه أننا داخل المدينة ولا يخطر له قط أننا نطرق أبواب معسكرهم . ثم خر أمام سيده وقبل يديه وخرج إلى تدبير أمره وصبر إلى أن كان اليوم الثانى فلبس ملابس رجال اليمن وأتقن الصنعة وجاء بعيار آخر من جماعته فألبسه ملابس رجال مصر وخرج من الباب بعـــد أن أعلم الحرس به وأوصاهم أن يفتحوا له عند أول طرقة يطرق بها الباب ووضع بينه وبينهم

علامة يعرفونها ولا زال سائرا يتلبد من جهة إلى أخرى وهو يخترق الخيام يقصد صيوان فيروز شاه حتى لاح له شبحان تحت الظلام فمر من جانبهما وقد أحدق بعينيه في الأول منهما فاذا هو مصفر شاه وكان لا يعرفه حق المعرفة ومن وراءه عياره الأشوب وقد تقدم معنا أن مصفر شاه من أقرب الناس بفيروزشاه هيئة وشكلا وقد غش به طارق العيار في مصر وأخذه أسيرا وهو يظنه الذي جاء بطلبه ومثل ذلك وقع لورنك العيار فانه لما رآه على أنوار الكواكب ثبت في ذهنه أنه نفس فيروزشاه فخاف كثيرا من أن يراه ويعرفه عياره بهروز الذي خلفه فدار بوجهه عن العيار ولم يدع وجهه يقع على وجهه إلى أن بعد قليلا عنه أى بضع خطوات وعاد فتأثره ليرى إلى أين يسير وهو يسأل النار أن توفقه إلى أسره وبقي على ذلك إلى أن دخل مصفر شاه الصيوان وكان كبيرا عظيما من صواوين الملوك الكبار فثبت لديه كل الثبوت ما خطر له أولا وأقام بعيدا عنه ينتظر مضى الفرصة الكافية لمنامه ومن ثم جاء من خلف الصيوان شيئا فشيئا ومعه رفيقه يراقب له من يمر ومن يأتي حتى جاء إلى ظهر الصيوان فاخترق فيه خرقا ونظر إلى الداخل فلم يسمع حركة ولا رأى ما يمنع دخوله وفي الحال اقتلع الوتد من الخارج وأشعل قطعة من البنج ورماها إلى الداخل وأقام إلى أن تأكد أنها احترقت تمام الاحتراق وفرغ دخانها فدخل بأسرع من البرق وأخرج من وسطه حبلا ربط به مصفر شاه وهو يظنه فيروز شاه ولم يقدر أن يميزه حق التمييز بنور المصباح وحمله على أكتافه وخرج به كالثعلب من بين تلك الخيام وكلما رأى شبحا من جهة مال إلى أخرى ورفيقه يراقب له الطريق حتى خرجوا من المعسكر وجاءوا إلى أبواب المدينة وورنك يصفق من الفرح ويعد نفسه بالغناء والثروة وأن ينال المراتب العالية لأنه نجح كل النجاح ونال ما طلبه منه سيده وعند قربه من الباب طرقه ففتح له الحراس فدخل وعلى عاتقه مصفر شاه ولما صار داخل المدينة ارتاح باله وذهب به إلى بيته ينتظر الصباح ومن عظم فرحه لم ينم تلك الليلة وهو يفكر ماذا يا ترى يحل برجال الفرس في الغد إذا رأوا ملكهم قد سرق وصار بيد الاعداء ولا ريب أنهم يتفرقون وتحل بهم المصائب وكاد يطير فرحا عندما يفكر أنه بعد ساعات قليلة يقدم فيروزشاه إلى الملك جهان وينال إنعامه وتعرف كل أهل المدينة أنه كان السبب في كسر هذه الجيوش ونصرة أهل الصين وبقي يتردد ويفتكر في ذلك إلى أن كان الصباح وفيه نهض إلى مصفر شاه فأيقظه بقطعة من ضد البنج وإذا يرى نفسه مكتوفا في مكان غريب فصاح أين أنا ومن تجاسر أن يأتي بي إلى هنا ولم يعرفني فقال ورنك مهلا ياسيدي انى أنا الذي جئت بك إلى هنا إذ كان سيدي قد بعثني لآتي بك اليه لعلمه أنه إذا قضى عليك تفرق قومك من

بعدك لأن كل رجائهم بك وبهزاد ولابد من أسر الآخر إن شاءت النار فى الليلة القادمة فخفق قلب مصفر شاه وثبت عنده أنه أسير داخل الصين وأن ونك قد جاء به وهو يظنه فيروز شاه وقد وقع له هذه المرة ماوقع له فى مصر ولذلك لم يبد خطابا ولا تكلم بكلمة بل صبر على مضض ينتظر ما يحل به ولما تعالى النهار خرج جهان إلى ديوانه ينتظر ونك وإذا به قد دخل عليـــه ومعه مصفر شاه وصاح عند دخوله من باب الديوان هذا عدوك ياسيدى قد جئت به أسيرا وأنفذت به أمرك هذا هو فيروز شاه بن الملك ضاراب مكتوف الآن بين يديك ذليـل حقير فلما سمع الملك جهان هـذا الكلام كاد يطير من الفرح وأمر أن يقربه منه وقال له انى سأجازيك أضعاف ماوعدتك .

ولما وقف مصفر شاه بين يديه قال له كيف ترى نفسك الآن أيها الملك الفارسى أتظن انى أعجز عن القبض عليك وإذلالك . الا فأكد أن النار تساعدنى فأدوس بمساعدتها أعدائى الكفرة الذين لايعترفون بعظم مقدرتها وقوتها العجيبة وانى لما كنت أحترم الملوك جدا ولاأقبل قط باهانتهم اعتبارا للخطة الأولى كون بعين الحقيقة كل ملك هو إله بقومه أطلب اليك أن تقبل أقدامى وبعترف بواحدانية قدرة النار وتعدنى بالطاعة على الدوام وأنك ترجع بقومك من حيث أتيت وتكون بلادكم تابعة لبلادى وتدعو أباك إلى ذلك وإلا ألقيتك فى السجن وجعلت قيامك به إلى الأبد ولا بد من تشتيت شمل قومك بعدك . فلما سمع مصفر شاه كلامه أجابه اعلم أيها الملك المتعظم فى نفسه أنك واقع فى غلط أتظن بنفسك أنك نلت مرادك ممن يعجز على هو من مثلك أن يقدر على الوصول اليه أو يجسر عيارك ونك على أن يمد اليه يدا بسوء وفى خدمته ألوف مثله فما أنا فيروزشاه بل من أحد أتباعه وأولاد عمه الذين جاء والخدمته فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وانقلب سروره إلى غيظ وحنق وقال له من أنت وما اسمك قال أنا مصفر شاه ابن عم الملك ضاراب قد كنت صرفت السهرة عنده فى الليلة الماضية ومضيت إلى صيوانى فجاء إلى ونك وأخذنى وأنا غائب عن الوجود لا أعلم كيف عمل ذلك وانى أحذرك أن لا بد لجيوش الفرس من الاستيلاء على بلادك فاسعى إلى مسالمتهم وكن ممن يعقلون ولايتصور لك قط أو لأحد من جماعتك أنكم تصلون إلى فيروز شاه وعنده بهروز العيار سيد عيارين هذا الزمان ولو كان عيارى مثله لما قدر ونك أن يصل إلى أو يدنو منى فزاد هذا الكلام فى غيظه وأغاظ ونك غيظا عظيما حتى كادت تنفطر مرارته كيف أن تعبه ذهب سدى ولم يتوفق فى خطته استحى من الملك ومن الذين فى ديوانه وكان الوزير منكوخان قد أمعن النظر فى مصفر شاه

خفاً كدأنه ليس هو فيروزشاه إذ أنه كان يعرفه حق المعرفة ورآه مرارا فى بلاد الرومان وفى القتال فى الأيام وعليه فقد قال لجهان لقد أخطأ ونك المرى ياسيدى فبالحقيقة أن هذا مصفر شاه وانى كنت أدهش كيف قدر ان يصل إلى سيد الفرس وملكهم غير ان هذا الامير هو من أمراء الفرس العظام أصحاب الرأى والكلام وما من موجب للغيظ فى اسرة فائدة لنا وان كانت أقل نفعا مما نحن نطلبه لكن فى القبض عليه ووضعه فى السجن الآن كدر عظيم على الأعداء وعار لا يمحى بطول الزمان ولا بد انهم يخافون ويبقون طول الايام فى رعبة وخوف وان الذى جاء بهذا لابد ان يتسبب بكامل همته إلى أسر ذلك فقال ونك العيار انى أقسم بالنار ذات الشرار لابد من أسر فيروز شاه وإذلاله والاتيان به مكتوفا الى بين يديكم الا انى لما كنت لاأعرف فيروزشاه حق المعرفة بل رأيته عن بعد وهو فى القتال ووجدت هذا مثله فاتيت به وسوف ترون منى مايسركم فدحه جهان وأوصاه بكل مايحتاجه .

وبعد ذلك أمر الملك بوضعه فى السجن على حدة وان ينقل واحد من الاربعة الأسارى اليه بحيث يقسمون الى قسمين فلا يكونون كلهم فى مكان واحد ففعلوا كما أمر ونقلوا اليه سيامك سياقبا وبقى هناك طهمور وبهمنزارقلى وقادرشاه وسلم سيامك على مصفر شاه وسأله عن سبب أسره فحكى له واخبره بعمل ونك وساله كيف كانت مدة قيامهم فى الأسر قال كنا فى راحة من جهة الأكل والمعاملة وفى عذاب من جهة الأسر والحجر . وأقاما مع بعضهما على تلك الحالة ينتظران الفرج منه تعالى ويطلبان الخلاص وفى ظنهما ان اسرهما لا يطول الى زمان وفى اليوم الثانى من غياب مصفر شاه نهض فيروزشاه من فراشه وجلس فى صدر صيوانه واخذت تأتى اليه الفرسان والابطال من كل ناحية وصوب حتى احتبك الديوان من الصغير والكبير وإذ ذاك نظر فيروزشاه الى كرسى مصفرشاه فاذا هو فارغ فارتاع من غيابه وسال عنه اذا كان رآه احد من الموجودين فلم يره أحد وحينئذ تقدم الاشوب عياره وقال اعلم ياسيدى اننا انصرفنا فى الأمس من حضرتك ونحن بامان من غوائل الزمان لانحسب حساب الاعداء لعلمنا انهم داخل المدينة ولا احد منهم يجسر على الخروج ولاسيما فى الليل فدخل هو الى فراشه فى صدر صيوانه واقمت انا فى فراشى عند بابه وفى الصباح نهضت وانتظرت انه يدعونى فلم يكن ذلك فدخلت الى الداخل واذا بالصيوان فارغ وطرفه الخلفى مخلوع واثر اقدام فى الارض وماخلف الصيوان فتكدرت جدا وبحثت كثيرا عساى ان اعرف من اين اخذ وهل رأى احد آثارا لهذا العمل فلم احصل على المقصود ومن المؤكد انه أخذ الى المدينة بالحيلة أى حمل مبنجا لان آثار البنج موجودة فى الارض . فقال لا بد ان الذى فعل

ذلك هو ونك العيار لأنى أسمع عنه أنه ابن زنا وحرام صاحب مكر وخداع و...
لا يمكن أن يسبقه غيره اليها ولهذا كنت أحسب له حسابا وأخاف منه ...
سيدى فيروزشاه ومن المؤكد أن قدومه لم يكن إلا لأجل أخذ سيدى فهو يتوفق إلى
المطلوب ولا بد من النزول إلى المدينة والاحتيال بارجاع الأسرى وأن ... منهم
أعظم مما فعلوا معنا عندسنوح الفرصة . فلماسمع فيروزشاه هذا الكلام تكدر من ...
الكدر وزاد به الغيظ وحزن جداً لغياب ابن عمه . وقال إن ذلك مما يلقيني ...
أنسطو الأعداء علينا وتنتشل من بيننا السادات عيارونا المتقاعدون لا ينتبهون فهذ ...
لا يمكن أن نقبله أو نسلم به وإنى منذ الآن أوصى الجميع بالانتباه والمحافظة لأن ...
القتال قد سد فى هذه الأيام وعمد الاعداء إلى سلوك سبل الحيلة والخداع وأخاف من
أنهم يتوفقون إلى ذلك وينالون منا مراداً ولو لاتهامل الاشوب لمافقد مصفرشاه فقال
طيطلوس عندى أن ذاك بتقديرمنه تعالى ومامن خوف عليه فهو يبقى مأسوراً فى المدينة
ومن الضرورة تطواف العيارين على الدوام فى المعسكر والقبض على كل من يرونه
ويشتبهون به وقت دخول المساكر إلى خيامها للنام وأن يزاد الحرس فى الاطراف
فيراقبون الذين يدخلون والذين يخرجون لبينما نرى أبواب الفرج وننظر الطرق النافعة
الموصلة إلى الاستيلاء على المدينة وإخراج قومنا منها .

ومن ثم أجريت التنبيهات اللازمة بخصوص ذلك وشاع فى كل المعسكر خبر
مصفرشاه فتكدر الجميع وأخذوا كل الاحتياطات ومنع دخول أحد إلى المعسكر
وقد حاول ونك مراراً الدخول ثانية إلى معسكر إيران فلم يقدر لانه كان يشاهد
عن بعد الحراس واقفون فيميلون الى جهته فيفر من أمامهم ويعود الى المدينة . وبقى
الحال على هذا المنوال حتى مضى على الفرس زمان ليس بقصير فى ضواحى المدينة
دون الحصول على جدوى أو نتيجة وفى ذات ليلة دخل فيروزشاه إلى فراشه وقصد
أن ينام فلم يقدر وتذكر طول المدة وقيامه بعيداً عن أبيه وامه ولا سيما عن زوجته
عين الحياة التى يشتاق اليها كل الاشتياق ويتمنى أن يكون كل العمر عندها وجعلت تكبر
برأسه هذه الافكار ومما زاد فى شوقه وهيجه الى الذكرى ما خطر له عن ولده بهمن
وأنه لابد أن يكون قد كبروبلغ عمره الثانى سنوات وأكثروجعل يتصورحالته وهيئته
وهو عند أمه فانسكب دمعه على خده وتاقت نفسه الى ايران اذ كان له مدة ليست
بقصيرة خرج منها وبعد عنها أى منذ كان صبيا فضاق صدره لذلك وانقبض كل
الانقباض وتذكر ما جرى عليه فى كل المدات الماضية وما أصابه فى الصين فلعبت
به الحمية وتمنى أن يلقى بنفسه على أسوار المدينة فيدكها ويدعو قومه الى الدخول اليها

لأنها هي الحاجز بين قومه والمدينة ولولا تلك الحصون لانتهى الأمر ورجع إلى بلاده ولذلك خطر له أن يذهب إلى المدينة ويسهل بنفسه الطرق المؤدية إلى فتح البلاد وانهاء العمل ولما خطر له هذا الخاطر وقوى فى رأسه جدا صاح ببهروز وإذا به قد دخل لأنه كان يطوف من حول الصيوان كفرخ من فروخ الجان ولما صار بين يديه سأله عما يريد فقال أريد أن أدخل المدينة وأتفرج عليها وأنظر الطرق المؤدية إلى الاستيلاء ودخول قومنا اليها . قال ان ذلك لا يوافق ياسيدى فكيف يمكن الملك مثلك ان يعرض بنفسه إلى الخطر وانت رجاء الجيع وأملهم وبدونك لا يمكن ان ينال احد راحة فاذا شئت نزلت انا فى الغد إلى المدينة واختبرت امرها عسى ان اتوفق إلى طلبك . قال لا يمكن الا ان انزل المدينة وانى اعرف حق المعرفة ان الله يحفظها وانا نتوفق إلى المطلوب ونخلص قومنا من الأسر ولا ارجع عن المدينة مالم اصل إلى المطلوب واننا لا ننزل بصفة إيرانيين بل بصفة لا تكون معروفة ولا يمكن رجوعى عن طلبي ابدا فانظر لنا الطرق المناسبة لذلك . فلما رأى بهروز إصراره لم يقدر على مخالفته وفى الحال غاب عنه قليلا وعاد اليه مصحبا ثوبين من اثواب فلاحى الصين لبس هو واحد والبس سيده الثانية فوق ثيابهما وسلاحهما . ثم خرج به من الصيوان وسار به إلى البرارى المقفرة إلى ان اشرق صباح النهار فعاد به من جهة بلاد الفلاحين ونزل إلى جهة البلد حتى قربوا من الأبواب فرأوها مفتوحة وعليها العساكر والحراس مزدحمة والناس تدخل من المدن والبلدان فدخلا دون ان يعلم بهما أحد وقد ظنوهما من فلاحى قومهما فسارا إلى الداخل وطافا فى الأسواق وهما يندهشان من اتساعها وإتقانها وكثرتها وكثرة العملة والصنائع فيها وإتقان الأبنية وسارا من جهة كل ذلك النهار حتى فات العصر وإذا بهما قد انتهيا إلى قصر الملك فوجدا عند أبوابه الحجاب مئات والوفا والناس تدخل وتخرج فتقدم بهروز ودخل فلم يعترضه احد وتبعه فيروزشاه حتى صاروا فى الداخل وهما يندهشان من اتساعه وعظم إتقانه وما يريانه فى سقفه من الزخرف العجيب الصنعة والبنايات الرخامية الضخمة الطويلة وتقدموا إلى جهة الديوان فرأوا الحرس على بابه انما يبان من فيه من الخارج لاتساعه فنظر فيروزشاه الى جهان فوجده فى صدر الديوان وبين يديه العظماء والأعيان وكل منهم يدنو عند ما يريد ان يتكلم منه ويسجد له ثم يعود الى مكانه وفيما هما واقفان على تلك الحالة واذا بونك قد تقدم وخر أمامه وقال له يا سيدى انى لا أزال على وعدى انما لا اخفاك ان الأعداء قد انتبهوا لأنفسهم حق الانتباه واحاطوا معسكرهم بالحرس حتى لم يعد من سبيل للدخول قط الا بمساعدة النار . قال انى صابر على ذلك ولا اريد منك ان تفتر عن عزمك وترجع

عن وعدك فلابد من الاتيان بفيروزشاه قال سوف تراه بين يديك أسيرا ذليلا حقيرا يقبل أقدامك ويرجو عفوك وهو مكتوف مقاد كالبعير .

قال ونظر بهروز إلى وجه سيده فوجده يرغي ويزبد وقد احمر حتى كاد يختنق وأرسل يده إلى داخل أثوابه فأدرك غايته وعرف أنه أزمع على الهجوم على جهان وقتله وقتل ونك فخاف جدا ودنا منه وقال له هلم ياسيدى إلى الخارج وارجع بنا فنظر فى نفس السبب الذى أتينا لأجله ولاتدع الحدة تتسلط عليك فونك وسيده عاجزان عن الوصول اليك بأذى ثم أخذه من يده وخرج به فى الحال وهو على غير وعى لايدرى يمينه من شماله حتى صاروا فى الخارج ولما سكن غضب فيروزشاه وهدأ باله قال لعياره أين نذهب الآن وأى جهة نقصد للبيت هذه الليلة وقبل أن يجيبه سمعا صوتا من قربهما يقول بيت عبدك قريب ياسيدى فاذا شئت فاتبعنى اليه فجفلا منه ونظر اليه بهزاد وإذا به يراه رجلا متوسط الحال . فقال له بهروز من أين تعرفنا لتدعونا إلى بيتك ونحن من فلاحة البلاد قال لو كنتما من فلاحى البلاد كما تزعمان لما تتكلمان بلغة الفرس فيامن خوف عليكما قط فانى مثلكما إيرانى الأصل وقد عرفت أنكما من رجالنا من حين رأيتكما وأنتم داخل قصر جهان فتبعت أثركما لأذهب بكما إلى بيتى وتقيمان عندى فيه وما من وسيلة لتركهكما فشرفانى وإنى أخدمكما بعونى ومافى بيتى غير ولدين لى وجارية تخدمنى لأن امرأتى ماتت منذ سنين فقال بهروز من أنت من أهل إيران وماالذى أوصلك إلى هذه المدينة وماذا تعمل فيها قال ان اسمى أخ سعدان ولابد أنكما تسمعان باسم رجل فى مدينة إيران بهذا الاسم لأنى كنت غنيا بها جدا وكان لى اسم عظيم معروف من الجميع قال نعم إننا نسمع بهذا الاسم وماالسبب لتركك بلادك وإتيانك إلى أبعد بلاد الدنيا . قال ان احوالى فى إيران أخذت تتأخر شيئا فشيئا فقل مابين يدى من الأموال لكثرة الخسائر التى لحقت بى وخفت من الفقر المدقع وقلت فى نفسى انى أجمع مابقى عندى وأذهب إلى غير بلد أتاجر وأنتقل من بلد إلى آخر أحمل البضائع وهكذا كان غير أن أسفارى كانت مرفوقة بالنحوس فلم أتوفق قط حتى ذهب كل ما كان بيدى فأتيت هذه المدينه وعرضت نفسى للخدمة فاستخدمنى الوزير فى قصر الحكومة كاتبا وعين لى مرتبا موافقا كافيا لمعيشتى فأقمت وتزوجت وولدت هنا الأولاد ومن ثم ماتت زوجتى

فالتزمت أن أستخدم جارية لاحتياج بيتى وخدمة أولادى ولما كنت هذا اليوم فى الديوان وقد خطرت لمصلحة وقعت عينى عليكما وتحرك بى الدم الايرانى وكدت من فرحى أقع إلى الارض لأن منذ خروجى من بلادى لم أنظر قط رجلا منها ولا يخفى أن سمة الفرس ظاهرة يعرفها أهلها فلا تغيب عنهم معرفة بعضهم لأن

محبتهم المرتبطة تدعوهم أن ينظروا بعيون قلوبهم قبل عيون وجوههم غير أنى لم أعرفكما حق المعرفة وترجح لى أنكما من عظماء الفرس أو من عياريها والماسرتما لم يسعنى مفارقتكما فسعيت خلفكما خوفا من أن تفوتانى لأن قلبى لم يطعنى ان اتقاعد عن أن أعرفكما بنفسى واضيفكما فى بيتى وأسألكما قبول ذلك الآن . فلما سمعا كلامه تأكدا أنه إيرانى لا شبهة فيه وقال له بهروز سر بنا ولا تظهر أمرنا لأحد واعرف أنى أنا بهروز العيار وهذا الذى أمامك سيد الفرس والايرانيين فاذا أفشيت أمرنا أمام أحد كنت السبب فى هلاك قومك وخرابهم واذا توقفنا إلى المطلوب كنت أنت المكرم فى إيران ولا ريب أن سيدى يكافئك أحسن المكافآت كما كافأت أبا الخير الذى أضافه فى مصر وأنزله فى بيته ثلاثين يوما وكتم أمره بأن جعله وزيرا بها وسلمه زمام البلاد وفوضه بتدبيرها وأن يكون له الرأى الاول فيها . فلما سمع أخ سعدان أن فيروزشاه هو الذى أمامه كاد يطير من الفرح وقال انى لا أرجو مكافأة من سيدى قط غير أنى أطلب اليه أن يسعى بخلاص الأسرى من قومى الذين فى سجن جهان وأعظم مكافأة أرجوه منه أن يتسلط على هذه البلاد ويرفع العلم الفارسى علم بلادى ومسقط رأسى وانى منذ هذه الساعة قائم على خدمتكما وخدمة رجال وطنى وانى أسعى معكما إلى تدبير أمر تريدانه وأبيع نفسى فى خدمة مولاى الذى خدمه قبلى كبار الفرس وصغارهم فهو علة فخرهم وشرفهم وهو الذى أظهر للعالم أجمع مقدرتهم وسطوتهم وحبهم لوطنهم وملكهم فهيا إلى منزلى ثم سار أمامهما وهما من ورائه إلى أن دخلوا إلى البيت واطمأن قلب فيروزشاه وكان بيت أخ سعدان واسعاً به عدة غرف ومقاصير فأنزلهم فى أفضلها وأحسنها وأقام بهم بالاكرام وقفل باب بيته فى وجهه جميع من يدخله بحيث لا يدخل أحد بغتة وأقام فيروزشاه وبهروز بين أولاد أخ سعدان وجاريته يتدبران إلى الطرق الموصلة إلى السجن وفى كل يوم ينزل بهروز الأسواق ويطوف فى المدينة يتجسس المنافذ ويطلع على أحوال السجون ليعرف مايحتاج إلى معرفته

قال وفى ذات يوم خرج على حسب عادته وسار فى الاسواق وفيما هو سائر وقعت عينه على اثنين بملابس رجال الصين فعرفهما أن أحدهما كرمان شاه والآخر الأشوب فدنا منهما وسلم عليهما وقال لهما اتبعانى ففرحا عند ما عرفاه وسألاه عن فيروزشاه فقال هو الآن بأمان فهيا بنا اليه وساروا إلى بيت أخ سعدان ودخلوا على فيروزشاه وسلم كرمان شاه عليه فتعجب من اتيانه وسأله عنه . فقال له اعلم أنه فى صباح اليوم الذى غبت فيه عن المعسكر وقع به الارتباك والخوف وسألوا عنك فلم يقف لك أحد على خبر وبعد أن فتشوا على سلاحك وعلى بهروز ولم يروا أثرا لوقوع حيلة عليكما قال طيطلوس إن فيروزشاه قد خرج بارادته دون شك ولا ارتياب مع

عياره ولذلك دعا بالحراس واحدا واحدا فسألهم عنك فاخبره بعضهم أنهم رأوك خارجا مع بهروز بصفة فلاحى الصين وقد أعترضوكما فعرفتهام بنفسيكما فشغل لذلك بال الجميع . وخافوا أن يلحق بكما ضر وصبرنا مدة أيام إلى أن كانت ليلة أمس فدعوت الاشوب وأخبرته أن قصدى النزول إلى المدينة فاطاعنى عليه وأجابنى وجاءنى بثوبين من ثياب رجال الصين حيث كانت عنده وقد انتزعها من القتلى فلبس كل منا ثوبا وخرجنا فى الليل وأعلمنا الحرس بنا ودخلنا فى الصباح من الأبواب ولم يعلم بنا أحد ونحن لا نعرف أين نذهب حتى كان الظهر وإذا ببهروز قد دعانا فاتينا معه وانى أشكر الله على مثل هذه المنة العظيمة اذ وجدتك على الخير والراحة . ثم جاء أخ سعدان فترحب بهما وأعد لهما مسكنا فى منزله وجعل يأتيهما بكل ما يحتاجان اليه وقد أعطاه فيروزشاه الذهب الكثير ليأتى لهما بالاكل والمشروبات

ولما كان قد مضى على ذلك عدة أيام أخر وكان بهروز كعادته فى الاسواق وهو يبحث عن طريق لحرق سجن مصفرشاه واخراجه اذ وقعت عينه أيضا على اثنين من قومه بملابس الصينيين وهما فرخوزاد وبدر فتات فدنا منهما وعرفهما بنفسه وسلم عليهما ففرحا به وسلما عليه وسألاه عن سيده فقال هو بخير فاتبعانى اليه ثم ذهب بهما إلى بيت أخ سعدان ودخلوا على فيروزشاه ففرح بفرخوزاد مزيد الفرح وقبل كل منهما الآخر وهنأ بعضهما بالاجتماع وسأله فيروز شاه عن سبب اتيانه فقال له انى لما أصبحت فى اليوم الذى سار به كرمان شاه وعرفت من الحرس أنه سار إلى المدينة مع الاشوب تكدرت مزيد الكدر كيف انه كان أسبق منى إلى السعى وراءك والسؤال عنك وكدت أغيب عن الصواب ولذلك ذعرت ببدر فتات وأمرته ان يكون على حذر للذهاب إلى المدينة فاجابنى وصبرنا يومين على أمل أنك اذا اجتمعت بكرمان شاه تعود وإياه فلم نر أحدا فشغلت خواطرنا جميعا ولا سيما أخى بهزاد وطيطلوس فانهما بمزيد قلق من أجلك وبالاختصار أتيت فى هذا الصباح مع بدر فتات إلى المدينة وطفنا أسواقها دون أن يعلم أحد بنا واذ قد رأينا بهروز فاتى بنا اليك والحمد لله الذى رأيناك على السلامة والراحة فشكره واثنى على محبته وأقاموا عدة أيام أيضا وبعد ذلك وجد بهروز فى السوق قاهر شاه ومع عيار من عيارى أهالى إيران فاتى به إلى بيت أخ سعدان وقدمه لفيروزشاه فلما رآه فرح مزيد الفرح بوصوله اليه وتكدر على المعسكران يأتى الجميع على مثل هذه الحالة واحدا بعد واحد ويتركوا مراكزهم ولذلك اعتمد على سرعة العمل وفى كل نيته أن لا يعود من المدينة إلى قومه الا اذا خلص الاسارى ووجد لهم منفذا يدخلون به المدينة وأهلها على غفلة غير منتبهين اليهم ولذلك أوصى بهروز وأخ سعدان بالسرعة فى ذلك أى أن

ينظروا فى الطرق الموصلة اليهم فقال بهروز انى أعرف المكان القائم فيه رجال الناغير أن الصعوبة عندى أن أصل اليهم دون أن يظهر أمرنا وذلك انى التزم إلى قتل الحارس وقطع قيودهم وفى الحال يظهر أمر المقتول وينتشر خبره فيفتشون علينا و نقع فى أيديهم . فقال فيروز شاه لاتتأخر عن العمل كيف كان الحال فان أمرنا لايظهر ولا يتصور لأحد قط أننا نقيم هنا فى بيت أخ سعدان ومتى تخلص الأسارى هان علينا الأمر وننظر فى شىء آخر هو من الواجب النظر فيه أى ان نسهل لقرمنا دخول المدينه بغتة ولنا الآن أكثر من شهرين فى هذا المكان وأنت لاتتوفق إلى طريقة فاقتل الحارس وأدخل السجن وآت بمن فيه فيرتاح بالنا من قبلهم . فوعده بكل جميل وفى الصباح خرج من بيت أخ سعدان واخترق الأسواق وهو على نية المسير إلى خلاص قومه

وكان طيطلوس فى صباح اليوم الذى ذهب فيه قادرشاه وعرف به تكدر مزيد الكدر وجمع كل ملوك إيران وفرسانها وأبطالها وقال لهم انى أخذت من حالتكم كيف اخترتم النزول إلى المدينة واحدا بعد واحد وقد ذهب فيروزشاه وفرخوزاد وكرمان شاه وقاهرشاه وأربعة عيارين من أكبر عيارينا ولانعلم اذا كان الواحد منهم قد صدف الآخر والمدينة كبيرة وقد يمكن أن يضيعوا فيها فلا يجتمعون ببعضهم وكل خوف من ان يصابون بمصيبة ومن ثم نقع نحن أيضا فلا يعود فى وسعنا خلاصهم ومساعدتهم ولهذا فانى أسألكم جميعا أن لايفارق أحدكم المعسكر وأن لا يبعدعنا لاننا فى حاجة اليكم فاذا غبتم فقد نظام الجيش وانفرط ترتيبه وأصيب بالحزن لاسيما اذا وقع واقع مكدر على الداخلين المدينة وكذلك بهزاد فانه أوصى العيارين أن لا يفارقوا الجيش إلى أن يظهر خبر فيروزشاه ومن هم داخل المدينة وعياريهم يتوفقون إلى ماهم بطلبه فنكون نحن على غاية التأهب والاستعداد فوعده الجميع بعدم مفارقة ذاك المكان وعليه لم يعد احد يدخل البلد غير الذين دخلوا

قال وسار بهروز وهو غير معروف من أحد وفى نيته أن يدخل السجن الموجود فيه مصفر شاه وسيامك سياقبا ويخلصهما أولا ويأتى بهما إلى بيت أخ سعدان وبقى سائرا حتى انتهى إلى الحبس المذكور فوجد عند بابه محافظ السجن فدنا منه وسلم عليه وطلب حسنة وقال له انى فقير من فلاحى البلاد وقد جار على الزمان فبعت أرزاق وفرغ ما كان فى يدى حتى التزمت أخيرا إلى التسول وكان بهروز يتكلم ويبكى فشفق عليه الرجل وقال له اصبر لى قليلا لادخل وآتيك بما أقدر عليه ثم فتح الباب وقصد أن يقفله من الداخل فدخل معه بهروز فقال له قلت لك

ابق خارجا فلا أسمح لأحد أنه يدخل هذا المكان إذ أن الملك أوصانى بذلك قال اسمح لى ياسيدى أن أتفرج عليه وأنظر من فيه . فتكدر الرجل منه وعدل عن إكرامه وقال له يظهر أنك من الشحاذين الفضولين الثقلاء فماذا يهمك إذا تفرجت على السجن أولم تتفرج فارجع من حيث أتيت فما من حسنة عندى فحاول بهروز اقناعه بالرفق فلم يقبل وأخيرا وجد نفسه مضطرا للدخول إلى أن الباب قد فتح ولم يعد من مانع إلا وجود الرجل وكان قصده أن يدخله إلى الداخل ويقتله فلم يتيسر له ولذلك امتشق خنجره بأسرع من لمح البصر وأرسله إلى صدره فاخترقه ووقع الرجل إلى الارض قتيلا يتمرغ بدمه وقد صاح بصوت الألم الشديد حتى اضطرب من صوته المكان وخاف بهروز من اسراع أحد المارة اليه فدخل وفتش إلى أن وجد مصفرشاه وسيامك قائمين إلى جانب بعضهما فاخرج المبرد من وسطه وأخذ فى قطع قيود الأول إلا أنه مالبث أن سمع صياح رجل من الباب يصيح ويقول قد قتل السجان فاسرعوا إلى المحافظة على الباقين وإلا تخلصوا وفروا فارتبك بهروز وأيقن من نفسه أنه إذا بقى قبض عليه ولذلك ترك مصفرشاه ورفيقه وقال لهما لم تسمح العناية أن أخلصكما الآن وسوف أتسبب إلى خلاصكما مرة ثانية ثم انطلق بأسرع من البرق إلى الخارج فوجد رجلا يصيح ويركض إلى الأمام وهو ينادى بموت المحافظ فمال بهروز من جهة ثانية وانطلق والناس مسرعين ولا أحد يعرفه على تلك الحالة وبقى فى مسيره يقصد سيده وهو فى كدر وغيظ تكاد مرارته أن تنفطر على عدم توفيقه بعد أن كان قد وصل إلى مقصده وبدأ بقطع القيود ولم يتكدر زمانه بطوله نظير ذاك الكدر ولاجرى عليه مثلما جرى فى تلك الساعة غير أنه كان يحمد الله على خلاصه من بين أيديهم سالما ولازال حتى دخل على سيده فيروز شاه ورفاقه وهو يعض على كفيه فسألوه عما كان له فحكى لهم عن عدم توفيقه وما كان من أمر المحافظ والرجل واجتماع الناس فتكدر الجميع من ذلك وقال لهم فيروز شاه لابد من وصول الخبر إلى جهان فينقلهما إلى مكان آخر ولا يعود فى وسعنا خلاصهما .

فقال بهروز ان ذاك لايهمنا بقدر مايهمنا أمر أنفسنا لأن جهان يعرف أن الذى جاء بقصد خلاصهما وقتـــل المحافظ لابد أن يكون فى المدينة فيبعث من يفتش البيوت ويربط الطرقات من كل الجهات وأخاف من أن يظهر أمرنا أو يعرف بنا أحد فنقع فى أيديهم

فقال فيروز شاه ان هذا لايمكن أبدا ولا أخاف من أن يطلع على مكان وجودنا أحد إلا إذا فشى خبرنا أخ سعدان أو أحد ولديه أو جاريته القائمة فى خدمتنا وهذا على ماأظن لايمكن أن يكون الآن ولا أظن أنهم يخونون بنا .

هذا وكان السبب فى إظهار خبر قتل محافظ الحبس هو أنه لما صاح بصوته الأخير

كان أحد الناس مارا من تلك الناحية فعرج ينتظر ما الخبر فوجده على تلك الحال يختبط بدمه فعرف أنه مضروب فى تلك الساعة فأخذ يصيح وينادى يطلب اتيان الناس لكشف الحبس ومنع فرار من فيه بعد أن كان مصفر شاه وسيامك سياقبا قد ترجح عندهما وثبت لديهما أنهما سيتخلصان عند مشاهدتهما بهروز ودخوله عليهما وأخذ فى قطع قيودهما وهما بفرح لا يوصف وما لبث أن تغير ذاك الفرح وانقلب إلى خوف وكدر عند مشاهدتهما الناس تأتى اليهم أفواجا أفواجا وتصل اليهما فتراهما على تلك الحالة وقيودهما مقطوعة نصف قطع وكلما وصل رجل يسألهما عن سبب قتل المحافظ ومن الذى قطع القيود فلا يبديان كلمة وكان قد وصل الخبر إلى جهان ورجال ديوانه فاغتاظوا من ذلك واندهشوا من عمل الايرانيين وفى الحال بعث الملك ونك العيار وأوصاه بأن يأتى بالاسيرين اليه وأن لا يدع أحدا أن يتقدم منهما . فأجاب طلبه وأسرع يركض إلى ذاك المكان وهو يؤمل أنه يقبض على من جاء لهذا الفعل إذ كان يترجح لديه أنه من فعل عيارى ايران وبقى سائرا إلى أن دخل السجن والناس تزدحم حواليه وفيه أبوابه ولما تقدم من مصفرشاه وسيامك وجد أن قيودهما مقطعة بمبردفتأكد لديه أن هذا العمل هو عمل عيار من عيارى الفرس فسألهما عن السبب ومن الذى جاء لخلاصهما فلم يهتما به وبسؤاله فتكدر من ذلك وساقهما أمامه إلى قصر جهان والناس تزدحم من حواليهما وقد رفعت جثة المقتول على الاكتاف لتعرض على الملك وبعد قليل أوقف الاسيران وهما مصفر شاه وسيامك أمامه وطرحت جثة المقتول إلى الارض فاغتاظ من هذا العمل وقال من من قومكما قدر أن يتوصل إلى داخل سجنى لخلاصكما ان تلك جسارة عظيمة فاخبرانى به وإلا انتقمت منكما جزاء له فقال مصفر شاه ان الذى فعل ذلك هو من أحقر رجال ايران توصل الى هذا العمل ولولا القليل لكنا تخلصنا دون أن تعلم بنا ولكن مؤكدا عندك أن أمرانا بهم مولانا فيروزشاه ورجاله فيرمون بأنفسهم ليس فقط الى مثل هذا السجن الذى نحن فيه بل الى أعماق النار على أمل ينتشلونا من العذاب والحريق .

فقال ونك انى سألتهما عن اسم الرجل الذى فعل معهما ذلك بالصحيح فلم يخبرانى وانى وان كنت أرجح هذا العمل هو عمل عيارى الفرس إلا انى أظن بعض الظن أن ربما يكون عمل أحد من داخل المدينة أى من سكانها قصد خلاصهما لان فى مدينتنا طوائف كثيرة مختلفة الاجناس ولاسيما يوجد بيننا كثير من الايرانيين سكنوا مدينتنا منذ قديم من السنين ومثلهم من مصريين وروماًن وأخاف أن يكون أحدهم لطمعه بالمال أو رغبة بالتقرب من فيروزشاه قصد ذلك فسألهما الملك عن الذى جاء السجن وقتل

المحافظ وأخذ بقطع القيود فامتنع مصفرشاه أن يخبره خوفا أن يقتفى ونك أثره ويبحث عنه قبل ان يتسهل له العود ثانية اليهم أو بالحرى قبل أن يكون قد حصل على النجاة ولذلك قال لجهان لا تطمع أيها الرجل بان أظهر لك اسم الرجل الذى رمى بنفسه لأجل خلاصنا وقصد أن يفدينا بحياته أيا كان قال لابد من ذلك والاعذبتكما العذاب الشديد قال مهما شئت فافعل فاننا وان كنا نصرعلى غايتنا وفكرنا الا أننا تأكدنا أنك تحافظ على ناموس الملوك وتراعى حرمتهم لأنك من كبارهم فأى أمر يا ترى يدعونا الى الاعتراف به وماذا يهمكم ذلك وليس عليكم الا التشديد علينا بالمحافظة كى لا يتسهل لأحد بعد ان يخلصنا والا اذا سهل لنا الخلاص نجونا بانفسنا كيف كان الحال وهذا جل ما عندنا والسلام .

فلما سمع ونك هذا الكلام تكدر من مكابرة مصفر شاه واصراره على عدم الاعتراف بما يطلبه وقصد عذابه وتكديره فقال للملك أرجو منك ياسيدى ان تسلمنى هذين الأسيرين لأجل استنطاقهما وان اعرف فاعل هذا الفعل ومرتكب تلك الجريمة فسلمه اياهما وقال له لا تتهامل بامرهما وحافظ كل المحافظة عليهما واصرف كل العناية لمعرفة من دخل سجنى وقتل وكيله فوعده بكل ذلك وأخذ مصفر شاه وسيامك وخرج بهما وبعد ان خرج دعا الملك بالبوابين والحراس القائمين على خفارة الأبواب وقال لهم لا ريب ان الايرانيين يدخلون المدينة ويخرجون دون ان يعلم بهم احد منكم ولهذا اريد منكم ان تقفلوا جميع الابواب ولا تبقوا الا بابا واحد فقط يقيم عليه الحراس الكثيرون منكم ولا تدعوا احدا يدخل او يخرج دون ان يكون بيده تذكرة مرور أو ان يكون معروفا عندكم او عند غيركم من كبار المدينة يشهدون له ومن لم يكن على مثل هذه الصفة أى لم يكن بيده تذكرة مرور ولا كان معروفا فاقبضوا عليه واحضروه الى انظر فى امره فوعدوه بالاجابة وساروا فاقفلوا الابواب وقاموا عند الباب الذى أمرهم ملكهم ان يقيموا عليه حتى صار من اصعب الاشياء دخول احد دون ان يروه

وأما ونك الخبيث المحتال فانه اخذ مصفرشاه وسيامك وسار بهما الى ساحة كبيرة عامة تجتمع فيها الناس على الدوام وهناك قدم سيامك أولا وقال له قل لى من الذى جاء اليكما الى السجن وقصد خلاصكما واين موجود والا امتك بالضرب الوجيع فضحك سيامك من كلامه .

وقال له ويلك ياونك أتخيفنى بالموت وهو لدى من احب الاشياء ولوكنت اخافه لما رميت بنفسى الوف مرات بين مشتبك السيوف وقاتلت فى اليمن اشد الرجال واقتحمت بحار المعارك فى مصر والرومان وغيرها فلا تطمع منى بما لا يمكن ان اطلعك عليه ودع عنك التهويل وافعل ما انت فاعل

فلما سمع ونك كلامه تكدر منه مزيد الكدر وكان قاسي القلب لايعرف الرحمة ولايراعي حرمة الانسانية فتقدم من سيامك وجردة من الثياب وهو موثوق الأيدي والارجل وأخذ بيده السوط وجعل يضربه الضرب الأليم الموجع وهو يتوجع من شدة قساوة ونك ويتألم تحرقا من عمله وكيف لايقدر على الانتقام منه حتى تخدش جسده من الجراح وسال عنه الدم على الحضيض وهو يطلب اليه ان يخبره بالذي جاء إلى السجن دون حصوله على جدوى أو نتيجة ولما أعيى امر ونك ولم ير وسيلة لاعترافه ورأى انه اصبح على آخر رمق كف عنه الضرب والقاه إلى جهة وقال فى نفسه لابدان مصفر شاه يخبر بالحقيقة لأنه من اهل النعم لايحتمل الضرب والاهانة فاذا عذبته باح بما فى ضميره فجاء به وسأله الاعتراف فامتنع واصر على الانكار فاخذ السوط وفعل به ما فعل بسيامك حتى خدش جسده واكثر الجراح فى جسمه .

وكان بعض المشاهدين يتألم من عمل ونك وقساوته البربرية فدنوا منه وطلبوا اليه ان ان يكف عن عمله ويترك عذاب هذين الأسيرين لانهما من شرفاء العالم وليس من العدل عذابهما فأبى وقال انى لاارفع الضرب عنهما إلا ان يموتا او يقرا بالحقيقة فاغتاظوا منه واسرعوا إلى جهة السرايا ينادون بغضب النار عليهم لكثرة الظلم والجور فدعاهم جهان وسألهم فحكوا له وقالوا ان هذين الاسيرين هما من سلالة ملكية والنار تغضب على كل من يخترق حرمة السادات وشريعتنا توصينا إلى تجنب الظلم والاعتساف وقد رأينا ونك يضرب الأسيرين ضربا مميتا حتى اصبحا فى حالة النزاع ونخاف ان يقع احد رجالنا بيد الايرانيين فيعاملونه نفس هذه المعاملة .

فرأى جهان فى كلامهم صوابا وقال لوزيره مهريار اسرع إلى ونك وخلص منه الأسيرين واعدهما السجن إلى المكان المقيم فيه رفاقهما أى غير المكان الذى كانا فيه وكان مهريار تكدر عند سماعه هذا الخبر وركض إلى الساحة العامة لايصدق ان يرى مصفر شاه وسيامك بقيد الحياة ولما وصل الى ونك ووجده على مثل تلك الحالة يضرب واحدا ثم يرتاح ويعود الى الآخر زاد به الغيظ والحنق ولم يعد يعرف ماذا يفعل فرفع يده ولطم ونك على وجهه كاد يلقيه الى الارض وقال له ويلك أيها الظالم الاتخاف غدر الزمان ان يوقع بك ما اوقعه على غيرك فلم يبد خطابا ثم امر مهريار ان يؤخذا على الراحة والطمأنينة الى السجن المقيم فيه طهمورو بهمنزار قلي وقاهر شاه وعاد الى جهان فاخبره بما رأى وشاهد من عذاب الأسيرين فلام جهان ونك وقال له انى ما امرتك باهانتهما بل بان تصرف الجهد الى استنطاقهما .

قال وكان اخ سعدان يشاهد كل ما جرى وهو يتألم ويتوجع ولايقدر ان يأتى بحركة قط او يمنع عنهما العذاب الوجيع بل صبر الى النهاية حتى شاهد ما كان

من أمرهما ورآهما وقد أعيدا إلى السجن فعاد إلى فيروزشاه وأخبره بكل مارأى وقال انى لم أر زمانى بطوله رجلا أقسى من ونك ولا زنديقا مثله فانشقت مرارة فيروز شاه ومن هناك من الغيظ وتألموا مما جرى على مصفر شاه وسيامك وقال فيروزشاه لقدأخطأت إذ نظرت هذا العمل ولم تأت إلى تعلمنى به لأنى كنت أقدر على خلاصهما وأبطش بأهل هذه المدينة وأقيم فيها الصياح من كل ناح . فقال له بهروز لا يمكن أن نظهر نحن الآن لو خربت المدينة أو فقد نصف جيشنا لأن مئات ألوف من الجيوش قائمة على الأسوار وفى المحافظة وإذا قصدنا الخروج لا نقدر وعلى ما أظن أنه يصعب علينا الخروج فالأبواب باجمعها مقفلة فلا يمر فيها أحد دون فحص وتدقيق ولهذا أرى أن قيامنا سيكون فى المدينة طويلا لا نهاية له إلا بارادته تعالى وليس علينا الآن إلا الصبر والتأنى عسى الأيام تساعدنا على نوال المراد والخروج دون أن نمس بضر وعلى هذا أقام فيروز شاه وفرخو زاد وكرمان شاه وقاهر شاه مع العيارين عند أخ سعدان ينتظرون باب الله والفتح

فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من معسكر الفرس فانهم بقوا على ما كانوا عليه من الارتباك والاضطراب لفقد فيروز شاه وغيابه كل هذه المدة ولغياب الفرسان أيضا والعيارين وهم لا يعرفون ماذا جرى عليهم فى المدينة وماذا حل بهم وهل هم أحياء أم أصيبوا بنكبة وكان أشدهم حزنا طيطلوس الحكيم وقد شغل باله كل الانشغال وأضحى متكدر الخاطر على غياب سيده كل هذه الأيام وكان يترجح فى فكره أنه لا يزال حيا إذ لم يسمع عنه خبرا وإلا لو أصيب بنكبة لكان ظهر ذلك من الصينيين وأمر الملك جهان بفتح الأبواب وأعلنوا أمره وأبدوا فرحهم وسرورهم غير انه كان يخاف من أن يكون مريضا فى مكان لا يعلم به أحدا أو محجور عليه مع بقية الفرسان

وكان قد جرى على بهزاد أكثر مما جرى على غيره ولما وجد أن الامر قد طال ولم يرجع أحد من المدينة لا أخوه ولا ابن ملكه ولا أحد من الفرسان ولا من العيارين عظم عليه الامر جدا وتمنى أن يكون قادرا فيدرك أسوار المدينة ويطوف بيوتها فيفتش فيها عليهم ويبرد نيران قلبه المضطرمة من جهتهم إلى أن كان ذات يوم أخذ يفتكر كيف يمكنه أن يتوصل إلى فتح المدينة وخلاص من فيها وصرف الفكرة إلى كل الجهات فلم يتوفق إلى المطلوب حتى قال فى نفسه أخيرا لا بد لى أن أطوف حول هذه المدينة وحدى من سائر جهاتها فلا بد ان تكون أسوارها من جهة ما ضعيفة أو واطئة فآخذ العساكر وأسير إلى فتح المدينة من تلك الجهة ولما قوى برأسه هذا الفكر نهض إلى جواده فأسرجه وتقلد بسلاحه وركب وحده دون أن يعلم

به أحداً وسار الغاية التي تقدم ذكرها وكلما قرب من ناحية يرى الأسوار منيعة أكثر فأكثر وعالية جدا يبلغ ارتفاعها ٥٠ ذراعا وعليها الرجال والعساكر طغمات . وبقى يتقدم حتى بعد عن الجيش وصار فى ظهر المدينة وكانت كبيرة جدا وسيعة لا يمكن للانسان أن يطوفها بأقل من سبعة أيام غير أنه لما كان جواد بهزاد من الخيول النادرة المثال يسبق البرق فى المسير صرف يوما من الصباح إلى المساء حتى قطع نصفها وعند المساء نزل عن ظهر جواده مكدرا من عدم توفيقه كل الطريق التى سارها وبقى له بقية أمل فى النصف الباقى من المدينة من الجهة الثانية أن يجد بها غايته . وبعد أن شعر باحتياجه إلى الراحة تأخر إلى الوراء فصادف واديا وسيعا فى أسفله ماء جار ومن حولها الرياض الانيقة والأشجار اليانعة والزهور الفائحة فانتعش من ذلك ومال إلى الراحة هناك فنزل إلى الأرض وربط الجواد فى ناحية ونزع سلاحه فعلقه فى شجرة غضة ودنا من الماء فغسل وجهه وشرب ثم نهض إلى الأشجار فأكل منها ما سد به رمقه وعاد إلى جهة الجواد تحت تلك الأشجار وجلس قليلا إلى أن دب بعينيه النعاس وحكم عليه سلطانه فنام متوسدا حجرا لا غطاء فوقه ولا فراش تحته وهو بمزيد الأسف والكدر على غياب أخيه فرخو زاد ومولاه وبقية أصحابه ويتمنى وجود طريقة لخلاصهم وبقى نائما كل تلك الليلة على مثل هذه الحالة .

فلنتركه نائما كل تلك الليلة ولنعود إلى ما ذكرناه سابقا من أن جهان ملك الصين قد بعث كتابا إلى ديدار بن كركانى الساحرة صاحب قلعة سوسان شهر وكان هذا الفارس من الأبطال المشاهير والفرسان المغاوير واسع الملك كثير الأجناد فلما وصل اليه كتاب جهان وعرف ما فعله الايرانيون فى بلاده تكدر مزيد الكدر وأرغى وأزبد من شدة الغيظ واجتمع بوالدته فعرض عليها الكتاب وقال لها انى عولت أن أسير برجالى إلى مدينة الصين اولا لأجل الاجتماع بجهان وثانيا لأرى عظيم قوتى وبطشى لرجال إيران ولا أظن أنه يوجد بينهم من يقدر أن يلقانى فى ساحة القتال قالت انى أعرفك بطلا صنديدا وفارسا شديدا غير انى سمعت وأعرف أن بين الفرس فارسان لا يوجد لهما نظير فى هذا الزمان وهما فيروز شاه بن ملكهم وبهزاد بن فيلزور البهلوان وكل واحد منهم يسطو على جيش من جيوش الصين دون أن ينال أحد منه مرادا فاذا شئت أسير معك فاذا رأيت الغلبة عليك ساعدتك وأوقعت باعداك . فقال لها انى سآخذ معى خمسمائة الف فارس وسوف ترين انى وحدى أقدر على كبح هذين الفارسين ورجالهما دون أن احتاج إلى مساعدة أحد وكما أنهما قد شاع صيتهما إلى حد بلادنا أريد أن يطير صيتى إلى ما وراء بلادهم أى إلى كل ناحيه من العالم ويندهش منى الناس إذا قتلتهما فى ساحة

القتال . فدعت له بالتوفيق وقالت له إذا وجدت أنك مغلوب فابعث لى برسول حالا كى أدبر فى قهر أعداك فوعدها بذلك وكتب إلى كل عماله أن يأتون برجالهم إلى القلعة المقيم فيها فأخذوا يتقاطرون وهو لهم بالانتظار مدة من الزمان حتى كمل عددهم وكانوا خمسمائة ألف نفر وعند ذلك ركب بهم وسار فى عرض البر الفسيح يطلب بكين عاصمة الصين وبقى سائراً إلى أن بقى بينه وبينها مقدار يومين فنزل هناك لاجل الراحة قليلا ودعا عياره وكان اسمه جلدك وقال له أريد منك أن تسير فى هذه الساعة إلى بكين وأنا سائر من خلفك وتنظر لى ما هو جار فيها ومن ثم تخبر جهان بقدومى ليبعث من يحتفل بملاقاتى ويعلم الجميع بوصولى وإنى أسأل معبودى أن يكون جهان بضيقة لا فرج عنه وتظهر مقدرتى ويعرف فضلى فأجابه جلدك إلى ما أمره وخرج من بين يديه وسار كل تلك الليلة وقبل الصباح صادف مروره من تلك الوادى الذى تركنا فيه بهزاد نائما وفيما هو سائر سمع صهيل جواد فانتبه إلى نفسه ونام إلى الأرض وبعث بعينيه إلى جهة الصوت فلاح له خيال الجواد فزحف قليلا إلى أن قرب منه وهو مؤكد أن لا بد أن يكون عنده رجلا ولا شك أن يكون من الصينيين مبعوثاً من جهان إلى جهة من الجهات فنام فى ذاك الوادى ولما ثبت فى فكره ذلك أخرج نفطا وأشعل مصباحا من مصابيح العيارين وتقدم إلى جهة الجواد فوجده آ قة من الآفات وإلى جانبه رجل عدد كانه طود من الاطواد ووقع نظره على الطارقة المعلقة فقرأ عليها هذه الكلمات طارقة بهزاد ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد فكاد جلدك أن يطير من الفرح وخاف إذا بقى يستيقظ فيراه فكر راجعا يصفق بيديه وقد أطفى المصباح وما بعد الا القليل حتى التقى بديدار يتقدم فى أوائل ذلك الوادى فقال له بشراك يا سيدى فقد وقفت لك على ما يسرك ويفرحك قال على م وقفت قال بعد أن سرت فى منتصف هذا الوادى سمعت صهيل جواد فأشعلت المصباح وتقدمت فنظرت رجلا نائما ومعلقا أسلحته فى جذوع شجرة هناك ورأيت مكتوبا على الطارقة اسم الرجل النائم فاذا هو بهزاد ابن فيلزور ابن رستم زاد الايرانى ولذلك ركضت مسرعا اليك لاخبرك ولاريب أنه يستيقظ فى هذه الساعة لان الجواد أخذ فى أن يصهل بكثرة لما رآنى ليوقظه من نومه ولا ريب أنى لو بقيت دقيقة أخرى لكان انتبه الى انما الآن اذا استيقظ فلا يرى أحداً فيعود الى منامته أو يبقى فى مكانه ينتظر الصباح .

فلما سمع ديدار كلام عياره كاد يطير فرحا وقال هذا الذى كنت أرتجيه . والآن أخاف من أنه ينجو من يدى فى هذا الليل فقال جلدك لا يمكن أن ينجو فادفع الى بالعساكر لاسبق وأسد له الطرقات من كل الجهات فلا يبقى له منفذ فى الصباح

فقبض عليه فأجابه وفرق العساكر شرقا وغربا ويمينا وشمالا وأوصاها بأن تقف في المعابر والمنافذ وبقي هو سائر في طريقه الى أن أشرق الصباح ولاح بنور وأرسلت أشعة شمسه الى أسفل ذاك الوادي واذا به يرى بهزاد جالسا تحت تلك الشجرة وقد تمدد وتحضر لانه استيقظ في الليل على صهيل جواده ومال بنظره الى كل الجهات فلم ير أحدا وثبت لديه أن رجلا جاء ذاك المكان لان الجواد لا يفعل ذلك الا تنبيها له فأفرغ عليه عدته وتقلد بحسامه وصبر الى الصباح غير مبال بما يكون وهو يشتاق أن يصادف أحدا في ذاك الوادي من الاعداء ليقتله ويشتفي بقتله غليل فؤاده ويطفي لهيب تحرقه وبقي صابرا الى الصباح واذا به يرى جيوشا تتقدم من الوراء سائرة الى نحوه فصبر الى أن قربت منه وفي الحال قفز الى ظهر جواده كالنمر الجارح وأشهر في يده الحسام وعرج الى فسحة وسيعة عند الماء الجاري وصبر الى قدوم العساكر وقد مال بنظره الى أعالي الوادي فرأى الجيوش قائمة على رؤوسه كالكواكب وكذلك رأى في الجهة التي دخل منها فتعجب من هذا الامر وعلم من نفسه أنه وقع في حرب هائلة عظيمة يصعب عليه التخلص منها غير انه صبر على حكم القضاء وعرف ان لانجاة له الا اذا قاتل بكل جهده وان لا يسلم نفسه بارادته وبقي صابراً الى ان قرب منه ديدار ومن خلفه العساكر وقد رآه على ذاك الجواد العظيم الهيكل وهو مدجج بالسلاح واعينه تقدح كمشاهيب نار وطمع فيه لما رآه منفردا وحده وصاح فيه وهجم عليه وقد اوصى رجاله ان لا يقرب احد منهم اليه الا اذا رأوه مغلوباً معه والتقاه بهزاد بقلب قوي وعزم جريء وجرد في وجهه الحسام واخذ معه في العراك والصدام والهجوم والانتحام كانهما من آساد الآكام وصبرت الفرسان تنتظر بينهما النهاية وما يكون من امرهما وقد جردت بأيديها السيوف واحدقت بهما وهما على ازدياد قتال واتساع مجال مقدار ساعة من النهار حتى ضاق صدر بهزاد من الاصطبار ورأى في خصمه العجز والتقصير لانه لم يكن من رجاله ولا يحسب من ابطاله فصاح به بأصوات الرعود وهجم عليه هجوم الاسود ومد يده الى جلباب درعه فاقتلعه ورماه الى الارض واقتحم فرسانه وصاح فيهم وعمل ضرب الحسام وهو كانه فرخ النعام يتطاير من مكان الى مكان ويطير الرؤوس عن الابدان والرجال تصيح عليه وتتقدم من كل ناحية اليه وهو يمددها على الرمال ويلبسها شعار الخزي والاذلال ويبعث بها الى دار الهلاك والوبال . وجواده يساعده على هذه الاعمال ويصهل في وجوه الخيل فتنفر منه كما تنفر من البواشق الحجال وكان ديدار قد قام من وقعته وهو مملوء من الحنق والغيظ كيف رماه الى الارض وهو كالعصفور ولملم نفسه وركب جواده ثانية وعاد ليأخذ لنفسه بالثأر ويكشف

عنها ما لحق بها من العار فأدركه وهو يقاتل ويعارك ويناضل غير مبال بكثرة الرجال. يفيض بالحرب والقتال . كما يفيض العارض الهطال . وقصد أن يضربه بحسامه فيعدمه الحياة فلحظ بهزاد منه ذلك ورآه قريبا منه وقبل أن يتمكن من رفع الحسام أخرج رجله من الركاب ورفسه بها فى جنبه ألقاه ثانية إلى الأرض وعاد إلى خوض المعمعة واقتحام ذاك البحر المتلاطم من كل الجهات وثبت فى ذاك الموقف أعظم ثبات واختار الموت على الحرب والشتات وعادت الفرسان تتقدم اليه من كل ناح مكثرة الصراخ والصياح مقومة بأيديها العمدان طالبة له الهلاك والقيمان وهو يلتقيها بقلب صابر على المصائب وعزم جلود على حمل النوائب وبقى على ذلك الى أن قام ديدار من وقعته ثانية وركب الجواد وقد استصغر نفسه كل الاستصغار وعلم أنه ليس من رجال بهزاد إلا أنه أمل بأن يتمكن منه بضربة وهو مشغل بالصدام فيذيقه كاس الحمام ولهذا دنا منه وجرد الحسام فرآه بهزاد وقد عاد فخاف أن يغدر بضربة منه فأسرع إلى جواده بضربة من سيفه وقعت على رأسه قطعته ووقع الجواد إلى الأرض ومن فوقه ديدار وزادت هذه الحالة فى غيظ رجاله فازدحموا ازدحام الجراد وأكثروا من الصياح والتناد وهو يفعل فيهم كما تفعل النار ذات اللهب فى يابس القش والحطب ويعدمهم على الأرض ويمزج طولهم بالعرض حتى امتلأ منهم ذاك المكان وسالت أدميتهم كالغدران .

قال وكان جلدك العيار واقف على رابية عالية ينظر إلى أفعال بهزاد ويشاهد ما هو عليه فعلم أنه بطل لا كالأبطال وضيغم ليس له مثال فانحدر من تلك الرابية وانسل بين أولئك الأقوام وهو يصيح ويلكم أيها الرجال لقد ركبكم العار إلى آخر الأجيال فانكم إذا بقيتم على مثل هذه الحال عدة أيام وليال لا تنالون منه منال فصوبوا بضرابكم إلى جواده وارموه بالنبال فلما سمعوا كلامه رأوه عين الصواب فأسرعوا إلى جواده بالطعان والضراب ورموه بالنبال والحراب حتى تخدش وتدفقت منه أنابيب الدماء وهو لم يقع حالا فى وجوه الأعداء وقد رأى بهزاد من نفسه الغلبة لكثرة ما ازدحم عليه وكان يؤمل بجواده على الثبات إلى الليل ليأخذ لنفسه الراحة فخاب أمله لأن كثرة النبال والسهام أرغمته أخيراً إلى الوقوع فقفز عنه إلى الأرض حزيناً على مقتله وأخذ يقاتل وهو راجل لا يليق بنفسه أن يسلم اليهم واختار الموت من أن يسلك سبيل العار وبقى على تلك الحالة إلى ما بعد الظهر وكان ديدار قد ركب جوادا آخر وعاد اليه مع قومه وهو ثابت فى وجوههم واقف فى ساحة المجال لا يقدر على الحراك والانتقال والضراب تسقط على جسده من كل ناح وهو يتلقاها بصبر وجلد عجيبين حتى سقط إلى الأرض بالرغم عنه لأنه من طين وماء فرموا بأنفسهم فوقه وربطوه بالحبال وهو لا يعى على

حاله من شدة الاوجاع والآلام ومن ثم صاحوا صيحة واحدة من الفرح والاستبشار وقدموه إلى ديدار فأمر أن تضمد جراحاته ويداوى وقال لهم لاتهينوه لأنه من الأبطال وفى أسره لى الشرف والفخار والمجد المتعالى وإنى سأبعثه بعد أن أعرضه على جهان ملك الصين الى والدتى كركانى فى قلعة سوسان شهر لتعلم بعظم مقدرة ولدها وأن الذى خرقته منه وقع بأيديه وبعد ذلك أمر أن تحط عساكره على تلك الساحة تأخذ لأنفسها الراحة وبعث جلدك أن يخبر جهان بقدومه وبأسره لبهزاد فسار نحو المدينة إلا أنه ما بعد إلا القليل حتى صادف شبرنك سائرا فى تلك الجهة وهو لابس ملابس أهل الصين

قال وكان السبب فى مرور شبرنك أن طيطلوس افتقد بهزاد فلم يقف له على خبر وسال عنه فقيل له أنه ركب فى الصباح وخرج ولا نعلم فى أى جهة سار وهو لم يصحب بشيء قط ولا نظن أنه دخل المدينة لأن أبوابها مقفلة قال لا بد أن يكون قد سار فى إحدى جهات البرية أو من حوالى المدينة يتفقد معابرها ومنافذها ولذلك يجب على العيارين أن يتفرقوا التفتيش عليه من كل ناحية لنعلم أين سار لأن غيابه كل اليوم الماضى دليل على بعده عنا فاجابوا أمره وتفرق كل منهم إلى ناحية وبزى وسار شبرنك فى تلك الجهة كما تقدم وصادف جلدك فدنا كل من الآخر وسلم عليه وسأل شبرنك جلدك من أين آت وإلى أين سائر فظنه جلدك من سكان المدينة فقال له إنى آت من قبل سيدى ديدار ابن كركانى الساحرة الذى بعث اليه سيدكم جهان يدعوه إلى مساعدته لأخبره بقدومه وأبشره بشارة عظمى فاظهر شبرنك الفرح وقال لاريب أنكم تجهلون عن المدينة وبالا عظيما لانها بضيقة وشدة والاعداء قائمة على أسوارها ينتظرون فتحها فبماذا تبشرونه قال نبشره باسر أعظم رجل من أعداءه وهو بهزاد الايرانى فارتاع شبرنك لهذا الخبر وتكدر منه داخلا إلا أنه اظهر التعجب وصفق بايديه وقال لا يمكن أن يكون ذلك قط كيف وقع بايديكم وهو من ابطال الزمان وقد اوصل الينا المصائب ولولاه لكنا الآن بامان منصورين على الاعداء لانه فارس لانظير له فى هذا الزمان فحكى له كل ما جرى بينهم وبينه وسأل شبرنك من اين يمكن ان اصل الى المدينة لان ابوابها مسدودة قال يمكنك ذلك من باب واحد فقط الى جهة غربى المدينة فسار جلدك فى طريقه وصبر شبرنك الى ان بعد عنه وعاد راجعا الى طيطلوس وهو يظهر الاسف والكدر فساله عن الخبر فاعاده عليه ولما سمع منه ذلك كاد يقع الى الارض من عظم ما ناله واسودت الدنيا فى عينيه واختنق من الكدر وصاح ان هذه مصيبة جديدة لان الاعداء تتكاثر علينا وفرساننا تغيب واحدا بعد واحد وكان رجائى انه اذا بقى بهزاد وحده يكفى لانه يصون الجيش من صدمات الاعداء وحربهم الى ان تعود الينا فرساننا والآن خاب الرجاء ولا نعلم ماذا يكون بيننا وبينهم ولا ريب اننا لا نلبث امامهم كثيرا لان عددهم

يتزايد وعدنا ينقص فكيف العمل الآن . ثم أطرق إلى الأرض برهة وهو كمن أصيب بالجنون وأصاب جميع الحاضرين ما أصابه وبقيوا على ذلك نحوا من ساعة . ثم نهض طيطلوس رأسه وقال لم يبق علينا الا التصبر على حكم الله والتدبير فى أمر مصلحتنا بينما يبعث لنا بالفرج وعليه فانى أخاف أن تخرج عساكر المدينة منها ويأتى ديدار من خلفنا ونبقى نحن فى الوسط فيبددون شملنا ويرمونا بالخسران ولذلك أرى من اللازم أن نرجع إلى الوراء ونتخذ لأنفسنا المراكز التى تقينا بقدر الامكان من الأعداء فاستصوبوا رأيه وقلعوا عن تلك الأرض إلى الوراء واتخذوا لهم مراكز بعيدة عن المدينة ينتظرون ما هو مخبأ لهم فى عالم الغيب وما كتب أن يلاقوه وسلم أمر قيادة العساكر إلى خورشيد شاه وجمشيد شاه

واما جلدك فانه سار إلى أن قرب من باب المدينة فاعترضه الحراس وسألوه عن نفسه فأخبرهم أنه رسول ديدار ابن كركانى الساحرة ليبشر ملكهم بقدومه فاحضروه اليه وهو فى ديوانه مع أبطاله يتشاورن فى الحرب والأعداء كسابق عادتهم فدخل عليهم وسجد إلى الأرض وقبل أقدام الملك ثم قال له اعلم أيها الاله المعظم والملك المكرم ان سيدى ديدار قد أجاب سؤالك لجمع بعساكره ورجاله وجاء اليك وعند وصوله إلى المدينة التى بيهزاد الايرانى فاسرة وهو الآن مكتوف عنده مثخن بالجراح وقد بعثنى اليك لاطرح عند أعتابك خبر قدومه فلما سمع هذا الخبر كاد يطير من الفرح واقام واقفا وأمر أن تخلع على جلدك خلعة سنية وان يعطى الأموال الغزيرة وقال أصحيح أسر بهزاد ابن فيلزور حامى الفرس وبهلوانهم قال نعم ياسيدى هو معنا الآن وسوف تراه ذليلا بين يديك تنفذ فيه أمرك وقد عول سيدى ديدار أن يرسله إلى والدته بعد آن يعرضه عليك ثم أمر أن يخرج منكوخان بالعساكر لملاقاة ديدار وان تعاد الحرب فى خارج المدينة بشرط ان تبقى الأبواب لا يدخل احد ولا يخرج الا باذن كالسابق كى لا يدخل عيارون الأعداء المدينة .

انتهى الجزء الثلاثون ويليه الجزء الحادى والثلاثون

الجزء الحادى والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

فاجاب منكوخان فى الحال وخرج إلى جواده فركبه وسار بالعساكر إلى ملاقاة ديدار وكان قد قرب من المدينة فاعتنقا وسلما على بعضهما ورأى منكوخان بهزاد على تلك الحالة فاشتفى به وكان قد وعى الى نفسه . الا ان جسمه كان لا يزال مثخنا بالجراح وقواه ضعيفة . ومن ثم نزل ديدار عند أبواب المدينة وضرب خيامه فى خارجها وخرجت أيضا كل العساكر التى كانت على الاسوار ولم يبق الا الحرس فقط وبعد ذلك دخل ديدار المدينة مع منكوخان ووصل الى جهان فسلم عليه وقبل يديه وحكى له انه أسر بهزاد وأمر أن يؤتى به لبين يديه فأتى به ونظره جهان وتعجب من أعماله وهو صغير الجسم فى منتصف شبابه لانه كان اذ ذاك فى سن الثلاثين وشكر ديدار على فعله وقال له لابد من مكافأتك بكل جميل وانى سأطلب لك مخصوصا من النار أن ترضى عليك ويكون لك عندها شأن عظيم حتى بعد مماتك تعد لك منزلا موافقا فيها . فشكره ديدار وقال له انى اعدك يا سيدى الوعد الصادق ان لا ارجع عن الايرانيين حتى ابيدهم عن آخرهم واحدا بعد واحد فان النصر ظاهر لنا منذ البداية وقد سهلت لنا النار طرق القبض على عضو رئيسى كبهزاد لانها حسنت له القيام فى ذاك المكان ليكون فريسة لنا وانى اسألك يا سيدى ان تسمح لى ان ابعثه الى أمى كركانى لانها حذرتنى منه وخوفتنى من بطشه مع انها تعلم ببطشى وعار منزلتى بين الابطال والفرسان . قال افعل ما بدا لك فان فى بعده غنى لنا فى مصلحتنا وكيف لا اقبل وانت الذى اسرته ولك حق التصرف فيه ولهذا دعا ديدار بالفى فارس من ابطاله وقال لهم سيروا فى ظلام هذه الليلة الى قلعة سوسان شهر وخذوا معكم بهزاد سلموه الى والدتى واخبروها انى اسرته وانى موفق كل التوفيق لا احتاج الا الى طلبها من النار لاجلى وانى بعد قليل سأبعث اليها بفيروز شاه وهو الرجل الثانى الذى حذرتنى منه . فأخذ الرجال بهزاد وساروا على طريق سوسان شهر ليقدموه الى كركانى الساحرة وامر جهان ان تقدم العلوفات والاطعمة وما يلزم لعساكر ديدار واقاموا يرتاحون مدة ينتظرون الحرب والقتال وقد جرت بينهم وبين رجال ايران مناوش كثيرة وحروب عديدة لم يفز بها قط احد منهما

قال وقام فيروز شاه فى بيت اخ سعدان زمانا طويلا لا يقدر على الخروج ولا يمكن له ان يتوصل الى خلاص الاسارى لان ابواب المدينة كانت كما تقدم مقفلة

لا يمر أحد منها دون أن يمسك ويفحص وأبواب الحبس كانت متينة وعليها كثير من الحراس لا تمر النملة من بينهم فزاد عليه الحال وبقى على ذلك ينتظر فرج الله وبهروز ينزل المدينة ويعود ولا أحد يعرفه وأخ سعدان يتعاطى مأموريته فى دار الحكومة ويأتى بيته فى النهار ثلاث مرات يتفقد ضيوفه ويأتيهم بكل مايحتاجونه ولم يعرف أحد مقر وجودهم ولا أطلع على أمرهم

وأما مصفر شاه وسيامك فانهما بقيا على المرض وجراحهما لا تشفى أكثر من سنة حتى انتنت وأشرفا على الموت ورأى ذلك وكيل الحبس وثبت عنده موتهما فخاف من ملامة جهان وقصد أخباره بذلك فسار إلى دار الحكومة واستأذن من الملك بالدخول فاذن له ولما وقف بين يديه قال له اعلم ياسيدى أن الأسيرين وهما مصفر شاه وسيامك سياقبا الذين خدش جسداهما من ضرب ونك هما فى حالة خطرة جدا حتى ان جراحهما انتنت وورمت وقد أضر بهما رداءة المناخ حتى صار من الصعب الرجاء والأمل بحياتهما ولذلك أتيت أخبرك بامرهما . فلما سمع جهان ذلك تكدر وقال يصعب على أن أسمع بموت الاسرى من عملنا وتهاملنا فيحسب ذلك ظلما منا وانى لا اريد ان يضر احد من الاسرى خوفا من ان يقع احدمنا بيدهم فيعاملونه بالمعاملة التى تعامل اسراهم بها وربما انقادوا الينا ووقع بيننا وبينهم صلح فيكون ذلك سبب كدرنا ومع ذلك فلا يجب ان يرتاح لنا ضمير مالم نقبض على فيروزشاه سيدهم وإلا مازلنا لانقبض عليه نخاف منه ان لا يراعى حرمتنا ويقتل كل اسير يقع فى يده ولا ريب انه سيعود إلى قومه ويسعر نار حرب قوية إذا كان غائبا عنهم لانى منذ زمان لم اسمع عنه خبرا ولا عرفت عنه امرا ثم انه دعى بجراحه الخصوصى وكان اسمه فيرموز اخ سعدان وصفيه وقال له اريد منك ان تأخذ إلى بيتك مصفر شاه وسيامك وتعالجهما وتضع المراهم على جراحهما إلى ان يشفيا فتعود إلى بخبرهما وإذا شفيا ورجعا إلى ما كانا عليه جازيتك بكل جميل وانعام . فوعده فيرموز ببذل الجهد والهمة فى مداواتهما وبعد ذلك اخذ الجراح مصفر شاه وسيامك وهو فى فرح بذلك لانه كان من اصدقاء اخ سعدان وقد تعلم منه عبادة الله وصار يكره عبادة النار وهو يعرف ان الايرانيين يجاهدون فى سبيل خدمة الدين فأراد ان يكون شريكا لهم فى ذلك وينفعهم بما يقدر عليه وقد رأى جراحهما بليغة جدا وتحتاج الى عناية عظيمة فوضعهما فى بيته وعين لهما ثلاث نساء لأجل خدمتهن لغسل الجراح فى كل ساعة وهو يضع عليهما المراهم ويسقيهما الادوية النافعة والمقوية للجسم ليثبت فى وجه مثل هذه الاوجاع ويتقوى عليها

قال ولما عرف اخ سعدان بهذا الخبر وان مصفر شاه وسيامك عند صديقه

الجراح سار اليه وسلم عليه وسأله عن المجروحين فقال له هما فى حالة خطرة إنما الأمل منه تعالى أن يشفيا وتضمد جراحهما وتعودهما الصحة ولى رجاء أن الله لايتركهما من عنايته لأنهما من أصدق عباده . قال إنى ماجئتك إلا لأوصيك بهما وأسألك مداراتهما وأن فيروزشاه سينعم عليك إذا عرف أن حياتهما كانت بمساعدة الله وعنايتك ومداواتك كونهما من أعظم رجال فارس . قال إنى لا أرجو عوضا فى خدمتى لأنى ملزوم بمشاركة رجال الله بالجهاد وإنى أحب أن أكون فى الجيش الفارسى بين يدى فيروزشاه أداوى مجاريحه ومن يصاب من رجاله لأكتسب بذلك شرف قربى منه وأكون قد وفيت مايطلبه الله منى وياليت لى من يوصل طاعتى إلى ملك إيران وسيدهم ويقربنى من خدمته ويتوسط لى أن أكون على الدوام عنده . قال إذا فعلت ذلك تعدنى المواعيد الصادقة بحفظ السر وكتمه وأن لا تبيح بما أخبرك به أمام أحد . قال إنى أقسم لك بالله العظيم خالق الانس والجان ومدبر بحكمته الأكوان . أن لا أظهر لأحد ماتقوله لى وأن أكون العمر بطوله مديون لك بالجميل إذا قربتنى من فيروزشاه وكان بوسعك أن توصل خبر طاعتى اليه . فلما سمع أخ سعدان كلامه تيقن فيه الوفاء . وكان يعلم فيه صدق الكلام ومحبة الانسانية وحسن الأطوار فباح له كل ماجرى له مع فيروزشاه وقال له هو الآن عندى وفى بيتى مع جماعة من عياريه وفرسانه الأعيان فاذا شئت اذهب معى اليه فأعرضك عليه وأخبره بأمرك وأن مصفرشاه وسيامك سلما اليك ولا ريب أنه يكرمك مزيد الاكرام لان مجيئه إلى البلد كان لأجلهما على أمل أن يخلصهما ومن ثم بقى فى المدينة ولم يعد فى وسعه أن يخرج ما لم يتسبب فى خلاص الأسارى من قومه . والثانى لسد الأبواب وتشديد الحراس على الداخلين والخارجين . فلما سمع فيرموز هذا الكلام كاد لايصدقه وقال إن هذا من الأمور العجيبة كيف يمكن لملك مثل هذا عظيم أن يخاطر بنفسه من أجل بعض قومه فهلم بى اليه لأقبل أقدامه وأبدى له طاعتى وخدمتى وإذا شاء كلفنى بكل ماأقدر عليه فأخدمه به ولو كلفنى فقد حياتى وأموالى . ومن ثم سار الاثنان يتقدمان إلى البيت المقيم فيه فيروزشاه حتى دخلاه وتقدم أخ سعدان من فيروزشاه وحكى له عما كان من مصفرشاه وسيامك ووقوعهما بالخطر العظيم وأن الله التفت اليهما فسلمهما الملك لرجل أمين على طاعته وهو فيرموز الجراح وأخبره ماداربينه وبينه وأنه جاء به اليه ليقبل أياديه ويعرض عليه خدمته . فتكدر فيروزشاه مما سمعه عن مصفرشاه وسيامك وتألم قلبه وقال إن كل ذلك كان بسببى لقد أهينت رجال الفرس وملوكها وأصبحوا بنسكبات العالم أجمع وشكر الله على كل حال ثم طلب أن يقدم فيرموز اليه فلما وقف بين يديه ترحب به وقال لقد أخبرنى أخ سعدان أنك تحب الله وتعبده ولهذا يسرنى قبلك

أنك من رجالى فأوصيك بالمجروحين الذين عندك من أولاد عمى وأعز الناس عندى. وإذا شفيا كان لك منى الخير العظيم وجعلتك من الحكام والسلاطين ولا أنسى لك جميلا مثل هذا . قال يكفانى ياسيدى نعمة أنى وقفت بين يدى رجل الله العظيم الذى اختصه ليفضله على كل أهل زمانه وهذا شرف لا أنساه إلى الابد على أن كثيرمن الملوك العظام والوزراء الكرام يتمنون أن يسمعوا كلمة أنس ولطف مثل هذا الكلام وإنى أسأل الله تعالى أن يساعدنى على مداواة مصفرشاه وسيامك ليهضا من مرضهما وأكون قدرت. على أن أقوم بخدمة مقدسة عندى لك ولله وسوف ترى منى صدق عبوديتى ويظهر لك الزمان برهانا على قولى ولا أريد منك إلا أن تحسبنى منذ الآن فى مصاف خدمك وحشمك . فشكره فيروزشاه وعرف أنه حسن الطوية كامل الصفات مخلص بمحبة الله سبحانه وتعالى وزاد فى توصيته بمداواة ابن عمه وسيامك .

وعاد الجراح إلى بيته ودام على مداواة الجريحين بكل عناية واهتمام وفى كل يوم يأتى إلى بيت أخ سعدان فيقدم خدمته لمولاه الجديد ورفاقه ويطمنهم عنهما وبقى على مثل ذلك عدة أشهر وهما يتقدمان فى الصحة والعافية حتى نالا الشفاء التام ولم يبق مايوجعهما ولذلك سار إلى جهان وقال له اعلم ياسيدى أن الأسيرين الذين سلمتنى إياهما قد شفيا وعادا كما كانا بصحة جيدة وأبدان صحيحة فقال له احضرهما إلى فأحضرهما ولما رآهما فرح مزيد الفرح وأمر أن يعادا إلى السجن وأن لا يهانا مع رفاقهما وأن تتخذ الاحتياطات اللازمة بالمحافظة عليهم إلى حين الحاجة فأدخلا إلى الحبس وانضما إلى بهمنزارقلى وطهمور وقادرشاه وسلموا على بعضهم البعض وبعد أن نال الجراح الانعام الذى كان ينتظره من الملك جهان عاد الى بيت أخ سعدان ودخل على فيروزشاه وأخبره بشفاء ابن عمه وسيامك . فقال له وهل هما عندك الآن قال كلا ياسيدى بل سلمتهما الى جهان فأعادهما الى السجن فتكدر فيروزشاه من هذا الخبر وقال له لقد قصرت فى تدبير الوسائل المنتظرة وقد كان أحرى قبل ذلك أن تخبرنا لنسعى فى خلاصهما ولا يراهما جهان .

قال انى وجدت نفسى مضطراً الى ذلك ولا سيما أن الملك يسألنى عنهما على الدوام فاذا امتنعت عذبنى واعتقدنى الخيانة وفتش المدينة عليهما فربما وصل اليكم شر بسببهما ولا بد من خلاصهما طال أمرهما أو قصر . فقال بهروزهامن مانع فى ارجاعهما الى السجن لكن نريد منك أن تتوصل بأى طريق كان الى الدخول الى السجن وايصال ما نسلمك اياه الى المحبوسين من قومنا فيتخلص الجميع معا ولا يبقى احد منهم فيه . قال ماذا تريد

ان توصل اليهم قال اريد ان ابعث لهم بمبرد وازميل وكتاب اخبرهم به ماذا يفعلون فاذا قدرت على تسليمهم ذلك دون ان يعلم احد به كان لك الفضل العظيم في خلاصهم . قال انى ساذهب الآن إلى الملك واقول له انى خائف من ان يطرأ على الجريحين طارىء او يحصل لهم التهاب ولهذا من اللازم ان يسمح لى ان ابعث لهما باللبن فى كل صباح كى يشرباه وتترطب احشاؤهما ومن ثم اضع المبردين فى وعاء اللبن واضع المكتوب فى اكرة صغيرة داخل الوعاء ايضا ولا بد ان الحراس يسلمونهم الوعاء دون ان يلتفتوا الى ما فيه فيسهل على قومكم الخلاص بالطرق التى تعينونها لهم فسر فيروزشاه من ذلك ومثله بهروز وقال له لقد دبرت حسنا فاذهب الى جهان واطلب اليه ما انت طالبه حتى اذا سمح لك دبرنا أمرنا . فاجاب وخرج فى خطته الى ان وصل الى بين يدى جهان فقبل الأرض ووقف مطرقا فقال له ماذا تريد يا فيرموز واى شىء دعاك الى الوقوف أمامى على مثل هذه الحالة . قال تذكرت شيئا كان قد غاب عن ذهنى فاتيت أعرضه على مسامعكم لرفع الخطر عن اللذين داويتهما بأمرك اى الرجلين الايرانيين . قال أبن ما تطلبه وما هو الشىء الذى نسيته . قال اعلم يا سيدى انى لما كنت أداويهما كان حصل لهما التهاب فى الامعاء فطببته إلى أن شفيا منه . وقد تذكرت الآن أنه ربما يعاودهما لنقلهما من مكان جيد إلى الحبس فلا يعود من وسيلة لشفائهما ولهذا قصدت الاذن من عظمتك لأبعث لهما فى كل صباح مقدارا من اللبن يشربانه عند الصباح على مدة اسبوع فلا يعود من ثم خوف عليهما . فقال لقد أحسنت فى ذلك فابعث باللبن فى كل صباح اليهما وانى منذ هذه الساعة سأبعث يونك إلى الحراس يخبرهم بأن يوصلوا لهما اللبن فقبل يديه وخرج إلى بهروز فأخبره ففرح بذلك مزيد الفرح وقال له خذ فى صباح الغد لبنا فى وعاء دون أن يكون فيه شيئا لنرى ما يكون من أمر الحراس اهل ينظرون فيه فامتثل وفى الصباح أخذ وعاء ملآه لبن ودفعه إلى الحراس وقال لهم قولوا لمصفرشاه وسيامك أن يشربا ما فى هذا الوعاء إلى آخره تبريدا لفؤاديهما وفى الصباح أبعث بمثله ولا يكون أكلهما من غير هذا اللبن والا يعاودهما المرض فامتثلوا ودخلوا باللبن وبلغوهما ذلك ورجع فيرموز وقد تأكد عنده أن الحراس لم ينظروا إلى الوعاء . وأما مصفرشاه وسيامك فانهما كانا قد ملكا صحتهما على أتم غاية ولم يظهر فيهما آثار الضعف البتة وقد تعجبا من عمل الجراح هذا غير أنهما يعلمان أنه محب لهم يرغب فى سلامتهم ولم يرتابوا قط فشربوا اللبن إلى آخره وأقاموا فى السجن مع باقى الاسارى وفى نيتهم أن لا يطول زمان سجنهم لانهم تأكدوا أن فيروزشاه وجماعة من الفرسان وبهروز ودرفنات والأشوب فى المدينة وقد أتوا بقصد خلاصهم

وأما الجراح فانه سار فى اليوم الثانى إلى بهروز ومعه وعاء اللبن وحكى له ان الحراس لم ينتبهوا إلى مثل هذه الحيلة ولم يخطر ببالهم قط مثل هذا الأمر فأخذ بهروز الوعاء وأنزل فيه مبردا من مبارده المعدة لقطع القيود وأزميلا حادا من الحديد وكتب كتابا إلى مصفر شاه يقول فيه . خذ المبرد والأزميل فأحدكم يقطع القيود وآخر يثقب الحائط وخذوا منذ الصباح فى الغناء والرقص والتصفيق بالأيدى حتى عند مباشرتكم العمل لا ينتبهون اليكم وبعد أن تنتهوا منه ارموا بأنفسكم من ظهر السجن الى الخارج فنكون نحن لكم بالانتظار ونحضركم إلى سيدى فيروزشاه وإياكم من الطيش وعدم الانتباه فاذا لم يتيسر لكم الخلاص فى هذا اليوم لا يتيسر فيما بعد ثم وضع المكتوب فى علبة صغيرة ووضعها فى الوعاء وأوصى الجراح المذكور بالانتباه فأخذه وسار وكان قد حمله لعلم الدين أحد أولاد أخ سعدان فدفعه الحراس وقال لهم ابقوا هذا عند الأسارى وأتونى بوعاء أمس فأدخلوا الوعاء ودفعوه إلى سيامك وارجعوا الوعاء إلى الجراح فاخذه مع ابن أخ سعدان ورجعوا إلى بهروز وأعلماه بوصول الوعاء المشغول إلى الأسارى الايرانيين ففرح وتأكد أنه لابد من خلاصهم فى تلك الليلة

وأما مصفر شاه وسيامك فانهما أخذا فى شرب اللبن وبينما هما يشربان سمعا فى قعر الوعاء صوت مادة تقرقع فانشغلت خواطرهما وامتنعا عن الشرب ومد سيامك يده ليرى سبب ذاك الصوت فوقعت على المبرد وفى الحال أدرك مع رفاقه سر المسألة فاجتمعوا باجمعهم حول الوعاء وأخرجوا كل ما فيه واذا بالعلبة والآلة الاخرى ففتحوا العلبة وقرأوا المكتوب وهم يكادون أن يطيروا من الفرح وأعظم فرحهم كان عندما سمعوا أن العيارين بانتظارهم ليأخذوهم إلى فيروزشاه وكانوا لا يصدقون أن يروا صبوح وجهه ويسمح لهم الزمان أن يجلسوا إلى جنبه أو يقاتلوا بين يديه وهم يشكرونه فى قلوبهم كل الشكر على اهتمامه بهم وسعيه فى خلاصهم ونزوله الى المدينة راكبا طرق المخاطر من أجلهم وعند ذلك قال لهم مصفرشاه ينبغى الآن أن نتبصر باحوالنا ولا نضيع فرصة سمح لنا بها الزمان فافعلوا ما أوصى به بهروز لننتهى العمل فى هذه الليلة ولا ندع العيارين يأتون إلى تحت السجن دون أن نفاجئهم ويرجعون بخفى حنين قالوا دبر أنت ما ترتأيه . قال ان بهمنزار فلى يقطع القيود وسيامك يثقب الحائط ويخرج الحجارة ليفتح لنا طريقا ونحن ندارم على الغناء والحظ كى لا يسمع الحراس صوت المبارد أو صوت الثقب فاستصوبوا كلامه ثم أمرهم أن يخفوا الآلتين وينصبوا على الغناء والرقص والتصفيق بالأيدى ففعلوا وعلت أصواتهم وجعلوا يغنون بلغتهم الفارسية وهم يرقصون رقص أولاد الأزقة حتى اندهش منهم الحراس ففتحوا

الباب ودخل عليهم جماعة منهم فجعلوا يضحكون عليهم وهم على تلك الحالة وقالوا لهم لما هذا الغناء ألا تعلمون أنكم الآن فى سجن العذاب وان قومكم فى ضيق وتأخير من جرى وصول البطل ديدار الذى أنزل بهم الهلاك والبوار وأسر بهزاد فارس الفرس وحاميها وبعثه إلى قلعة كركانى الساحرة لتعذبه ويبقى عندها فتألموا فى داخلهم من هذا الكلام إلا أنهم لم يظهروا على أنفسهم امارة الحزن بل داموا على الحظ والغناء وقال لهم مصفرشاه ماذا يهمنا إذا انتصرقومنا أو انكسروا لانتاقطعنا الرجاء منهم وعرفنا من أنفسنا أننا هالكون لامحالة ونبقى فى هذا المكان إلى الممات ولو كان فى قومنا رجاء لكانوا خلصونا منذ أكثر من خمس سنين ونحن نلاقى العذاب والاكدار وهكذا سوف تروننا على مثل هذه الحالة فى كل يوم فقالوا لهم أفعلوا ما أنتم فاعلون ثم خرجوا عنهم وقفلوا الأبواب وهم على مثل تلك الحالة إلى المساء وفى المساء أحضر لهم الطعام وأقفلت الأبواب إلى الصباح كالعادة وعند ما اطمأن بالهم وأخذ بهمنزار يقطع القيود وسيامك يثقب الحائط ولم يمض إلا ساعة من الزمان حتى قطعت القيود من أرجل الجميع وانطلق سراحهم وبعد ذلك عاد بهمنزار إلى مساعدة سيامك فوجده قد ثقب الحائط فى البداية ثقبا رفيعا ثم أخذوا يوسعونه شيئا فشيئا حتى صار يمكنهم الهرب منه وعند ذلك دخل سيامك وكان أكثر الجميع ضخامة وعلق نفسه من يديه ثم وقع إلى الأرض وفعل مثله الباقون وما مضى نصف الليل حتى صار الجميع تحت القلعة المحبوسين فيها وكان عند ظهرها فى المكان الذى سقطوا فيه بستانا كبيرا فمشوا به دون أن يبدوا أقل حركة خوفا ان يدرى بهم الحراس أو يراهم أحد وهم لا يصدقون بالخلاص وبأن يروا أحداً من أهل إيران وقد ارتاعوا فى الأول حيث لم يروا ولا واحد من العيارين إلا أنهم لما تقدموا إلى آخر البستان التقاهم بهروز وتأكد خلاصهم ففرح غاية الفرح وسار أمامهم مع بقية العيارين لأنهم كانوا لهم بالانتظار وساروا جميعا تحت ظلام ذلك الليل الدامس إلى أن وقفوا عند باب بيت اخ سعدان وكان لهم بالانتظار فطرقوه ففتحه لهم وأدخلهم وأقفل من خلفهم وصعدوا إلى المكان القائم فيه فيروزشاه ولما سمع بوصولهم خرج إلى خارج الغرفة لملاقاتهم وقلبه موعب فرحا وأرمى بنفسه عليهم وقبلهم وسلم عليهم وهنأهم بالسلامة واحدا بعد واحد فصافحوه وشكروه على اهتمامه وسلم قادرشاه على أخيه قاهر شاه وأخذا يبكيان للملاقاة بعضهما من شدة الفرح وقد سبق معنا أنهما يحبان بعضهما محبة ثابتة تندر بين أخوين مثلهما وأعد لهم اخ سعدان مكانا بين قومهم وترحب فيهم وأقام على خدمتهم باقى الليـــلة مع ولديه علم الدين ومريار وجاريته السابق ذكرها .

وفى الصباح نهض الحراسون القائمون على باب الحبس كباقى عادتهم وفتحوا الباب ودخلوا يتفقدون الأسارى وإذا بهم يروا الحائط مثقوبا وما من أسير هناك فتأكدعندهم فرارهم فأسرعوا إلى الخارج وركضوا إلى البستان وفتشوا فى تلك النواحى دون أن يروا أحدا فزاد كدرهم وتعجبوا من عمل الأسارى وكيف أمكنهم أن يثقبوا مثل هذا الحائط دون أن يكون معهم آلة لهذا العمل ولاريب أنهم ثقبوه بالآلة فمن أين وصلت اليهم ولما كان لابد من اطلاع الملك جهان على أمرهم جاءوا اليه وبلغوه فرار أسراه وانهم قاموا فى الصباح ودخلوا القلعة فوجدوا حائطها مثقوبا ثقباواسعاولم يجدوا احدا من رجال إيران الذين كانوا يحرسونهم فيها فيظهر انهم هربوا من ذاك الثقب ورموا بذواتهم إلى البستان فلم يروا أحدا ولا يعرفون من الذى أوصل اليهم الآلة لثقب الحائط مع انهم لم يتركوا أحدا يدخل قط

ولما سمع جهان كلامهم هذا كاد يسقط إلى الأرض واندهش من عمل الفرس وقال لاريب ان هذا العمل هو عمل العيارين ولابد من أنهم يكونون داخل المدينة . وفى الحال دعا بونك العيار وأخبره بكل ما تقدم وقال له أريد منك ياونك أن تعيد الأسرى إلى سجنهم وتأتينى بمن خلصهم وإذا فعلت ذلك زدت فى إكرامك فكيف تكون أنت عيار بلادى ويسطو علينا عيارو الفرس وينتشلون الأسارى من داخل القلع الأمر الذى يكون من عمل الجان ومن أين لهؤلاء العيارين أن ينزلوا المدينة ويصلوا إلى القلعة إلى أسيادهم وهم محاطون بالحراس الكثيرى العدد فأطرق ونك إلى الأرض برهة ثم رفع رأسه وقال للملك اعلم يا سيدى أن لابد من سر خفى فى باطن الأمر وسوف تظهر لنا الحقيقة وعندى أن أحد سكان المدينة خائن علينا أو أن أحد الحراس أوصل اليهم الآلات لثقب الحائط وقطع المبرد . ولهذا أريد أن أكون مطلق التصرف فى التفتيش وأعدك أن أجيئك بالأسارى وأكشف عن غامض هذه المسألة . قال اليك ما طلبت فخذ معك جماعة من العساكر وطف المدينة وفتشها من سائر النواحى عسى ان النار توفقك إلى المطلوب وتهديك إلى ما به إتمام رغائبك . فقبل يديه وخرج وهو مسرور من اطلاق حريته بالتصرف فى أمر التفتيش وبعث مناديا ينادى فى المدينة أن من عرف بهرب أسارى الفرس أو عرف بمكان وجودهم أو سمع خبرا عنهم يؤدى إلى ظهور أمرهم وأخبره به قبض من الملك خمسة آلاف دينار وأخذ هو فرقة من العساكر وطاف بها فى المدينة من جهة إلى جهة يسأل فى البيوت والأسواق ويفتش فى القهاوى والمحلات العمومية وأينما اشتبه برجل قبض عليه واستنطقه واستعلم عنه . وكانت المدينة واسعة جدا كما تقدم وسكانها كثيرون لا يعدون ولا يحصون ولذلك طال ونك فى التفتيش وفى كل

صباح قبل التطواف يأتي إلى حضرة الملك يتلقى أوامره ويعرف منه ما يريد ثم يعود إلى إتمام خطته . وكان أخ سعدان قد شغل باله من هـذا الاهتمام والتفتيش وبقي خائفا من اظهار أمر فيروز شاه وأسرى الفرس في بيته فيحسب خائنا وكان كل خوفه عليهم من أن يعودوا إلى الوقوع ثانية بأيدي الصينيين لا بل يقع معهم فيروز شاه وإذا وقع يقطع رجاء الفرس وتنقرض جيوشهم لأن لا يزال لهم بقية أمل برجوعه ولذلك كان يأتي بيته بالنهار عشر مرات يتفقد أحوال ضيوفه ويعود إلى مركزه وهو يستعلم عن أحوال ونك ويستفهم أين يسير وفي أي مكان يفتش وماذا رأى وممن استعلم

قال ولا بد أن نأتي هنا على ذكر ما وقع من الجارية التي كانت قائمة على خدمة الايرانيين في بيت أخ سعدان فانها كانت متوسطة العمر في درجة الأربعين وكانت منذ أول دخولها إلى بيته تعد نفسها بزواجه كونه كان قد وعدها منذ ماتت زوجته الأولى انه عندما يكبر أولاده يتزوج بها فاعتنت بتربيتهما على هذا الأمل حتى كبرا وبلغا أشدهما وهي باقية على وعدة وهو يتغاضى عنها وأظهر أخيرا اهتمامه بضيوفه لا يلتفت إلى وعده لها وفي كل مدة تؤمل أنه يلتفت اليها ويزف عليها وحسبت أخيراً أن المانع وجود الايرانيين عنده فصبرت إلى أن يذهبوا عنه حتى طال عليها المطال وهم قائمون عنده دون أن يتسهل لهم الذهاب أو البعد عن بيته حتى ضجرت وتأكدت من نفسها أن اخ سعدان ضحك عليها ولا يريد أن يتزوج بها أو يزف عليها فكدرها هذا الأمر وندمت على ماسبق منها من صدق خدمتها له ولأولاده وضيوفه وأضمرت في نفسها الانتقام منه وصبرت تنتظر الفرصة إلى أن سمعت ذات يوم أخ سعدان أن يخبر فيروزشاه بعمل ونك ومناداته في أسواق المدينة ووعده لمن يأتيه بخبر عن الأسارى بأن يقبض خمسة آلاف دينار فانتبهت لهذا الأمر ولاح لها أن تهرب من منزل سيدها وتدخل على جهان وتطلعه على أمر الايرانيين ومكان قيامهم وأن لهم منذ زمان طويل ولا ريب أن الملك إذا عرف بوجود فيروز شاه وقبض عليه وعلى من معه فرح وأنعم عليها بأضعاف ما نادي به ونك وحينئذ تكون قد استعاضت عن زواج أخ سعدان بالمال وبواسطته تقدر أن تقترن بمن تريد وحركها الطمع إلى الخيانة وعزمت من كل نيتها على الخروج من البيت في اليوم الثاني أثناء غياب سيدها وتذهب إلى الملك . وأقامت تنتظر اليوم الثاني إلى أن كان وخرج سيدها من بيته إلى السوق ليبتاع ما يلزم من طعام ذاك النهار . وبعد أن خرج نهضت الجارية إلى صندوقها ففتحته وأخذت ثيابها فربطتها إلى بعضها وتأبطتها و أخذت غطاءها على رأسها وتدرجت في السلم إلى الطريق وسارت منه الى دار الحكومة

ووقفت امام جهان بعد ان استأذنت بالدخول عليه واخبرت الحجاب ان لديها خبراً مهما جاءت تطلعه عليه . فسألها عما تريد فقالت اعلم يا سيدي اني لما عرفت انك الان باضطراب من جهة الاسارى الذين هربوا من الحبس اتيت لأطلعك على امرهم وامر الذي خلصهم واعرفك ان فيروزشاه ابن الملك ضاراب هو مقيم الان في بيت اخ سعدان وله اكثر من اربع سنوات ومعه كرمانشاه ابن عمه وقاهرشاه وفرخوزاد ابن فيلزور البهلوان واربعة من العيارين العظام منهم بهروز العيار . وقد جاء الاسارى ايضا الى ذلك البيت واقاموا مع سيدهم وقومهم يتدبرون الى الخروج من المدينة والرجوع الى أهلهم وقومهم . ففرح الملك جدا بهذا الخبر وقال لها من اين عرفت ذلك . قالت اني كنت اخدمهم كل هذه المدة واصنع لهم الأطعمة وقائمة بما يلزمهم حتى ثبت عندي انهم على نية الانقلال وتأكدت انك ترغب بالوقوف عليهم . فقال لها ان كان ذلك صحيحا جازيتك احسن جزاء واوصلت اليك انعامي واكرامي . قالت سوف تتاكد كلامي . ولهذا قال جهان لونك وكان في تلك الساعة قد جاء الى حضرة الملك قبل تطوافه كسابق عادته . اذهب الى بيت اخ سعدان وفتش فيه واتي بهذا الخبيث مكتوفا مع الذين عنده لأجازيه على قبيح اعماله وخيانته لأنه ياكل عيشنا وياخذ المعينات منا ويفتح بيته لقبول رجال ايران وملوكهم . فاسرع ونك في الحال بعد ان وعد الملك بان يقودهم جميعا اليه واخذ فرقة من العساكر وسار الى بيت اخ سعدان وفي نيته انه يقبض على فيروزشاه وكل الذين معه .

قال وصادف ان اخ سعدان رجع في الحال بعد ذهاب الجارية بربع ساعة ومعه اللحم والخضر وقد حملها ولداه لأنه كان لا يركن لأحد ان يدخل بيته غريبا كان او قريبا حمالا او غير حمال . ولما صار في الدار طلب الجارية ليسلمها اللوازم فلم يجدها ففتش عليها في كل الغرف فاذا هي غائبة فكاد يطير من الخوف وخفق قلبه وسال عنها من العيارين اذا كان احدهم رآها فقال له الأشوب اني رأيتها تحمل تحت ابطها بقجة من الثياب لكن لا اعرف الى اين خرجت فذهب الى صندوقها وفتش على ثيابها فوجدها قد اخذت الجميع فثبت عنده هربها وخيانتها وفي الحال دنا من فيروزشاه وقال له ياسيدي اني خائف من ان تكون الجارية قد ذهبت الى جهان واطلعته على امركم ولذلك اريد منك ان تذهب مع رفاقك الى بيت فيرموز تقيمون فيه اياما لنرى ما يكون من امرها قال ولما تخاف فان فينا الكفاءة للدفاع عن انفسنا . فقال بهروز لا يمكن ان نقاتل في داخل المدينة ياسيدي واذا ظهر امرنا قبض علينا لأن المدينة محاطة بالأسوار فلو قاتلنا عشرين يوما لا يتسهل لنا الخروج كيفما توجهنا وعساكر المدينة كثيرة فلا نقدر ان نتغلب عليها ومن الحكمة والاصابة ان لا نخاطر بانفسنا فاذهب بنا الى بيت فيرموز نقيم فيه

فرأى كلامه صوابا ووافقه الجميع فلبسوا ملابس رجال الصين وبعثهم أخ سعدان مع ولديه وقال لهما سيرا بهما إلى بيت صديقنا الجراح وسلماه إياهم وأوصياه بالمحافظة عليهم إلى حين أجيء اليه وانقسما فى الطريق كل واحد يأخذ جماعة ويسير فى طريق مخالف للآخر كى لا يطلع أحد على أمرهم ويشاهدوا كثرتهم فينتبهون اليهم . فأجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا جميعا من ذلك البيت وساروا بعد أن قسموا إلى فرقتين حتى وصلوا إلى بيت الجراح فدخلوا وسلموا عليه وأخبروه بما كان من الجارية فترحب بهم وأحلهم محل الاكرام والتعظيم وقفل أبوابه وخرج ليرى ما يكون على أخ سعدان وهل أن الجارية تظهر أمرهم أم لا . وكذلك أولاد أخ سعدان علم الدين ومردار فعادا أبيهما وأخبراه بما كان وأن الأمراء بأمان عند الجراح ففرح بوصولهم دون أن يعلم بهم أحد وأقام مع والديه فى البيت ومالبث أن سمع غوغاء وأصوات رجال قد احتاطت ببيته فطل من الطاقة وإذا به يرى العساكر قائمة فى الأسفل فخاف كل الخوف وارتاع من هذا المشهد ولا سيا عند ما رأى ونك فى المقدمة فأيقن بالهلاك لأنه يعلم قساوته وأنه من أولاد الحرام ولا يراعى حرمة الانسانية ولا يعرف قط الشفقة . إلا أنه أوصى أولاده بالمحافظة على السر وقال لهم خير لنا أن نموت فى سبيل خدمة الايرانيين ولا نسلمهم إلى الأعداء وعلى كل حال أن جهان سيغضب علينا إن سلمناهم أو لم نسلمهم لأن الجارية تكون قد أخبرت جهان بكل شيء دون شك ولا ارتياب . فقالا له إننا وإن متنا وتعذبنا أشد العذابات ما فهنا بكلمة قط . وبينما هم على مثل ذلك وإذا بونك قد طرق الباب فأسرع أخ سعدان وفتحه فقال له أين فيروزشاه وأمراء الفرس الذين عندك سلمنى إياهم فان الملك بعثنى لأذهب بهم اليه فأظهر أخ سعدان العجب وقال ما هذا الكلام وأين أمراء الفرس الذين تذكرهم وماذا بأترى يوصلهم إلى قال إن الخادمة التى كانت فى بيتك وخدمتهم مدة طويلة أخبرت بحقيقة الأمر فامن وسيلة للانكار . ثم أمر ونك أن يقبض عليه وعلى أولاده ودخل البيت مصحوبا بالعساكر والضباط وأخذوا يفتشون الغرف واحدة بعد واحدة دون الحصول على نتيجة لأنه لم ير قط أحدا ولا رأى أثرا لهم فزاد به الغيظ حيث كان مؤكدا كل التأكيد أنهم موجودون فى بيته وداخل منزله ولهذا عاد إلى أخ سعدان وقال له اريد منك ان تخبرنى الى اين ذهبت بهم وإلى بيت من أوصلتهم وإلا ذقت مر العذاب فامن سبيل لاخفاء امرهم بعد ان ظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار وبذلك تكون قد منعت عن نفسك الاضرار والأكدار وإلا فالموت امامك لامحالة . قال انى لا اعرف ماتقول وما من امراء فى بيتى واذا كان فى نيتك ان تتعدى على وتوصل بشرك

إلى فانى مستعد لأن أتحمل ظلمك ونتائج خبثك ولاأخاف سوءا مادام الله يحرسنى فزاد هذا الكلام غيظ ونك وقال له سوف ترى مايحل بك وتتأكد أن الانكار لايفيدك شيئا ثم ساقهم أمامه إلى الساحة العامة التى عذب فيها صفرشاه وسيامك ومن حوله العساكر محاطة بهم والناس تزدحم أفواجا أفواجا وقد بلغهم خبر وجود فيروز شاه فى المدينة فتجمعوا بقصد الفرجة عليه . وبقى ونك سائرا الى أن وقف فى وسط الساحة وأمر الجنود ان تقف فى ضواحيها وقدم اخ سعدان إلى الوسط وقال له إذا كنت لاتعترف الصحيح فانى أجلدك الجلدات القوية إلى ان تموت فتعدم نفسك ولا يفيدك الانـكار فاخبرنى أين أمراء الفرس قال قلت لك انك تطلب إلى أمرا لاأعلمه ولاأعرف أمراء الفرس وإذا ظلمتنى الآن فسوف تظلم فيما بعد وتصاب باكثر مما أصاب الآن فانفذ شرك فى وانى أسلم بأمرى للذى خلقنى .

فلما رأى ونك ان لاسبيل للاعتراف جرده من ثيابه ورماه على ظهره إلى الأرض وأخذه بيده ويدرجل آخر السياط وجعلا يضربانه الضرب القوى الموجع وهو يسأله الاعتراف وان يقول الحقيقة وهو يقبل العذاب بصبر حيد وقد أيقن بالهلاك والاعدام ولم تسلم معه نفسه ان يعترف بامر رجال ايران وبقى على مثل ذلك وهو يصيح متوجعا ويتألم من شدة الضرب وينادى طالبا الرحمة والشفقة وونك يقول لاشفقة ولارحمة اما الموت واما القرار وقد زاد على بدنه الضرب حتى تخدش واندفقت منه الدماء ولم يبق من جهته الامامية مكانا سليما من الجراح ثم قلبه على بطنه وأخذ يضرب على ظهره فتدفقت منه الدماء وتالم جميع الناس الحاضرين دون ان يكون أحدا منهم قادرا على ان يأتى بكلمة ولما أعيى ونك أمر اخ سعدان ولم يرمنه نتيجة وعرف انه اصبح على آخر رمق من الحياة قال فى نفسه انه قطع الرجاء من الحياة فما من وسيلة لاعترافه وقد فضل الموت عليه إلا انى اذا عذبت أولاده أمامه يشفق عليهم ويخاف ان يصابوا مثله بالعذاب الشديد فيبيح بحالة الايرانيين وعليه فقد رفع الضرب عنه وأمر ان يقدم ولده علم الدين فقدم فقال له لقد رأيت ما كان من آمر أبيك وماذا جرى عليه لما أصر على الانكار وسيحل بك أكثر مما حل به اذا امتنعت عن ان تعلمنى الحقيقة وتطلعنى على مكان وجود رجال الفرس قال لاأعرف مكان وجود الذين تذكرهم ولامن هم واذا كنت قد نويت على ظلمى وعذابى فانى أتحمله بفروغ صبر ولو كنت اعرف ذلك لما امتنعت عن اخبار الحقيقة قال لا بد من وجود علم عندك وسوف ترى من نفسك انك مجبور الى الاخبار . ثم امر ان يلقى الى الارض ويضرب كأبيه بالسياط على بدنه فمدد بعدان جرده من الثياب وضرب الضرب المؤلم الموجع وهو صابر على نفسه فتحمل شدة ذلك

الظلم والدماء تسيل من جسده وتتجدول في الارض كالينابيع مفضلا الموت على الاعتراف بمكان فيروزشاه وقد كدرت حالته هذه عموم المتفرجين وانفطرت مرائرهم وهم يلعنون ونك ويذمون أفعاله وهو لا يزيد الا حنقا وقساوة من هذا الاصرار حتى كاد يغيب عن الصواب ولم يعى على نفسه والضرب على ازدياد وعجلة وفي كل هنية يسأل علم الدين ان يعترف فيصر على الانكار حتى ضعفت قواه وخار عزمه وانقطع صوته ولم يعد يقدر على ان يجيبه اخيرا على سؤاله ومع كل ذلك لم يشفق ولا تحرك فيه الرحمة قدر ذرة بل اشتد قلبه عن الاول فصار كالصخر جمودا أو بالحرى كالحديد صلابة وكان قصده بذلك ليس فقط عذاب الابن بل عذاب الاب أي اخ سعدان الذي لا يزال ملقى على الارض موثوقا مخدشا وفيه بقية رمق ينظر ما يحل بابنه وما يقع عليه وهو مسلم أمره لله سبحانه وتعالى

قال وبقى ونك في عذاب ابن اخ سعدان حتى انقطع عنه النفس وفقد الحياة أي انه مات ولم يعد يقدر ان ينظر الى هذه الدنيا وبقى يضربه وهو ميت نحو من ربع ساعة . ثم دنا منه لحركه فوجده قد فارق الحياة فوقف مبهوتا وقد تأثر من ذلك لا شفقة على موته بل ضياعه من يده كيف مات دون ان يعلمه بوجود فيروزشاه وبالاسارى الذين هربوا من السجن واختفوا في المدينة ومن ثم تركه واراد ان يوهم على اخيه مردار الثاني عله ان يعترف ويعلمه بما هو يطلبه ولذلك امر ان يؤتى بحزمة من الحطب الى تلك الساحة فاحضر طلبه في الحال فاقامه في الوسط واشعل الحطب حتى التهب وثارت منه الشرار واحمر من الداخل والخارج اى اصبح نارا تلتهب والناس وقوفا لا يعلمون ماذا يقصد وقد فكروا ان في نيته ان يحرق شلو المائت لكنه تقدم من مردار وقال له لقد نظرت بنفسك ما حل بابيك واخيك من العذاب الموجع وأحدهما مات من يدى وهو يصر لجهله وخسافة عقله على الانكار ومثله ابوك وهو يقاسي أشد الاوجاع وأوجع الشدات ملقى على الارض أشبه بالمائت ومع ذلك يطلب الموت ولا يقر بما اطلبه منه ولم يبق الا انت وها قد احضرت الحطب واشعلت النار من أجلك فاما الاقرار واما الاحراق والعذاب وبعد الموت فاختر لنفسك ما يحلو ولا تكن كابيك واخيك فما من رحمة تلقى عندى الا اذا اعلمتني بمكان وجود الايرانيين ولك فرصة نصف ساعة تفكر فيها وتراجع ضميرك وفيما بعد لا وسيلة للندم اذ تكون النار احرقتك بسرعة والتهب جسمك بشدتها .

فلما سمع مردار كلامه وكان اصغر من اخيه عمرا الا انه كان أشد قلبا وأثبت جنانا فقال في نفسه لو كان في الاقرار نفع لسبقني اليه ابي واخي وكيف يمكنني ان اخبر بمكان وجود اناس قد اكلوا زادنا واقاموا عندنا زمانا وهم رجال الله الاتقياء واصفياءه

فخير لى أن أموت والحق باخى لأنى لست أفضل منه من أن أبيح بسر يرغب أبى فى كتمه ولذلك صاح على مسمع من الجميع ويلك يا ونك لقد جرت كل الجور وظلمت ولم ترع جانب العدالة والرحمة ولا نظرت إلى ما تطلبه منك شريعة النار التى أنت تعبدها ولا إلى ما يرغبه إلهك جهان الذى أوصاك بالرفق غير أن ظلمك هذا لا يؤثر فى رجال قد اعتادوا على عبادة الله سبحانه وتعالى وسلموا بانفسهم اليه واتكلو عليه وأرى من الاوفق لى أن أموت محروقا بلهيب هذه النار فأنال فى الآخرة ثوابا مجيدا وحياة أبدية لأنى على يقين انى أرضى الله فسوف يحرقك نار ملامة هذه الدنيا ويكون لك من العذاب أضعاف ما عذبت به غيرك وأخيرا تلاقى غضب ربك وتحرقك نار غيظه وتعذب عذابا أبديا ثم التفت نحو الناس وقال هكذا أخبروا جهان أن الرحمة فقدت من بلاده والظلم ساد على كل العباد ولا من ظالم الا ويبلى باظلم منه . ثم بعد أن فرغ من هذا الكلام صاح بصوت عظيم أقبل نفسى يا الله ضحية مقدسة وقفز إلى وسط تلك النار التى هى أشبه باتون ملتهب التهمت حياته فى الحال وأحرقت قلب أبيه ذاك المسكين الذى كان ملقى على الأرض على آخر حياته فبكى بالرغم عنه ولم يعد يلتفت إلى أوجاعه وأكداره وتأثر من هذا العمل وانفطرت مرارته وكره فى الحياة وطلب من الله أن يجمعه بولديه قريبا ولا يطيل فى عذابه . وفى تلك الساعة ارتفعت أصوات الناس وأكثروا من البربرة واللوم وما فيهم إلا من لام ونك ولعنه واتفق كثير منهم أن يسرعوا إلى جهان ويعلموه بشدة هذا الظلم وساروا إلى أن جاءوا دار الأحكام وهم يصيحون ويبكون ويولولون فسأل جهان عن الخبر وأمر أن يحضروا اليه فوقف جماعة بين يديه وسجدوا إلى الأرض ثم عادوا وقوفا مطرقين إلى الأرض وقالوا ليطل الله عمر سيدنا الملك وإلهنا الرحوم لم يسبق أن وقع فى مدينة الصين ظلم قط ولا رأى الناس ما يرونه فى هذه الايام ولا ريب أن النار ستغضب علينا وتذهب البلاد من أيدينا لأن عواقب الظلم ردية ولم نسمع قط بملك أربما كم ظلم وجار إلا ولقى شر ذلك ولم يسبق لنا أن رأينا منك وسمعنا عن أجدادك عملا من مثل هذه الاعمال التى يعملها ونك عيارك ثم انهم حكوا له كل ما رأوه من ونك وما شاهدوه من ظلمه وكيف قتل ولدى أخ سعدان وعذبه هو ولا يزال فى الساحة العامة وربما أماته أيضا فتكدر الملك من هذا الخبر ووزيره مهريار وقد قال مهريار أن ذلك لم يكن بعلم سيدى الملك ولا يريده ولا بد من أنه يجازى ونك على فعله وهذا ما يثبت لنا أن كلام الجارية كذب ونفاق لا أصل له وإلا لو كان فيروزشاه والأسارى عنده أو كان له علم بمكان وجودهم لحكى عنه وأخبر به واشترى حياة ولديه ورفع عنهما الموت والعذاب أو بالحرى

كانا هما أخبرا به إذ لم يكن من صالح يطلبانه عنده بعد الموت وفى حياتهما صالح أوفق وافضل . فقال منكوخان أنت تؤكد أن لابد من وجود أمراء الفرس داخل المدينة وقد تسببوا فى خلاص الأسارى الذين كانوا عندنا واصرار أخ سعدان وأولاده على الانكار معصية بحق الملك إذ لابد من أن يكون عندهم علم بذلك ومعرفة بوجود فيروز شاه وإلا ما هو الموجب لتلك الجارية المقيمة الآن فى هذا المكان لتشهد عليه أن تتجاسر وتخبر الملك بامر لا أصل له ولا علم لاخ سعدان به فالظلم فى مثل هذه الأحوال واجب ضرورى لحفظ الادارة واظهار قصاص الملك ومجازاته للخائنين المنافقين

وكان الملك مطرقا إلى الأرض يفكر فى هذا الأمر وقد تاثر عظيما مما حل على اخ سعدان وأولاده وفى الحال دعا بالجارية أن تدنو اليه وتقف بين يديه ولما وصلت قال لها لقد قلت سابقا أن فيروز شاه والأسارى وجماعة من الابطال والفرسان موجودين فى بيت اخ سعدان فذهب ونك إلى البيت وفتش فيه فلم ير احدا ومع ذلك فقد خاف ان يكون قد نقلهم إلى بيت آخر فاخذ فى اقراره وعذابه وعذاب ولديه حتى ماتا احدهما حرقا والآخر عذابا بالضرب ولم يعلم احد منهم بوجود الذين تزعمين انهم كانوا عندهم وانى ارى انه لو كان كلامك صحيحا لكان اخ سعدان اعترف به ومنع الموت عن ولديه ولا قبل بهلاكهما لاجل رجل غريب وقوم لا ينفعونه الآن نفعا يعادل موت اولاده وقد ظهر لنا ان كلامك كذب لا اصل له ولا صحة ابدا وقالت لا يمكن ان اجسر على ان اكذب على سيدى الملك وكيف ارمى بنفسى فى هكذا خطر واحكى عن شىء لا اصل ولا وجود له مع انى خدمت فيروز شاه وامراء الفرس اكثر من اربع سنوات اطبخ لهم واغسل واقوم باحتياجاتهم كلها لا يبرحون عن نظرى الا فى وقت المنام فهل من الممكن ان لا اعرفهم او أن انسب إلى اخ سعدان ارتكاب مثل هذه الخيانة دون أن يكون لها صحة وانى اقسم بالنار ذات الشرار ان كل ما اخبرتك به صحيحا خال من شبهة التزوير والالتباس وأما إذا كنتم ما وجدتم فيروز شاه والفرس فى بيت اخ سعدان فيكون قد نقلهم إلى بيت رفيقه فيرموز لانه صفيه ولا احد يعلم بوجودهم غيره وذلك انه جاء إلى البيت بعد خروجى منه فوجدنى قد بارحته فعرف انى ساخبرك بامر ضيوفه فنقلهم من بيته وانى اثبت الآن انهم ساروا إلى بيت فيرموز الجراح مختفون فيه وسوف يظهر لك الامر فترجح لجهان معنى كلامها وامر فى الحال احد الشرط ان يذهب إلى ونك ان يسرع إلى بيت فيرموز الجراح ويفتش هناك لانهم دون شك موجودون عنده فسار الشرطى مسرعا بأمر الملك وجاء ساحة العذاب وبلغ ونك امر سيده وانه

يذهب حالا إلى بيت فيرموز . وكان ونك بعد أن شاهد فعل مردار وكيف انه أحرق نفسه بيده حالا تكدر من ذلك كيف انه فضل الموت على الاعتراف ووقف مبهوتا لا يعرف ماذا يفعل وممن يستعلم عن مكان وجود رجال ايران لان أخ سعدان أصبح على حالة الموت فاذا ضربه أو عذبه مات لا محالة فلا يعود يستفيد منه عن غايته وولداه قد ماتا ومامن سبيل فى استنطاقهما وأخباره بالاعتراف والاقرار وبقى على ذلك نحوا من نصف ساعة يفكر فلم ير وسيلة الا مداراة أخ سعدان الى أن يعود فيقدر على الكلام ويتقوى جسمه ولهذا أمر أحد الجند أن يتقدم منه ويرفعه عن الأرض ويسقيه الماء ويربط له جراحه . وفى تلك الساعة وصل رسول الملك وأخبره أن يذهب الى بيت فيرموز لان الجارية أخبرت أنه لابد أن يكون نقلهم الى هناك كونه كان شريكا له فى الخيانة وخدمة الأعداء . فأخذ ونك الجنود وسار الى بيت الجراح وهو لايصدق أن يصل اليه ليقبض على فيروزشاه وجماعته وينال من الملك الانعام والاكرام الزائد وعلو المنزلة الرفيعة

ولابد للقارىء أن يكون فى نفسه شيء عن معرفة وصول الملك ضاراب الى بلاد ايران أو انه يلومنا على تركنا حديث عين الحياة مدة طويلة دون أن نفكر بها أو نحكى عنها شيئا ولذلك صار من اللازم أن نذكر أن الملك ضاراب وصل ايران بمزيد العظمة والاحتفال وهو بذاك الموكب الذى تخلف معه من العجائز والمتقاعدين والذين تجاوزوا الأربعين ولم يعد فى وسعهم الحرب وصار من اللازم قيامهم فى المدينة لأجل المحافظة عليها والدفاع عنها وعن ملكهم عند الحاجة كما تقدم الكلام وبعد وصول الملك ودخوله المدينة عين لكل واحدة من النساء الأميرات اللاتى تزوجن قصرا مخصوصا لها وأقام عندها الخدام والخادمات والعلوفات التى كانت تقدم لهن على الدوام من سائر أسباب الراحة ولأولادهن من موجبات الاعتناء والتربية وأقمنا على أهنى عيش لا يكدرهن شيء البتة الا غياب أزواجهن وكل واحدة تعتنى بولدها غير أن طوران بخت زوجة سعفر شاه لما كانت لم تلد قط البتة ولم يحل لها أن تقيم وحدها فى قصر مخصوص طلبت أن تقيم فى قصر عين الحياة لتتسلى بها وبولدها وتتذكر على الدوام ماكان من أمر مستقبل حياتهما وما مر عليهما ويتذكران أيضا محبة زوجيهما وحبهما الخالص وماذا كان وسيكون من أمرهما . وكان بهمن ابن عين الحياة قد كبر كغيره من الاولاد وتجاوز السبع سنوات وفى هيئته وصفاته مافى أبيه فيروز شاه . ولما بلغ هذا السن ورأى الملك ضاراب انه من الواجب عليه ان يعتنى بهم ويعين لهم الأساتذة والمهذبين والمربين والمعلمين ففعل ووضع لكل ولد أستاذا مخصوصا ويعلمه ويهذبه ويربيه على حسب معرفته وكانت عين الحياة

مسرورة جداً مما تراه بنجابة ولدها وفطنته تسر به وتتكدر على الدوام عند ما تفتكر بأبيه وما كان لها معه وكيف قد غاب عنها وعنه وكيف أنه يتربى بعيداً عن أبيه لا يعي عليه حق الوعي ولا يعرفه حق المعرفة وكانت تتأمل فى كل مدة أن يعود اليها منصورا ظافراً من بلاد الصين ويشاهده على تلك الحالة يترعرع ويكبر ولهذا كانت تعتنى به غاية الاعتناء من جهة تربيته على الحكمة والمعارف ومع أنها تعرف أنه سيكون ذات يوم إذا بقى حيا ملكا لايران ويكون له شأن عظيم وأن ملكه لا يقوم إلا بالبسالة والنشاط والاقدام إلا أنها كانت تكره من حالتها وما هو عليه أبوه من البسالة التى أوجبته إلى سلوك المخاطر والأهوال والتنقل من مكان إلى مكان والقائه بنفسه على الدوام بين ألوف من الفرسان محاطا بالأخطار مزدحما بالجيوش بما يترك القلوب على الدوام فى خوف واضطراب من أجله وكانت تعلم أيضا أن الملك يقوم بالحكمة والدراية والتدبير وحسن السياسة أكثر ما يقوم بالبسالة أى أن الملك إذا كان حكيما عاقلا مدبرا ينفع بلاده وقومه أكثر مما إذا كان شجاعا مقداما وإن الاقدام والشجاعة وقوة الجنان يلزم أن تكون برجاله ومن هم على جيوشه كالبهلوانية والمقدمين والفرسان ولهذا كانت تصرف الجهد إلى تربية ولدها على مثل هذه الحالة ولم تتركه قط يميل إلى تعليم الفنون الحربية او تأذن له ان يحضر التمرينات القتالية التى كان يجريها الفرس على الدوام فى ساحة التمرين . وعلى هذا كان يتعلم الآداب والحكمة ويرغب فى دروس تواريخ العالم واخبارهم ويهتم بتخطيط الخطوط الجغرافيه ومعرفة حدود كل مملكة وبلاد والطرق الموصلة اليها وبعد البلدان عن بعضها وأين موقع كل واحدة منها وما لها من الاهمية التى تذكر لاجلها بين الملوك وفى التواريخ وغير ذلك من معرفة حوادث حكماء الزمان ومن منهم امتاز عن الآخر إلى غير ذلك وفى ذات يوم كانت عين الحياة جالسة مع طوران تخت يتحدثان بأمر ما سبق لهما من الزمان وكل واحدة منهما تسأل الاخرى ماذا يا ترى تظنين انه جار على رجالنا وهل انهم لا يزالون فى الحرب او قد انتهوا منها او هل أصيبوا منها بتأخر والحق بهم مصيبة مكدرة وفيما هما على مثل ذلك دخل بهمن بن عين الحياة وقبل يد امه وطوران تخت ثم قال لامه هل يطول غياب أبى يا أمى وهل لم يأت منه خبر بعد لانى سمعت الناس يحكون عنه أنه صار له زمان طويل فى حرب الصين ولا سيما أستاذى فانه حكى لى عنه فى هذا اليوم قصصا كثيرة وقال لى أنه من افضل عالم هذا الجيل وقد طاعه الانس والجان وخدمته السحرة والكهان وسطا على كل مدينة وبلد ومما حكاه لى أنه قوى العزم متين القوى لا يقدر أحد من الفرسان أن يقف امامه بخلاف ما كنت تحكيه لى أنت فانك لم تخبرينى قط إلا بانه كان عاقلا محبوبا

من جميع الناس وأنه موفق وبعناية الله قد ساد على العجم والمصريين واليمنين وغيرهم فأى متى أقدر أن أراه وهل يسمح لى الزمان ان أقبل يده وأناديه ياأبى وأقول أنا ابنك فجرح هذا الكلام قلبها وتكدرت مزيد الكدر وإذ زرفت من أعينها دمعة سخية بالرغم عنها ولم تعد تقدر على منع مابقلبها فقالت له نعم يا ولدى ان أباك بطل هذا الزمان وفارسه وقدذل لسيفه كل جبار عنيدولهذا السبب تراه بعيدا عنا يقاتل الأعداء ويتسلط على بلادهم ويذلهم ولم تكن فيه الشجاعة وحدها مزية حميدة بل كل صفاته نادرة المثال فقد جمع الله فيه الحسن الذى لم يكن فى غيره والفصاحة والحلم والرقة والكرم وكل شىء حسن وعليه فانى لاأريد أن تفكر بالشجاعة فالحكمة خير منها وأما اجتماعك به فلابد أن الله يعيده الينا عن قريب منصورا ظافرا ويراك على هذه الحالة فيفرح بك ويقبلك ألوف قبلات ويسر منك كل السرور فقال لها وإذا كان لم يعد الينا منصورا ظافرا فهل يمكن أن نذهب نحن اليه ونرى كيف حاله ونبقى عنده ومتى جاء يجىء معه قالت هذا لايمكن لأن البلاد الموجود فيها بعيدة جدا وهو فى الحرب ولايقبل جدك الملك ضاراب أن تذهب اليه أن نبارح هذه البلاد قال لها انى سأطلب من جدى أن يرسلنى اليه لأنى لاأقدر أن أبقى بلا أبى فانى أحبه كثيرا فزاد هذا الكلام فى احتراقها ولوعتها وكررت انسكاب دمعها وهى تحاول اخفاءه دون جدوى ثم تركته وذهبت إلى غرفتها وبكت لوحدها بدموع سخية وأنت واشتكت ولامت الزمان وفعله وما أوصل اليها من شره وأذاه حتى كاد يغشى عليها ثم أنشدت من فؤاد موجع :

على القلب المعذب أن يذوبا ويادمعى عليك بأن تصوبا
فؤاد كله أمسى لهيبا وجسم كله أضحى مذوبا
أتذكر لى حديثا عن حبيبى وتنكر أن ترى دمعى صبيبا
بحمد الله أفنى السقم جسمى فلا أخشى عليه أن يذوبا
وأعجزت اللوائم والنواحى واياأست العوائد والطبيبا
إلى كم ذا العذاب وليت شعرى على م أطلب يابدر المغيبا
تجن جوانحى قلبا طروبا تكن شغافه شغفا مذيبا
وحسب الشوق ان أفنى دموعى وأن الدمع قد أفنى الغروبا
ومثلى من يذوب اليك شوقا ومثلك سيدى يصبو القلوبا
وما قصرت فى الكتمان لكن دموع العين أشهرت الرقيبا
وحق لمقلة فقدت كراها لفقدك أن تفيض دما سكوبا

وكانت عين الحياة ذات محبة صافية ووداد متين وتعلق بفيروز شاه نادر المثال

حتى كان يندر بغيرها من ربات الحجال ان يحببن أزواجهن كحبها له ولذلك كانت في حال غيابه هذه المرة أشد حسرة وتألما واحترقا مما قبل فكان لا يسليها الا مناشدة الأشعار والنظر إلى ابنها إذ تتوسم فيه سمات اللطف المطبوعة على وجهه الداله على لوائح أبيه وعلائمه . وكذلك طوران تخت فانها بقيت ثابتة العزم فى الحب وقد خالفت فيه من زعم أن الزواج وحصول كل من الزوجين يضعف من جسمهما على التمادى ولا سيما إذا لم تربطهما الروابط الجبرية أى أن الزوج والزوجة بعد زواجهما بسنة أو سنتين تموت فيهما تلك الحاسة الفعالة المنبعثة عن شدة الحب والغرام السابق ولو لم يأنهما الاولاد لما يثبتان كثيرا فى وجه هذا الرابط المقدس وزعم أن الزوج والزوجة الذين يلدان ويقيما على تربية أولادهما معا على الغالب أشد حبا لبعضهما من الزوجين إذا لم يلدا . غير أن طوران تخت كان حبها ينمو ويتزايد لأنها كانت ذات صفات كريمة وهى تعلم أنها تحب شخص مصفرشاه محبة دعتها اليه كرامته وأنها ارتبطت معه برابط الحب القديم وبداعى الشريعة المقدسة المطهرة فما من مانع إذن يقدر أن يمنعها عن محبته وما من سبب آخر يدعوها إلى أن تعمل على إضعاف حبا من قلبها لأنها كانت ذات أطوار محمودة وضمير حى . ولما شاهدت فى ذلك اليوم عمل عين الحياة وبكاها على غياب فيروزشاه تأثرت من ذلك كل التأثر ولهذا السبب هاجت بها الذكرى إلى مصفرشاه واغتمت لكثرة غيابه وكيف أنها أقامت بعده عدة سنين منفردة عن الناس لا ترى أحدا سوى عين الحياة وولدها وهى مثلها قائمة على البكاء والنواح وعليه فقد دعاها شوقها إلى بث ما فى ضميرها من الشكوى فأنشدت

من لنفس طال فى الحب عناها ... لم يدع منها الهوى الا دماها
اشرب الدمع ليطفى حرها ... نفد الدمع وقد بل صداها
ان تكن هانت على متلفها ... فلقد عز دواها وعزها
وطلول باللوى بالية ... جدد البلوى وما رثت بلاها
سحبت ريح النعامى ذيلها ... فى رباها فلذا طاب شذاها
أنفذت عينى دمعى ودمى ... وأراقت فى البكا حتى كراها
من معيرى مقلة أبكى بها ... فعسى يرتاح قلبى ببكاها
لو رأى المحزون يوما مقلة ... للبكاء تشرى بمال لاشتراها
لا يجف الدمع من أجفانى ذى ... شجن الا إذا الحزن ثناها
لمن العيس بوارى المنحنى ... كالحنايا شدوها جذب براها
لم تزل تقطع أجواز الفلا ... بالفلا حتى طوته وطواها

رزما كانت إذا سابقها | موشك البرق شأنه وتلاها
وهي اليوم إذا ما زجرت | فترامى وقد الفتر خطاها
ضحك البرق عليها شامتا | فبكت من عيها حتى بكاها
وكذا الدهر وشيك غدره | ما رأى ذا عزة إلا تفاها
كلما انت من الوجد اشتكى | الم الوجد اليها حاديها
أيها الركب قفوا لى وجروا | بتلاقى مهجة قبل فناها
بالذى قدر ان تودى بنا | فرقة الاحباب لما ان قضاها
هل لكم علم بسكان الحمى | اى ارض نزلوا منها حماها
كل ارض نزلوها صيروا | تربها مسكا وكافورا حصاها
وحلوا ليلا وفى اظعانهم | شمس حسن ليس يغشاها دجاها
اى حين طالعت غرته | آية الليل محتها بسناها
ذو عيون كل من ابصرها | قال من ساعته ياقلب آها
انفقت نفسى حياتى بعده | وحشة يا ويحها ماذا دهاها
فارقت لا عن ثقال القهما | فرات من بعده عارا بقاها

ثم سلمت بنفسها إلى ايدى الآمال وهى ترجو حسن الاستقبال قائمة على الذكرى ومناشدة الاشعار . وهكذا كانت حالة انوش بنت الشاه سليم فانها مع ما هى عليه من الشوق والوجد والهيام والاشتياق إلى فرخو زاد وحب التقرب منه كانت مهتمة كل الاهتمام بولدها اردوان لا سيما عند ما رأت انه ميال لتعلم فنون الحرب والقتال والطعن والنزال ينتظر فى كل اسبوع تجمع رجال الحرب فى ميدان التمرين ليذهب اليه ويتفرج عليه ويتعلم ما يمكنه ان يتعلمه ولذلك سألت الملك ضاراب ان يعلمه هذا الفن الشريف فقال لها لا بد من ذلك لانه سيكون ذات يوم بهلوان البلاد بعد عمه بهزاد ولذلك دعا بعبد الخالق القيروانى ومرادخت الطبرستانى وشبربن الشيبلى الطلقانى وسلم كلا منهما ولدا من اولاد الامراء أى سلمهم اردوان ابن فرخو زاد من انوش وشيرواه بن خورشيد شاه من تاج الملوك وشيرزاد بن كرمان شاه من كولندان واوصاهم بالاعتناء بهم وتعليمهم كل ابواب الحرب وفنونها وتعويدهم على ركوب الخيل والغارات . فاجابوا طلبه واخذوا فى انفاذ امره واما بزر جمهر بن طيطلوس فانه تقدم معنا ان والدته نور بنت بيداخطل الوزير كانت تعرف كل المعارف والفنون مع اصولها وفروعها فكانت له استاذا ومهذبا ومربيا بوقت واحد وعودته على كل خصال ابيه ومعارفه ودرسته كتبه وعلمته لغات العالم المتنوعة بحسب ما كان يؤمل منها طيطلوس لانه كان مرتاح الفكر من هذا القبيل لعلمه ان

الزوجة إذا كانت مهذبة صاحبة ذكاء وتدبير وحكمة تنفع ولدها بأكثر مما ينفعه الأساتذة والمربون والمهذبون والمدارس بحيث تكون قادرة على أن ترضعه تلك المعارف منذ ارضاعه لبنها وتدرجه على حسن الأطوار حين تدريجه فى حال الحيوة فينمو ويشب ولا يرى أمامه إلا حكمة وتهذيبا وكيف ما مال يرى التفاتا وعناية وان الأم مع ما هى عليه من الشفقة والحنو تقدر على تربية ولدها تربية حسنة إذا استعملت الادراك والحكمة حال تحريكهما أى تحريك الشفقة والحنو وعليه فان بزرجمهر هذا يخرج أندر من أبيه حكمة وإدراكا ومعرفة ويكون له شأن عظيم واسم أعظم فى كل الدولة الفارسية وإننا سنترك أولاد الأمراء والفرسان على تلك الحالة وهم يتقدمون فى السن والمعارف حتى كادوا يقربون من درجة التراهق ونرجع إلى ما يجرى فى بلاد الصين إلى حين مسيرهم إليها ووصولهم لمساعدة آبائهم ونصرتهم .

تركنا طيطلوس يقاسى شدة الحرب والقتال مع ديدار وعساكر الصين وقد تجمعوا عليه كل التجمع وهو يدبر بحكمته وعنايته حالة الحرب ويطاول فيها ينتظر الفرج دون أن يحصل عليه فيحاصر أياما فى الآكام ويحارب أياما يفرق الجيوش بحسب معرفته وتدبيره وخورشيد شاه وجمشيدشاه على الجيوش يدافعان عنها ويناضلان بكل جهدهما وعنايتهما ومثل ذلك كانت الجيوش تظهر جهدها وتقاتل أشد قتال لتثبت إلى حين مجىء فرسانها ورجوع ملكها وسيدها اليها وكانت تتأخر يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وهى مصرة على الثبات وجهان يطيل معها الحرب والقتال ويحاول هلاكها بالوباء أو بالجوع وإذا فرغ منها الزاد وقل منها العلوفات وهى كلما قل معها الزاد ترسل فتحضر من مدينة السرور ما يكون قد تهيأ لها حتى مضى على ذلك عدة سنوات وفى كل صباح ينتظرون أن يصل اليهم سيدهم فيروز شاه لأنهم لم يقطعوا الأمل من وصوله قط بل كان لهم كبير أمل برجوعه اليهم ويعلمون أن وجوده بينهم يعيد لهم النصر والظفر وكان طيطلوس الحكيم يقوى فيهم هذه الآمال ويعيدها عليهم فى كل يوم ليثبتهم فى وجوه الأعداء ولا يضعفهم اليأس وقطع الرجاء .

هذا وكان قد تقدم معنا أن فيروزشاه ورفاقه كانوا قد نقلوا إلى بيت فيروز الجراح وان ونك قصد البيت المذكور للقبض عليهم غير أن فيروز لما أدخل فيروزشاه وأمراء الفرس كان خائفا كل الخوف من الجارية أن تذكر خيانته لدى الملك جهان فيتذكر أنهم ربما يكونوا عنده ولذلك خرج إلى بيت أخ سعدان ليرى ما يحل به فوجده قد قبض عليه وعلى أولاده والعساكر قد نهبت بيته ولم تبق له شيئا وأخذوهم إلى ساحة العذاب فعرف أن لابد من وصول الدور اليه ولم يكن خوفه على نفسه بل على الأمراء

المذكورين ولذلك جاء إلى منزله ودخل على فيروز شاه وقال له اعلم ياسيدى أن بيتى هذا مطروق لكثرة ازدحام الناس عليه على الدوام من المجاريح والمصابين بالأوجاع واخاف أن يطلع أحد على أمركم فيه بينما أنتم تتدبرون إلى المرور من أبواب المدينة والخلاص منها وقد وجدت من الاصابة نقلكم إلى بيت والدتى لأنه منزو فى مدخل ضيق ينتهى إلى صدر حى لايمر فيه إلا جماعة من الشحاذين أو الذين لايهمهم مثل هذه الأمور مع أن المكان واسع لطيف يوافق لاقامتكم فيه إلى حين تدبير طرق الخلاص فقال بهروز انى كنت فى شاغل من اقامتنا فى بيتك فاسرع بنا إلى منزل أمك فاننا فى حاجة إلى مثل هكذا منزل الآن وفى الحال نهض بهم وسار من بيته وقلبه يخفق من أن يعلم بوجودهم أحد غير أن الناس كانوا مشغولين بما يجرى على أخ سعدان وأولاده والفكر موجه إلى أن أمراء إيران عنده يعرف مكانهم ولازال سائرا إلى أن وصل إلى بيت أمه وقال لها انى هؤلاء الضيوف عندك وإياك من أن تعلمى أحدا بوجودهم وإلا إذا عرف أحد بذلك أفقد حياتى وأموت لامحالة فوعدته أن تكتم أمرهم وأدخلتهم إلى داخل بيتها وقامت فى خدمتهم ولم يكن هناك غيرها وأما فيرموز فانه خاف من أن تبيح زوجته بأمر رجال الفرس فأسرع ودعاها اليه وقال لها انى الآن واقع بين خطرين فاذا ذكرت شيئا عن الفرس ووجودهم لاأخلص من غضب الملك وأكون قد فعلت خبيثا ومكدرا معهم لأنهم ملوك الزمان ومثلنا يعبدون الله سبحانه وتعالى ويخدمون كلمته وإذا لم أعترف بهم ولم أذكرهم لابد من عذابى وعذابك أيضا لنقر ونعترف وهذا أفضل على جدا من أن ألقى برجال الله إلى أيدى أعدائهم عبدة النار وكل خوفى الآن من ان تعترفى أو تذكرى عنهم ولابد من سؤالك فماذا تقولين .

فضحكت من كلامه وقالت له أتظن أنكم أنتم الرجال أشد منا أمانة وحفظا على السر فسوف ترى انى وان قدمت إلى الموت أبقى محافظة على غايتك وألاقى الموت برغبة وقبول دون أن أبدى لك ما يغيظك ويكدرك ويذهب براحتك فموتى أهون لدى بكثير من أن يقال عنى انى خنت رغائب زوجى وفعلت مالا يرضيه وكان فيرموز يعلم أن زوجته من أفاضل النساء وأنها محبة له تحافظ على وصاياه كل المحافظة ولذلك ارتاح ضميره من قبلها ولهذا نقل من بيته كل ماهو عزيز عنده من مال ومجوهرات ونحوها وعاد الى البيت وهو لايعلم ماذا جرى على أخ سعدان وأولاده بعد قودهم الى ساحة العذاب إلا أنه ما استقر فى منزله حتى كان قد وصل اليه ورنك ومن خلفه الجنود ورجال الشرطة واحتاطوا بالمنزل من كل جهاته ودخل هو بفرقة منه الى الداخل وقبض فى الحال على فيرموز وعلى زوجته وأسرع الى التفتيش فى كل أنحاء المنزل دون أن يجد أحدا منهم

ومن ثم عاد إلى الخروج وسأله عن أمراء الفرس فقال له لا أعرف ماذا تعنى فأين هم أمراء الفرس وأين وجودهم وماذا يوصلهم إلى وهل يقال عنى وأنا جراح الملك وطبيبه أنى أخونه وأقبل فى بيتى أعداءه . قال لا بد من أنك تعرف بمكان وجودهم فان أخبرت به صادفت خيرا وتركتك وإلا عذبتك شديد عذاب وفعلت بك مافعلت بأخ سعدان فقد قتلت ولديه وتركته مخدشا من الضرب والأوجاع . فلما سمع فيروز هذا الكلام تكدر على فقد أولاد أخ سعدان وعوض أن يخاف من أن يصاب مثله بالعذاب مالت نفسه إلى أن يقتدى به وقال فى نفسه لله درك يا أخ سعدان ما أشد أمانتك وحفظك على رجال الله ولا ينبغى أن أكون أقل أمانة منك . ثم قال لونك العيار إذا فعلت فى أضعاف ما فعلت به لما قدرت أن تعرف شيئا لأنى برىء وكيف يعذب البرىء وإنى أعرف ظلمك وغدرك وخيانتك لرجال وطنك فافعل ما أنت فاعل وإنى أسلم أمرى لله سبحانه وتعالى .

قال وكان ونك قد رأى زوجته فعرف أنه يقدر أن يعرف منها لعلمه أن النساء لا يكتمن الأسرار ولا يثبتن عند العذاب ولذلك أمر أن يقبض عليها وتوثق وتقاد إلى ساحة العذاب حيث موجود أخ سعدان فقبض عليها وسيقت مع زوجها وهى تتحمل العذاب والاهانة بصبر جميل إلى أن وصلوا إلى نصف الساحة وهناك أمر ونك أن تقدم الامرأة فقدمت فقال لها انظرى إلى هذه الساحة كيف ملطخة بدماء اخ سعدان وأولاده وهو ذاشلواولديه المقتولين أمامك لأنهما أصرا على العناد والكتمان وهكذا يصير بك وبزوجك إذا امتنعت عن إخبار الحقيقة فاعلمينى أين سار أمراء الفرس وفى اى مكان موجودين . فقالت إنى لا اعرف ما تقول ولا اعرف امراء الفرس ولا غيرهم ولا ارى غير وجه زوجى فلا تظلمنى يظلمك الله ويحرقك بنار وعيده . فاغتاظ من كلامها وامر ان تاتى إلى الارض وان تجرد من ثيابها وتضرب وفى ظنه أنها متى ضربت اعترفت ولم يكن من اصحاب العرض والناموس ليشفق عليها ويراعى حرمة فضيحتها ولما كان الشرط مامورين بطاعته اجابوا طلبه وهم مكدرون منه واخذوا فى ان يضربوها واخذ هو سوطا وجعل يضربها ويقول لها اخبرينى بالحقيقة فارفع عنك العذاب وهى مصرة على التجاهل إلى ان غابت عن الوعى واخذت فى النزاع وهو لا يشفق ولا يرحم حتى ماتت وفارقت روحها جسدها فانفطر عليها كل قلب وحزنوا اكل الحزن وكانت من بنات اشراف الصين وقد بلغ الخبر اباها فهاج وارغى وجاء ساحة العذاب وهجم عليها وبكى ولعن ونك وتحزب له جماعة من اقاربه وكثير من الناس الذين يعرفون بفضل فيروز لانه كان صاحب

حسنات ومعروف يداوى الكثير منهم بلا أجرة وحالوا بين ونك وبين فيرموز وقالوا لا يمكن أن نتقاعد فى هذا الأمر فقد قتلت أولاد أخ سعدان وعذبته ومن ثم قتلت زوجة فيرموز وهى من بناتنا فكيف يمكن أن يكون عندها علم برجال الفرس ولا تخبر بهم ثم انقضوا على الامراء فرفعوها بين أيديهم على تلك الحالة ورفعوا ولدى أخ سعدان على عواتقهم وساروا بأخ سعدان أيضا وأسرعوا إلى دار الحكومة وكان قصد ونك أن يدافع عنهم بما معه من الجند فلم يقدر لأن الشرط لم يقبلوا ذلك وصاحوا أن ملكنا لا يقبل ذلك ولا يليق بنا أن نهلك رجال المدينة على هذه الصفة وساروا مع من سار إلى الملك جهان وكان إذ ذاك فى ديوانه ينتظر خبراً من ونك بوجود الفرس وبالقبض عليهم وإذا به يسمع أصواتا وغوغاء وصياحا فسأل ما الخبر فقيل له أن جمهوراً من الأهالى يقصدون الدخول عليك . فأذن لهم بالدخول وهو منعطف الخاطر لا يعلم ماذا يريدون وقد حسب حساب وقوع مصاب جديد ولما دخلوا عليه سجدوا له كالعادة ثم وقفوا وتكلم أبو امرأة فيرموز وقال أنت تعلم يا سيدى أننا منذ نشأة هذه الدولة إلى هذه الأيام ونحن مكرمون فيها لا نهان قط من أحد واعتبارنا عند ملوكها لا يزال باقيا سلفا عن خلف ونحن مخلصون فى خدمتنا للدولة نقدم أموالنا ورجالنا ولم يكن فى عهدنا أن نكافىء على أفعالنا الحميدة بالقتل والاهانة والفضيحة ثم أمر أن ترمى بنته أمام جهان وقال انظر كيف صار بنتى من عيارك الظالم الغادر الخائن فلو كان ممن يسعون فى حب الدولة لما سعى فى إهانة ساداتها أهكذا يفعل بنسائنا وأعيننا ترى ولا نتكلم أملا بوجود الاسارى أو غيرهم الذى قد يمكن أن يستحيل وجودهم فى بيت أحد من مثل صهرى فيرموز ولولا طمع ونك منك بالمال لما اقدم على مثل هذه الأعمال ولو ترك على غايته لأحضر رجال المدينة واحداً بعد واحد يعذبهم ويعذب نساءهم ويميتهم ليحصل على كمية من الدراهم . ثم تقدم بعده جماعة من الذين شاهدوا أعمال ونك وحكوا مفصلا أمام الملك وقالوا إننا لو لم نعلم أنه مفوض منك لقتلناه غير أننا نعرف أنه عيارك ومنفذ أمرك فصبرنا عليه إلى أن وجدنا منه مثل هكذا أفعال قبيحة كقتل زوجة الجراح فثبت عندنا أنه لا يمكن أن يكون حاملا أمرك بمثل هذه القبائح ولذلك منعناه . ثم رموا أيضا بجثة علم الدين ومردار ولدى أخ سعدان وقدموا اليه أيضا أخ سعدان وهو بتلك الحالة التى تلين قلب الجماد .

قال فلما رأى جهان هذه الحالة انفطرت مرارته وكان كما تقدم معنا سابقا لين العريكة يحب العدل والانصاف ويكره الجور ويعتقد برداءة عواقبه ونظر إلى وزيره مهريار فرآه ينظر إلى المقتولين ويبكى بدموع غزيرة فتأثر هو أيضا ونزل عن عرشه

وقال لقد أخطأ ونك وارتكب أمراً عظيما فأتوا به إلى فأدخلوه وهو غير مبال بهذه الحالة . فقال له جهان إنى أمرتك أن تذهب إلى بيت أخ سعدان فتقبض على من عنده من أمراء الفرس وتأتى به مقيداً هذا إذا كانوا فى بيته فذهبت وفعلت مالا تحمل النار فعله وقتلت ابنى أخ سعدان وعذبته العذاب الأليم فلو كان يعلم بوجود أمراء الفرس لما احتمل مثل هذه الاهانة والعذاب ولاقبل بموت ولديه ولم يكفك ذلك حتى تعديت على الحريم وقتلت سيدة من سيدات الصين لا تنظر إلى عاقبة ذلك أمرتك بالتفتيش والبحث لم آمرك بالموت والعذاب . قال إنى عرفت أن لا بد أن يكون عند أحد الاثنين أى أخ سعدان وفيروز علم بوجود رجال الفرس ولذلك طلبت منهما الافادة فلم أستفد شيئا لأنهما يعبدان الاله الذى يعبده أولئك ويحفظان حرمة بعضهما . قال لقد فعلت قبيحا وأهان كلام ونك عموم الحاضرين فلم ير جهان بدأ من قصاص ونك ترضية للناس ولأبى المائتة ووجد أنه يستحق ذلك . ثم أمر أن يرمى إلى الأرض ويضرب عشرين سوطا ففعلوا وهو يصيح ويستغيث على ما أصابه إلا أنه كان سميك الجلد لايؤثر فيه الضرب متى رفع عنه ولا يتألم منه بأكثر من وقت وقوعه عليه وكان مهيار تألم كثير الألم من عمل ونك بأخ سعدان وفيروز لأنهما مثله يعبدان الله وقصد أن يوقع بونك ودخل فى ذهنه أن فيروزشاه لا بد أن يكون تحت معرفتهما وقد جاء لأجل خلاص الأسرى وخلاصهم وأنهم تخلصوا بمساعدتهما وتاقت نفسه كل التوق إلى أن يعرف فيروزشاه ويتعرف به ويود مقابلته ولذلك أراد أن يهتم بحسم هذه المسألة ومنع التفتيش فى البيوت فدنا من جهان وقال له لا يجب ياسيدى ونحن فى ظروف كهذه أن نغفل عن مراعاة راحة العباد وعدم قلقهم مع أنهم يبيعون أرواحهم فى سبيل قيام المملكة وتعززها وإنى قانع كل القناعة أن أمراء الفرس لا وجود لهم عند أخ سعدان وفيروز وقد ظلما وقتل ولدا الأول وزوجة الآخر ظلما وعدوانا وكيداً من ونك ولا علم لهما بهم وعندى أن لابد من وجود أسباب عدوانية بين أخ سعدان وهذه الجارية التى سعت به لديك ووشت عليه ومن الواجب معرفة ذلك لتعرف الأسباب الداعية قال وأنا أيضا أفكر بهذا الأمر ولا بد من عداوة أو سبب قصدت لأجله الانتقام من اخ سعدان فاسأل أنت عن هذا الامر والخصه بمعرفتك واجل الحقيقة فى هذه الساعة لننتقم من المتعدى . فاجاب سؤاله وفى الحال أمر أن يقدم أخ سعدان إلى بين يدى جهان فلما وقف قال له إن ما أصابك لم يكن بعلم منى بل كان من ونك وونك لم يكن مخطئا كل الخطا بل كل الشر كان من المخبر الذى وشى عليك فهل بينك وبين أحد عداوة دنوية . قال يا سيدى من الذى قصد ضرى ومن الذى أخبرك بهكذا أمر لا أصل ولا فصل له .

قال هي الجارية التي كانت عندك وقد خدمتك كل هذه الايام وأكلت في بيتك وربت كل أولادك وخدمتهم . قال اعلم ياسيدي أن زوجتي ماتت وولدي صغيرين ليس لهما من يخدمهما لا عمة ولا خالة فدعتني الضرورة أن أستاجر هذه الامرأة وكانت إذذاك في سن الصبا وقد طمعت بان تكون هي صاحبة البيت أي زوجتي وقالت لي انها لا تقبل أن تقيم في بيتي إلا إذا تزوجت بها فقلت لها إن ذلك لا يوافق مادام ولدي صغيرين لكن عند كبرهما أتزوج بك ولا يكون إذ ذاك من مانع فاقتنعت من كلامي وهي على أمل منه وأنا لا أعتقد به لاني لا أرغب أن أقترن بفتاة وما قلت لها ذلك إلا لتقوم بمداراة أولادي حق القيام وعلى هذا الوعد بقيت إلى هذه الايام وفي كل مدة تراجعني وتطلب إلى الايفاء وأنا احاولها وقد يظهر لي الآن انها قطعت رجاءها من زواجها بي وادركت سر غايتي وعرفت اني لا ارغب فيها ولا اريدها فغاظها ذلك وكدرها ورماها في الياس ولما لم ترو سيلة للانتقام مني وقد وجدت نفسها في حالة إهمال ترقبت الفرص وانتظرت الزمان الموافق إلى ان سمعت باخبار الاسارى وهربهم فقصدت الاضرار بي من هذا الباب وفي ظنها انها تشهد علي به ولا خفاك ياسيدي انها خرجت من البيت ولم اكن اعرف انا ولا كنت حاضرا إذذاك ولا لاح بذهني قط انها تاتي لبين يديك بمثل هذه الوشاية وقد اقمت في بيتي منتظرا عودتها . فلو كان رجال الفرس عندي فالي اين اذهب بهم ومن اين يصلون إلي وانا كل نهاري في غرفة الكتابة قائم على ضبط حسابات الدولة فهل يصدق ان ادخل لبيتي جماعة الاعداء ولو كنت اعرف بمكانهم لاخبرت به حالا ولاقبلت ان تسقط شعرة واحدة من رأس احد ولدي اللذين قتلهما ونك ولا احتملت عذابه ونظرت الدماء تتدفق من جسدي كما تراها الآن . ثم بكى اخ سعدان وصاح واولداه واحشاشة كبداه هما سلوتي في الدنيا وحيداي وليس لي من معين غيرهما أحرق قتلهما كبدي والهب فؤادي فلا سامح الله الظالمين الطغاة وبكى ايضا فيروز على زوجته بكاء الثواكل وكذلك ابوها حتى بكى جهان وقال لاخ سعدان سامحني بما فعلت معك فاني وإن كنت لست المتعدي عليك لكن كنت السبب بهذا التعدي وإني امرت ونك أن يذهب اليك وإذا لم تسامحني فلا يليق بي أن أكون رسول النار لاني فعلت ما لا ترضاه وغاب عن ذهني معرفة الحقيقة حتى جليت الان وسوف تظهر الحقيقة اكثر فاكثر .

ثم إن جهان أمر الجميع أن يخرجوا من حضرته وأن يؤتى بالجارية فخرج الجميع وقدموا الجارية لبين يديه فامر مهريار أن يسالها بحضوره ليعلم صحة العداوة الواقعة

بينها وبين أخ سعدان فقال لها مهريار ان ما حكيته عن اخ سعدان وجد صحيحا وقد قبض على رجال إيران وجازينا المذكور على فعله لكن عرفنا انه كان وعدك بالزواج فلما لم تتزوجى به عند ما كنت فى بيته وكيف لم ترض بذلك . قالت انى راضية به يا سيدى كل الرضاء غير ان اخ سعدان رجل كذاب منافق خبيث اتى بى إلى بيته ووعدنى إذا خدمت له اولاده حتى الخدمة اقترن بى وجعلنى صاحبة بيته فصبرت كل هذه المدة وانا ارجو منه الوفاء وان يقترن بى فلم يفعل حتى كبر اولاده فاعرض عنى كل الاعراض والحمد لله الذى قتلا وذاقا الممات فهذا جزاء الناكر له على خدمتى وجدى فى سبيل ترتيب بيته فقال لها مهريار وهل لم يدفع لك اجرة وانت على خدمته . قالت نعم لكن لم اكن راغبة بالأجرة بل كانت غايتى ان اقترن به واكون كبقية النساء ذات بعل . فقالت لها لقد قلت فى المرة الاولى انك اكثر من اربع سنوات على خدمة رجال الفرس فى بيت اخ سعدان وانك حبا بصالح الملك والمملكة اتيت لاعراض امرهم لديه فلما لم تأت منذ البداية اى من حين دخول الفرس لبيت اخ سعدان إلى سيدى الملك واخبرته بهم ليعرف منك حبك له ولدولته . فلم ترد له جوابا على سؤاله بل تلعثم لسانها . فاستدرك مهريار الامر وقال لجهان لقد ثبت وجود العداوة الآن بين هذه الكاذبة واخ سعدان فهى تستحق القتل على كل حال لان ان كان وجود امراء الفرس منذ اربع سنوات عندأخ سعدان وكتمته تكون قد شاركته بالخيانة ووافقته عليها وإذا كان كلامها من قبل الكذب بناء على العداوة التى اعترفت بها فتكون السبب بموت أولاده وزوجة فيروز فاقتنع جهان بذلك وثبت لديه كل الثبوت ان كلام الجارية كذب وفى الحال أمر أن ترفع من بين يديه إلى ساحة العذاب وأن ترفع على خشبة هناك وتمات صلبا . فهجم عليها الجنود إجابة لطلب الملك ورفعوها على خشبة وعلقوها فى نصف الساحة التى عذب بها أخ سعدان . ومن بعد ذلك أمر الملك أن يدفع لأخ سعدان دية ولديه . وأن يضاعف معينه ومثل ذلك لفيروز ، وأمر الآخر الجراح أن ياخذ اخ سعدان إلى بيته وأن يداوى جراحه ويصرف كل العناية لشفائه وراحته وساله السماح عنه وعن ونك وأن لا تبقى ضغينة فى قلبيهما فسجدا له وقبلا الارض بين يديه ودعيا له بطول العمر وخرجا من عنده مسرورين والناس تحمد الملك وتشكره على عدالته ورحمته وكيف انه جاز المتعدى على تعديه وهكذا انحسم هذا المشكل وانتهت غاية مهريار الوزير على أحب مايريد ويشتهى وهو يتمنى ان يذهب إلى فيروزشاه ويلاقيه وقد ثبت كل الثبوت عنده ان أمراء الفرس فى المدينة وأن فيروز وأخ سعدان يعرفان بوجودهم وصبر إلى الليل ليذهب إلى بيت فيروز ويستعلم عن الحقيقة

قال وبعد أن خرج فيرموز ذهب بأخ سعدان إلى بيت والدته لمداواته وكان فيروزشاه وجماعته قائمون هناك فرآها ساعية وهى تتوكأ على عصاها وتسرع بالمسير فاندهش من عملها وتركها البيت وقال لها إلى أين أنت ذاهبة الآن وكيف تركت الضيوف .

قالت انى ذاهبة إلى الملك جهان لأعلمه بأن الضيوف الذين عندى هم المطلوبون إذ بلغنى أنهم قتلوا زوجتك لهذه الغاية ولم تعترف وأخذوا بك إلى جهان وخفت من أن يلحق بك أذى والناس تواردت هذا الكلام كثيرا فلكى نرفع الشبهة عنا قصدت أن أبلغ الملك ليرسل من يقبض عليهم فصاح بها وقال لها أسكت ولا تفوهى بكلمة من هذا المعنى وإذا ذكرت شيئا قتلنى لأن الملك إذا عرف أنى كذبت عليه وقبلت أعداءه قتلنى فاياك من ذكر شيء من هذا اذا كنت ترغبين فى سلامتى وراحتى .

فقالت الحمد لله الذى ما وصلت إلى الملك والذى وجدتك هنا . ثم ارجعها إلى بيتها وادخل أخ سعدان على أمراء الفرس وهو ملوث بالدم وجسده مثخن بالجراح فاغتاظ فيروزشاه من هذا المشهد القبيح وسأل فيرموز عنه وما هو السبب الموجب لهذا العمل فحكى له كل ما وقع عليهما من ونك كيف قتل ولدى أخ سعدان أحدهما عذابا والآخر حرقا وكيف عذبه العذاب الأليم وأخيرا قتل زوجته هو وجميعهم مصرون على عدم الاعتراف فلما سمع هذا الكلام عض كفيه من الغيظ وصاح على غير وعى من الألم وبكى بكاء الثاكلات وعظم عليه الحال وكبر لديه وقال لفيرموز لقد أخطأتم فكان أحرى بكم أن تخبروا بوجودى فانى أقدر وأنا مع ابطالى هؤلاء وفرسانى ان اوقع برجال المدينة واخلص الذين قتلوا وسفكت دماؤهم وهم ابرياء لا ذنب لهم ولا خطيئة فواقه العظيم واقسم باشد الايمان ان لا بد من قتل ونك

انتهى الجزء الحادي والثلاثون ويليه الجزء الثاني والثلاثون

الجزء الثاني والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وعذابه اشد العذاب وانى اذم الزمان الذى رمى بى الى هذه المدينة ومنع طرق الخروج عنى والآن قد ارتاح ضميرى من كل شيء من جهة امراء دولتى الذين كانوا فى الاسر وسأجهد نفسى الى تدبير وسيلة لرجوعى الى عسكرى الذى لا اعلم ماذا جرى عليهم وماذا صار بهم . فقال بهروز انه مازال بهزاد فى المعسكر لا خوف عليه من الاعداء فهو قادر ان يصونه ويحميه الى حين وصولنا ولو بقينا عدة سنين واما نحن فلى ثقة اننا فى هذه الأيام نبارح المدينة ونعود اليهم ونوقع بالاعداء ونجازيهم على افعالهم وحينئذ قال فيروز انى اخفيت عنك شيئا يا سيدى لم يكن فى قصدى ان اخفيه انما سهى عن بالى ذلك وهو أن بهزاد أخذ أسيرا وبعث الى قلعة شوسان شهر . فصاح فيروزشاه صيحة الاسف وشعر أن مرارته قد انفطرت وكاد يغيب عن الصواب وقال من الذى قدر عليه وأسره فحكى فيرموز له ماوقع بين ديدار بن كركانى الساحرة وكيف أنه اسره وارسله الى بلاده . فزاد ذلك فى غيظ فيروزشاه وندم على دخوله الى المدينة وعرف أن كل ذلك بسماح من الله وسأل فيرموز عما يسمع عن حالة الفرس وهل هم ثابتون فى القتال قال نعم ياسيدى كانوا قد ثبتوا مدة طويلة إنما فى هذه الايام بحسب ما هو شائع أنهم فى ضيقة عظيمة وقد لجئوا الى الآكام وعساكر الصين مع عساكر ديدار تطاردهم ولا تمضى ايام قليلة الا ويتفرقون كل مفرق هذا ما كنت اسمعه قبل هذين اليومين الذين وقعت علينا هذه المصيبة بهما واما فى هذا اليوم فلم اسمع شيئا وفى الغد ان شاء الله آتيك بالاخبار الصريحة وكان فيرموز يتكلم وفيروزشاه وامراؤه الفرس جميعا يتحرقون مزيد التحرق ويعضون على اكفهم ويطلبون من الله ان يكون خلاصهم من المدينة قبل تفريق الجيش ليدفعوا عنه المصائب ويعيدوا اليه انتظامه والاهلاك ولا يعود الى الانتظام مرة ثانية .

قال كل هذا يجرى فى المدينة مما تقدم ذكره وجيوش ايران عاملة على الحرب والقتال واقفة فى وجوه رجال الصين وديدار وهى ترى امامها مستقبلا مجهولا لا تعلم مصيرها الى خير او الى شر اذ كانت تتوقع رجوع فيروزشاه وبرجوعه يرجع اليها النصر والظفر وتعيد لنفسها العظمة والمباهاة التى كانت لها قبل غيابه او انه يتأخر رجوعه عنها فتعدم قوتها ولا تعود تقدر على الوقوف فى وجه اعدائها فتتبدد ولا تعود

تقدر على الاجتماع مرة ثانية وثبتت على هذه الحالة إلى تلك الايام التى كان فيها فيروزشاه فى داخل المدينة عند ام فيرموز كما تقدم إيراده حتى ضعفت شوكة الايرانيين كل الضعف وشعروا بما هم عليه من التأخر فاجتمعوا عند طيطلوس لينظروا فى تدبير امر ينجيهم من تلك الضيقة إلى حين اوان الفرج . فقال لهم طيطلوس انى رايت بينما كنا آتين من مدينة السرور إلى هذه البلاد جبالا صعبة المسالك متينة إلا أنى لا أعلم إذا كان يوجد فيها ماء أو مرعى لرعى خيولنا ومواشينا إذا أقمنا عليها وحاصرنا داخلها ولهذا أريد أن يذهب طارق العيار إلى تلك الجهات ويرى لنا مكانا مناسبا فيها نحاصر إلى حين إتيان الفرج . فاستصوبوا رأيه وبعثوا طارق يكشف لهم الاخبار . وفى نفس تلك الليلة اجتمع منكوخان بديدار وتفاوضوا فى أمر القتال فقال منكوخان إن الأعداء قد أصبحوا على نية التفريق فلا يثبتون فى هذه النواحى أكثر من يومين أو ثلاثة أيام ثم ينقرضون وتنفرط جموعهم . قال إنى أعرف ذلك وعليه فقد عولت فى النهار الآتى أن أفاجئهم بكل جهدى وأسد عليهم كل الأبواب حتى إذا كان المساء ولم ينته القتال أحط بالقرب منهم وأضايقهم كل المضايقة وفى الصباح أباكرعليهم فلابد من أنهم يتفرقون ويبادون ثم إنهم باتوا على مثل هذه النية ورجال الفرس تفكر بالهرب والالتجاء إلى الجبال والاحتماء من الأعداء وهى فى حالة ذل وانكسار تنوح حظها وتبكى حالتها وتطلب من الله تعالى قرب الفرج ولا تعلم أى متى يكون ورجال الصين وديدار فرحون ومسروورون بما نالوه من النصر والظفر يتخابرون بأمر انقراض الأعداء وطردهم عن تلك الديار .

وفى صباح اليوم التالى نهضت عساكر الفرس إلى الأمام واصطفت عساكر الصين وفى عزمها الهجوم وإنهاء ما نويت عليه فى ذاك النهار إلا أنها قبل أن أجرت ذلك تقدم بيلتا إلى طيطلوس وقال أريد منك يا سـيدى أن تسمح لى هذا النهار بقتال ديدار لانه لم يعد بين رجال الفرس من الفرسان غيرى وإنى أحب المطاولة بالنزال مع ديدار عسى أن الله سبحانه وتعالى يخولنى بالنصر عليه فأرفع عن قومى شر سطوته فدعا له بالتوفيق وقال له انزل اليه وافعل مابدالك وفى الحال توسط الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان الميدان ثم وقف فى الوسط وصاح بعالى صوته ويلك ديدار إن كنت من الفرسان الشداد أبرز إلى فى هذا اليوم لانجز أمرك وأقصف عمرك وإن كنت لا تعرفنى فأنا بيلتا بن فيلزور البهلوان أخو بهزاد الذى غدرت به واجتمعت بكل عسكرك عليه . قال فلما سمع ديدار كلامه أرغى وأزبد وقام وقعد وسقط إلى أمامه وقال له ويلك أيها الصغير السن أتظن بنفسك أنك تقف أمامى أو تقدر أن تلقى شدة حربى وصدامى ثم هجم عليه هجمة الآساد . فالتقاه

بثبات عزم وفؤاد . وأخذ فى الطعان والطراد . حتى غابا عن الأبصار . تحت حجاب ذاك الغبار . وهما تارة يجتمعان وتارة يفترقان . كأنهما أسدان ضرغامان . لا يأخذهما عن الحرب هدو ولا توانٍ . ولا يخافان من التعب أو يحسبان حساب الهلاك والعطب حتى نظرت اليهما أولئك الأبطال نظر العجب . وعلموا أنهما من الفرسان المعدودين بين العجم والعرب وبقيا على مثل هذا الأمر . وهما بقتال أشد من لهيب الجمر . وكل طائفة من الطائفتين تدعو لصاحبها بالنصر إلى ما بعد العصر . وإذ ذاك خافا من فوات الوقت دون أن يبلغ أحدهما من الآخر القصد والمرام واختلف بينهما ضربتين قاضيتين بالهلاك والاعدام وكان وقوعهما على الدرق بوقت واحد فوقعت ضربة ديدار على طارقة بيلتا وسقطت عنها بقوة عزم ومتانة زند فأصابت فخذه وجرحته جرحا بليغا غيبه عن الصواب وسقطت ضربة بيلتا عن طارقة ديدار إلى رقبة جواده فبرتها كما تبرى الأقلام وفى الحال هجمت الأبطال إلى خلاصهما وادراك خورشيد شاه بيلتا فانتشله من الميدان وادرك منكوخان ديدار فرفعه ودام القتال إلى المساء وافترقوا على تلك الحالة ينتظرون الصباح وقد تكدر طيطلوس كل الكدر مما أصاب بيلتا لأنه هو وحده كان الباقى بين الرجال وكشف عن جرحه فوجده بالغا وانه يحتاج إلى عدة أيام إلا أنه غير خطر فصرف أكثر ذاك الليل فى مدواته ووضع عليه المرام إلى أن انقضى الليل وجاء الصباح

قال وفى الصباح نهض الفريقان إلى ساحة القتال وقد ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول وتعددوا أعظم تعداد وتقدمت عساكر إيران من بين الآكام على مثل تلك الحالة وفى مقدمتهم خورشيد شاه وهو كالأسد الكاسر وقد نظر طيطلوس إلى الأعداء فوجدهم على استعداد فوق العادة وقد أقلعوا خيامهم ورفعوها على البغال فعرف ما نووا عليه وأنهم يقصدون فى المساء ضربها عند حدود عساكره ليضايقوه كل المضايقة وعليه أمر هو أيضا جماعة من الخدام أن تقلع الخيام وترجع بها عند اشتباك القتال إلى مسافة ثلاث ساعات فتضربها هناك فلا تنفذ فيهم غاية الأعداء . ولم يكن إلا القليل حتى حملت الأبطال على الأبطال والتقت الرجال بالرجال . واتسع على الفريقين سوق المجال وبطل بينهما القيل والقال . وسلما بارواحهما إلى البيض الصقال . وودعا هذه الدنيا وداع الارتحال . ولاقت عساكر إيران من المصائب والأهوال ما لم يسبق أن لاقته منذ أجيال . لأن ديدار فعل فيها فعل الأبطال . وغاص فيها من اليمين إلى الشمال . وقد خلا له الجو فطال واستطال ولم يكن فى رجال إيران من يمنع شره أو يلاقيه أو يدفع ضره أو يدنيه ولهذا كانت تفر بين يديه كما تنفر العصافير من الباشق الكبير وكان خورشيد شاه قد ثبت فى ذاك النهار . ثبات المجد والافتخار . لعلمه أنه

رأس الجيوش وحاميها بعد غياب أبطالها . وابتعاد أفيالها . إلا أنه كان غير كاف بالمقصود لأن عساكر الصين كانت أضعاف الأضعاف وهي مؤملة بالنصر تقاتل من قلب ملوء من الأفراح تنتظر نهاية الحال وانفلال الأعداء من أقرب مجال وقد اشتدت ظهورهما بديدار . الأسد الكرار والبطل المغوار . وبقية الحرب قائمة على تلك الحال إلى أن ضربت طبول الانفصال . وكف الفريقان عن الحرب والقتال . وحينئذ نزل ديدار عن ظهر الجواد وأمر أن تنزل العساكر وان لا ترجع إلى الوراء فنزلت وضربت خيامها في ذاك المكان وفي ظنه أنها اختلطت بمضارب الفرس وأنه لاصقهم كل الملاصقة غير أنه تعجب لما لم ير أحدا منهم في تلك الناحية بل وجدهم قد تأخروا إلى الوراء حيث كانت خيامهم مضروبة وهم بعيدون عنه أكثر من ثلاث ساعات وبعد أن دخل صيوانه وأكل الطعام وارتاح وجلس وهو يعتز بنفسه ويعجب كل الاعجاب كيف أن كسر الفرس كان عن يده ومن سطوته أتاه منكوخان وجلس عنده وهنأه بالنصر والظفر وقال له ها قد فر الأعداء عنا إلى أكثر من ثلاث ساعات ولا يلبثون أن يتفرقوا تماما في الغد أو ما بعده وقد كان ظني أنهم لا ينتبهون إلى قصدنا بل يبقون في هذا المساء إلى أن نباكرهم عند الصباح ونلقي عليهم حبال المصائب والأتراح . قال كيف كان الحال لابد من تفريقهم وتشتيت شملهم وتبديدهم أليس هم الذين ضربت بهم الأمثال في كل مكان وملكوا من بلاد فارس إلى بلاد الرومان وجاءوا هذه البلاد وفعلوا فيها أفعال الجان حتى هابهم الملك جهان وها انى ببركة النار قد فزت عليهم وانتصرت وبعد أيام لا يبقى لهم قط أثر في هذه البلاد وان كان قد بعدوا عنا تأمينا لهم منا إلا اننا لابد من أن نتأثرهم كيف ساروا وإلى أي جهة مالوا حتى لا تعود تقوم لهم قائمة قط ولا يطمعون بالعود إلى هذه البلاد ثانية فشكره منكوخان ومدحه وهو يندهش من بسالته وإقدامه وقال له لقد ثبت عندي وعند الملك جهان وكل رجال الصين أنك سيد الأبطال وأوحد الفرسان كيف لا وأنت الذي أسرت بهزاد بن فيلزور البهلوان وكسرت جيوش إيران الذي لم يسبق لها أن كسرت في غير هذا المكان واني أسأل من النار ذات الدخان أن تبعث الينا بواعث النصر والامان في كل زمان ومكان . ولا تحرمنا من الانتفاع بما من البسالة للأبطال والفرسان . ثم انهما باتا تلك الليلة ينتظران الصباح ليفعلا به ما يؤملان ويطاردان جيوش إيران لتجلى عن ذاك المكان

وأما طيطلوس فانه عند ما دقت طبول الانفصال أشار إلى العساكر بالرجوع إلى الوراء وان تتبعه حيثما صار فساروا في أثره قسما من الليل وهم تعبون من قتال النهار إلى أن وصلوا إلى الخيام فنزلوا بها وقد رأوا الاعداء بعيدين عنهم فأمنوا منهم

كل التأمين ودخل طيطلوس صيوانه وهو من الغم والهم فى بحر واسع لا يعرف ماذا يفعل أو كيف يتخلص من الأعداء بعد أن تغلبوا عليه وهو قليل الفرسان والقواد ولم يكن بين يديه إلا خورشيد شاة وأخوه جمشيد شاه ولما استقر به المقام دخلا عليه مع القواد الثاويين وأقاموا بين يديه ليعلم بماذا يشير عليهم فقال لهم لقد ثبت عندنا الآن أننا بضيق عظيم ومامن وسيلة لخلاصنا إلا برجوع فيروزشاه أو بمساعدته تعالى ولا نعلم ماذا يكون هذا وعليه فانى كما قلت أمس مصر كل الاصرار إلى الدخول بين الجبال والقيام على ظهر الآكام نحتمى بها من العدو ونقاتل عندها وانى أنتظر بعد ساعات قليلة رجوع طارق العيار ووصوله الينا بأصدق الأخبار عن المكان الذى بعثته اليه لينظر فيه ويختار لنا المكان الموافق منه وغير هذا لاشىء أعاق الأمل به مؤقتا ومن ثم أقاموا على انتظار طارق إلى أن جاءهم بعد نصف الليل وهو يلهث من كثرة الاسراع وقال لطيطلوس إنى فتشت فى ذاك المكان الذى أشرت اليه فوجدت فيه مكانا للدفاع لو أقمنا فيه سنينا لما قدروا أن ينالوا منا مرادا أو يبلغوا قصدا لكن لسوء الحظ لم يكن فيه قط عين ماء نستقى منها لنبقى كل هذه المدة على الحصار فتكدر طيطلوس من هذا الخبر وأطرق إلى الأرض برهة ثم رفع رأسه وقال لطارق خذ أنت وبقية العيارين فى تهيئة الماء وتموينه فاملئوا القرب وارفعوها على ظهور البغال وفى الغد تأخذ الفرسان فى نقل الخيام بينما تكون نحن فى القتال وتضربها فى تلك الجبال فنقاتل إلى المساء وعندما يقبل الظلام نسير إلى تلك الناحية ولا ريب أن الأعداء يتأثرونا إلا أننا نقدر أن نحتمى منهم عدة أيام فاذا فرغ المساء منا تدبرنا إلى طريقة تتوصل اليه بها وعندى أن الله لا يتركنا إلى حد النهاية وانه سيأتينا بالفرج من مكان قريب لا نعلم ولا ندرى فسبحانه لم يهملنا قبل الآن وغير هذا لا أرى وسيلة تقينا يوم واحد فوافقه الجميع عليه وأخذ طارق وروضة وكودك وجماعة من الخدم كثيرا من القرب على ظهور البغال وساروا ليملئوها ويأتوا بها إلى تلك الجبال كما أمرهم طيطلوس وأمر أيضا فرقة من الفرسان والمشاة أن تشتغل فى اليوم الثانى أثناء الحرب والقتال بنقل المضارب والخيام وبقية الاحمال ولا تترك فى تلك الأرض شيئا مما يختص بهم بحيث انهم عند المساء يسيرون على أثر ذاك المكان فلا يأتى اليوم الثانى إلا وهم عليه

قال وقبل صباح اليوم الثانى بثلاث ساعات أمر ديدار أن تنهض العساكر وتركب خيولها وتسير فى أثر الفرس ليدركهم فى مكان وجودهم عند الصباح فلا تضيع فرصة من النهار فركب الجميع وأمر أن تقلع المضارب والخيام وتحمل إلى ذاك المكان ولا تضرب إلا الى المساء أى أينما كانوا عند المساء هناك تنصب المضارب

فاجابوا أمره وسار هو في مقدمة جيوشه ومنكوخان فى مقدمة جيوش الصين وما جاء الصباح الا وهم يلاصقون جيوش الفرس وقد رآهم طيطلوس فنهض ونهض خورشيد شاه وضربت طبول الحرب وثارت الفرسان إلى خيولها وهى على نية القتال والتأخر الى الوراء كما أمرها طيطلوس إلى أن تتوصل إلى الجبال . وما أشرقت الشمس ولاحت بنورها الوضاح إلا واشتعلت نار الحرب والكفاح وعلا من القومين الصراخ والصياح . ونادى منادى الموت بالمظالم والاتراح . وزوال النعيم والأفراح فعمل الصيف القرضاب . فى نواعم الرقاب . واتخذت لها الصدور أغمادا . ونشر الغبار عليهم من سائر الجهات قتاما وسوادا . وأنزلت المصائب على جيوش الفرس أزواجا وأفرادا . ورأوا من قتال أعدائهم طعانا وطرادا . لم يروا مثله قبل ذلك الآن . ولا كان له قط فى حسبان . ولذلك جعلوا يتأخرون وهم يقاتلون ويدافعون ويمانعون ويناضلون وهم كأسود الغاب . ينتظرون الويل والعذاب . بقلوب لا تخاف الموت ولا تهاب . ولاسيما خورشيد شاه وأخوه جمشيد شاه فانهما بذلا فى ذاك اليوم جهدهما وأظهرا من شدة الحرب والقتال منتهى ماعندهما ودافعا عن رجالهما الدفاع المجيد . واكتسبا فى القتال الذكر الحميد . إلا أن ديدار كان يفعل بأكثر من فعلهما لأنه بطل صنديد . وفارس شديد . وعسكره أكثر بأضعاف وكان النصر مكفولا عنده بخلاف الفرس فانهم كانوا على نية الكسرة والرجوع الى الوراء ليحتموا بالجبال وقد لاحظ منهم ديدار هذا التأخير فادرك غايتهم ولذلك جاد بطعنه وقتاله وهاجمهم مهاجمة صناديد الأبطال كي يضعفهم كل الضعف فى ذاك النهار ومن ثم فى المساء يكون ملاصقهم فان نزلوا نزل وإن ساروا سار فى أثرهم ولا يدع لهم مجالا ولا طريقا للأمل والخلاص من حربه وأن لا يرجع عنهم ما لم يهلكهم عن آخرهم . وبالاختصار فقد ذاقوا فى ذاك النهار شديد الهلاك والبوار . وهم لا يصدقون باتيان الزوال . ليرجعوا عن القتال . ويأمنوا على أنفسهم من شرب كاس الوبال ولازالوا على تلك الحال . إلى أن جاء المساء وضربت طبول الانفصال . فرجع الفريقان . وتركا الحرب والطعان . ومن ثم أمر طيطلوس أن تتأخر عساكره وتسير فى ظلام الليل إلى ذاك الجبل قبل أن تنزل عن خيولها أو تاخذ لأنفسها الراحة أو تذق الطعام فسارت بحسب أمره وهى تجالد على حمل الاثقال والثبات فى وجه المصائب والأكدار . فتكدر ديدار من عملها وخاف إن صبر إلى الصباح يتمكن الايرانيون من الفرار أو يتخذون لهم ملجأ أمينا يقيهم منه عدة أيام ولذلك أمر رجاله أن تسير فى أثرهم وتتاثرهم إلى آخر ما يمكن أن يصلوا ففعلوا وعاد الايرانيون يسيرون فى تلك الليلة المدلهمة يقصدون الجبال أملا بالخلاص من قتال الصينيين وديدار وهم لا

يصدقون أن يصلوا قبل طلوع النهار وعن بعد أعداؤهم يسيرون على مسيرهم وقد ترجح عندهم أن لا بد من الايقاع بهم وطردهم من كل بلاد الصين وهلاكهم وقبل بزوغ صباح اليوم الذى بعده وصل الفرس إلى الجبل وعندها أمر طيطلوس أن تنزل العساكر عن خيولها لتاخذ لانفسها الراحة فى ذاك المكان وأن تصعد الخدم بالخيام إلى رؤس الجبال حيث يشير اليهم طيطلوس فيضربونها هناك . ففعلوا ماأمرهم به وما أشار عليهم ونزلوا إلى تلك الساحة وقد استلموا مطلع الجبل وأمنوا على أنفسهم بعض الأمان إذ خطر لهم أن يتسلقوا الجبل إذا احتاجوا ويحاصروا فى أعلاه ويقاتلوا بالنبال والعمدان إلى أن يبعث الله لهم من عالم غيبه مايدفع عنهم تلك الشدة . وكان طيطلوس يعتقد كل الاعتقاد وفى ذهنه أن لا بد من وصول فيروزشاه اليهم ورجوعه عليهم أو أن يدا أخرى ترفع عنهم هذه المصائب

قال وعندما بزغت شمس صباح ذاك النهار نظر طيطلوس إلى الوراء وإذا به يرى عساكر الصين قد حطت بالقرب من ذاك المكان مقابلة لعساكره فتعجب من ذلك وعلم أنهم ساروا كل الليل مسيرا يعادل مسيرهم حتى انتهوا إلى مكان منتهاهم وأنهم فعلوا ما فعلوا إلا أنه كان على يقين ثابت من أن الأعداء عالمون بما هم عليه وأنهم لا يضيعون فرصة ساعة بدون جدوى . ولذلك كان يطلب من الله أن يساعده ليقدر على كبح غايتهم وارجاع كيدهم إلى نحرهم ولم يباشروا حربا فى ذاك النهار لأن رجاله كانوا يقاسون التعب والمشاق . ويتألمون من الجوع ومسير الليل وحرب النهار السابق ولهذا كانوا فى حالة اليأس والعذاب وعرف طيطلوس انهم محتاجون إلى الراحة كل الاحتياج ولذلك قصد ترك الحرب فى ذاك اليوم ولاسيما أنه كان يحب أن يتفقد حالة بيلتاوجرحه إذ كان يهتم به ويحب أن يشفى باقرب وقت حيث فى شفائه راحة كبرى لهم لأنه كان على الدوام يقاتل فى وجه ديدار وقد حمى الجيش هو وخورشيد شاه عدة أعوام ولولا جرحه لما لحق بهم هذه الكسرة بوقت قريب . وأما ديدار فانه بعد أن وصل إلى تلك الارض وحط فيها أمر عساكره أن لا تكون فى ذاك اليوم على نية الحرب لأنهم كانوا مثل رجال إيران تعبون من المسير والقتال على الراحة وإذ ذاك تهبون عليهم دفعة واحدة وتحتاطون بهم من كل الجهات وتزدردونهم بافواهكم كما تزدردون الطعام فها قد وصلنا إلى النهاية وأصبحوا على آخر رمق من الحياة والثبات فاقاموا على مثل تلك الحالة كل فريق ينتظر الصباح وطيطلوس قائم على مداواة بيلتاوهو من الهم والحزن على جانب عظيم يندب حظ العساكر ويخاف سوء العاقبة وكان يعرف أن الثبات فى وجه العدو يكسبه شرفا وينوله مراده من المطاولة إلى حين ظهور خبر فيروزشاه وفرخوزاد وكرمانشاه ومن

معهم من العيارين ونحوهم ولهذا كان على الدوام يقوى الفرس بأقواله ويخطب فيها ويهيجها إلى الثبات وفى تلك الليلة دعاهم اليه وخطب فيهم وسألهم الثبات إلى مدة ثلاثة أيام وقال لهم فى هذه المدة لابد أن يبعث الله لنا بالفرج ويرجع الينا فيروز شاه أو من ينقذنا من هذه الأهوال ويكون أيضا قد شفى بيلتا وقدر على الحرب والطراد فتنالون بعض ما تؤملون . فقال له خورشيد شاه إنى أريد منك ياسيدى أن تسمح لى بمبارزة ديدار فى اليوم القادم لأنى أعرف أن ثبات رجال الفرس هو بديدار فاذا قتلته كان لنا بعض النجاح وحاولنا المطاولة بقدر ما نريد . قال انى أخاف عليك منه لأنه من الفرسان المشاهير والأبطال المغاوير ويندر وجود مثله فى هذا الزمان بسالة وتدبيرا قال انى متكل عليه تعالى ولى رجاء وثيق بانه لا يتركنى مغلوبا بين يديه بل يقدر لى النصر عليه . قال انى أطلب لك من الله سبحانه وتعالى أن لا يهمل أمرك وأن يقرب منا كل ما نرجوه من الظفر والتوفيق

وصرف الفريقان ذاك اليوم لا يبدون حربا ولا قتالا يروضون أجسامهم ويريحونها من التعب والملال اللذين كانا قد لحقابهم ولما كان الصباح الذى بعد ذاك اليوم نهض ديدار وهو كالأسد الكاسر وكذلك منكوخان وقد أمر طبول الحرب أن تضرب من قبل نصف الليل ليعلم الفرس أنهم على نية حرب وقتال ونهضت أيضا كل رجال الصين من الكبير الى الصغير وفى نيتهم أنهم يهجمون على الفرس فيحاصرونهم ويغنمون منهم الأموال والغنائم ويبددونهم كل التبديد . وركبت أيضا جموع الفرس وهى مصرة على القتال فاذا ثبتت بقيت فى مراكزها وإلا تسلقت الجبال وصعدت إلى أعاليها وحمت نفسها هناك ولا تسلم لسطوة الأعداء وتنقرض وهما من عظم قوتهم إلا بعد أن تفقد كل قوتها وتضيع ولا يبقى لها مقدار ذرة من الأمل والقوة وبينما كانت تصطف الصفوف وتترتب المئات والألوف سقط إلى وسط الميدان خورشيد شاه وصال وجال ولعب بالسيف الفصال . لعبا يحير عقول الرجال ثم وقف فى الوسط ونادى برجال الصين وقال ويلكم أيها الطغاة ان كنتم تطمعون أنفسكم بنا وترغبون غنائمنا فما نحن ممن يغتنمون وإننا سنقاتل إلى الساعة الاخيرة من حياتنا ولا يغرنكم نصرتكم علينا فى هذه الأيام فهى لا تلبث أن تعود عليكم شرا ووبالا ولطالما طمع قبلكم كثير غيركم واعتزوا وسكروا بخمرة نصرة كهذه إلا أنها كانت وسيلة لتبددهم وانقراضهم وتسليمهم لأيدينا وها أنا خورشيد شاه ابن عم الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسيدها فابعثوا إلى بديدار الخبيث المكار لاقصف فى هذا النهار عمره وأدفع عنا شره . فلما سمع ديدار كلامه أغاظه إلا أنه ضحك منه ضحك الغضب واقتحم ساحة النزال . ولم يبد معه خطابا ولا اجابة جوابا بل حمل

عليه حملة الذئب الكاسر . والليث الزائر . وأخذ معه فى الحرب والطعان . والقتال والجولان - وهما يصيحان ويفترقان ويجتمعان . وقد سهل عليهما شرب كاس الهوان والهلاك فى ذاك الميدان . على الرجوع إلى الوراء أو اظهار التقصير فى الاخذ والرد والاجتهاد والجد والفوارس تنظر اليهما من كل الجهات تنتظر كيف ينتهى بينهما هذا الامر ومن منهما يكون حليف الفوز والنصر . ودام القتال عاقدوابليس اللعين راقد وسائل الظفر جامد لا يعرف إلى أيهما ذاهب ولا من منهما يكون المغلوب ولا من الغالب إلى أن تنصف النهار وصارت الشمس فى قبة الفلك وإذ ذاك لحق بخورشيد شاه التعب وكل ومل وضعف عزمه وانحل وعرف نفسه انه مغلوب وانه لا يبارح تلك الساحة اما قتيلا واما اسير وقد اختار الهلاك والعطب على الهزيمة والهرب فثبت امام خصمه وسلم امره لله يفعل به ما اختاره وما يرضاه وقد عرف منه ديدار ذلك فصاح به وهجم عليه وصاح فيه صوتا كالرعد القاصف ومد يده واقتلعه من بحر السرج ورماه إلى الوراء فادركه جلدك العيار وشد منه الاكتاف وقاده فى الحال أسيرا إلى بين جيوش الصين . ولما رأى طيطلوس ما حل على خورشيدشاه كاد يغيب عن الصواب وثبت لديه الفناء والعذاب . وامر رجاله ان تحمل حملة واحدة بقلب صابر على النوائب عساها تتوصل إلى خلاصه فهزت اعلامها وارتمت على رجال الصين فالتقى بعضهما بالبعض . واختلط بالقتال فى تلك الارض .

وقامت بينهما القيامة وكثرت المصائب وقلت السلامة وساد سلطان الحمام وأرسل إلى مقاتل الرجال أشد سهام - وحكم عليهم بالاعدام جزاء على ارتكابهم جرائم العدوان والانتقام وكان ذاك اليوم على رجال الفرس من أشد الأيام لاقوا به المصائب والاكدار وأيقنوا بشرب كاسات البوار وزال ما كان باقيا لهم من الاعمار إلى أن لجئوا إلى الجبال وغاصوا بين التلال يقاتلون ويتأخرون وهم يتأكدون أنهم خاسرون وأن زمانهم قد مضى ومال ولم تقم لهم بعد ذلك حال إلا بأمر العزيز المتعال لحظت فى آثارهم عساكر الصين ومنكوخان وديدار ذاك الخبيث اللعين وسائر عساكرها وفرسانهما وأبطالها وقد أسرعوا إلى سائر الطرقات ومسكوا المياه من كل الجهات وطاردوهم إلى نصف الجبل إلى أن أمسى المساء وأقبل الظلام فرجعوا عنهم بأمان وسلام فرحين بنوال القصد والمرام ونقلوا خيامهم إلى آخر الجبل وأقاموا فى ذاك المكان وقد امر ديدار بالتشديد والحفظ على المناهل والغدران . وأن لا يدعوا أحدا يقرب منها من رجال إيران . إلى ان يهلكوا عن آخرهم ولا يبقى منهم انسان . ويفعل بهم العطش أيشم فعال ويحل بهم الويل والنكال .

قال وأما طيطلوس فانه شاهد الموت عيانا ورأى أن رجاله قد هلك منها منذ دخولها إلى بلاد الصين إلى ذاك اليوم نحو اربعمائة الف فارس ومثلها بجارح وضعفاء وكانت حالته صعبة جداً لا يعرف ما ينتهي اليه أمره ولم يكن يرى إلا مصائب وأهوال وعذابه وفناء وكيف نظر إلى الأسفل يرى العساكر كانها الكواكب بين تلك التلال وقد عرف أنها مسكت كل الطرقات وقصدت حصاره من سائر الجهات . ولم ير وسيلة إلا الثبات في الحصار إلى أن ينقرض ولا يكون قد سلم إلى الكفار وعليه فقد أمر رجاله أن تصعد إلى أعالي الجبل وتقيم هناك وتلبث على الدفاع والحصار . وكان كما تقدم معنا الكلام قد أخذ طارق القرب فملأها من الماء ووضعها في ذاك المكان وجاءت بقية العبيد والخدام وضربوا فيه المضارب والخيام فصعد طيطلوس بالذين معه إلى أعالي الجبال ونزلوا بين خيامهم ومضاربهم وجمع المجاريح إلى بعضها وجعل يداويها ويعتني بها وصرف كل جهده في تقوية العساكر وتدبير أمورها وعلى الأخص بالاعتناء ببيلتا إذ لم يكن له قريب أمل إلا به . وبقي صابراً على نفسه لم ينم طول تلك الليلة إلى أن كان الصباح فنهضوا من مراقدهم ونظروا إلى الأسفل فوجدوا عساكر الصين يتهيئون ويتعددون وقد بدئوا بالصعود إلى الجبل فعرف طيطلوس أنهم ثابتون العزم لا يكلون عن الحرب ولا يملون وان غاية ديدار متابعة العمل وملاحقتهم فلا يتمكنون من الراحة ولا تطمأن خواطرهم إلى أن يمحيهم عن آخرهم فاغاظه ذاك الأمر ولذلك دعا اليه رجال الفرس وخطب فيهم قائلا . اعلموا أيها الرجال أن الأعداء يطاردوننا إلى هذه الجبال وفي نيتهم أن يذبحونا عليها ولا يبقوا منا بقية ليتم لهم الانتصار على أحب ما يطلبون وما يشتهون ويظهر أنهم قد استصغرنا كل الاستصغار وتيقنوا أننا لم نعد نقدر على حمل السلاح والثبات في القتال فابدلوا يقينهم هذا بالخلاف وابذلوا المجهود ولا أريد منكم أن تثبتوا في القتال أكثر من ثلاثة أيام بحيث يكون الله قد نظر الينا لأنه عامل على تجربتنا فاصبروا لتنالوا رحمته ولا تضجروا فهو يعرف أن النصر يحتاج اليه ومرجعه منه فهو ينبوع كل رحمة وشرف ولا تنسوا أعمالكم السابقة فتضيعوها كل التضييع أليس نحن الفرس الذين دوخنا بلاد اليمن وأذللنا ملوكها وسلاطينها وقتلنا طومار الزنجي بعد ان كان رمانا بشر عذابه وويل قتاله ولما أشرفنا على الهلاك والفناء وأصبحنا على آخر رمق من الحياة . بعث الله الينا فيروز شاه فخلصنا وأرجع العز والجاه أليس نحن الذين أسقطنا ملوك مصر وأمراءها ورميناهم من شر حرب بنار لا تطاق

ومع ذلك فقد ذقنا العذاب الشديد مراراً وأرسل الله لنا من عالم غيبه ما يقينا من سطوة الفناء ويعيد لنا الانتصار على الأعداء . وانى أسألكم سؤالا ماذا يا ترى يقول فيروز شاه حاميكم وسيدكم إذا عاد وراكم قد انقرضتم وتبددتم فريسة المحاق واثبتوا الان في وجوه الأعداء وصوبوا اليهم سهامكم واسألوا النصر من العزيز الرحمن فهو السميع القريب قال فلما سمعوا كلامه هاجوا وماجوا واضطربوا وصاح صياح الحمية والنخوة وداروا وجوههم إلى جهة المطاردين ونادوا يا لفارس يا لفارس فهذا اليوم نقاتل لحساب سيدنا فيروز شاه وكان طيطلوس قد ولد فيهم الحماسة الفارسية وحركهم إلى بذل الجهد في المدافعة ولذلك التقوا الأعداء بقلوب قوية وصوبوا سهامهم إلى جهتهم وقام بينهم قائم الحرب على أمتن ساق . واخترقت السهام الصدور أي اختراق وبشر بشير الموت بسرعة الرحيل والفراق وكانت بعض العساكر تقاتل بالسيوف والعمدان وبعضها يصب من أعالي الجبال صبيب السهام والنبال فتقع في مقاتل الرجال فتتدحرج بين تلك الأحجار وتذهب بارواحها إلى النار ولاقت عساكر الصين من الايرانيين مالم يكن لهم في حساب وتعجبوا من بذل همتهم كل الاعجاب . بعد ان كانوا رأوا منهم قطع الرجاء واليأس . وبقي القتال على مثل تلك الحال . وقد تعلق الفرس ببعض الامال فاظهروا جهدهم في القتال . وثبتوا ثبات الأبطال . إلى أن أقبل الزوال وضربت طبول الانفصال ورجع طيطلوس مسرورا فرحا من قتال ذلك اليوم وقد شكر قومه على فعلهم وقال لهم لو كان مثل قتالكم هذا قاتلتم بقية الأيام لنلتم الظفر وانتصرتم أي انتصار ولكن أريد منكم أن تداوموا على مثل هذه الحال عدة أيام وليال إلى أن يفتح الله أبواب رحمته .

وعندي أن هذا اليوم علامة منه تعالى على امداد يد المساعدة لانه يريد أن يثبت بعد وتقيم إلى أن تتم ارادته واني أعرف اننا اذا بقينا على هذا الجبل أشهرا واعواما لما تمكن الاعداء من ان يصلوا الينا بشر او يضروا بنا بل يكون النصر لنا على الدوام لاننا متسلطون عليهم نتمكن منهم اثناء الحرب والقتال ونقدر ان نطردهم عنا على الدوام غير اني اخاف من فروغ الماء لان القرب المملوءة لا تكفينا لاكثر من يومين او ثلاثة ايام والاعداء قد ضبطوا الماء واقاموا على المناهل ومع ذلك فان الله في مدة هذه الثلاثة ايام يفعل العجائب ويأتي بالغرائب

واما ديدار ومنكوخان وبقية عساكر الصين فانهم عادوا الى الاسفل مكدرين من حرب ذلك النهار وكيف انهم بعد ان نالوا النصر التام وعادوا يطلبون الرجوع

او كادوا يطلبونه يتوقفون عند تلك الجبال . وعليه فقد اجتمع ديدار بمنكوخان وقال له انى ارى مراكز الاعداء حصينه جدا مما يصعب ان تفوز عليم بقتال لانهم والحق يقال فرسان وابطال لا يهابون من الموت ويثبتون الى ما بعد الدرجة الاخيرة من حياتهم فاذا تسلقنا الجبال وصعدنا اليهم رمونا بالنبال فيقتلون فينا المقاتل ولا يبقون فينا املا للنصر والتقدم . فقال منكوخان ان هذا العمل هو عمل طيطلوس الحكيم وقد اختار لهم هذه المراكز ليتقوا بها معلقين آمالهم بالمستقبل اما بنجدات ترد عليهم وذاك بعيد عنهم واما بان يشفى بلتا فيعود الى قتالنا والا كانوا ساروا هاربين وقصدوا مدينة السرور والتجأوا اليها لانها مطيعة لهم يقدرون ان يتحصنوا بها . ومن الصواب عندى ان لا نقاتلهم بل نبقى ثابتين فى مراكزنا اى على المناهل والغدران الى ان يفقد الماء منهم وذلك لا يكون لا كثر من يومين او ثلاثة ايام فيلتزمون الى الخروج من مراكزهم والا يلاقون مصائب العطش والظمأ ويموتون من شدته وليس علينا الا ان نمنع الماء ولا نترك الطير يشرب منها فوافقه ديدار على ذلك وقال له خير لنا ان نقيم هنا ثلاثة ايام او اربعة من ان يقتل احد من رجالنا وهذا الرأى من أحسن الآراء ومن ثم اعتمدوا عليه وأصروا ان لا يصعدوا الى الجبال . واقاموا يحاصرون رجال الفرس وهى فى اعالى الجبل مدة ثلاثة أيام

قال وكان فى هذه المدة قد رأى طيطلوس تقاعد الاعداء عن القتال فعلم ان تركهم له هو انهم صبروا عليهم الى حين فراغ الماء فيعودون اليهم ويبددونهم ولهذا كان متكدر الخاطر من هذه الجهة فرح من جهة ترك الحرب الى ثلاثة ايام لعلمه انه ان كان فيروز شاه لا يزال حيا يكون قد علم بما هو واقع عليهم وحاصل فيهم فيقصدهم ويدفع عنهم المصائب . ولذلك بقى صابرا وقد أوصى رجاله أن يقللوا من شرب الماء وأن لا يبذروا به وأن لا يسقوا خيولهم أكثر من اللازم على أمل ان يقيموا اكثر يومين آخرين ففعلوا امره وبقيوا فى اعالى الجبال على تلك الحال مدة خمسة ايام حتى انه فى اول ليل اليوم الخامس اصبحوا لا يملكون نقطة ماء وقد فرغت القرب وما من رجل يقدر ان يضبط نفسه الى الغد دون جرعة من الماء فتضايقوا كل المضايقة وقطعوا الرجاء من السلامة وخاب منهم الامل الذى كانوا يأملونه ولم يأتهم فرج من جهة فيروز شاه واجتمعوا الى طيطلوس فعرضوا عليه حالهم وبكوا بين يديه وصاحوا وناحوا واضطربوا وقالوا له اننا الان هالكون لا محالة واننا اذا بقينا الى الغد هلكنا دون ريب ولا اشتباه اذ أنه من المقرر أن العطش عدو ألد لا شفقة له ولا رحمة ولا يقدر أن ينجو منه ناج وقالوا له قم فارم بنا على الاعداء فخير لنا أن نهلك تحت سيوف الصينيين من أن نموت عطشا لانه يقال أننا دافعنا عن نفوسنا الى الدرجة

الأخيرة ومتنا بعزة النفس وناموس من أن يقال عنا فى تواريخ العالم أننا هلكنا من العطش ونحن نخاف الأعداء وقد وصل بنا الجبن إلى مثل هذه الحالة فتأثر طيطلوس من هذا الكلام ووجد فيه صوابا واحتار فى أمره ماذا يفعل وأطرق إلى الارض برهة وأدمعه تسكب على خدوده لانه ترجح عنده كل الترجيح أن فيروز شاه والذين معه إما ان يكونوا هلكوا فى المدينة واما قبض عليهم وأسروا . قرنوا إلى طهمور وقادر شاه ومصفر شاه ولهذا قطع رجاءه من مساعدتهم ونهض رأسه إلى بقية قومه وقال لهم انى أعرف أننا واقعون الآن بين خطرين عظيمين فان صبرنا فى هذا المكان هلكنا من شدة العطش وقلة الماء وإذا قاتلنا الأعداء أفنونا بقتالهم لأنهم رابطون علينا كل الطرقات وما من وسيلة تقينا الآن إلا أن نرمى بأنفسنا على أعدائنا فمن يقتل يقتله ومن يتسهل له الخلاص يكون من فيض منته تعالى فليذهب كل منكم إلى مكانه وليصل على نفسه صلاة الوداع ويطلب من الله إما خلاصه أو قبول نفسه ضحية للكافرين وقبل وصول الصباح الينا نحمل باكفاتنا وننزل ساحة الموت المعدة لنا عسى أن العزة الالهية تنظر الينا وترحم ذلنا وترفعنا من حفرة هذه المصائب وتعيد الينا الأمل بالحياة وكان يتكلم وأدمعه تنسكب على خدوده لا خيفة على نفسه بل على رجال فارس وغيرهم من الذين جاءوا من بلادهم إلى تلك الجهات وقد انقرض أكثر من نصفهم والباقون أصبحوا بلا حيل ولا قوة لا يقدرون على الثبات مرة واحدة وكان يكدره ما يراه فى وجوههم من الاصفرار والضعف لأن ما من رجل منهم إلا وشعر بالموت الذى يتهدده فى وقت قريب وأكثرهم كان يصلى إلى الله ليرفع هذه الشدة وكان أكثرهم حزنا طيطلوس وخوفه على بيلتا لانه أصبح على همة الشفاء وأنه يهلك لامحالة إذا ترك أو إذا قاتل إذ ما من قوة فيه بعد .

فان الله سبحانه وتعالى لا يترك نفسا بشدة ولا يهمل طلب طالبه إن كان بايمان حار وصفاء باطن كما كانت رجال الفرس فى ذاك الزمان فانهم بينما كانوا واقعين فى أشد الضيقات كما تقدم معنا الكلام وهم مجتمعون إلى طيطلوس فرق تأتى اليه وفرق تذهب عنه وهو فى حالة انكسار وذل وإذا بغلام وقف بين يديه لابس ملابس الفرس وعليه من غبار الشفر ما يظهر أنه آت من بلاد بعيدة ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال وأعينه تقدح كمشاعيب النار وطيطلوس ينظر اليه مندهشا من أمره لأنه رآه غلاما لا يبلغ الخمسة عشر عاما .

ثم إن الغلام قال انى لا أرى فيكم رجلا عظيما ملكا إلا أنت [illegible] وس [illegible] حكيم فاين فيروز شاه سيد الفرس وحاميها وملكها وأين [illegible] خورشيد شاه فان لدى بشارة اريد أن ابشرهم بها فانتبه طيطلوس إلى كلامه [illegible] لاصل

وعرف من حاله أنه غريب لم يكن فى الجيش قبل الآن وأنه جاءهم بخبر جديد فقال بشر بما تريد فانا طيطلوس الحكيم وأما الذين تعنى عنهم فليس هم بيننا الآن ولو كانوا حاضرين لماحل بناماحل حتى التزمنا إلى الحصار فى هذه الجبال ونحن نندب حظنا ونودع بعضنا البعض بل انهم دخلوا المدينة واحد بعد واحد منذ أكثر من خمس سنين ولم يخرجوا منها حتى اليوم ولا نعلم ماذا حل بهم وقد لاقينا من بعدهم عذاب الهوان وأوقع بنا الأعداء ولو ما أتى هذا المكان لتفرقنا منذ أيام فعجل بالاخبار عساك تكشف عنا شدة نحن فيها فقال نعم ووراءى من الاخبار مايكشف عنكم هذا الضيم ويعيد اليكم الآمال ووراءى صاحب المجد والشرف الرفيع مدبر دولة فارس فى هذه الأيام ونشأتها من تغر الكواكب لتقبيل أيديه حبا بمشاهدة جبينه ووراءى الملك بهمن بن سيدى فيروز شاه وقد جاء بالعساكر والأبطال من بلاد فارس إلى هذه البلاد وليس هو وحده بل معه الفارس الأوحد والبطل الأمجد مبيد الأعداء فى يوم الطراد ومذل الجبابرة الشداد أردوان بن فرخوزاد من زعمت أهل إيران أنه فى مصاف عمه بهزاد ووراءى أيضا أسد الآساد . وسيف نقمة العباد . ابن خورشيد شاه شيرزاد . والبطل شيرواه ابن كرمان شاه الذى لم يوجد له ثان فى هذه الأيام بين الأعراب والأعجام وانى أزيدك بشارة ياسيدى أن معهم علة المعارف والحكم وأعقل عقلاء الأمم مدبر هذا الجيش ووزير الملك بهمن ابنك الوزير بزرجمهر .

قال وما سمع طيطلوس هذا الكلام حتى وقع إلى الأرض على وجهه يلثم التراب وقد بل بدموعه الثرى وهو لايعرف مايقول أو بماذا يتكلم ولاينطق لسانه بغير الشكر لله سبحانه وتعالى وكذلك بقية الموجودين وهم بفرح وسرور لامزيد عليه وحينئذ قال الغلام الفارسى اعلم ياسيدى أن الوقت لايسمح بالتطويل الآن فانى أحب أن أرجع بكل سرعة لأخبر سيدى بهمن وبقية الفرسان والأبطال بما أنتم عليه الآن لانهم لايعرفون شيئا عنكم بل يظنون أنكم بأمان وقد سلمنى سيدى الملك بهمن كتابا لابيه .

فنهض إذذاك طيطلوس ومسح دموعه وقال أرنى الكتاب فدفعه اليه ففضه وقرأه وكان مابه أن الملك بهمن بن فيروز شاه قد بعث اليه يبشره بقدومه ويطمنه بوصوله وأنه مصحب معه ثلاثمائة الف فارس تحت قيادته وحماية اردوان بن فرخزاد وشيرواه وشيرزاد إلى غير ذلك من أسباب التبشير وبث الشكوى .

فلما قرأ طيطلوس الكتاب وفهم معانيه ورأى فيه من الحكمة والفصاحة مايقصر القلم عن وصفه عرف أن الملك بهمن هو من حكماء ذلك الزمان غير أنه قال للغلام وهل هم بعيدون عنا كثيرا قال انى تركتهم منذ اليوم الماضى سائرون على أثرى وقد

وصلت إلى هذه الأرض عند العصر فوجدت العساكر مثل الجراد قائمة عند الجبل وكلها من رجال الصين فعلمت أنهم من الأعداء ولذلك تجنبتهم وقد ثبت عندي أن قيامهم هنا لا بد أن يكون لسبب عظيم وأمر جسيم وقصدت أن أجتازهم فلم أقدر فطفت من حول الجبل وصعدت عليه عند اشتداد الظلام بحيث لا يراني أحد وقد قصد أن أجيء إلى هذا المكان لأني رأيت وأنا بعيدا قوما عليه وقلت في نفسي اما ان تكونوا من قومنا واما ان تكونوا من الأعداء فآتيكم في أول الليل وإذا كنتم المقصود عرضت عليكم حالي وعرفتكم بأمري وبلغتكم الرسالة وان كنتم من الاعداء رجعت تحت الظلام دون ان يعلم بي أحد حتى ثبت عندي انكم من رجال قومنا وقد رأيت كدوركم واضطرابكم فاستدللت على الصيوان وهذا الذى صار لى وأريد الآن ان أرجع إلى سيدى فبماذا تأمر لأبلغه. قال أريد منك ان تسرع اليه الآن وتعرض عليه حالنا وتعلمه أننا بحالة يرثى لها وليس عندنا نقطة ماء قط ومنتهى الأمر أننا كنا نصلى على نفوسنا صلاة الوداع ولو لم ينظر الله الينا وكان تأخر قدومكم علينا يوما لكنا أصبحنا في حجر الموت وانقرضنا عن آخرنا فالحمد لله على منته ونحن في الصباح سنباكر القوم بقصد الحرب والكفاح لنقاتل في سبيل الماء علنا نقدر أن نبل رمقنا بها فاذا أدركونا عند الصباح انتشلونا من هذه المصائب وإلا لانكون قد انتفعنا من اتيانهم الينا .

فقال له أبشر ياسيدى فانهم قبل أن تباشروا القتال يكونون في هذه الضواحى ويجلون عنكم المصائب وترى بعينيك عمل غلمان فارس الذين هم أشد من كهولها وشبانها ثم أن الغلام قبل يد طيطاوس وخرج بأسرع من البرق وأعينه تقدح كمشاهيب النار في أشد الظلام. وبعد ذهابه اشتد قلب طيطلوس وراق خاطره وقوى قومه وخطب فيهم ونشر بينهم هذا الخبر فتقووا وأملوا أنهم في الصباح يرمون بأنفسهم إلى أسفل الجبل وبمساعدة قومهم القادمين يقدرون أن يتوصلوا إلى الماء. وباتوا على تلك الحالة إلى الصباح .

ولما كان الصباح نهض طيطلوس وأمر الجيوش الباقية معه ان تركب وترفع الراية الفارسية ورتبهم على أحب مايشتهى ويريد وأمرهم بالنزول إلى أسفل الوادى حيث يقاتلون في السهول توصلا إلى الماء. وكان ديدار في الصباح قد نهض مع منكوخان وهما متحيران من كثرة ثبات الفرس في الجبل إلى ذلك اليوم مع ان لاسبيل لهم بالوصول إلى الماء حتى رأوهم يتدرجون من الأعالى يطلبونهم بسرعة غريبة .

فقال منكوخان ها أن الاعداء يطلبوننا الآن طمعا بأن يبعدونا عن الماء أو أن يموتوا كراما من سيوفنا لأن الماء قد فرغ منهم . قال لابد أن يكون ذلك وانى أقسم بالنار ذات الشرار انى لا أترك واحدا منهم في هذا اليوم يعود إلى الأعلى أو يقدر على شربة

ماء من نبع فهذا الذى نحن بانتظاره قد جاء على أحب ما نريد ثم أمر قومه بالركوب فركبوا واستعدوا وقال لهم كل من وقع بيده رجل وقتله كان له سلبه وغنيمته فلا ترجعوا مالم تفنوهم عن آخرهم فوعدوه بكل جميل وان يفعلوا ما يأمرهم به وفى الحال وصلت عساكر الفرس اليهم وقدمت عليهم وقبل ان دنت منهم رمتهم بالنبال فأجابوهم بالمثل وأمر ديدار ان تتأخر العساكر إلى الوراء لينزل الفرس إلى السهل من الجبل بطلب المياه ومن ثم يحملون عليهم ويوقعون بهم وهكذا صار فقد تأخر الصينيون إلى الوراء وركض الايرانيون إلى المناهل بقصد الماء فصاح فيهم ديدار وحمل عليهم حملة الآساد وهو ينادى اليوم يومكم أيها الأوغاد وكرت من ورائه عساكره الاجناد وهم كانهم اكثرتهم طوائف الجراد فالتقاهم الفرس بثبات فؤاد وقاتلوا قتال الاساد وفى قلوبهم شىء من مساعدة قومهم لهم ووصولهم اليهم فى تلك الساعة وكان ديدار يصيح وينادى من جهة فيجيبه منكوخان من أخرى وهما فرحان بغنيمة ذاك اليوم وقلوبهما موعبة فرحا وفى ظنهما قد نالا المراد فاجادا الطعن وفعلت كأفعالهما العساكر والأجناد حتى وقع برجال الفرس الخوف والهلع ولولا آمالهم بوصول قومهم لكانوا رموا بأنفسهم بين أرجل خيول الأعداء غيران هذا الامل كان يقوى قلوبهم بقدر الامكان حتى زهقت نفوسهم وذاقوا أشد العذاب واضطروا إلى التأخير عن المياه إلى الجبال قال وفى تلك الساعة سمع الصراخ والصياح من كل جهة وناح ولاحت الأعلام الفارسية كأنها الغمامة السوداء ولمعت الأسنة الايرانية كأنها البروق البيضاء واهتزت الاعمدة كأنها بواعث القضاء وكانت تلك الفوارس هى فوارس الذين تقدم ذكرهم وانهم جاءوا تحت راية الملك بهمن لانه كان قد رجع اليهم الرسول وأخبرهم بما رأى وشاهد وهو يحث التراب على رأسه وينوح على ما رآه وقال لهم إذا لم تسرعوا فى هذه الليلة وتدركوا قومكم وإلا هلكوا عن آخرهم لانهم محاصرون على الجبال والاعداء محاطة بهم من كل مكان وليس عندهم أحد من الفرسان لان الجميع دخلوا المدينة ولا عرفوا عنهم خبراً وخورشيد شاه مأسور بين الصينيين وبيلتا مجروح يقاسى الاوجاع ولولا حكمة طيطلوس وإدراكه وتدبيره لما ثبتوا إلى هذا اليوم

قال فلما سمع أردوان هذا الكلام لعبت به مروءة الشبان وصاح لاهدو ولا توان إلا بالوصول إلى ساحة الحرب والطعان واستأذن من الملك بهمن بالركوب فركب وركب شيرزاد وهو مفطور الفؤاد لما علم أن اباه أسيراً فى يد الأعداء وعاد لا يصدق أن يصل إلى تلك الساحة ومثله شيروه فانه تكدر من جرى غياب أبيه كما تكدر الملك بهمن على غياب فيروز شاه لأنه كان يعد نفسه أنه يلاقيه ويقبل يديه ولذلك

ركبوا وأسرعوا كل الليل حتى الصباح وحينئذ حتى تقدموا إلى جهة الجبل وأمامهم الغلام العيار كأنه الغزال فى الجريان إلى أن وصلوا فى تلك الساعة وكانت الحرب قائمة وطيطلوس واقف على رابية عالية من الجبل فى مؤخرة عسكره ينظر إلى طريق مدينة السرور ليرى قومه فى أى ساعة يصلون وخاف من أن يتأخروا ساعة أو ساعتين فتهلك رجاله إلا أنه لما شاهدهم وقد أقبلوا أخذته دهشة الفرح وجعل ينظر إلى ترتيبهم ويتأكدهم فوجد فى مقدمتهم شابا طويل القامة أبيض الوجه أحمره واسع الصدر لا يبلغ من العمر أكثر من أربع عشرة سنة وعلى رأسه بيضة من الفولاذ وبيده صمصامة تتوقد كأنها المصباح وقد صاح بالجواد فمر من تحته كأنه البرق فى الاسراع وهو يصيح ويلكم أيها الأوباش الأرذال كفوا عن الحرب والقتال فقد جاءكم قضاء الله من أعجل حال وحمل على الصينيين وهو يصيح وينادى أنا اردوان أنا أردوان . ابن أخى بهزاد بن فيلزور البهلوان . وقد اخترق الصفوف وغاص وأنزل عليهم ميازيب العذاب والقصاص . ثم نظر طيطلوس وكان بيده نظارة إلى الذى بعده فرآه شابا مربوع القامة نظيره بالسن إلا أنه أرق منه جسما وهو من فوق جواد أدهم كأنه الليل الحالك وبيده عمد من الحديد ثقيل العيار وقد نادى كالأول وارتمى على الصينيين وهو يتكنى باسمه ويقول انا البطل شيروه بن كرمان شاه ورأى طيطلوس إلى شاب آخر يكاد يقارب الأول قطعة وهيبة وقد فعل كالأولين وهو ينادى أنا شيرزاد آفة الحرب والطراد . وقد اخترقوا تلك العساكر ومن خلفهم أبطال الفرس كأنهم الغمام . وحملوا حملة أساد الآكام . وطيروا الرؤوس عن الأجسام . وأضرموا نار الحرب أى اضرام . وكان طيطلوس قد رأى أيضا إلى العلم الكبير الفارسى وإذا به يراه علم الملك ضاراب الأكبر ورأى من تحته شابا ذا هيبة ووقار وحسن يندر مثله وهو فوق جواد مرصع بالجواهر والألماس وإلى جانبه شاب مثله يقاربه بالهيبة والوقار فهلع قلبه إلى تلك الناحية وتذكر أيام كان يركب الملك ضاراب وهو إلى جانبه على تلك الحالة وقد ثبت عنده أن تحت تلك الأعلام بهمن بن فيروز شاه وولده بزرجمهر وهما بصفة ملك ووزيره وعرف أن الملك ضاراب قد أعهد اليه بمملكة الفرس وشد له وزيرا ولده فكاد يطير من الفرح وطلب سرعة العمل ليسرع إلى تقبيل ولده وعليه فقد انحدر من الأكمة إلى بين الفرسان وهو ينادى فيهم ويلكم اثبتوا وجودوا القتال . فقد نظر اليكم الاله المتعال ورفع عنكم الشدائد والأهوال . فها قد وصل قومكم اليكم ورفعوا الشدائد عنكم ولا تضيعوا مثل هذه الفرصة فتكتسبون العز إلى آخر الأجيال وكان الرجال المحاصرون قد سمعوا أصوات مساعديهم ورجال قومهم فغاصوا فى الأعداء وانحطوا عليهم أى انحطاط

وأشغلوا فيهم ضرب الحسام من كل ناحية ومكان . ورأى ديدار ومنكوخان وصولك هذه النجدة وما فعلت فيهم فتأخروا إلى الوراء ليضموهم إلى بعضهم البعض ولا يبقون هم فى الوسط غير أن ادروان بطل الحرب والطعان فلم يأخذه هدوء ولا توان ولا التفت إلى أى جهة يسير ولا إلى أى مكان بل كان قد عرف الأعداء فقصد الايقاع بهم وهلاكهم ودمارهم وعليه فقد أخمد النفوس . وكسر الرؤوس وفرق المواكب وشتت الكتائب . وهو يتخطف من جهة إلى أخرى وينادى مباهيا باسمه ومنتسبا إلى عمه حتى ظن رجال الصين ورجال الفرس انه نفس بهزاد وقد تخلص من الاسر وعاد ولذلك وقع بقلبهم الخوف والارتعاد . وعادوا لايصدقون باتيان مساء ذاك النهار ليرتاحوا من الحرب والجلاد ويأمنوا من شر أولئك الأبطال الشداد . وبقى القتال على مثل تلك الحال إلى أن أقبل الزوال . وضربت طبول الانفصال . فرجع الصينيون إلى الوراء وكانوا قد تركوا من أول النهار المناهل والغدران وتملكها رجال إيران وانتعشت أرواحهم بوجود الماء وعادوا يأتونها من عشرة وعشرين وأما طيطلوس فانه شغل عن كل أمر بالدنو من ولده ومن الملك بهمن وقد أمر جماعة من الأبطال والفرسان أن تذهب إلى أعالى الجبل وتنزل المضارب والخيام ومن تخلف هناك من المجاريح والضعفاء وأن يأتوا بيلتا على الراحة وانعام البال

قال وكان السبب فى مجىء رجال إيران ووصولهم فى ذلك الوقت إلى ذاك المكان . هو انه كان تقدم معنا الكلام أن بهمن كان يسأل أمه عين الحياة على الدوام عن أبيه ويشتاق أن يراه يوما بعديوم أى كلما تقدم بالسن وكان يكثر شوقه ويبى على نفسه أكثر فأكثر وكان يطلب على الدوام من جده أن يسيره اليه فكان يعده من وقت إلى آخر ومثله كان شيرواه وشيرزاد إلا أنهم كانوا راغبين إتقان الفنون الحربية وكان لهم ميل عظيم اليها وكان كل من عبد الخالق القيروانى ومرادخت الطبرستانى وشبرين الشبيلى الطلقانى منصبا على تعليم واحد منهم ومهتما كل الاهتمام به لاسيما عندما رأوا أنهم شديدو القوى والحيل فرسان أشداء فأخذهم منهم العجب وبقيوا على ذلك حتى سادوا على الأبطال والفرسان ولم يكن قط من واحد فى كل بلاد فارس يقدر أن يقف أمامهم وإذ ذاك جاءوا إلى الملك ضاراب وأخبروه بهم وأنهم أصبحوا لا يحتاجون إلى علم تعلم وانهم مع صغر سنهم يعدون من أبطال ذاك الزمان وفرسانه فسر الملك من هذا الخبر وقال فى خاطرى أن أراهم بنفسى ثم أمر أن ينصب ميدان القتال وتأتى اليه الفرسان والأبطال للتمرين ولعب الخيل وغير ذلك وفى الحال اجتمع من المدينة كل فارس وبطل وازدحمت الاقدام فى ذاك المكان من نساء وأولاد وكلهم بشوق زائد إلى الفرجة على أولاد

الأمراء ليرواماهم عليه من معرفة الفنون الحربية ووقف الملك إلى جهة وأقام بالقرب منه بهمن حفيده وبزرجمهر بن وزيره وانطلقت الفرسان تطارد بعضها فى ذاك الميدان وتطاعن مطاعنة الشجعان . وتتقلب على ما أعطيوا من المعرفة بأشكال وألون وكان أردوان بن فرخوزاد قد حمى الساحة بأفعاله وحير العقول بأعماله حتى اندهش الملك ضاراب وقال لمن حواليه ان أعمال أردوان تذكرنى بأعمال بهزاد وقتاله ولولم أعتقد أن ذاك أثبت جنانا وأقدرجولا نالقلت إنه بدرجته على التمام . وكان بهمن يحب أردوان فقال له لا أظن يا سيدى أن بهزاد أثبت فى ميدان الطراد من أردوان عروس هذا الميدان . ألم تراه كيف يضارب ويطاعن وهو يسوق الفرسان بين يديه كانساق الأغنام حتى اندهش من عمله كل عقل وخاطر قال إنى أرى ذلك وأعلمه لكن لا يمكن أن أقيسه ببهزاد بطل بلاد فارس وحاميها ولولم أكن أعتقد أيضا أن أباك أشدمنه بأسا وأثبت قلبا لقلت إنه افرس فارس فى هذا الزمان ولا بد ان تجتمع به وتشاهد قتاله كانى ايضا اتعجب من عمل شيروه وشيرزاد واشهدانهما من الدرجة الأولى فى الحرب فان سرعتهما وخفتهما ولعبهما على ظهور الخيول وصراعهما لم اكن ان رأيته قبل الآن فى مثل هذا المكان الا من ابيك وبهزاد ولم اره قط من غيرهما من كامل فرسان إيران . فزادهذا الكلام فى رغبة الملك بهمن إلى ابيه وانفطر قلبه إلى مشاهدته وبكى بالرغم عنه وانفطرت مرارته ورمى نفسه على جده يقبل يديه وقال له إنى مشتاق الى ابى ياسيدى فلا تحرمنى من ان اكون بين يديه فانى مشغول الفكر من اجله مرتبك الأفكار لااقدر ان اعرف ماذا جرى عليه وحل به فقبله الملك وعرف حبه لأبيه وانه محق بذلك فطمنه ووعده ان يرسله الى ابيه وقال له انى اشد منك رغبة فى مثل هذا الأمر لان منذ غياب ابيك الى هذا اليوم وأنا منتظر منه خبراً لأعرف ماذا جرى عليه وحتى الساعة لم يصلنى علم قط وهذا مما زاد فى قلقى واضطرابى وأنا أحب أن أرسل اليهم نجدة فربما يكونون فى ضيقة أوفى تأخر وعلى كل حال فسيركم نافع فان كانوا فى حاجة اليكم رفعتم عنهم الضيق وأفدتموهم وإن كانوا فى رخاء ومامن حاجة لهم فيكم فتكونون قد اجتمعتم بآبائكم وما من ضرور فى مسيركم واجتماعكم بهم وإنى الآن فى مأمن عنك لانى أعلم أنه يسير بين يديك أردوان وشيروه وشيرزاد ووحدهم كافون لان يرفعوا الشدة وما من خوف عليكم فاذهب إلى والدتك واستعد للسفر ثم دعا اليه أردوان وشيروه وشيرزاد ومدح من أفعالهم وقال لهم حيث قد مضى مدة من الزمان ولم يصلنا خبر عن جيوشنا القائمة فى حرب الصين نويت أن أبعث بكم إلى آبائكم وأصحبكم بالجيوش والفرسان فتصلون إلى بلاد الصين وترون لنا كيف أحوالهم فلما سمع الغلمان هذا الكلام صفقوا من الفرح

ورموا بأنفسهم على أيادى الملك يقبلونها وقالوا أصحيح تبعث بنا إلى آبائنا وهل يسمح لنا الزمان أن نراهم ونتعرف بهم ويرونا ويسروا بنا فاسرع ياسيدنا بذلك فينيلك الله أجر أشواقنا واحتراقنا على أن نكون عند آبائنا لأن أمهاتنا تبكين الليل والنهار لطول غيابهم عنهن . فاشفق علينا وعليهن فتأثر الملك من كلامهم وترقرقت الدموع فى عينيه وقال لهم إن رغبتى وشوقى أكثر من رغبة أمهاتكم غير أنى كنت قبلا أخاف عليكم لصغر سنكم وأخاف إذا سرتم لاتنفعون وأما الآن فانى أثق أنكم بحدكم تكفون لأن تدوخوا بلاد الصين وتلك النواحى وترفعوا الشدائد عن آبائكم إذا كانوا بشدة فاذهبوا واستعدوا ليثما أكون قد جمعت العساكر والرجال لتسير معكم ومن ثم رجع كل واحد إلى أمه وأخبرها بغاية الملك ففرحن جميعهن ولاسيما عين الحياة فانها وإن كانت لاترغب فى فراق ابنها إلا أنها كانت تحب من كل قلبها أن تعلم حال أبيه وترغب أن يكون عنده وبين يديه ليسر به وبما أعطى من المجد والحكمة والحسن وكان حب اله يقودها إلى ذلك ويدعوها اليه ليكون مدة قيامه فى الصين مسروراً بولده ولا سيما عند ما يراه ويرى أنه قد بلغ مبالغ الرجال وصار يذكر بين العظماء والأعيان وعليه أخذت تعد له مايحتاج اليه فى سفره وكتبت كتابا إلى أبيه وختمته وأوصته أن يدفعه اليه بيده ولا يسلمه إلى غيره وكذلك سائر النساء كل واحدة أقامت على وداع ابنها وبعث المكاتيب لأزواجهن

وكان الملك فى هذه المدة قد أمر أن تجتمع اليه الفرسان والأبطال فاجتمع عنده أكثر أهالى المدينة يظهرون رغبتهم فى المسير الى الصين فانتخب منهم بنفسه الشبان الذين هم من سن ١٥ الى ٢٠ سنة حيث أنهم كانوا صغارا وقت مسير فيروزشاه الى الصين وقد شبوا حين غيابه ولذلك كان الجيش من مصاف الأمراء . وكان جملة الذين انتخبهم مائة ألف فارس عقد لأردوان على عشرين ألف منهم ولشيرزاد على عشرين ألف ولشيروه على عشرين ألف وخرج بهم الى ساحة المدينة لوداعهم فاجتمع الجميع هناك وأهل المدينة كبارا وصغارا نساءا وأولادا وحينئذ أمر الملك أن يؤتى بالعلم الكبير الفارسى المختص به وهو أكبر علم بالمملكة فرفعه فوق رأس بهمن ومن ثم نظر الى من حواليه من أعيان الفرس وقال لهم أنتم تعلمون أنى صرت رجلا كبيرا وقد شخت واحب ان ارى فى حياتى ملكا لفارس من نسلى وكان املى ان يلبس التاج ولدى فيروزشاه غير انه امتنع مرارا رغبة منه فى خوض المعارك وقتال الفرسان والمخاطرة بنفسه فى كل معمعة ومعركة ومن كانت هذه الصفة صفته لايثبت تحت التاج الملكى ولا يحفظ ناموس الملك بقدر ما يرغب فى حفظ ناموس سيفه وانتقامه من الأعداء . ولذلك قد اقمت ملكا على فارس فى حال حياتى

حفيدى بهمن فهو حكيم عاقل خبير لا يوجد له ثان فى هذه الأيام فافرحوا به وسروا جميعكم حيث أن الله قد رزقكم ملكا أعقل ملوك العالم مع صغر سنه وكذلك أقمت وزيرا له بزرجمهر ابن طيطلوس لأنه كابيه حكمة ومعارف وآدابا تعززا . وبرهانا عليه فانى ألبسه التاج من هذه الساعة وأبعثه إلى بلاد الصين كملك لا كابن ملك وأكون على البلاد كوكيل عنه إلى حين عودته فهو ولدى وابن ولدى ثم إن الملك ضاراب رفع التاج عن رأسه ووضعه على رأس الملك بهمن وقال له احكم فى البلاد وانصف بين العباد واعدل فى الأحكام . ولا تسلك سبيل الجهالة ولا تطع أولاد الحرام . فأنت منذ هذه الساعة ملك إيران بل ملك اليمن ومصر والرومان . وكل المدائن والعواصم التى انتصرنا عليها هى الآن فى قبضة يدك ومطيعة لك وسوف تمر على أكثرها وتدخل عروشها وتشاهد سلاطينها فيقدمون لك الطاعة فخذ معك منهم الجنود والعساكر إلى قتال الصين بحيث لا يكون جيشك أقل من أربعمائة ألف مقاتل . وإذا وصلت إلى أبيك وكان لا يزال حيا فاقره منى السلام واسأله فى نهاية الأمر والرجوع إلى بلاده حالا لأنى بشوق اليه وأخاف من أن أموت ولا أعود أراه مرة ثانية وعند ذلك بكى الملك شوقا إلى ولده فيروزشاه ثم عاد فقال الملك بهمن وكذلك أقر منى السلام إلى أمين دولتى طيطلوس ومدبرها وإلى بهزاد حاميها وبهلوان تختها وإلى أولاد عمى الأمراء والشاهات ثم رمى بنفسه على حفيده فقبله وودعه وهو يقبل أيديه ويشكره مقدار ساعة من الزمان ومن ثم رجع الملك إلى قصره وركب بهمن وخرج من المدينة مع العساكر والجنود وبين يديه الحراس والعبيد وفى المقدمة أردوان ابن فرخزاد وشيروه وشيرزاد وإلى جانبه بزرجمهر ابن طيطلوس الحكيم وسار لوداعهم رجال الفرس كل ذاك اليوم ومن ثم عادوا إلى مواطنهم ولم يسر معه إلا عشرة شيوخ من الذين كانوا مع أبيه عند حروبه فى اليمن وغيرها ليحكوا له عن المواضع وما وقع فيها من المواقع وكانوا يسيرون بين يديه وكلما تقدموا من مكان حكوا له ما جرى لأبيه فيه وداموا فى مسيرهم إلى أن وصلوا إلى قرب نواحى تعزاء اليمن إلى مكان القلعة الجبلية فحول هناك عن جواده ونزل بمن معه وأخبر الشيوخ بخبر تلك القلعة وأنه كان أسيرا فيها فيلزور مع بقية فرسان إيران وأن أباه خلصهم منها وهدم القلعة ولم يبق منها إلا الآثار فأقام هناك بضعة أيام ومنها بعث بالرسل إلى جده الشاه سرور ليعلمه بقدومه وتقدم من هناك إلى أن وصل إلى الساحة التى وقع فيها القتال مع اليمن والزنوج فأخبره الشيوخ بما كان هناك وكيف أن أباه قتل طومار وهو فوق الفيل مع أنه ضخم الجثة لا يوجد من هو بقدر جسمه بين الرجال وكانت عظام الفيل الذى قتل هناك لم تزل باقية وكذلك

عظام طومار فتعجب منها بهمن وعرف أن أباه نادر المثال عديم النظير فى ذاك الزمان وهو يشتاق إلى الوصول اليه والتقرب منه ولا زالوا على مسيرهم إلى أن قربوا من المدينة وإذا بالشاه سرور خارج منها ومعه الاعيان والوزراء والخواجه اليان إلى جانب الشاه سرور ولما رأوه وهو على تلك الحالة وما هو عليه من العظمة والجلال ترجلوا عن خيولهم وترجل هو اعتبارا لابى أمه وكانت أوصته أن يسلم لها عليه ولما التقى به قبل يديه فقبله وبكى كل منهما فرحاً بالآخر وتقدم الخواجه اليان اليه وسلم عليه وكان يسمع من أمه أنه هو السبب فى دخول أبيه إلى بلاد اليمن وقد حفظ له اوده إلى اليوم الأخير من زواجه وبعد زواجه ولهذا أكرمه ومدحه على حميد أفعاله وبعد أن سلم على جميع رجال اليمن الذين خرجوا لملتقاه رجعوا جميعا إلى المدينة وصار له احتفال عظيم وعرف كل نساء المدينة وأطفالها وشيوخها أن الملك بهمن بن فيروزشاه وابن عين الحياة بنت ملكهم جاء إلى المدينة فتسلقوا الأسوار فرحين به وهم ينادون له بالنصر والظفر وطول العمر ويندهشون منه اذ كان مطبوعا على جبهته لوائح أبيه وكان يظهر من سواد عيونه وحاجبيه هيئة أمه فكان من أجمل الناس وجها وأكثرهم جاذبا لمحبة القلوب وتعلقها بفرط حسنه وجماله .

وبالاختصار أن الملك بهمن أقام فى تعزاء اليمن مدة عشرة أيام وهو يطوف من مكان الى مكان يتفرج على البلاد ومعه الخواجه اليان يحكى له عما كان فى كل ناحية من أمر أبيه وبعد ذلك سأل جده المسير وقال له لا خفاك أنى جئت قاصدا الصين لأرى أبى وانى فى هذا اليوم مزمع على السفر فقال له انى لا أمنعك من ذلك وانى أرغبه مثلك لا بل أكثر منك حيث أن قلبى ملهوف الى رؤية أبيك كما هو ملهوف الى رؤية أمك وأسأل الله أن يكون رجوعكم قريبا الى بغاية النصر ونوال المراد . وانى قد أعددت ثمانين ألفا من الشبان الأقوياء يسيرون بين جيوشكم وفى خدمتكم الى الصين فشكره وقبل يديه وودعه وركب بالأبطال والفرسان وسار من بلاد اليمن قاصدا مصر ومر فى طريقه على لدن الطائف فدخلها بطلب شهرزاد لانه أحب أن يتفرج على بلاد أمه وقد أوصته أن يتفقد لها من بقى من أهلها هناك فخرج أهل المدينة للقائه وأضافوهم مدة ثلاثة أيام وهم فرحون بالملك بهمن وبابن تاج الملوك وحينئذ ركب الملك بهمن وسار من لدن الطائف الى أن قرب من مصر فبعث بالاخبار الى الشاه صالح أنه قادم عليه فخرج ذاك مع أبى الخير وزيره الاول وكامل أعيان مصر وأمرائها ولما قربوا ... سلموا عليه وهنأوه بالسلامة ورجعوا معه الى المدينة وكان يكرم أبا الخير ويحبه اذ ... الشيوخ حكوا له ما فعلا مع أبيه وبعد أن دخل المدينة نزل فى قصر طوران تحت

وأقام فيها عشرة أيام على الفرجة والتنزه واستعادة أحاديث أبيه وما كان له فيها ثم ركب من هناك واستصحب معه من مصر مائة وعشرون ألف فارس وودع الشاه صالح وسار يقصد مدينة الملك قيصر اى البلاد التى أقام عليها الشاه سليم حاكما وملكا وكان يمر فى طريقه على البلدان والعواصم فتخرج الناس الى ملتقاه أفواجا أفواجا ويقدمون له الهدايا ويحتفلون به ويسيرون أمامه مودعين ودام على مثل ذلك الى أن قرب من قيصرية فسأرسل خبرا الى الشاه سليم أبى السيدة أنوش بوصوله مع عساكره تحت امرة ابن بنته أردوان ولما وصل هذا الخبر اليه كاد يطير من الفرح وخرج مسرورا بعموم وزرائه وأعيانه وكلهم يتمنون أن يروا ابن فيروزشاه أو بالحرى بزرجمهر ابن نور بنت بيداخطل وزيرهم ولما التقوا بهم ترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ودخلوا المدينة بعظمة وفخار عجيبين لم يسبق أن سمع بمثلهما وكان أفرح الجميع الشاه سليم بابن بنته أردوان ولا سيما عند ما رآه من أفرس الفرسان ورأى فيه هيئة أبيه وأمه وعاد لا يفارقه وهما مع الملك بهمن مدة عشرة أيام حتى تفرجوا على كل نواحى قيصرية وذهبوا الى قلعة الحديد وتفرجوا عليها وكانت فى هذه المدة تجتمع العساكر وتتعدد حتى كملت فركب الملك بهمن وسار عن قيصرية وقد سار معه من العساكر المتنوعة ما ينوف عن الاربعمائة ألف فارس ما بين مدرع ولابس ومن هناك ساروا يطلبون بلاد الصين لا يصدقون أن يصلوا اليها وكلما تقدموا تزيد بهم الاشواق الى ملاقاة آبائهم وكانت كل تلك العساكر من الغلمان والشبان الذين آباؤهم قائمة بالحرب والجلاد يتمنون الوصول اليهم ليجتمعوا بهم وداموا فى المسير الى أن وصلوا الى مدينة السرور فوجدوا الاعلام الفارسية عليها وعرفوا أنها دخلت فى حكم الفرس فأقاموا فيها أياما وقد أخبرهم ملكها بما كان من أمر آبائهم وانهم الآن فى نواحى الصين قائمون على الحرب والطعان وفى كل مدة يرسلون الرسل فتأخذ لهم الاغنام والمهمات اللازمة لهم لانهم خلفوها كلها فى المدينة ففرحوا وفرح الملك بهمن اذ سمع ان الفرس لا يزالون على بكين عاصمة الصين وانهم يصلون نار الحرب عندها مع اهلها واقام فى تلك المدينة ثلاثة ايام وبعد ذلك نهض برجاله يقصد بكين بأبطاله وفرسانه وبقى على مسيره وهو يؤمل ان يرى اباه بوقت قريب كباقى الفرسان والابطال الى ان قربوا منها ولم يبق بينهم وبين المدينة الاثلاثة ايام فبعث الملك بهمن بكتاب الى ابيه فيروزشاه يعلمه بقدومه وارسله مع الغلام الرسول الذى سار به الى طيطلوس وعرف ماهم عليه عساكر الفرس ورجع فاخبر الملك بهمن فكاد يغيب عن الصواب وسار بأبطال الفرس وفى اولهم اردوان ابن فرخوزاد وجرى ما جرى هناك كما تقدم شرحه .

ولنرجع الآن إلى سياق الكلام وهو أن طيطلوس تقدم إلى جهة الملك بهمن وسلم عليه مزيد السلام وسأله عن أبيه وحالة الفرس ثم بعد ذلك رمى نفسه على ولده يقبله وهو لا يصدق أنه ابنه وأنه أصبح قادرا على تدبير أمور جيش وانه صار وزيرا بنفس منصبه وتقدم سائر الفرسان وسلموا على طيطلوس وقبلوا يديه وسألوه عن آبائهم وأمراء بلادهم وكانوا قد تكدروا كيف أنهم وصلوا ولم يروهم وعند ذلك أخذ طيطلوس يصرح لهم ما جرى عليهم منذ البداية إلى ذلك اليوم وكيف أنهم بعد ان كانوا ناجحين ومحاصرين المدينة عادوا فتأخروا عند غياب فيروزشاه من بينهم ونزوله إلى المدينة ولا سيما عند غياب بهزاد وأسره من ديدار وهو على انفراد فى وسط الوادى . فلما سمعوا منه هذا الكلام مفصلا غابوا عن الصواب وعنوا ان يهجموا على المدينة دفعة واحدة ليروا هل ان فيروزشاه وفرخوزاد وكرمان شاه ومن معهم بخير أو أنهم بالأسر يقاسون ظلم الصينيون ومن ثم قال اردوان لطيطلوس لا بد من تفريق هذه الجيوش وقتل ديدار فى هذين اليومين ومن ثم نعود إلى المدينة وننظر هناك فى الطرق الموصلة إلى فتحها والاكتشاف على من داخلها من قومنا ولا بد ان الله سبحانه وتعالى يسهل لنا الوصول اليهم ورفع الضيم عنهم فهو لا يترك عبيدا أقاموا على تعزز كلمته فى مشرق الأرض ومغربها فمدحه طيطلوس على كلامه وثبت عنده تغيير الحالة التى وقعت عليهم والصعوبات التى لاقوها وباتوا ينتظرون الغد ليبكروا إلى الحرب والقتال ويخلصوا خورشيد شاه من أسر ديدار وكان بيلتا قد فرح بابن أخيه وابن فيروزشاه وباقى الفرسان وقد تقوى بهم بعد ان كان قد قطع الرجاء من الخلاص وثبت لديه انه من الهالكين لعظم جرحه ومضايقة الأعداء لهم وصار يؤمل بأنه يعود معهم إلى الحرب بوقت قريب . وكان شيرزاد أشد الجميع كدرا لعلمه ان اباه أسر فى جيوش الأعداء وهو قريب منه محجور عليه لا يقدر على الخلاص وهو لا يصدق ان يأتى ليباشر الحرب والكفاح ويبدد الأعداء ويفرج عن أبيه

فهذا ما كان من رجال الفرس وما نالوه من الفرح بسبب تلك النصرة الغير منتظرة وعودة السعادة اليهم بعد ان لاقوا ما لاقوا من النحوس واما ما كان من منكوخان وديدار فانهما عادا إلى الوراء كما تقدم معنا ونزلا بالخيام واجتمعا ومعهما اعيان الفرس وقوادها وقال لا ريب ان النار غضبت علينا فى هذا اليوم حيث لم نؤد لها فروض الشكر المتوجبة علينا بل سكرنا بخمرة النصر الذى حسبنا ان وقوعه كان بقوتنا وبسالتنا واقدامنا والا كيف من الممكن ان اصبح الأعداء على آخر رمق من الحياة وهم على شفير الهلاك لاقوة لهم على الدفاع والثبات وحمل حملاتنا ولا

نقطة ماء يروون بها ظمأ. واحد منهم تاتيهم المعونة عند وقوعهم بمثل هذه الأحوال وما ذلك الا من تدبير النار ذات الشرار وانا نطلب اليها الآن أن تعيد الينا النصر وتقدرنا على كسر هذه الشرذمة التي جاءت وهلاكها بوقت قريب . فقال ديدار لا ينبغي ان تؤخذ بفعل الذين جاءوا لنصرة الفرس فما هم الا غنيمة لنا لأنهم قليلو العدد لا يثبتون في وجوهنا قط واني ازمعت في الغد ان ابارز الفرسان واحدا بعد واحد واطلب منهم الأبطال حتى اذا قتلت الرءوس ذابت الاذناب اى اذا قتل من بينهم الأبطال والفرسان وتبدد شملهم وضعفوا عاد الينا النصر كما كان واني احسب سوق هذه العصابة القليلة هي من توقيعات النار وحبا في نجاحنا لأنها تريد ان تقرض الفرس دفعة واحدة فيبادون عن آخرهم ولا يبقى لهم بعد ذلك اسم يذكر . وبقيوا على مثل تلك الحالة منتظرين الصباح إلى ان جاء صافيا نقيا وبعث باشعة شمسه لتتقد ذاك المكان تسملا للقوم على مرأى بعضهم البعض تخرق لهم حجب الغبار المتكاثف اثناء انتشاب نار القتال والوقت نهضت عساكر الفرس نهضة الأسود الكواسر وهي مشتاقة كل الشوق إلى خوض معمعة القتال واسرعت إلى خيولها فركبتها وإلى نصولها فتقلدتها ودنت من ساحة الميدان فوجدت عساكر الصين قد قابلتها بالمثل واخذت في ان تصطف صفوفا صفوفا وتترتب جماعة جماعة وقبل ان انتهى ترتيبها إلى الأخير توسط ديدار الميدان وهو على ظهر جواد كأنه السرحان . غاطس بالحديد من رأسه إلى قدمه معتز بنفسه كل الاعتزاز فصال وجال من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين وهو يزئر زئير الأسود . ويصيح باصوات ترعب الأفئدة والكبود . ولعب بعمده على ابرع فن تعلمه واعتاد عليه وبعد ان اخذ بنفسه الحد وقف في الوسط وصاح قائلا انا ديدار . منزل على الأعداء امطار الدمار . ومهلك كل صنديد وجبار . فمن منكم راغب في الفناء كاره البقاء . فليبرز إلى لانجز امره . وانهي من هذه الحياة عمره : فلما سمع اردوان كلامه كاد ينشق من الغيظ وقال لا بد ان اريه اليوم حربا لم ير مثلها عمره بطوله ثم صاح بالجواد فخرج من بين الصفوف كانه السهم الطيار إلى ان فاجأ ديدار وقال له ويلك ايها الخبيث الغدار . اتظن ان الدهر يصفو لك الى هذا المقدار . فقد انتهى عزكم وخاب رجاكم ولم يبق لكم من امل بالنصر الذى كنتم تؤملونه فاثبت الآن امام اردوان ابن اخي بهزاد . فقال ديدار لم يكن في عهدى ان اقاتل الغلمان الصغار الذين لايصلحون لمثل هذا المقام بل من الواجب عليهم ان يبقوا بالشوارع والأزقة يلعبون مع بعضهم ما لاكر وهل بعد اسرى لعمك بهزاد الذى تفتخرون به [illegible]ون بشجاعته احسب حساب من مثلك . ثم صاح فيه وهجم عليه فلاقاه ملاقاة

سود الآجام . واخذ معه فى القتال والصدام . ولاقاه اردوان بقلب اشد من الصوان . واخذ معه فى الجولان . وكان الاثنان من ابطال ذاك الزمان . ومن الذين لهم حق السيادة على الأبطال والفرسان . قد أبهرا بقتالهما الأنظار . وأدهشا الأبصار . حتى أخذ الجميع الذهول . وتحيرت منهم العقول . لأنهم رأوا من قتالهما العجائب . وشاهدوا من جولانهما الغرائب . وأمعن طيطلوس فى قتال اردوان . وزانه بحكمته باخبر ميزان . فرآه يشبه عمه بهزاد . فى ساحة الحرب والطراد . وثبت لديه انه ينتصر على ديدار . وانه سيقتله او يأسره قبل فوات ذاك النهار . ومثل ذلك منكوخان فانه اخذه الانبهار من فعل اردوان مع صغر سنه ولم يكن يخطر قط فى ذهنه انه يثبت أمام ديدار حتى رآه وهو يدور من حواليه كالدولاب . وينحط عليه انحطاط العقاب وقد سد بوجهه كل باب فأخذ يطلب النصر لديدار ويسأل له السلامة بمساعدة النار هذا والاثنان بأشد قتال ونزاع وجدال وهما تارة يفترقان وطورا يتناطحان . ويتقاتلان ويتصادمان ويتماسكان تماسك الآساد . ويتصارعان تصارع الأطواد . حتى فات الظهر أو كاد . وإذ ذاك رأى ديدار سرعة اردوان . وخفته فى أثناء الضراب والطعان . فعمد إلى ما كان مصطلح عليه فى ذاك الزمان . وهو الضرب بالعمدان . ولذلك صاح باردوان وقال له قف أيها الغلام مكانك فان الحرب انصاف . لايكره فيه الا أولوا الجور والاسراف . فاذا كنت تدعى أنك من الأبطال الشداد فأثبت لضرب عمدى ثلاث ضربات ثم اضربنى مثلها ثلاث فمن كان منا أشد حيلا وأقدر ثباتا يظهر فى مثل هذا المقام . فأجابه اردوان وقال له انى منصفك فى القتال فاضرب ثلاثا بثلاثين فأمامك جبل من أمتن الجبال لا يتزعزع ولا يهتز ولايأخذه ملال . ثم أخذ الطارقة بيده وثبت على ظهر جواده ففرح ديدار وأمل النجاح وانه سينتصر على خصمه لتأكده انه صغير لايقدر على الثبات تحت ضرب عمده الذى يبلغ ثقله خمسمائة من واكثر . ولهذا أطلق لجواده العنان ذهابا وايابا ثم عارض اردوان ورفع العمد بيده إلى أعالى السحاب وبعث به بهوى وعموم العساكر تنظر وترى وفى ظنهم ان اردوان سيسحق رمادا تحت تلك الضربة القوية الا أنهم مالبثوا أن رأوا اردوان قد دفع قوة تلك الضربة بما أعطاه الله من الحيل والقوى وبما تعلمه من براعة فن القتال فسمع لصوت وقوع العمد على الطارقة دوى أشبه بالرعد . ثم نظر الأبطال إلى العمد فرأوه من صدمة الطارقة له بقوة اردوان قد أفلت من يده واندفع إلى بعيد عنه إلى الأرض ووقف ديدار غائبا عن الصواب مبهوتا من عمل اردوان متعجبا من متانة عزمه وصلابة زنده . ولما رآه اردوان على تلك الحالة صاح فيه وقال له خذ لنفسك الحذر فانى

آسرك لاعالة وصدمه بقوة قلب وجنان فامتشق ديدار الحسام وأرسله بضربة قوية فلم يعبأ بها بل تناولها بدرقته وأضاعها بمعرفته وأرسل يده بأسرع من لمح البصر إلى جلباب درعه واقتلعه من بحر سرجه ورماه إلى الوراء فأسرع رجال الفرس اليه وأوثقوه ولما رأى منكوخان ماحل بديدار استعاذ بالنار ذات الدخان من عمل اردوان وأشار إلى العساكر أن تحمل حملة واحدة علها أن تخلصه وترجع به أو تأسر اردوان فتفدى به ديدار فالتقاها ابن فرخوزاد . بثبات عزم وفؤاد وصاح شيروه وشيرزاد وحملت بقية الفرسان والقواد حملة الابطال والآساد ولم يكن إلا القليل حتى اختلطت الابطال بعضها البعض كأنه قد آن يوم العرض وأبدى كل من الفريقين جهد نفسه . لتقدم شرف جنسه وأصله . حتى ارتفع الغبار وحجبت الشمس ذات الانوار . ونشر على المتحاربين رواق الدمار . وأيقن كل منهم بالهلاك والبوار ولا سيا عساكر الصين وقوم ديدار . فانهم شعروا بالتفريق والانكسار . بعد ذاك العز والانتصار فقاتلوا قتال خائب الرجاء الراغب بالانقراض والفناء . لانها بعد ديدار لم تعد راغبة بالبقاء

وكانت رجال الفرس تقلب الميامن على المياسر وتزئر زئير الأسود الكواسر . وتطعن فى الصدور والخواصر . وتفعل بالأعداء الأجلاف كا تفعل النار بالقش الجاف واغتنمت تلك الفرصة لشفاء غليلها وارواء ظماء قلوبها من الاخصام وانقراضهم انقراضا تام غير ان الوقت كان قصيرا فلم يسمح لهم ببلوغ المرام . ومالبثوا يقاتلون الأعداء اللئام إلى ان عارضهم جيش الظلام وأرجعهم بالرغم عنهم إلى الوراء بعد ان كانوا تقدموا إلى الامام حيث سمعوا طبول الانفصال تأذنهم بترك الحرب والصدام فعادوا إلى المضارب والخيام وقد تلقاهم الملك بهمن وطيطلوس بالاعزاز والاكرام وأقاموا فى ذاك المقام . على الفرح والاستبشار . ينتظرون زوال الليل بالاعكار . واقبال النهار بجيوش الأنوار . وبعد ان دخلوا صيوان الملك بهمن أحضروا ديدار وسألوه عن حالته وكيف يرى نفسه فلا أبدى خطابا ولاأجاب جوابا بل بقى صامتا لأنه كان متكدرا من نفسه كيف أنه يكون ديدار ويأسره ولد من الأولاد الصغار وبينما هم على مثل ذلك وإذا بالعيار جلدك عيار ديدار قد دخل عليهم وقبل يدى الملك بهمن وأعطاه كتابا من منكوخان يقول فيه ان عندنا خورشيدشاه أسير أسرناه منكم أثناء الحرب والقتال كا أسرتم منا ديدار فاذا شئتم بدلنا واحداً بواحد فتطلقون لنا أسيرنا ونطلق لكم أسيركم وبذلك يكون الانصاف فلما قرأ الملك بهمن هذا الكتاب استشار طيطلوس فيما يقول لانه كان أكبر الجميع سنا وأعرفهم خبرة .

فقال ليس من الصواب أن نطلق ديدار بعد أن وقع بيدنا ولا نفديه إلا بيهزادوامنا خورشيد شاه فهو أمامنا بين جيوش الأعداء وانتا قادرون بعد يوم أو يومين أن

نخلصه ونعيده الينا سالما ويبقى ديدار أسيرا عندنا فوافقه ابنه وبهمن وجميع الحضور ما عدا شيرزاد فانه اغتاظ من ممانعة طيطلوس وقال له انى أسألك يا سيدى أن قتل الخصم فى الميدان أهون على الفارس من أسره أم لا قال لا ريب ان القتل أسهل فقال ان الذى يأسر ديدار اليوم لا يقدر على قتله فى الغد فمن الاصابة أن تطلقه فيطلقون أبى وانى أعدكم أن أعيده لكم فى الغد كما هو الان . وإذ ذاك عرف أردوان أن غاية شيرزاد خلاص أبيه وان له الحق بذلك فوافقه وقال انى أرجوا سيدى الملك أن يأمر باطلاق ديدار واننا لا نخافه فى قتال ولا نزال ولا حرب ولا جدال وانى قادر فى كل ساعة من ساعات الزمان أراه فيها فى وسط الميدان أن آخذه أسيرا وأعدمه الحياة فلم يمانع طيطلوس بذلك حبا بشيرزاد وسأل الملك اطلاق ديدار ولهذا قربه منه وقال له ان منكوخان يسألنا اطلاقك فيطلق لنا خورشيد شاه ولهذا أجبناه فهل تعاهدنا أنت على ذلك وتبعث لنا بأسيرنا حال وصولك إلى قومك . قال انى أعاهدكم العهد الصادق وأقسم لكم بمعتقدى انى أطلقه لكم ولا أخون عهدى وقولى لأنى راغب فى أن اجرب نفسى مع اردوان مرة ثانية فاما ان آخذ لنفسى بالثأر واما ان اقتل وقد كرهت فى هذه الحياة ولم يعد لى رغبة فيها بعد ان فزت على الأبطال وقهرت صناديد الرجال يأسرنى غلام لم ينبت الشعر بعارضيه ويفضحنى عند كل إنسان فأجاب الملك بهمن طلبه وامر طارق العيار ان يحل عقاله فحله واطلق سراحه وحينئذ قال له اردوان انى انتظر ان اراك غدا فى الميدان لتعيد اليك شرفك ولا تكن جبانا فتتأخر عن ملاقاتى قال سوف يفصل بيننا اليوم الآتى فاما الموت واما الحياة

ومن ثم عاد ديدار ومعه عياره جلدك إلى ان وصل إلى جيوشه وسار منها متقدما شيئا فشيئا إلى ان وصل إلى صيوان منكوخان فوجده بالانتظار إلى ان رآه فقام اليه وسلم عليه وهنأه بالخلاص وقال له انى اشكر عناية النار التى خلصتك من

انتهى الجزء الثانى والثلاثون ويليه الجزء الثالث والثلاثون

الجزء الثالث والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

هؤلاء الاشرار لأنها منعت عنك نفوذهم وطمست على قلوبهم فأطلقوك وما ذلك إلا أن لها غاية كبرى ترجع لنفسك والناموس الذى فقد منك بسماح منها لأن لا يمكن أن تترك غلاما لا يزال بسن الرضاع يتمكن من بطل أبطالها العظام قال قبل كل شيء أطلق خورشيد شاه ليذهب إلى أهله وفى الغد يكون الانفصال فاما أن أبلغ المراد وإما ان أترك هذه الحياة ولا أرضى بالذل والعار فقال منكوخان مامن داع الآن لترك خورشيد شاه وإطلاقه حيث أن الأعداء قد أطلقوك وانقضى الحال ووصلنا إلى الغاية التى نحن طالبوها وهى حصولنا عليك سالما ورجوعك لقيادة جيشك فقال ديدار لا بد من إطلاق خورشيد شاة لأنى عاهدت الايرانيين ان أبعثه مطلوق الأيدى والأرجل يعنى غير أسير ولا أحب ان أخون بعهدى وأحنث بايمانى وإذا ساعدتنى النار عدت إلى أسره مرة ثانية وليس هو فقط بل أردوان وغيره من فرسان الأعداء الذين جاءوا نصرة لقومهم

قال لابد أن النار ترضى عليك وتعيد لك النصر أعظم من الأول وعند ذلك أمر منكوخان ان يطلق خورشيد شاه ويرسل إلى قومه فى الحال فسار جلدك العيار وأطلق سراحه وقال له سر إلى قومك فقد أمرنى سيدى بذلك لأنه عاهد قومك عليه وكان خورشيد شاه عرف بقدوم نجدة من بلاد الفرس لكنه لم يكن يعرف منهم الآتون ولا تصور ان ابنه يكون منهم ولا عرف كيف كان خلاصه إلا انه عند فك قيوده سار إلى قومه وسار معه جلدك حتى أوصله إلى آخر جيش الصين وتركه ورجع وبقى خورشيد شاه سائرا إلى ان دخل بين قومه ومر على الحراس فصاحوا به فعرفهم بنفسه ولا زال حتى وصل إلى صيوان الملك بهمن ودخل الصيوان وهو يحب ان يرى القادمين وحين دخوله نهض اليه طيطلوس وقال له تقدم فسلم أولا على الملك بهمن بن فيروز شاه الذى جاءنا بوقت الشدة والضيق ورفع عنا هذه المصائب والأهوال التى كنا وقعنا بها فما صدق ان هذا صحيح ونظر إلى الملك وقبلا بعضهما البعض وشكره على سعيه فهنأه بالسلامة وسأله عن جده وعن أهل إيران فقال هم بخير ثم ان طيطلوس قال له تقدم أيضا إلى ولدك شيرزاذ فهو إلى جانب الملك بهمن فنهض فى الحال شيرزاد وقبل يديه فرمى نفسه عليه ومال بكله اليه وهو يقبله ويبكى من عظم الفرح لأنه تركه غلاما ولا يكتفى بالقليل من تقبيله بل كلما رجع عنه يعود فيقبله ثانيا فثالثا حتى قال طيطلوس من

الواجب أيضا ان تسلم على اردوان بن فرعوزاد الذى أسر ديدار فى هذا النهار وفداك به فتقدم اليه وسلم عليه وشكره على اهتمامه فهنأه بالسلامة ثم سلم على شيرومو بزجمهر وجميع القواد الذين جاءوا مؤخراً وحمد الله على هذه المنة التى افتقد بها جيش الفرس وخلصهم من ضيقهم وعليه فقد صرفوا تلك السهرة يحكون لخورشيد شاه ما كان من أمرهم فى بلاد الفرس وخروجهم منها إلى ان وصلوا إلى تلك النواحى وأجلوا الأعداء عن قومهم وهو يسر منهم ومن ولده ويحمد الله كيف أنه خرج بطلا يذكر وهو بسن الأولاد وبعد انقضاء السهرة انصرفوا إلى مراقدهم ينتظرون الصباح وفى أول اليوم القادم أى عند بزوغ شمسه نهض الملك بهمن وركب فى موكب ورفعت من فوقه الأعلام والرايات وركبت الفرسان والقواد من الصغير إلى الكبير وهم ينتظرون فى ذاك اليوم ما يكون بين اردوان وديدار لأنهما تواعدا إلى العود إلى القتال والحرب والنزال وتقدم الجمع إلى ساحة القتال وكذلك ركب منكوخاز وديدار وفرسان الصين ووقفوا مقابل رجال إيران وحينئذ توسط اردوان الميدان ونادى ديدار أن يخرج اليه ليرفع عنه العار ويمنع الفضيحة التى لحقت ه وما انتهى من مناداته حتى فاجئه ديدار وصاح به وأخذ معه بالطعان والضراب وهو محروق القلب والفؤاد يتمنى أن يبلغ منه المراد فى تلك الساحة ليرى الجموع المتجمعة أنه قهر خصمه فلا يقال عنه أسر من غلام لم يبلغ أشده ولم يسبق له أن ذكر بين الأبطال والفرسان بل أول قتاله كان معه وأما اردوان فكان يحاول أن يعيده إلى الأسر مرة ثانية ولذلك أخذ معه فى المطاولة والجولان والمحاولة وهما كأنهما فرخا جان . أو عفريتان من عفاريت السيد سليمان يهمهمان ويدمدمان ويصيحان . ولم تكن ترى منهما الفرسان إلا ضرابا وطعان . وحربا أشد من لهيب النار عند الشعلان . وقد بذلا فى القتال الجهد وأكثرا من الأخذ والرد . والقرب والبعد إلى أن زهقت منهما الأرواح وضاقت الصدور من التنفس والارتياح حتى جاء الوقت الذى كان به أسر ديدار فى اليوم الاول أى صار بعد الظهر وحينئذ تأخر ديدار وقال لأردوان ان هذه الحال تطيل بنا الى الزوال فلنعد الى ما كنا عليه فى الامس فاضربنى ثلاث ضربات وأضربك مثلها وبذلك يظهر عظم اقدامك لأنى فى الامس لم أنتبه ولم أكن أعهد فيك هذه القدرة حتى وقع العمد من يدى واما الآن فاضربنى أنت أولا ومن ثم أعود فأضربك أنا .

فقال له اردوان انى أجيبك الى كل ما تطلب انما لا يمكن أن أضربك أولا لأن رجال الفرس لم يسبق لها أن تكون البادئة عنــــد وقوع مثل هذا القتال ولا تتحمل على نفسها أن تكون جائرة على الاخصام بل من طبيعتها أن تحتمل

أولا ضربات مقاتليها ثم نعود إلى مجاوراتهم فأفرغ أنت أولا والقانى ثانيا . فأجاب ديدار وأخذ بيده العمد وقام بمتانة عزمه وضرب به أردوان وهو قابض عليه بكل عزمه وفى ظنه ان تكون تلك الضربة كافية لسحقه فلم تؤثر به ولا اهتم بها بل التقاها بقوة زنده ورفع العمد إلى الوراء بما اضعف عزمه وضربه الثانية فالتقاها كالأولى ولما عرف انه لم يبق له إلا ضربة واحدة وانه يغلب بعد ذلك اغتاظ كل الغيظ ورفع العمد وفى نيته ان يغدر به فرآه متحذراً كل التحذر فارسل الضربة إلى راس جواده فسحقه وشعر اردوان بفعله فتكدر وعرف من نفسه انه سيقع إلى الارض لوقوع الجواد وسبق لذهنه سيدركه وينال منه مراده ولذلك عند وقوع الضربة على رأس الجواد اسرع ولطم ديدار بالطارقة فى صدره فغيبه عن الصواب ولم يتمكن من ان يدركه فى الحال لتألمه وإذا بشيرزاد قد صاح صياح الرعد القاصف وهجم على ديدار واخذ معه فى الطعان والضراب وحال بينه وبين اردوان وعند ذلك اسرع طارق العيار واتى بفرس كريم إلى اردوان وهو يلملم نفسه من الوقعة ولما وصل الجواد اليه ركب ورجع إلى ديدار وطلب من شيرزاد ان يتخلى عنه وكان شيرزاد قد ضايقه كل المضايقة وعزم على قتله إلا انه رجع عنه اكراما لاردوان لعلمه إذا لم يقتله هو او يأسره يبقى مغتاظا ولما رجع شيرزاد صاح اردوان وقال له ويلك ايها الخبيث الغدار لم يكن عهدى وانت من الابطال الشداد ان تسلك سبيل الخيانة وتترك سبيل الرشاد وانى كنت اشفق عليك واطاولك فى القتال على امل ان اخذك اسيرا دون ان تهان او يلحق بك ضر واذى حتى بدت الخيانة منك والآن لا بد من قتلك على اى حال كان ثم صاح به وهجم عليه واشهر بيده الحسام إلى ما فوق رأسه وضربه به والغيظ يملأ كبده فوقع السيف على الطارقه فقطعتها نصفين وهوى السيف على كتفه فشطره الى خاصرته ووقع الى الارض قتيلا يخبط بدمه وبعد ذلك صاح اردوان بأهل الصين ويلكم لئام أوغاد . فقد جاءكم أسد الاساد . ومشبع الطير فى يوم الطراد . اردوان ابن أخى بهزاد . ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد . ليعيد اليكم فرحكم كدرا ويريكم من حربه ناراً وشرراً . وارتمى على قوم الصين فتبعه شيروه وشيرزاد وهما ينادیان مناداة العظمة والمباهاة . وقد انحطا على الاعداء انحطاط البزاة . وتبعهما رجال الفرس وغلمانها وهم مسرورون بقتال اردوان وقتله لديدار الخائن الغدار فالتقاهم عساكر الصين ومنكوخان . وهم بانكسار وهوان . وثبت عندهم بعد ديدار الفشل والانكسار . فقاتلوا قتال المضايقة والرغم . وقلوبهم مملوءة من الخوف والوهم وفى نيتهم الرجوع الى الوراء . من أمام وجه الاعداء . ولولا منكوخان لتفرقوا فى

البوارى والقيمان . وتركوا ساحة الميدان . لأنهم علموا أن لا قدرة لهم على الثبات أمام الأخصام . وأن لاخلاص لهم إلا بالفرار والانهزام . وماصدقوا أن جاء آخر ذاك النهار وضربت طبول الانفصال ابرجعوا إلى أماكنهم ويرتاحوا من لهيب سيوف الايرانيين وعند المساء تأخروا إلى الوراء ونزلوا فى الخيام وهم على أيشم حال وأقبحها وبعد أن أخذوا لأنفسهم الراحة اجتمعوا عند منكوخان وشكوا له حالهم وقالوا له من الصواب أن نعود إلى المدينة ونقاتل عند ضواحيها ونبعث بالخبر إلى جهان يدبر فى أمره ما يراه مناسبا فقال لهم إنى عزمت على ذلك فاصبروا إلى آخر السهرة حيث يكون الأعداء قد ناموا وغفلوا عنا فنرحل ونرتاح من حرب اليوم الآتى وإلا فاجئونا وأقاموا بنا القتال وأهلكونا ولا يمكن أن يضيعوا فرصة مثل هذه قد نالوها وأدركوها ثم أمرهم أن يتهيئوا للرحيل ويبقوا النار شاعلة كى لا يدرى بهم الايرانيون

وأما الفرس فبعد أن عادوا من القتال واجتمعوا فى صيوان الملك بهمن أخذ الجميع فى أن يثنوا على أردوان ويمدحوا فعله وهنأوه بالسلامة من غدر ديدار فقال لهم لم يكن فى ظنى قط أن يسلك طرق الغدر والحمد لله فان غدره وقع على الجواد وقد لاقى شر عمله ولم أكن أقصد من الأول قتله بل طاولته لآخذه أسيرا ولا أقتله وبعد ذلك قال طيطلوس إننا بأمان الآن من الضيق والعود إلى ما كنا عليه قبلا وأرى من الصواب النظر فى أمر الأعداء وأن لا نضيع فرصة ملكنا إياها الزمان وإنى أرى أن الأعداء قد شعروا بما وقع عليهم من حربنا وثبت لديهم أننا سنوقع بهم فى اليوم القادم ولذلك لا بد لهم من التأخر فى هذا الليل والرجوع إلى الوراء كيف كان الحال ولاريب أنهم ينتظرون غفلتنا ليبعدوا عنا ويسيروا الى الصباح فنلتزم فى الصباح أن نتبعهم ومن ثم لا نعود ندركهم الا عند المدينة وربما دخلوها وحاصروا فيها وعندى من الصواب أن نضع عليهم العيارين حتى اذا رأوهم على مثل هذه النية وقد عمدوا الى الرحيل وبدأوا بقلع المضارب عادوا الينا ولا يليق بنا بعد أن أعطانا الله من النصر ما أعطانا أن نتغاضى عن الكفار ونهمل أمرهم لينضموا الى بعضهم فاستصوب الملك بهمن رأيه وبعث بطارق العيار فى الحال واوصاه مراقبة الصينيين حتى اذا رأوا منهم العزم على الارتحال عاد فأخبرهم به واقاموا له بالانتظار وامر طيطلوس ان تهدأ نيران الفرس وان يدخلوا الخيام ففعلوا ولما راى رجال الصين أنهم غير منتبهين اليهم ظنوهم قد ناموا واخبروا منكوخان فأمر فى الحال ان تقلع الخيام وترفع على ظهور البغال وتركب الفرسان وتسير دون ان تبدى حركة ينتبه اليها الأعداء فأخذوا باجراء امر منكوخان وكان طارق كامنا فى احدى النواحى وقد رأى ما رأى فثبت عنده رحيلهم وقال فى نفسه لقــــد اصاب طيطلوس ورجع فى

الحال إلى الملك وأخبره بما رآه فأمر أن تقلع مضارب الفرس وأن تركب الرجال ففعلوا وما سار الصينيون حتى سار الايرانيون فى أثرهم طول ذاك الليل إلى أن بدت غرة الصباح فنظر الصينيون إلى الوراء فرأوا الفرس على أثرهم فعلموا أنهم علموا بهم واطلعوا على رحيلهم وتيقنوا أن لاخلاص لهم منهم إلا بالثبات فى القتال ذاك النهار وعند المساء يسيروا إلى ضواحى المدينة ولذلك قال منكوخان لقومه لقد أدركنا الأعداء وما من وسيلة للفرار منهم فقاتلوا هذا النهار واحموا أنفسكم منهم إلى المساء وفى المساء سرنا إلى ضواحي المدينة حيث أصبحت قريبة منا . ثم أمرهم أن ينزلوا عن خيولهم ويرتاحوا ساعة أو أكثر إلى حين هجوم الأعداء عليهم ففعلوا وأقاموا على الانتظار إلى أن قرب الايرانيون فصاحوا فيهم وحملوا عليهم واحتاطوا بهم وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وجودوا الضرب بأهل الصين ليشفوا منهم قلوبهم ويجازوهم جزاء أفعالهم فالتقوهم بقلوب صابرة على البلايا حاملة لأثقل الرزايا . خائفة من أن تكون أنفسها للمذابح الايرانيون ضحايا . وكانت أكثر من الايرانيين بأضعاف لكن لم يكن فيها من القوة والقدرة نصف ما بأولئك وهى مشعرة بالضعف متيقنة بالكسرة عالمة أن الأعداء عاملوها بمثل ماعاملتهم أى أنها تأثرتهم ليلا ونهارا إلى أن أدخلتهم الجبال وأن الزمان عاد فسمح لهم أن يعاملوهم بنفس تلك الأعمال . قال ولا زال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ومصائب الدهر على الصينيين تنزل وعزرائيل بقبض أرواحها مشغل . حتى تأخروا كل التأخير وصاروا يقاتلون ويرجعون شيئا فشيئا وامتلأت الأرض من قتلاهم وداستها خيول الفرس لا تكل ولا تمل ولا بأخذها هدو ولا تحركها شفقة لأنها نظرت فرصة واسعة فلم تقبل فواتها من يدها وقصدت تقليل عددها وإلقاء الرعب فى قلوبها كى لا يعود لها قدرة على الثبات بعد وصولنا إلى المدينة بل لا يصل منها إلا القليل والذى يصل يكون ضعيف العزم والقلب وهكذا كان فإنه عند ما أقبل المساء كانوا قد قربوا من المدينة وصاروا عند ضواحيها فأمر منكوخان عساكره أن تنزل فى ذاك المكان تضرب خيامها فيه وترتاح وهو مغتاظ جداً من عمل الأعداء وأفعالهم بهم حيث قد أهلكوا أكثر من نصف نصفهم ولم يبقوا قوة بالباقين وبعد أن استقر به المقام وارتاح قليلا أخذ فكتب كتابا إلى الملك جهان يطلعه على ما حل به وما صار عليه من الفرس ويعلمه بالنجدة التى جاءت لهم فقال :

من منكوخان وزير الصين ورئيس جيوشها إلى سيده جهان إله الصينيين وملكهم وحاكمهم .

اعلم يا سيدى أننا قاتلنا الأعداء مع ديدار قتالا قويا حتى أبعدناهم عن هذه الديار وأدخلناهم الجبال وحاصرناهم فيها وأضعفناهم كل الضعف وقللنا من عددهم جداً ومنعناهم من الماء خمسة أيام إلى أن كادوا يهلكوا وأخيراً رموا نفوسهم علينا وقد قطعوا الرجاء من الحياة وقاتلوا قتال اليأس وما فيهم من يقدر على حمل سلاحه فثبت عندنا أنهم اندثروا وانقرضوا ولم تعد تقم لهم فيما بعد قائمة إلا أن النار لم ترض لنا هذا الانتصار ولا ساعدتنا عليه إلى النهاية ولذلك أعرضت عنا إذ أن الأعداء قد تقووا بنصرة جديدة جاءت لهم من بلاد الفرس يبلغ عددها نحو الأربعمائة ألف فارس وعليهم الملك بهمن ابن فيروزشاه وجماعة من فرسان إيران الأشداء منهم أردوان ابن فرخوزاد وشيروه بن كرمان شاه . وشيرزاد بن خورشيد شاه وكلهم من الأبطال الذين لا يوجد مثلهم فى كل جيوش الصين فارجعونا عنهم ورفعوا الحصار وأنزلوهم من الجبل وبالاختصار أن أردوان المذكور قد قتل ديدار ومن بعده ضعفت جيوشنا وحل بنا الفناء فجعلنا نتأخر وهم يتأثرونا إلى أن وصلنا إلى ضواحى المدينة وها نحن قائمون على الأبواب منتظرون أمرك انبق إلى أن تخرج أنت أم ندخل المدينة ونحاصر فيها كما كنا سابقا والأعداء قائمون بالقرب منا وعددهم يبلغ الثلاثمائة ألف فارس لأننا أهلكنا أكثر من نصفهم .

ثم إنه طوى الكتاب وبعثه إلى الملك جهان وأصبح هو على الانتظار وكانت عساكر العجم أيضا قد نزلت بالقرب منها وأمر الملك بهمن أن تجتمع اليه الأبطال والفرسان فجاءوا اليه واستشارهم إذا كان فى الغد يباكر القتال أو يصبر إلى أن يعلم خبراً عن أبيه فقال له طيطلوس إن القتال لا يفيدنا فى الغد ولا بد من أن منكوخان يبعث خبراً إلى جهان فيخرج بمن بقى من الصينيين ويقع القتال خارج المدينة وأما إذا بكرنا فى الغد إلى محاربة الباقين يلتزمون بالرغم عنهم إلى الدخول والحصار ولهذا أرى من الصواب أن نصبر على الأعداء إلى أن يخرجوا بأجمعهم فنضربهم ضربة واحدة وربما تسهل لنا أن نمسك أبواب المدينة فنمنعهم من الدخول اليها وإلا فلا يمكن أن نتغلب على أسوار هذه المدينة بسنين وأعوام إلا إذا كان ذلك بأمر فوق العادة من لدنه تعالى فاستصوب الملك بهمن هذا الرأى وقال لا بد من الراحة على كل حال عدة أيام وليال إلى أن نرى كيف يدبر الله تعالى بحكمته وإدراكه .

ولنرجع إلى داخل مدينة الصين إلى فيروزشاه وأمراء الفرس الذين كنا تركناهم فيها وذلك أن بعد قتل أولاد أخ سعدان وزوجة فيرموز والرجوع إلى بيت أم فيرموز أقاموا ينتظرون الفرج إلى أن كان اليوم الثالث من حين تلك الواقعة فدعا مهريار

الوزير فيروز اليه وقال له انى أعرف كل المعرفة أن أمراء الفرس عندكم ولذلك صرفت العناية الى رفع الشبهة لكنى لا أقبل معكم أن تتنعموا أنتم وحدكم بمشاهدتهم ويكون لكم الفضل الاكبر عند فيروز شاه وابقى أنا متروكا منه مع انى أسعى لخدمته سعى العبيد وأحب أن أراه واخاف أيضا أن يكتشف ونك على أمرهم فيمسكون وتعودون أنتم الى العذاب ولهذا أحب أن أجيء بهم الى بيتى فلا يظن أحد أنهم عندى ولذلك يكونون بأمان أكثر الى أن ندبر لهم طريقة الخروج لاسيما وأن قومهم الآن قد تأخروا وتبعهم ديدار ولم نعلم ماذا جرى عليهم ومامن خوف اذا أخبرتنى بهم لأنك تعلم يقينا أنى أعبد الله سرا مثلكم وأحب الذين يعبدونه ولا ندع الكافرين يوقعون بهم ويصلون أذاهم اليهم . قال انى أعرف ذلك منك ياسيدى وقد شاهدت عيانا فعلك الجميل معنا ولا امنع عنك خبرهم فهم الآن فى بيت والدتى وتحت عنايتها ولاأقدر أن أخفى عنك شيئا لانك حسن الطوية تعبد الله وتتقى جانبه وتحب رجاله فاذا شئت سرنا اليهم معا وعرضتهم عليك ولكن مؤكدا لديك أننا لو متنا نحن وجميع عيالنا وعذبنا أشد العذابات لما أظهرنا أمرهم قال حسنا فعلتم فان الله سيكافئكم على هذا ومن ثم نهض الوزير مهريار وفيروز وسارا الى ان وصلا الى مكان وجود الامراء فوجدا الباب مقفلا فطرقه فيروز وعرف والدته به ففتحت له ودخل ومعه مهريار حتى جاء الى امام فيروز شاه وهو جالس مع قومه وعياريه وإذذاك قال له فيروز هوذا ياسيدى قد جئتك بأعظم رجل فى الصين يمكن ان يساعدنا ويسهل لنا طريق المرور والخروج من المدينة وهو من أعظم عباد الله فى هذه المدينة الاتقياء الاتقياء مهريار وزير جهان وقد طلب ان يتشرف بك وبمعرفتك

فتقدم مهريار وقبل أيادى فيروز شاه وسلم على باقى الامراء ومن ثم قال له اعلم يا سيدى انى أحب ان أكون مخلص الود لك راغبا ان أصرف العمر بين يديك وانى أفضل ان أخاطر بنفسى من أجلكم واساوى اخ سعدان وفيروز بحمل المصائب واشاركهما بها ولا يصعب على حمل مثل هكذا أثقال فقال له فيروز شاه انى اشكرك على هذه الخدمة وسوف تبدى لك الايام ما اضمره لك وانى ارجوك ان تسهل لى طريق الخروج من هذه المدينة قال لابد من ذلك ياسيدى لان قومك بضيقة عظيمة وقد تأخروا الى جهة الجبال ليحاصروا بها ولا أعلم ماذا كان هناك

فكادت مراره فيروز شاه أن تنفطر عند سماعه هذا الكلام وذم الزمان الذى رماه فى ذاك المكان وقال إن الله يفعل مايشاء ويريد فهو يريد الآن عذابنا لكنى أثق كل الوثوق انه لا يتركنا من رحمته . فقال مهريار إنى اريد منكم يا سيدى أن تذهبوا إلى بيتى وتقيموا فيـــه إلى أن أرى سبيلا لخروجكم حيث أن

ونك أخـذ بتفتيش المدينة والبحث أملا أن يتوصـل اليكم ولا بد له من المرور من
هذه الجهات لأنه خبيث محتال أما لا يقدر أن يسأل فى بيتى ولا يجسر عليه ولذلك
تكونون منه بأمان فاستصـوب الجميع هذا الرأى واستحسنوه وقالوا له لقد أصبت فان
بيتك أوفق لنا من هذا المكان . وبعد ذلك أخذهم مهريار إلى بيته تحت ظـلام
الليل دون أن يعلم بهم أحد وادخلهم اليه وعين لهم مكانا يقيمون فيه وهكذا أقاموا
مدة ثلاثة أيام وفى كل ليلة يأتيهم مهريار وفيرموز وأخ سعدان يصرفون الوقت
بخدمتهم ويطلعونهم عما يجد فى المدينة

قال وفيما هم كانوا عند الوزير وصل إلى الملك جـهان كـتاب منكوخان المتقدم
ذكره فلما قرأه وعرف مابه ارغى وازبد وقام وقعد ولعن الفرس ومجيئهم إلى بلاده
وقال لابد ان إلههم يحبهم ويراعيهم أكثر من محبة النار لنا كـيف انه سـاعدهم إلى
الانتصار بعد الانكسار وقد قتلوا ديدار وأنزلوا على جيشه وجيشى المصائب والبوار
ولم يعد من وسيلة الا ان أخرج اليهم بنفسى وأخرج معى كل ذكر فى المدينة يقـدر
على حمل السلاح حتى نبيدهم بأجمعهم ونزحف عليهم بكـثرتنا ولا نبقى منهم ديار .
ولا نافخ نار . ولابد من قتلهم بأجمعهم وانى أعلم متى عرف قومى انى بينهم فى القتال
يلتزمون بالمدافعة وحيث ان رجال الفرس أبطال صـناديد لا يغلبون الا بالكـثرة
وزيادة العدد كـيف يمكنى بعد أن دخلوا الصين وأقاموا عليها أكثر من ست سنوات
أن أسهل لهم طرق الخلاص منها وأن يكونوا منصـورين فيها واعجب من كل ذلك
انى بعثت طلبت مساعدة الملك شـنكال من الهند وحتى اليوم لم يصـل ويظهر انه
ظن أن الأمر ليس بحاجة اليه ولهذا لابد من ارسـال رسـول ثان اليه . وفى الحال
أمر أن تخرج العساكر وكل رجال المدينة وغلمانها من كل ذكر يقدر على حمل السلاح
وان ينادى بالمدينة بين الكبير والصغير انى سأخرج بنفسى قاصدا حرب الفرس
فمن رغب بسلامة الملك خرج للدفاع عنه وعن بلاده . ومن ثم دعا اليه ونك العـيار
فوقف بين يديه . فقال له هل حتى الساعة لا تقدر ان تقف على خبر أسـارى
الفرس الذين هربوا من السـجن قال انى فتشت المدينة بيتا فبيتا فلم اقف لهم على
خبر ولم يبق الا بيتك وبيت وزيرك مهريار ومنكوخان ورجال ديوانك العظام .
قال لايمكن ان يكونوا عنـدهم ولا بد أنهم مختفون فى مكان تحت الأرض وبين
الناس وانى نويت على تفريغ المدينة من الرجال فاذهب أنت وقف على الباب فمن
رأيته خارجا منها وكان غريبا عن بلاد الصين فاقبض عليه واتى به انظر فى أمره
ودم على باب المدينة إلى ان ينتهى خروج الجميع ولا يبقى أحد واياك ان تغفل او
يغيب عنك معرفة أحد قال انى أفعل ذلك وعندى ان بهذه الوسيلة لا بد من

القبض عليهم . ثم انه خرج من بين يدى الملك وسار إلى الأبواب فأقام عندها وأخذت الناس تخرج أفواجا أفواجا طالبة الانضمام إلى منكوخان ورنك ينظر ويفتش بينهم ويبحث فيهم خوفا أن يكون أمراء الفرس معهم . وفى مساء ذاك اليوم جاء مهريار إلى بيته ودخل على فيروزشاه فوجده بغيظ وكدر وهو حزين جدا فقال له لما هذه الحالة يا سيدى الست أنت بأمان فى مسكنى . قال هل يكفى أن أكون بأمان ورجالى تذبح من الأعداء وفرسانى غائبة عن الجيش وبهزاد الذى كان المعول عليه قد أسره ديدار وأبعده عن هذه الديار . ولا أعلم ما ذا صار به ولا شك ان ديدار هذا يكون قد فتك بجيوشى كل الفتك واهلك منهم كل القواد ولولا ذلك لما تأخروا إلى الجبال وتركوا هذه المدينة مع علمهم انى داخلها وعليه فانى أعرف اذا لم ادرك قومى ينقرضون ويضيع تعبنا وتنتهى بنا الحال إلى الخراب وتضرب بنا الامثال بان صرنا عبرة لغيرنا بعد ان كنا امثولة للعالم فى الثبات والانتصار والسعى وراء المجد والشرف فقال مهريار لا تتكدر يا سيدى فان الله لم يترك قومك إلى حد النهاية نعم أنهم كانوا قد تاخروا وقتل منهم أكثر من ثلثيهم وسلموا بانفسهم التسليم الاخير وصلوا صلاة الموت على نفوسهم غير أن الله ساعد تدبير طيطلوس وانتشل قومكم من وهلة العذاب وبعث من فرق جيوش الصين وارجعهم إلى ضواحى هذه المدينة وقتل ديدار وأعاد النصر لكم أعظم مما كان . فلما سمع أمراء الفرس هذا الكلام أخذتهم الدهشة والانبهات ونظروا إلى مهريار نظر المتعجب الماخوذ من أفعال الزمان وتقلباته وقال له فيروزشاه ماذا تقول هل نظر الله إلهم سبحانه وتعالى وهل بعث لهم من عالم رحمته بمن يقيهم فمن هو الذى رفع هذه الشدة ومن الذى قتل ديدار وعمل هذه الاعمال . قال هو ملك فارس فى هذه الأيام وفرسانها العظام . قال هل جاء أبى وقصد هذه البلاد اكتشافا على خبرنا لما رآنا قد طال أمرنا ولم يعد يعرف عنا خبر قال كلا يا سيدى بل الذى جاء هو الملك بهمن بن فيروزشاه بن الملك ضاراب وهو غلام لم يبلغ سن الرجال وبين يديه بطل أبطال هذا الزمان الذى قتل ديدار وأحرمه الحياة اردوان بن فرخوازاد وهو مع شيروه بن كرمان شاه وشيرزاد بن خورشيد شاه وقد فرقوا الجيوش وأهلكوا الابطال وبددوا شمل الصينيين وتابعو آثارهم إلى هذه المدينة وهم الآن قائمون خارجها وقد بعث منكوخان بكتاب إلى جهان يمنى ويشكي فقد رجاله وتضيعهم ويأن متوجعا من أعمال اردوان وشيروه وشيرزاد وكيف أنهم بدلوا هناءه باحزان وبدلوا خوف الفرس بامان وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة حتى ان الملك جهان أمر أن تخرج رجال الصين كبارا وصغارا حاملين السلاح ومن بعد ذلك يخرج هو وانا لحرب قومك . قال فلما سمع فيروزشاه بهذا الخبر سجد لله

سبحانه وتعالى وبكى بدمعة رقيقة تحدرت على خده وفعل مثله سائر أمراء الفرس وشكروا الله شكرا عظيما ولاسيما كرمان شاه فان قلبه انعطف إلى مرأى ولده شيروه وهو لا يصدق بأنه صار يقدر على الدفاع ويحكى عنه أنه من أبطال فارس وحمالى شدائدها ومثله فيروزشاه فانه وإن كان قد اطمأن على جيشه وسر بولده لكن ذكرته هذه البشرى بعين الحياة أم ولده وماذا يكون قد صار بها بغيابه أو كيف قدرت على احتمال فراقه كل هذه المدة وشعر باحتياج كلى إلى الاسراع والرجوع حالا الى إيران وصعب عليه ذلك عندما فكر كيف قدرت على احتمال فراق ولدها أيضا لعلمه أنها رقيقة المزاج تتأثر من الفراق وأنها قد ملكت نفسها لايدى الحب الخالص له منذ زمان طويل فلم تقدر على احتمال فراق ولدها وزوجها بدون ملاقاة عذاب وأشواق لا تحملها الجبال وشدة حياة ممزوجة بالأكدار والأحزان وبقى فيروزشاه مدة مطرقا الى الأرض ثم رفع رأسه متأثرا من هذه الذكرى متحملا أشد الأوجاع والآلام الداخلية الناتجة عن ارتباطه بعين الحياة وقال للوزير مهريار بما ان الملك جهان قد عزم على الخروج والناس تخرج الآن فانى أزمعت أن أخرج مع الناس وإذا اعترضنى أحد أنزلت به المصائب والأهوال واعدمته الحياة إذ ما من وسيلة ارجوها وما من فرصة انتظرها لترك المدينة اعظم من هذه ومتى صرت خارج المدينة لا اعود اخاف احدا قال اصبر ياسيدى الى بعد ثلاثة ايام فما من وجه الآن للنجاة لأن ونك متيقظ كل التيقظ يراقب كل إنسان يمر عليه فاذاعرف بكم ورآكم يقفل الباب حالا فتبقون فى الداخل ولا يعود من ثم طريق لكتمان امركم ولا تقدرون على الطيران لتذهبوا الى جيوشكم لكنى بعد ثلاثة ايام سأخرج مع الملك فأقدران اخرج منكم اربعة انفار بصفة حراس يخرجون بين حراس الملك ويبقى الباقون الى مرة ثانية وهذا الامرمن أوفق الامور واسهلها الآن ومامن خوف فى هذه الايام الثلاثة لان الحرب ساكنة من الطرفين فاستصوب فيروزشاه هذا الرأى واتفقوا جميعا على ان يخرج فيروزشاه وبهروز ومصفرشاه وبدر فتات وعليه فقد سرالجميع وامل فيروزشاه النجاة وانه سيلاقى ولده بوقت قريب وسقط عن قلبه هم كبير وفرح مزيد الفرح واقام بانتظار خبر الوزير مهريار الى حين يدعوه فيسير برفقته الى الخارج وقد احضرلهم ثياب حراس الصين.

ودامت رجال المدينة فى الخروج منها ثلاثة ايام من الصباح الى المساء وهى كالجراد المنتشر حتى لم يعد فيها قط احد إلا العاجزون عن القتال والاطفال والنساء وحينئذ ركب جهان ونشرت فرق رؤوسه رايات الصين وطلب الى وزيره ان يركب ويستعد برجاله وخدمه فأجابه واحضر كل ما يلزمه واحضر رجال الفرس وهم

فيروزشاه وبهروز ومصفر شاه وبدوفتات فاختلطوا بين رجال الصين وصاروا امثالهم حراسا وهم لا يعرفون بهم وصار جهان والى جانبه مهريار وبين ايديهم الخدم والغلمان والحراس وساروا الى ان قربوا من الابواب ولما صاروا عندها تقدم جهان من ونك وقال له لقد خرج كل من فى المدينة فهل لم تر بينهم رجلا غريبا . قال كلا ياسيدى إنى نظرت فى جميع الخارجين فاذا هم من الصين ماعدا الذين معكم بين الحرس الآن فانهم غرباء. فاستدرك الامر مهريار وقال له إن الذين معنا نعرفهم اصلا وفصلا ونسبا لكن نسألك عن الذين خرجوا هل لم يكن بينهم احد غريب قال كلا وكان فيروزشاه قد وضع يده على الحسام وقصد ان يجرده إذا ظهر امرهم ويقفز الى خارج الابواب ويخاطر بنفسه إلا انه اطمأن باله من كلام الوزير وسكوت ونك ومسير الملك جهان لانه سار غير ملتفت الى ماسمعه من ونك لعلمه ان ليس معهم إلا الحراس الذين اتخذهم له منذ زمان طويل وخدمته وخدمة وزيره مهريار . وبقى فيروزشاه سائرا إلى ان وصل جهان الى بين عساكره واختلط بهم وقام الصياح لقدومه وكان الوقت إذذاك عند المساء والقوم فى غوغاء وصياح واذ ذاك تقدم فيروزشاه من الوزير وقال له اشكرك على عملك هذا واسال الله ان يقدرنى لاكافئك عليه وارجوك ان لا تنسى الذين عندك عند دخولك المدينة او عند سنوح فرصة ثانية . قال كن براحة فلابد من خلاصهم واسال الله أن يساعدنى عليه لاقدر ان اقوم بما يرضيك ويسرك كل السرور ثم إنهم ودعوا بعضهم البعض وساروا يتلبدون من جهة إلى ثانية إلى ان خلالهم الجو فساروا إلى اول عساكر الايرانيين وقبل ان يدخلوا اعترضهم الحراس ومنعوهم من الدخول فانتهرهم بهروز وقال لهم اسرعوا إلى الملك بهمن وطيطلوس واخبروه بأن فيروزشاه قدجاء فلما تأكدوا هذا الخبر اخذوا فى ان يصيحوا على غير وعى من عظم الفرح وركضوا يعلمون الملك وهم يصيحون بين الجيش وينادون بعودة فيروزشاه والناس لا تصدق بهذا الخبر فيزدحمون عليه ولما يثبت عندهم هذا الخبر يقدمون منه لتقبيل ايديه وتهنئته .

وكان فى تلك الساعة الملك بهمن مجتمعا بديوانه مع طيطلوس وبقية الفرسان والابطال يفكرون بأمرامرائهم وسيدهم وكيف انهم دخلوا المدينة ولم يرجعوا.وقد قال الملك بهمن إنى اخاف ان يكون قد أصيب ابى بنكبة داخل المدينة ولم يتيسر لى ان رأيته وما اتيت من بلاد إيران إلا طمعا أن أقبل يده وأن أراه واكون عنده وإنى اسال الله ان لا يحرمنا من النظر اليه فيا ليت من يقدر أن يخبرنى أمرا عنه . فقال طيطلوس ان غيابه عنا مدة ست سنوات مما يقضى بالعجب العجاب ومما يدعونا أن نحسب لغيابه ألف حساب لان لا يقدر العقل أن يكون كل هذه المدة داخل

المدينة دون ان يكون قد أصيب بنكبة ما وطرأ عليه طارئ. لم يكن لنا بحساب ولهذا
تراني مشغل الفكر كل الانشغال وماذا يفيدنا النصر وماذا ينفعنا الاستيلاء على بلاد
الصين ورجالها وملوكها وساداتها إذا أصيب أبوك بنكبة ما أو حل به مصاب وكان
بقصدي ان نبعث بأحد العيارين إلى الداخل يكشف لنا الخبر إلا أننا نخاف من القبض
عليه لأن جميع أبواب المدينة قد سدت ولم يبق إلا باب واحد عليه الحراس . فقال
بزرجمهر اننا في الغد أو الذي بعده نباشر الحرب من الاعداء ونأسر جماعة من الذين
خرجوا مؤخراً من المدينة ونستعلم منهم عن سيدي فيروز شاه ورفاقه فاذا أخبرونا
أنهم في الأسر سعينا إلى خلاصهم وإذا قيل أنهم أصيبوا بنكبة يكون ذلك بحكم منه
تعالى وإذا كان لايعلمون لهم خبراً فيكون أمرهم من الأمور التي تحير العقول ويثبت
أنهم باقون في المدينة أو ساروا إلى خلافها وعلى كل حال فهذا من الموافق فاستصوب
الجميع رأيه وبينما هم على مثل ذلك وإذا بالحراس قد أقبلوا يصيحون صياح الفرح
وينادون مبشرين بقدوم سيدهم فيروز شاه .

ولما دخلوا على الملك بهمن أخبروه بوصول والده وقالوا له هو آت والناس تزدحم
من حواليه ولولا كثرتهم وانشغاله بهم لوصل اليك حالا لكن الناس من شوقها اليه
وفرحها به لم يعد لها صبر عنه فجعلت تتقدم منه وتقبل أيديه وهو يلاقيها بكل بشاشة وإكرام
لأنه هو أيضا بشوق اليهم ويسألهم عن أحوالهم . فلما سمع الملك بهمن هذا الكلام كاد
لا يصدقه ونهض مسرورا فرحا ونثر الذهب على الحراس وأمر ان ترفع وتزاد
معيناتهم وكذلك كل من حضر في ديوان الملك أنعم عليهم مكافأة لهم على مثل هذه البشارة
العظيمة التي كانوا ينتظرونها منذ زمان ويتمنون خبراً عن أحبوه أكثر من حياتهم قال
وفي الحال نهض الملك بهمن وسار وإلى جانبه طيطلوس ومن خلفه رجال مملكته
وبهلوانية بلاده والأمراء وبينهم بيلتا لأنه كان قد شفي من جراحه وعاودته العافية
وما ساروا إلا القليل حتى لاقوا فيروزشاه آت وإلى جانبه صفر شاه وبين يديه بهروز
وبدر فتات والناس تزدحم عليهم أفواجا أفواجا ولما قربوا منه بعد الناس عنه ليلاقي ولده
ويفرح به وقبل ان يصل منه تقدم طيطلوس وسلم عليه سلاما عظيما وهنأه بالرجوع
بعد هذه الغيبة وأخيرا قال له اهنأ يا سيدي بما أعطاك الله من السعادة فان نفس
التوفيق الذي كان يصحبك هو مصحب ولدك لأنه ذو طالع سعيد مثلك وقد أقامه
أبوك ملكا على فارس وبعثه لتجدنك وهذا هو الآن أمامك ولا يقدر القلم أن يصف
مانال فيروز شاه من الفرح عند مشاهدته ولده ووحيده من عين الحياة بين يديه وهو
على تلك الهيبة والجلال وقد رمى بنفسه عليه وضمه اليه وأخذ يقبله وأدمعه تسكب على

خده والابن يقبل أيادى أبيه ويدعو له ويظهر فرحه من ملتقاه وهو يبكى مثله من شدة الفرح وتأثيراته ويثنى على الزمان الذى جاد وسمح له أن يراه بخير ومن ثم سلم فيروز شاه ومصفر شاه على اردوان وشهرزاد وبزرجمهر وباقى الفرسان والقواد وسلمواهم عليهما وساروا جميعا إلى الصيوان الكبير أى صيوان الملك ضاراب ولما رآه فيروز شاه تذكر أباه وما كان عليه ايام الحرب القديمة فبكى وسأل ولده عنه فأخبره بما كان من أمره وشرح له حالتهم فى بلاد إيران من البدايه حتى ذاك اليوم وكيف بعثهم لنجدته فجاءوا وفعلوا ما فعلوا وطلب بهمن من أبيه ان يجلس مكانه فى صدر الصيوان فقال له ان أحب لدى ان أراك ملكا على فارس فى حال حياتى وقد أعطانى الله ما أنا طالبه ومنحنى الايام أمرا طالما رجوته وأما أنا فانى لا أرغب ان أكون تحت هذا التاج ولى عدو أطلبه وأسعى خلفه ولا يحملنى جلدى على التصبر عن ان أحك جلدى بظفرى وأوقع بالاعداء بنفسى وأشفى غليل فؤادى منهم ثم اجلس ابنه على كرسيه وقال له انى أتركك على تخت فارس وأكون لك معينا ومساعدا على اعزازه وترفعه وتشييد دعائمه

قال وبعد أن استقر بهم الجلوس وبفيروز شاه وسأل كل ما يحتاج أن يسأل ولده عنه طلب اليه طيطلوس أن يخبره عن السبب الذى دعاه إلى البقاء فى المدينة إلى ذاك اليوم وهل اجتمع بفرخوزاد وكرمان وهل عرف شيئا عن الاسارى فأخذ يطلعهم على كل ما جرى له فى المدينة من البداية إلى النهاية وما كان من أمر الاسارى وكيف تخلصوا وأقاموا معه فى بيت أخ سعدان وما جرى على أخ سعدان وعلى فيروز من المصائب والاهوال بسببهم وكيف كان خروجهم أخيراً حتى اندهش الجميع من كرامة أخ سعدان وفيروز وكيف أنهما حافظا على حياته ورضيا بموت أعز الناس عندهما وبعذابهما دون أن يفوها بالسر ويعلما بوجوده . ثم انهم بعد أن صرفوا السهرة انصرف كل إلى صيوانه وكان قد ضرب لفيروز شاه الصيوان الخاص به فذهب اليه وكان قبل ذهابه قد أعطاه ولده المكتوب الذى أصحبه معه من والدته فأخذه منه وهو لا يصدق أن ينفرد بنفسه ليقرأه وقد شعر من ذاته بشديد حب عظيم قوى أشد مما كان به قبلا إلى مرآى عين الحياة وعرف أنه قد طال الغياب عليها ولا بد أن تكون قد لامته فى هذا المكتوب وبقى منعطف القلب عادم الصبر إلى الاطلاع على ما تضمنه إلى أن جاء الصيوان وبين يديه بهروز فدخله مسرورا وشكر الله الذى أعاده ثانية اليه وأوصله إلى أن يحمى جيشه ويقاتل فيه . ثم بعد ذلك أخذ الكتاب ففضه وإذا فاح منه روائح الطيب وتنشق من داخله رائحة الحبيبة وكانت أيديه ترتجف وقلبه يهلع ولما قرأه وجد مكتوبا فيه

بسم الله الجامع بين الأحباب والمؤلف ما بين القلوب والألباب
من عين الحياة الحزينة المفارقة إلى سيدها فيروز شاه

لقد أضر بي التنائي . فزاد في عنائي . وهجرني المنام . فاورثني الأسقام . لقيت من البعد المصائب . وأصبت بأشد النوائب . بقيت منفردة وحيدة . أقاسي عذابات عديدة :

قسما بالعفاف في الحب عما   يغضب الله يا أخا النيرين
لم يغير ما بيننا البعد إلا   أن طيب الرقاد فارق عيني

نعم أن حبكم لا يزال يزيد . وذكرى صفاتكم لها في فؤادى المكان الرفيع المجيد أنتم منتهى الآمال . وينبوع الرجاء والاقبال . لم يكن في عهدي أن الزمان بعد أن رمانا كثيرا بالتشتت والأحزان . يعاملنا بمثل هذا الجفاء الكثير الهوان المضنى للأبدان فسامح الله الفراق على أفعاله وما أوصله الينا من قبيح اعماله .

أودعكم وأودعكم جناني   وانثر أدمعي مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا   ولكن لا خيار مع الزمان

وإنما الله كثيرا الرحمة لا يرجع سائل . ولا تخيب لديه الوسائل . يعلم ما تضمنه القلوب . ويعرف الاسباب الجالبة للكروب . مثلما يعرف صبر الصابرين ويساعد قومه المخلصين . فارقتني ولم يكن لي سلوة أتسلى بها أو حظوة أرجوها وأقربها . وليس لى قط بعدك من نصير . إلا ولدك بهمن الصغير . فانعطفت على تربيته كل الانعطاف أملا بذلك انى أرضيك . وافعل امرك بكل مايسرك ويهنيك . الى ان شب وأدرك مدارك الرجال . وصار به كفاءة القيام بأهم الأعمال فحالت دون هنائى بهدواعي الفراق وتركتني من بعده وبعدك متضايقة الأشواق قائمة على البكاء والنواح . قائلة في كل مساء وصباح :

يا سيدى بمهجتى افديكما   قمرين افلاك العلا تبديكما
من غير امر شرفا احياءنا   إذ ليس نادينا سوى ناديكما
كم من وفود عمته فأعشبت   آمالها إذ امطرت ايديكما
إن لم اجد ضررا فأنثرها على   عشاكما فقصائدى اهديكما
وبقيتما ريحانتين بروضة   هى عرش جد جاء من جديكما

كيف لا ابكى وانوح واشكو شدة البعاد . وما لقيت من ضرباته الشداد ولم يبق في بيتى غير الخيالات والاشباح التى تسير لدى اعينى على الدوام . وتبعث الى قلبي

بأشد الاوجاع والآلام . وتقرر فى قلبي بتقلب الافكار والاهام . وتجعلنى ان اقول على الدوام :

يا احباى والحب ذكور هل لايام وصلنامن رجوع
وترى العين منكم جمع شمل مثلما كان حالة التوديع

كيف انساك او اسلاك والقلب منعطف الى لقياك . مولع بكريم صفاتك مشغل بسناك لا يرضى ان يحله إلا بديع بهاك . اطلت الغياب ولم يكن بالمنتظر . وهجرت الاحباب ولم تكن ممن هجر . الست انت هو رقيق القلب خالص الود صافى الحب . فكيف تركتنى كثيرة الوجد والجوى . فاقدة الحيل واهنةالقوى احسدالذين يهتم بهم الزمان . واعذل الخليين من لوعة الوجد والهيمان .

انادى إذا نام الخلى تأسفا وقلبي من بين الضلوع كليم
هنيئا لطرف فيكلايعرف الكرى ونعما لقلب فيك ليس يهيم

وأسأل النسيم على الدوام . اهداكم التحيات والسلام .

ان جزت بحى منيتى حييه واخبره عن المحب مايرضيه
ان زار فقد حييت فى زورته او صد فان مهجتى تفديه

واخيرا اسأل الله لك السلامة والرجوع بأقرب آن مع ولدك بهمن الذى كان يطلب الى الليل والنهارالمسير اليكليراك ويقبليديك وقد بعثه اليك ابوك ضاراب بالمواكب . وقلده قيادة مملكة فارس والتسلط عليها من كل جانب . حيث رآه حكيما خبيرا . ليس لادراكه من نظير واسأل الله قرب عودكما الى ليرفع ماصب من المصائب علي . عسى الايام تجود بعد العناد وتنقضى مدة الفراق والبعاد . وابطل انسكاب العبرات وأطفئ التهاب الزفرات .

ياقطرات أدمعي لا تجمدى وياشواظ أضلعى لا تخمدى
ويا عيونى الساهرات بعدهم ان لم يعدك طيفهم لاترقدى
وياسيوف لحظ من أحبته جهدك من سفكدمى لا تغمدى
ويا غوادى عبرتى تحدرى ويا بوادى زفرتى تصعدى
فقد أزلت أدمعى ولم أقل ان يحمعن عينى البكا تجلدى
أنا التى ملكت سلطان الهوى رقى وأعطيت الغرام مقودى
لله أياما مضت فى قربه والدهر منه بالوصال مسعدى

وكان فيروز شاه يقرأ هذا الكتاب وهو غائب عن الصواب لايدرى يمينه من شماله ولا ما حل به ولا اظن ان الانسان دون ان يكون قد وقع بشديد غرام قتال صادر عن فؤاد كريم مخلص لمن يحب يقدر أن يتصور حالة فيروز شاه فى تلك

الساعة وكيف كان قلبه وبأى درجة وصل به الشوق وكم فعل به وأثر بأحشائه ذاك المكتوب وبقى يردده ويقرأه مرارا متعددة وفى كل مرة يزيد عماقبلها حتى غاب عن الصواب ونام تلك الليلة على غير هدى ووعى وفى الصباح نهض من فراشه ووضع المكتوب فى جيبه ليجعله علة اهتمامه فى انفراده ويبل أشواقه على الدوام ويكون وسيلة لأكبر ذكرى يتذكر بها عين الحياة وخلوص ودادها وبعد ذلك سار إلى صيوان ولدة ودخل اليه فقام له وقبل يديه وجلس إلى جانبه واجتمع من حوله الابطال والفرسان وجلس كل على حسب مرتبته وكان اردوان وشيروه قائمين على الحزن والكدر على عدم بجيء أبويهما وهما فرخوزاد وكرمان شاه وكيف إبقيا فى المدينة وهما يشتاقان الى الحرب ويتمنيان الدخول إلى البلد لأنه ثبت لديهما ان والديهما بأمان فى داخل المدينة فى بيت مهريار الوزير ومامن مانع يمنعهما عن الوصول اليهما إلا ان الموانع القائمة فى الطريق التى تمنع كلا منهما عن مشاهدة الآخر

قال وفى صباح ذاك اليوم نهض الملك جهان وجلس فى ديوانه وهو مضطرب الافكار مغتاظ كل الغيظ وجمع اليه ديوانه وكل رجال مملكته واستعاد منهم حديث ديدار فأعاد عليه منكوخان كل ما كان شفاها بما زاد فى غيظه وقال ان كان غلمان الفرس أشد من شبانها فلابد من مقاساة أهوال معهم وعلى كل فانى أبعث اليهم الان وأطلب منهم الصلح والأمان والرجوع عن هذه الديار بشرط ان يعطونا اردوان لنقتله بثأر ديدار فان اجابوا كان خيرا وإلا زحفت عليهم بهذا الجيش الذى لا يمكن ان نحصاه فلم ولا يضبطه عقل فاقلع آثارهم وأمحوهم عن بكرة أبيهم ولابد أنهم عند مشاهدتهم لكثرة هذه العساكر التى هى أشبه بالجراد يكون قد وقع الرعب والوهم فى قلوبهم وخافوا من نتيجة هذه الحرب وبذلك نكون قد حقنا دماء الناس وحفظناهم من الموت والهلاك ومن ثم أمر منكوخان ان نكتب الكتاب إلى ملك الفرس بهمن بن فيروزشاه ويعرض عليه كل ماتقدم فكتب مايأتى مختصرا :

من الملك جهان رسول النار ذات الشرار وإله الصينيين وسيدهم إلى الملك بهمن الملك الصغير والغلام الحقير .

اعلم انكم أتيتم بلادى وتعديتم على وأوقعتم فيها وجرتم ولكم الآن أكثر من ثمانى سنوات دون حصولكم على نتيجة منها وأنا أطيل بروحى عليكم وذلك قبل وصولك فى زمن أبيك الذى لم نعد نسمع عنـــه خبرا من زمان طويل ولا تظن أن هذه النصرة التى نلتها كافية لأن تدعوك إلى المباهاة وها قد خرجت بكل رجال مدينتى وبجيوشى التى لاتعد ولا تحصى وانى أعرض عليك الصلح الآن وان تقبل به بشرط واحد

أرجوه منك وهو عادل جدا أى ان تدفع إلى اردوان الذى قتل ديدار بن كركانى الساحرة لنقتله ونرسله إلى أمه بثار ولدها ويبقى الصلح بيننا وبينكم على الدوام وبذلك تحقن دماء بنى جنسنا وترجعون أنتم عنا وبغير هذه الوسيلة لاصلح ولارجاء منكم فاذا امتنعتم زحفت بكل قوتى ورجالى عليكم فاسحقكم سحق الحصاة وأهلككم وأمحوا آثاركم ولاأبقى منكم واحدا فتندمون فيما بعد حيث لاينفع الندم ولايفيد .

قال وبعد ان فرغ الوزير من الكتاب وقع عليه الملك جهان وختمه ودعا ونك بعد ان أمره ان يقفل أبواب المدينة ويمنع الدخول والخروج ولما وقف بين يديه قال له أريد منك ان تذهب بتحريرى هذا إلى الملك بهمن وتأتى منه بالجواب فاخذ الكتاب وسار إلى ان دخل بين الايرانيين ووصل إلى الصيوان الكبير وكان عند بابه بهروز فعرفه واعترضه عن الدخول فقال بيدى كتاب من سيدى جهان أريد ان أقدمه للملك بهمن فسحبه بهروز من يده إلى امام فيروز شاه وقال له ادفع الكتاب إلى فيروزشاه سيد الفرس وفارسهم وكان قصد بهروز ان يعرفه أنه قائم فى الجيش وليس فى المدينة كما كان يتوهم وليرتاح ضميره من جهة التفتيش وليعرف ان ما نسب إلى أخ سعدان وفيروز كان من قبيل الكذب والوشاية فلما سمع ونك باسم فيروز شاه وقف ريقه فى حلقه ونظر فيه نظر المتعجب فانتبه فيروز شاه إلى غاية عياره وقال لونك ماذا تريد وبماذا جئت قال جئتك ياسيدى بكتاب من الملك جهان وأريد الجواب فاخذ الكتاب ودفعه إلى طيطلوس فقرأه وعرف ما به وقد كاد ينشق من طلب جهان وقال أيظن هذا الجاهل ان الذى يقتل ديدار ويفعل برجاله الأفعال التى تستحق الاذكار . ويفتك بالكبار والصغار يسلم ليؤخذ منه بالثار هل ان ذلك إلا ضرب من الذل والعار . ثم ان فيروز شاه امر طيطلوس ان يكتب جواب الكتاب بما يستحسنه ويراه مناسبا فكتب ما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم خالق الانس والجان . ومفرق الاديان . اياه نعبد وبه المستعان

من الملك بهمن بن فيروز شاه إلى الملك جهان صاحب الصين وحاكمها

اما بعد فاعلم ايها الملك العاتى الكافر بدين الله تعالى انك تدعونا إلى الصلح مع اننا نحن من ارغب الناس فيه نكره الجور ونبغض التعدى ولا نعصى ما يأمر به إلهنا وهو السلام والامان غير انك تطلب منا تسليم اردوان بثار ديدار فهذا لا يمكن قط ولا يدخل بعقل إنسان كيف نسلم فارسا يساوى بلادك باجمعها إلى ايدى اعدائه

فاذا كنت راغبا فى الصلح فابعث الينا بهزاد معززا أى أرجعه من قلعة سوسان شهر واعتذر اليه وأعده إلى قومه واحضر أنت إلى ديوانى معترفا بدين الله سبحانه وتعالى طائعا صاغرا وإلا سوف ترانا فى الغد نحط عليكم حط البواشق فلا نبقى منكم رجلا ولا تظن ان كثرة عساكرك تقف فى وجوهنا أو تكون وسيلة لالقاء الرعب فى قلوبنا بل بالعكس لأن فرساننا تفرح بكثرة الجموع إذ تظهر فيها قوتها وتتمكن ان تفعل فيها كما تفعل النار فى يابس القش وكلما كثر زادت تسعراً إلى ان تلتهم الجميع وعليه فاختر لنفسك أحد الامرين اما الهلاك والانقراض وخراب الديار واما الصلح والامان بانقيادك الينا ودخولك فى ديننا وارجاع بهزاد فى الحال والسلام ختام .

وبعد ان فرغ ختمه ودفعه إلى ونك فأخذه وسار وهو مشغل الفكر مأخوذ مما شاهد ورأى متكدر كيف أنه أضاع الوقت فى التفتيش على فيروز شاه وهو فى جيشه وقد ثبت عنده كل الثبوت ان فيروزشاه ذهب إلى بلاده وجاء بالعساكر والاجناد وبقى سائراً إلى ان وصل إلى الملك جهان فدفع اليه الكتاب وقال له اعلم ياسيدى ان فيروز شاه هو قائم بين قومه وقد شاهدته فى صيوانه بين أبطاله وفرسانه ولهذا ظننت ان غيابه كان لأجل مسيره إلى بلاده واحضار عساكر لنجدة قومه وكان ما بلغنا عال فقال مهريار أهل ثبت عندكم ان كلام الجارية عن أخ سعدان وفيروز كذب ونفاق وان ماصار عليهما هو من قبيل الظلم والتعدى ثم ان الملك جهان أخذ الكتاب ففضه وقرأه فلعب به الغضب أكثر مما كان قبلا ولعن الفرس وكبرياءهم الف لعنة وأقسم انه لابد من ان ينتقم ويعمل على هلاكهم ومحو آثارهم وأمر عساكره ان تستعد للحرب والقتال وتتهيأ فى الغد لملاقاة الفرس وخوض معامع النزال ونشر إعلانا انه يركب بنفسه فى ذلك اليوم لمشاهدة القتال والرضا على كل من يفدى نفسه ويبذل جهده فى الدفاع عن وطنه وبلاده فهاج الجميع وماجوا وتمنوا ان يأتى الغد ليزحفوا على أهالى إيران ويسحقوهم باسنانهم ولا يبقوا منهم أحدا وباتوا تلك الليلة على مثل هذه النية .

وفى صباح اليوم الثانى ضربت طبول الحرب من جهة الايرانيين وأذنت الفرسان ان تهب من مراقدها وتستعد لملاقاة الاهوال فاجابتها طبول الصينيين باصوات الرعود آمرة قومها أيضا بالركوب والتقدم ولم يكن إلا القليل حتى تقدم الفريقان واصطفا إلى جهتى الميدان وترتبوا أعظم ترتيب وتدربوا على طرق الانتظام أحسن تدريب وتقدم فى أوائل رجال إيران فيروزشاه وهو راكب على جواده الكمين المتقدم ذكره وكان له عدة من

الأيام لم يركبه قط أحد وهو على العلف والراحة حتى سمن وصار كأنه البرج المشيد وكان إلى جانب فيروزشاه إلى جهة اليمين أردوان وإلى جهة الشمال شيروه وفى طرفى الجيوش بيلتا وشيرزاد وخورشيد شاه وجمشيدشاه ومصفر شاه والعيارون يتطايرون من جهة إلى أخرى كأنهم العفاريت الطيارة وركب الملك بهمن وإلى جانبه اليمين طيطلوس وإلى الشمال بزرجمهر وهو يتمنى أن يرى قتال أبيه ويعرف عظم مقدرته لأنه كان يسمع عنه الأخبار التى تندر أن توجد بأحد من رجال الانس . ولم يكن إلا القليل حتى هجمت الفرسان على بعضها البعض . وهزت لصياحها جبال تلك الأرض . واندفقت اندفاق السيول لزواخر . وزئرت زئير الأسود الكواسر . وهى ساعية بكل جد واجتهاد . إلى بذل النفوس فى ميدان الطراد . وحلا لها الموت وهان لاتعرف ما يكون لها وما كان . وطلب الخصم خصمه بثبات قلب وجنان . حتى امتزج القومان ولم يعرف منهما الصينيون من أهالى إيران . ولا اليمنيون من الرومان . بل كان السيف اليمان . يفرق بين أولئك الفرسان . ويمددهم على بساط الصحصحان . ويلقى العداوة بين الأرواح والأبدان . حتى كرهت أن تقيم فيها أو تدنيها . وكان فيروزشاه قد اشتاق إلى الحرب . وملاقاة الأعداء فى ميادين الطعن والضرب . فبذل ذلك اليوم جهده وأبدى من البراعة كل ما عنده . حتى حير بأعماله الخواطر . وأبهج بحملاته النواظر . وقلب الكتائب . وفرق المواكب . وصب على الأعداء ميازيب النوائب . وألبسهم حللا سوداء من الويلات والمصائب . وهو ينادى بأصواته العادية أنا فيروزشاه حبيب عين الحياة . فكان عند استماع أصواته تفر الجيوش وتتفرق طالبة الانهزام . خائفة من شرب كأس الحمام . حيث كانت شاهدت قتاله . ورأت مرارا كثيرا أفعاله وهو يفرق الأبطال . ويكسر رؤوس الرجال . ويمددها على الرمال . وكذلك كان أردوان . ينتقل من مكان إلى مكان كما ينتقل البرق عند اللمعان . وهو متأثر فيروزشاه متعجب من سرعة حربه وسطوته على الأعداء وكان يقصد أن يريه عظم فعاله وعجيب أعماله فأخذ فى أن يخترق الصدور . ويقطع النحور . ويطارد الفرسان . ويبعث اليها برسل الموت والهوان . وهو ينادى أنا أردوان أنا أردوان . ابن أخى بهزاد بن فيلزور البهلوان . ومثله كانت تفعل جميع أبطاله وفرسانه . وقواده وشجعانه . ولولا كثرة الأعداء . لحل بها الانقراض والفناء . إلا أنها كانت كثيرة المقدار كأنها الجراد . يبلغ عددها أربعة آلاف ألف من الكهول والشباب ولهذا كانت عساكر الفرس غائصة فيما بينهم تقاتل وتطارد وتهاجم مهاجمة الأسود لا تقبل بغير المجد والفخار . ولا ترغب إلا الفوز والانتصار . وبقيت على القتال . إلى حين الزوال . فضربت طبول الانفصال .

ورجع القومان عن بعضهما البعض وهما لا يصدقان بانقراض النهار ليعودا عن ماهما عليه من سلوك سبل الدمار . قال ورجع فيروزشاه وهو كأنه شقيقة الأرجوان عما سال عليه من أدمية الفرسان وقد أروى ظمأ كبده من الأعداء. واستوفى بيوم واحد مامضى عليه من الحرب منذ ست سنوات أى أثناء قيامه فى المدينة .

قال وكان الملك بهمن قد نظر إلى قتال أبيه فاندهش وعلم أنه فارس فرسان هذا الزمان وسيد الأبطال والشجعان . وأنه أخف من دخل فى أبواب الحرب والطعان . وسلك طريق المناضلة والجولان . ولما رجع أبطال الفرس تلقوهم بالترحيب والاكرام ودخلوا فيما بين الخيام وهم بغاية ما يكون من الفرح والاستبشار على مافعلوه فى ذلك اليوم لأن كل واحد من رجال الايرانيين كان قد قتل واحد واثنين ما عدا القواد والذين عليهم الاعتماد فانه لم يقدر مقدار الذين قتلوهم وقد تركوا الأرض مغطاة من جثث القتلى والأدمية تسيل عليها كالغدران وجاءوا فى السهره إلى صيوان الملك بهمن واجتمعوا من حواليه وأخذوا فى أن يتحادثوا بأمر ذاك النهار وما كان من قتالهم وأنهم يرجون أن تدوم الحال إلى ثلاثة أو أربعة أيام فينالون المراد وينتصرون غاية الانتصار ويدخلون المدينة بسلام واطمئنان إذ يكونون قد أهلكوا تلك الجيوش المتجمعة وبددوها . وأما الملك جهان فانه كان فى غيظ وكدر لما رأى النقص قد وقع بقومه وأنهم مع بسالتهم وإقدامهم وكثرتهم لم يتوفقوا إلى المطلوب ولاقدروا على أن يثبتوا الثبات الذى كان ينتظر منهم وبقى كاظما على غيظه لا يجسر أحد أن يكلمه أو يستشيره بعمل وهو أيضا لم يقبل أن يستشير أحدا .

وفى اليوم الثانى ركب الملك جهان فى الصباح ونشرت فوق رؤوسه الأعلام والرايات وتقدم إلى الأمام فصاحت رجاله وحملت طالبة الحرب والقتال وكان رجال الفرس قد اعتلت على ظهور خيولها راغبة فى الهجوم والصدام ولم يكن إلا قليلا من الزمان حتى تصادمت الفرسان بالفرسان . وقام قائم الحرب والطعان . وانتصبت كفتا الميزان . وغنى السيف القرضاب . منشداً بأنغام الطرب فى محكم الرقاب . وجرى فى ذلك اليوم أعظم مما جرى فى اليوم الأول . حتى صارت القتول تلول . وامتلأت منها تلك السهول . وارتفع الغبار وتكاثف . وأجاب سائل الموت رنين السيوف وما خالف . وفعل فيروزشاه أفعال الجان . فى ذلك اليوم العظيم الشان . ودام الحال على هذا المثال إلى الزوال . فضربت طبول الانفصال وافترق القومان وباتوا فى الخيام إلى اليوم الثانى فعادوا إلى ما كانوا عليه فى اليومين السابقين طول ذاك النهار وفى المساء افترقوا وعاد رجال الفرس مؤملين بالنصر والظفر لأنه ثبت عندهم أنهم سيتولون على المدينة بعد أيام قليلة إذا بقى الأعداء خارجها وأن النحس

قد ذهب عنهم وحل على أعدائهم وكذلك الملك جهان فانه عاد إلى الخيام واجتمع عنده وزيره مهريار ورئيس جيوشه منكوخان وهو عارف بما تنتهى اليه الحال انه سائر إلى الانقراض والخراب وبعد أن احتف به كل رجال ديوانه قال لهم اعلموا ان الحالة التى نحن فيها حالة عذاب واضطراب فاذا لم نستدرك أمرنا والا أصبحنا عبرة لمن اعتبر وضربت بنا الامثال فى كل مكان وزمان كيف لا وقد هلك أكثر من نصف الرجال ولم يبق عندنا بعد يوم أو يومين الا النساء فقط ونصبح غنيمة للأعداء ولا تعود تقوم لنا قائمة فيما بعد ولذلك أريد منكم أن تنظروا بتدبير أمر نحفظ به نفوسنا من الخراب والفناء . فقال له وزيره منكوخان انى لا أرى وسيلة تقينا وتحفظنا الا إذا كانت ترد لنا النجدات ولا سيما إذا جاءنا الملك شنكال الهندى فهو نادر المثال بين رجال هذا الزمان وأبطاله وهو قادر على كبح هذه الطائفة الفارسية التى تعدت علينا وأوصلت شرها الينا وأنزلت بنا المصائب والأهوال . غير ان مجىء الملك شنكال لا يمكن أن يكون فى هذه الأيام بل نبعث له رسولا ونبعث نعلم أيضا كركانى الساحرة بموت ولدها فاذا عرفت به غضبت وتسببت إلى أخذ ثأرها من الأعداء ويقتضى لفعل ذلك أوعمله أن نطلب من الفرس ضرب هدنة إلى أيام معلومة أى إلى مدة أربعين يوما وفى هذه المدة لا نعرف ما يكون وما تعده لنا النار . قال ان ذلك يوافق وبه الصواب غير أننا لا نعرف ان كان يقبل الفرس معنا بمثل هذه الهدنة ويوافق عليها . قال اننا نرسل لهم رجلا عظيما منا نسألهم فيه فاذا أجابوا كان خيرا والا دخلنا المدينة وأقمنا بها وحاصرنا على أسوارها إلى حين اتيان الفرج فاستصوب الملك كلامه وقال انه يخطر فى ذهنى ان أبعث بوزيرى مهريار كى يسألهم الهدنة فهو خبير حكيم يقدر أن يقنع الفرس باجابتنا بينها تكون قد سعينا وراء نجاحنا وقررنا كل ما من شأنه أن ينفعنا ويأتينا بنوال المراد ثم التفت إلى وزيره وقال له أريد أن تذهب إلى ملك الفرس وتدخل بينهم وتدبر بمعرفتك ما يكون مناسبا لـ وأريد منك ان تصرف الجهد إلى اقناع فيروزشاه بالقاء الهدنة بيننا وترك الحرب إلى مدة أربعين يوما فاذا أجاب كان ذلك لسعادتنا وحسن حظنا والا دخلنا المدينة فى آخر هذه الليلة وقفلنا أبوابها من كل الجهات وأقمنا كما كنا سابقا إلى حين تاتينا النار بالفرج . فاجاب الوزير طلبه ونهض فى الحال فركب بغلته وركب بين يديه الخدام والغلمان وكان مهريار مشتاق كل الاشتياق إلى الذهاب إلى جيوش الفرس لمشاهدة فيروزشاه وفرسانهم ويخبرهم أن بقصد الملك جهان ارسال خبر إلى كركانى الساحرة بقتل ولدها وبذلك تنقلب أحوالهم لانها عالمة بفن السحر فربما توصلت إلى هلاكهم أوهلاك بهزاد وبقى سائرا إلى أن قرب من الحراس فقال لهم انى مهريار

وزير الملك جهان وقد جئت رسولا إلى سيدكم من قبل سيدى لأمر به النجاح فاسرعوا اليه وأخبروه بقدومى فسار أحدهم أمامه ودخل على فيروزشاه وأعلمه باتيان الوزير مهريار ففرح بذلك ونهض بنفسه إلى ملاقاته إلى خارج الصيوان ودخل بعد ان سلم عليه وشكره وأقام له بكل احترام واحتفال وقدم له فرسان الفرس كل اكرام وترحبوا به لأنهم كانوا سمعوا من فيروزشاه أنه حسن الطوية يعبد الله سبحانه وتعالى وقد فعل معهم جميلا وهو الذى أخرجهم من المدينة وخدمهم خدمة نصوح محب . وبعد أن استقر به الجلوس سأله الملك بهمن عن السبب الذى أوجبه إلى الأتيان وقال له أخبرنا بامر رغبته فاننا نقضيه فى الحال . وكان مهريار قد تعجب من اتساع ديوان الملك بهمن ومن كثرة الفرسان والأبطال والشاهات والأمراء المتجمعين حواليه ومن ثم قال له انى أتيت رسولا من قبل جهان لأعرض اليكم أمرا اختاره وطلبه ورجاه وسالنى أن أقضيه له وهو ان توافقوه على الهدنة إلى مدة أربعين يوما لا يكون فيها لاحرب ولاقتال ولا طعن ولانزال ترتاح بها الجيوش من الحرب وقد نوى فى هذه المدة ان يبعث برسول إلى جميع الجيوش ويبعث خبرا إلى كركانى الساحرة يطلعها على قتل ولدها ديدار وما فعلتم به لتنتقم من بهزاد وتاخذ له بالثار منه . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام أطرق إلى الأرض مكدراً على بهزاد وقال لابد من السعى فى خلاصه وخطر له أن يبعث بهروز إلى قلعة سوسان شهر أثناء هذه الهدنة يتدبر فى خلاص بهزاد وارجاعه معه وقتل كركانى قبل أن يصل اليها خبر قتل ولدها . وكان الملك بهمن والجميع سكوتا ينتظرون أمر فيروزشاه وماذا يريد يفعل أن يقبل بالهدنة وترك القتال أو يصر على الحرب والنزال إلى أن سمعوه قال للوزير انى لا أريد أن أضيع لك خاطراً ولا أرجعك بدون أن تنهى أمراً أتيت لأجله وسعيت فيه ليعلم الجميع أنك نافذ الكلمة موفق الأعمال فيكون لك عندهم مقاما ورفعة وانى أخاف إذ لم أجبه يقال عنى انى غير منصف لا أرغب الا بهلاك النفوس وقتل عباد الله ولا سيما إذا امتنعت يدخلون المدينة ويقفلون الأبواب ولذلك بلغ جهان كلامى وأخبره أن الهدنة تكون إلى خمسة واربعين يوما زيادة عما طلب من تاريخ اليوم القادم وبعد ان اقام الوزير مدة ركب بغلته وعاد إلى جهان وبعد عودته دعا فيروزشاه بهروز العيار وقال له اريد منك ان تذهب من هذه الساعة إلى قلعة سوسان شهر واطلب اليك ان تسعى بقتل كركانى وخلاص بهزاد واصرف الجهد إلى منع رسول الملك جهان فاذا رأيته فى الطريق فاقتله بينما يكون قد تم عملك وتوفقت إلى الصواب . فوعده بكل جميل وقبل يديه وخرج متكلا على الله تعالى طالبا منه ان يوفقه إلى نوال المراد

قال وبقى مهريار سائرا إلى أن وصل إلى جهان ودخل عليه وهو بانتظاره وقال له اعلم أنى وصلت إلى فيروزشاه فلاقانى ملاقاة الأصحاب كأنى لست من أعداءه ولما سألته المدنه وترك الحرب وبينت له وجوب ذلك لراحة العباد وبنى الانسان فأجاب وزاد المدنة إلى خمسة وأربعين يوما وقال انى أرغب فى الانصاف والا أكره إجابة طلب ملك عظيم مثل ملككم وأضيع تعب رجل جليل القدر نظير وزيره مهريار فشكرته عنك وقدمت لهم الشروط الموافقة وان لايتعدى احد المسكرين على الآخر ولا يضر البعض بالبعض الآخر حسب الشروط الواجب اتخاذها فى مثل هذه الظروف ففرح جهان بعقد المدنة وقال انى أشكرك من وزير عاقل حكيم خبير موفق وانى اعتبر أنك اشتريت جيشى بتدبيرك إلى حين انقاذه من الأعداء حق الانقاذ . ثم ان جهان دعى بجلدك العيار عيار ديدار وقال له انى أريد منك أن تحمل كتابا منى إلى كركانى الساحرة أم ديدار إذ قد عزمت على ارسال خبر لها بموت ابنها لتعرف بماذا تتدبر فاجاب أمره وأخذ منه كتابا وسار فى تلك الليلة وهو لا يصدق أن يصل إلى قلعة سوسان شهر ليعلم كركانى ويقدم لها تحرير الملك جهان

وأما بهروز فانه سار فى نفس تلك الليلة كما سبق وبقى سائرا إلى اليوم التالى وفى صباح اليوم التالى كان قد استدل على طريق البلاد فأخذ فى السعى فيها وسار مجدا ووافق سيره قبل جلدك بساعات قليلة ولا زال أياما وليالیا إلى أن وصل إلى قرب المدينة التى تسكن بها كركانى فوجد أبوابها مقفلة ولم يجد أحدا قط خارج المدينة وكانت أشبه بقلعة عالية الأسوار متينة البنيان فعجب منها وبقى عند الباب حائرا وقد وعى إلى نفسه وأخذ يفكر فى الطريقة التى يدخل بها على كركانى فلم ير طريقة موافقة فعمد أن يرتاح أولا ويقرر فى فكره العمل ورجع إلى الوراء مقدار ساعتين ومال قليلا عن الطريق إلى ظهر اكمة ليجلس عليها مرتاحا وما استقر على ظهر تلك الأكمة حتى رأى عن بعد رجلا آت إلى جهة المدينة فانحدر من مكانه وكان يلبس اذ ذاك ملابس رجل مسن بذقن كثة بيضاء فلا يقدر الرائى ان يعرفه قط وانحدر إلى جهة الرجل فظهر على نفسه انه ضائع عن الطريق ودنا منه وكان الرجل نفس جلدك العيار الذى جاء بكتاب الملك جهان الى ام ديدار ولما رآه وعرفه معرفة أكيدة كاد يطير من الفرح وثبت عنده نجاح مسعاه ولما وصل منه سلم عليه وسأله عن طريق المدينة فقال له جلدك أراك رجلا مسنا فكيف لم تعرف هذه المدينة . قال انه لم يسبق لى ان أتيتها قبلا وقد عرفت الآن بكرم صاحبة هذه المدينة التى يقال لها كركانى الساحرة فاتيت لأقيم عندها خادما وكنت قد جعت فعمدت الى ظهر اكمة لأتناول الطعام عليها وما استقر بى المقام حتى رأيتك آتيا

فاسرعت اليك عسى أن يكون لى على يديك فرجا أنا راكض فى طلبه وساع خلفه فلا برحت معنى لقضاء أغراض أصحاب الأغراض الذين مثلى . فقال جلدك مرحبا بك فانى أدخل بك على كركانى وأتوسط لك عندها أن تقبلك لكن لا يكون ذلك فى الحال لانها لابد من أن تشغل عن مثل هذا الأمر بداعى مصاب أتيت لاخبرها به . فأسرع بنا الآن إلى الأكمة التى كنت جالسا عليها لتناول الطعام هناك ونرتاح قليلا قبل الدخول إلى المدينة لأنى جائع وتعبان فأجابه بهروز وهو يتوكا على العصا حتى دهش منه جلدك وقال انى أراك رجلا مسنا وشيخا كبيرا وأنت تسرع الجرى كانك من أشد الشبان . قال انى قوى العصب معتاد على الأسفار من بلد إلى بلد ومن ناحية إلى ناحية حتى انى طفت كثير من البلدان والممالك ووقفت على كثير من الامراء وأنا لا أكل ولا أمل والدهر يساعدنى على نوال المراد . وكان بهروز قد أخذ حذره منه خوفا من أن يكون قد عرفه إلا أنه رأى فيه الغباوة والجهاله وانه غير ملتفت اليه كل الالتفات وبقيا حتى صارا على ظهر الاكمة فأقاما عليها وفى الحال أخرج جلدك ما معه من الطعام وأخرج بهروز أيضا ما كان يحمله ومن الجملة تمرا مصريا .

فلما رآه مالت نفسه اليه وقال له من أين لك هذا ومن أين وصل اليك . قال انى مررت منذ مدة بمدينة السرور فوجدت هذا يباع هناك ولا أعلم من أين وصل إلى أهلها فأخذت منه جانبا وحيث انك عزمت أن تعمل معى معروفا نويت أن أطعمك منه كونه لذيذ جدا يليق أن يهدى إلى الملوك قال لاشك أنه جاء إلى مدينة السرور من مصر لانها دخلت فى يد الفرس وتلك البلاد هى الآن فى حوزتهم وأصبحت العلائق واحدة ثم ان جلدك تناول واحدة من التمر ووضعها فى فيه وازدردها وما وصلت إلى جوفه حتى وقع إلى الارض كالمائت وكان التمر مشغلا بالبنج ولما رأى بهروز ما حل بجلدك دنا منه وأوثق يديه بالحبال وشد كتافه ومن ثم أعطاه ضد البنج فاستيقظ إلى نفسه ونظر إلى نفسه موثوقا فصاح مستجيرآ فقال له بهروز اعلم انى أنا بهروز العيار ولابد أن يكون وصل اليك خبر أعمالى فلا نجاة لك الآن إلا بالاعتراف لى واخبارك إياى عن قلعة سوسان شهر وأن تدفع لى المكتوب الذى جئت به من الملك جهان وإلا ذبحتك من الوريد إلى الوريد فارتعب جلدك وخاف من الموت وقال له انى أجيبك إلى كل ما تطلب وأدفع اليك المكتوب بشرط انك تقسم لى بالهك أن لا تذبحنى قال انى أقسم لك بالله العظيم ان لا أذبحك ذبحا فاخبرنى أين المكتوب . فقال له فى حرندانى فخذه الآن وافعل غرضك به

وبعد ذلك أخذ بهروز يسأل جلدك عن قلعة سوسان شهر وهو يجيبه حتى فرغ منه ثم استل خنجره وقرب منه فقال له ألم تقسم لى أنك لا تذبحنى قال بلى وأنا لا أذبحك الآن بل أجوف لك أحشاءك وأخرج أمعاءك من بطنك ثم أرسل خنجره إلى جوفه وأخرج أمعاءه من بطنه وتركه ميتا بعد أن جرده من كل ثيابه وأخذ المكتوب الذى كان يحمله من الملك جهان وانطلق إلى المدينة ولا زال حتى قرب منها فطرق الباب فاعترضه الحارس فقال له انى رسول الملك جهان إلى الملكة كركانى فادخله وبقى سائرا إلى أن وصل إلى قصرها والناس مجتمعون حواليها وهى جالسة على عرش الملك تأمر وتنهى بعبيد الله ولما وقف بين يديها قبل الارض ودفع اليها الكتاب فقالت له من أين هذا قال لها من سيدى الملك جهان ثم بكى وناح فاضطربت فى داخلها وامرت ان يقرأ الكتاب عليها ففتحه وزيرها وكان اسمه قاووق وقرأه عليها فلما عرفت بموت ابنها كاد يغمى عليها ولطمت على خدودها وناحت وبكت ومزقت ثيابها وفعلت أفعال الثواكل الشديدات الحزن وفى الحال امرت ان يؤتى ببهزاد إلى امامها فسار الحجاب إلى سجنه واخرجوه منه وجاءوا به اليها وهو يحجل بقيوده ولما وقعت عينها عليه نهضت من مكانها واخذت تضربه بالعصى وتعضه باسنانها وهى تحب ان تشفى غليل فؤادها حتى رأته الدم قد سال من جسده وهو صابر على حكم الله لا يقدر ان يبدى حركة ولا يأتى بقوة تمكنه من الدفاع عن نفسه ولذلك وجد نفسه مضطرا للصبر وثبت عنده ان كركانى ما فعلت ذلك إلا بعد ان وصلها خبر مكدر وربما قتل ولدها فاشتفى غليل قلبه وان كان يتوجع فى جسده ولما رأى بهروز ما هو حاصل عليه تكدر فى داخله وصبر ليعلم باى طريقة يمكنه ان يخلص بهزاد حتى سمع الملكة كركانى قد امرت ان يؤخذ إلى المشنقة ويشنق وقالت ان هذا اول رجل اخذت منه ثارى ولابد من هلاك الباقين فزاد بذلك اضطراب بهروز وخاف من انفاذ الامر فى بهزاد وعليه فقد تقدم من كركانى وقال لها لقد عجلت يا سيدتى بامر هذا الرجل الفارسي وليس من الصواب قتله الآن لانى بينما اخذت الكتاب من سيدى جهان وخرجت إلى خارج المدينة وبعدت عنها نحو نصف يوم لحق بى ونك عياره وقال لى اخبر الملكة كركانى ان لا تقتل الاسير الذى عندها ما لم تصل اليها جثة ولدها لانه امر ان توضع فى نعش من الفضة وتحمل مكرمة الى بلك على اعناق الامراء من بلاده الى هذه المدينة ومتى وصلت جثة ولدك رحمته النار وانزلته باحر مكان منها تذبحين الاسير عليها لتشرب من دمه وترتوى وبهذه الواسطة يكون ولدك قد شرب من دم عدوه بعد مماته فانتبهت كركانى إلى هذا الكلام وقالت لقد

أصاب الملك جهان فلا أقتل هذا الاسير إلا بعد وصول جثة ولدى وكان بهزاد قد عرف بهروز وهو بين القوم فادرك الحيلة .

ثم إنها أمرت أن يرجع به من المشنقة ووضع فى الحبس إلى حين إرسال خبر بقتله ولهذا سر بهروز وأمل بجاح مسعاه وأنه سيقتل الساحرة قبل اليوم الآتى وبقى تلك الليلة فى قصرها وهى تظنه من أتباع جهان ولم تفكر قط أنه العدو الالد وأقامت عزاء ولدها وأخذت الناس ترد اليها أفواجا أفواجا للتعزية وإظهار التاسف إلى أن مضى النهار وقسم من الليل وبهروز يراقبها حتى فرغ الناس من عندها ولم يبق قط أحد ورآها قد قامت من مكانها ودخلت غرفة منامتها وأقفلت من خلفها فصبر نحوا من ساعتين إلى أن تأكد أنها نامت وسمع من الخارج غطيطها ففرح وأسرع إلى نافذة عالية فصار على أعلاها بأسرع من البرق وأخذ قطعة من البنج فأشعلها وألقاها إلى الداخل وصبر إلى أن تأكد أنها فعلت بها وإذ ذاك اخذ المبرد من وسطه وقطع حديد النافذة والقى بنفسه إلى الداخل ثم تقدم منها واخذ خنجره وذبحها من عنقها وفصل رأسها عن بدنها واخذ الراس وخرج من الباب وتسلق السطوح ليرى لنفسه منفذا يوصله إلى السجن وبينما هو على السطوح وقع نظره على نافذة عالية ينبعث منها النور فتقدم تجاه تلك النافذة والقى نظره إلى الداخل فوجد فى اسفل القاعة الوزير فاورق وهو وزير كركانى وكان قد رآه فى مجلسها فعرفه وسمعه يقول لزوجته وهو منفرد بها اعلمى اننا الآن واقعون بمسألة صعبة جدا لا نعرف كيف ينتهى بنا الامر فيها قالت وماهى هذه الصعوبة قال إن الفرس قد قتلوا الملك ديدار وفى نية الملكة قتل الاسير بهزاد احد امراء قومهم المشاهير ولا بد إذا عرفوا بقتله ياتون هذه البلاد ويفعلون بها ما فعلوه بغيرها اى يستولون عليها ويقتلون الملكة قالت كيف يقدرون عليها وهى ساحرة ولها من القوة والعظمة ما يكفى لمقاومتهم قال إنهم لا يخافون السحر وقد قتلوا من قبلها صفراء الساحرة التى لا يوجد لها مثيل بين السحراء وقتل ايضا المقنطر الساحر خال شمس الساحرة وكان يحسب اصحاب هذا الفن الاوائل اى من الذين تضرب بهم الامثال وتخافهم الملوك والأبطال وكركانى هذه لا تصلح أن تكون خادمة عنده وعليه فانى خائف من سطوة الفرس وإتيانهم إلى بلادنا . فقالت له ومن الذى قتل صفراء الساحرة والمقنطر . قال سمعت أن بين عياريهم عيار من طغمة العفاريت وليس من الانس لا يوجد أحيل منه ولا أكثر خداعا مع أنه ابن جارية وغول وهو شهير الخبرة بأحوال العالم وهو الذى قتل صفراء والمقنطر يعنى أنه هو الذى احتال عليهما وقتلهما وغيب عن ذهنهما دسيسته فلما سمع بهروز كلامه من النافذة تهقه ضحكا وعرف أنه سينال الغاية بواسطة هذا

الوزير كونه يحسب حسابا للفرس ويخاف سطوتهم ولذلك أخذ رأس كركانى ورماه من النافذة ووقف ينظر ماذا يكون من الوزير وزوجته وهما بينما كانا يتكلمان وقع الرأس بينهما بغتة فأجفلا وكاد يقع بهما الجنون ولاسيما عندما حقق قاووق أنه رأس كركانى وجعل يقترب منه قليلا ثم يبعد عنه خائفا منه وكذلك زوجته وقد انعقد لسانا هما عن الكلام ولم يعد فى وسعهما التبصر ومضى عليهما نحوا من ساعة على تلك الحالة وبهروز يرى ويضحك من الأعلى إلى أن رآهما قد هدءا وأسكنا وتقدم الوزير من الرأس وقال ما من شبهة أنه مائت ولم يتحرك قط لكن من يا ترى رماه إلى هنا لا ريب أن أحد المفاريت سمعنا تتكلم عنها فقتلها حبا بالفرس ورمى رأسها بيننا لنراه فاكتمى هذا الأمر تخوفا من أن يحل بنا أمر من الأمور ودعينا نخفى هذا الرأس والا يظنون فى الغد أننا نحن الذين قتلناها ولا يصدقون أن الرأس وقع بغتة علينا حيث لا نعلم ثم ذهب بالرأس إلى المرحاض فرماه به ولم يبق من أثر الدم ونام مع زوجته ورجع بهروز وهو يضحك من الوزير قاووق ونام فى مرقده للغد ينتظر مايكون من أمر سكان المدينة وقد ارتاح باله واطمأن خاطره وعرف أن موت كركانى يسهل عليه الأمر الذى جاء لأجله وأن قومه أصبحوا بأمان منها .

ولما كان صباح اليوم الثانى نهض ووقف بين الخدم كان لا علم له بشىء من كلما تقدم وأخذ رجال كركانى يلفون واحدا بعد واحد وجاء الوزير قاووق وجلس فى منصبه متجاهلا عن أمر كركانى وأقام الجميع بانتظارها إلى ما بعد الظهر فلم تحضر فذهب أحدهم يفتقدها فوجدها على تلك الحالة مذبوحة جسدا بلا رأس فلطم على خدوده وعاد ينوح ويبكى ويندب إلى أن وصل إلى دار الحكومة وأعلن بينهم مارآوه فساروا جميعا حزانى ونظروا الجسد على تلك الحالة فأكثروا عليه من البكاء وهم يتعجبون من فاعل ذاك الفعل وقالوا لابد من أمر خفى وقع عليها لا نعلمه . فقال قاووق فى ظنى أن الذى قتلها هو ليس من الانس لأن لا أحد من الانس يقدر أن يصل اليها فقالوا جميعا أصاب قاووق ولابد من أن أحد أعدائها السحراء . والمفاريت قوى عليها فقتلها ثم أخذوا الجسد وأحرقوه بالنار وأخذوا رماده فكرموه وفرقوه عليهم لأجل البركة وكان لها ولدان آخران غير ديدار يقال لأحدهما كركسان والآخر خوركان فأقاموا الأول ملكا عليهم عوض والدته وجاءوا اليه يهنونه بالملك إلى أن انقضى ذاك النهار وانصرف كل إلى حال سبيله هذا وبهروز يراقب ويرى وهو بين الخدم لايظهر أدنى دليل على الاشتباه به وكان ينظر إلى كركسان ويتأثر أعماله ومكان إقامته وهو يتتبعه حتى عرف من أين يمكن أن يتوصل اليه وكان مقيما بقرب مكان والدته فصبر عليه إلى

أن تنصف الليل أو كاد ينتصف لجاء إلى الغرفة النائم فيها وتسلق جدرانها حتى توصل إلى نافذة عالية نظر فيها إلى الاسفل فرأى كركسان نائما فأشعل قطعة من البنج وحذفها إلى الداخل وصبر إلى أن انقطع دخانها ثم نزع من جيبه آلة صغيرة اقتلع فيها مسامير النافذة وأطرافها حتى أمكنه أن يمر فقلب إلى الداخل وهو بامان من وجود رقيب في الداخل أو الخارج ولما صار فى أرض الغرفة تقدم من كركسان وكان قبيح المنظر ضخم الجثة فامتشق خنجره وقطع به رأسه وفصله عن جسده وحمله وخرج من الغرفة وقصد أن يرميه على الوزير ويفعل به كما فعل فى الليلة الماضية ولذلك تسلق السطوح وسار إلى أن قرب من بيت الوزير ووقف بجاه النافذة المذكورة وكانت عالية واسعة فارسل نظره إلى الداخل فوجد الوزير فاروق جالسا مع زوجته وهما يتحدثان بأمر رأس كركانى وكيف اخباه ولم يعلم به احد وقال لها إنى اشعر من نفسى انى حامل حملا ثقيلا بامر الملكة واخاف ان يظهر امر الراس فيما بعد فيظنون انى انا الذى قتلتها واخفيت الراس والدليل كتمان امرها . قالت من اين يظهر ذلك وليس فى هذه الغرفة إلا انا وانت وهل من الممكن إظهار مثل هذا الأمر وقد انقضى ومضى وكان فاروق مسنا كبيرا بالعمر وزوجته شابة حسنة الوجه جميلة فصدقها وقال لها إنى اعتقد من نفسى انى لا اذكر ذلك إلى احد ولا اظن انك تتكلمين به ولهذا تريني بأمن وامان من هذا الامر . وفيما هو معها على مثل ذلك وإذا برأس الملك كركسان قد وقع بينهما وكان الذى رماه بهروز حيث كان واقفا يسمع كل ما يتكلمان به فلما رأيا الرأس انبغتا واخذتهما الرعشة وارتاعا وهما لا يعرفان وماذا يفعلان ويخافان من ان يصيحا فتأتى الناس دون ان تصدق وقوع الرأس عليهما بغتة ووقع الوزير بارتباك عظيم ولم يعد يعرف ماذا يصنع واصابه اكثر مما اصابه فى الأول وبقى مدة الى ان تقدمت منه امرأته وقالت له ما هذه الأعمال وهذا الخوف وانت قادر على إخفاء امره فالقه إلى جانب رأس والدته واى امر جرى يجرى فكن ثابت العزم قوى الجنان ولا تسلط عليك الجبن والخوف . ثم إنها تقدمت امامه واخذت الرأس وقالت له اتبعنى فتبعها الى ان جاءت

انتهى الجزء الثالث والثلاثون ويليه الجزء الرابع والثلاثون

الجزء الرابع والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

المرحاض فألقته فيه وقالت له اذهب إلى قرب والدتك ورجعت مع زوجها لا يعرفان من أين صار ذلك ولا كيف حذف الرأس عليهما ولا يجسران ان يصيحا أو ان يفتشا على السطوح ليحققا الخبر ولذلك محيا آثار الدماء وناما تلك الليلة وعاد بهروز إلى مكانه ونام في الغرفة المعدة له غير عارف شيئا من كل ماذكر ينتظر الصباح ليعلم ما يكون فيه وقد ثبت لديه ان لا بد لأهل المدينة في الغد من تولية أخي كركسان الاصغر وهو خوركان فيفعل به كما فعل بأخيه ويكون قد قتل كل هذه العائلة وأباءها ولم يبق منها أحداً ومن ثم يعود إلى السعي بواسطة الوزير لخلاص بهزاد بحيث يتهدده ويظهر له نفسه

ولما كان الصباح نهض رجال المدينة من مراقدهم حسب عادتهم وجاءوا إلى دار الاحكام فلم يروا كركسيان فصبروا عليه إلى الظهر فلم يحضر قط فانشغل بالهم وخافوا ان يكون قد حل به ما حل بأمه فذهبوا إلى قصره فوجدوه على تلك الحالة والدماء مالئة أرض الغرفة والجثة ملقاة على السرير دون رأس فتكدروا مزيد الكدر ووقع الرعب بقلوبهم ولا سيما الوزير فانه أصبح خائفا الخوف الشديد وقلبه يخفق ولا يعلم ماذا يفعل حتى أخذوا الجثة إلى النار وفعلوا بها مافعلوا بجثة كركاني ومن ثم جاءوا بأخيه خوركان ونصبوه عليهم ملكا ونادوا باسمه في أسواق المدينة وهنأوه بالملك بعدان عزوه أخيه ومن ثم ضربوا ادبوا نابينهم ليحققوا ماذا يجب ان يفعلوا لحفظ حياته وفيما هم كذلك لاحت منهم التفاتة فرأوا بهروز بين الخدم وهو بصفة عيار من عياري الصين فقال أحدهم انى أرى من أنسب الاشياء وأوفقها ان نضع لحراسة ملكنا هذا الصيني لأنه عيار ماهر ومن أهل الصين المباركين ولا بد ان يكشف عن هذا الامر ويعرف من الذي يأتي إذا أتى أحد فاستصوب الجميع هذا الرأى ودعوا بهروز وقالوا له نريد منك ان تبقى هذه الليلة وما بعدها عند ملكنا وان تحافظ عليه حق المحافظة وتحرسه كل الليل إلى حين الصباح قال حبا وكرامة فانى أعدكم الوعد الصادق ان لا يقع عليه ما وقع على والدته وان لا أنام في كل هذه الليلة حتى ترون منى في صباح اليوم القادم كل ما يرضيكم ويسركم فتنتهون من كل هذه الاحوال ولا يبقى عندكم شك بمن فعل هذه الافعال ولا بد من ظهور الامر جليا .

فارتاح ضميرهم اليه وأملوا ان يصدق بهروز بكلامه . ومن ثم ذهب مع الملك خوركان وهو قائم على خدمته بكل خفة وجد حتى سر منه مزيد السرور ووطد العزم على أن يبقيه على الدوام عنده ولايتركه قط من خدمته وصرف خوركان تلك السهرة فى قصره مع بعض أعيانه وعند آخر السهرة انصرف كل إلى حال سبيله وبقى عنده بهروز فقال له ان مرادى أمام الآن فاياك من الغفلة قال كن مطمئنا فانى عاهدت نفسى أن لاأنام هذه الليلة مالم أقضى مصلحتى وأظهر كل شىء وأحرسك حق الحراسة وسوف تندهش من أعمالى فاطمأن بال خوركان ودخل غرفته فنام لأن النعاس كان قد فعل فيه كل الفعل وبعد مانام بساعة أشعل بهروز قطعة من البنج ورماها عند أنفه وخرج إلى أن عرف بانقطاعها فعاد إلى الداخل وقد استل خنجره وعزم على قتله غير أنه تأخر لما رآه صغيراً جميل الوجه وقال فى نفسه الأرفق لى ان لاأقتله بل أبقيه حيا .

ثم أوثقه وكتفه بالحبال وحمله على أكتافه وقال لا بدلى من أخذه إلى الوزير على هذه الحالة وبعد ذلك اعتلى السطوح وتقدم إلى جهة بيت الوزير وقرب من النافذة فوجده مع زوجته كالعادة وهو يحكى لها ما كان من أمر النهار وقد وضعنا على الملك خوركان حارسا يحرسه هذه الليلة لنعلم من الذى يفعل هذا الفعل ولابد فى الصباح من حدوث أمر جديد وإذذاك أيقظ بهروز خوركان مرعوبا ونظر اليه وقال له من أنت قال أنا بهروز العيار عيار فيروز شاه بن الملك ضاراب وقد قتلت أمك وأخاك وأبقيت عليك الآن رحمة منى فثبت عزمك فانى مزمع ان القيك إلى غرفة الوزير فاذا لم تثبت وقعت على أم رأسك مائتا .

ثم دنا من النافذة وحذفه بتمهل بين الوزير وزوجته فوقع على رجليه وتأثر من تلك الوقعة إلا انه لم يصب بضر وأما قاروق فانه جفل ورجع إلى الوراء وخاف من وقوع الملك ميتا وأراد أن يهرب فصاح به وقال له اسرع إلى وفكنى فقد ظهرت الحال وما من خوف عليك فعاد وعول على حل كتافه وإذا ببهروز قد صاح به من الأعلى وقال له احذر من أن تمد يدك إلى فك كتافه .

ورمى بنفسه من النافذة إلى الاسفل واستل خنجره بيده وقبض عليه من عنقه وقال له إذا لم تسرع إلى ماأطلبه منك قتلتك فى هذه الساعة وإذا أجبت طلبى جعلتك الحاكم على هذه المدينة لأن الملكة وأولادها قد هلكوا جميعا وانى اعرفك بنفسى فأنا بهروز العيار عيار فيروز شاه فارس هذا الزمان وسيد جميع أبطاله وقد وصلتك أخبارى فاذا امتنعت كان لك نصيب ككانى وأولادها فاضطرب قاروق وقال له اطلب مهماشئت منى فانى أقضيه لك على رأسى فقط عدنى انك تعفو عن دمى وتبقينى حيا . قال انى أعدك الوعد الصادق أن لا أصل اليك بأذى وانى أجعل لك الكلمة النافذة فى

هذه المدينة فتكون أنت الحاكم والمالك . قال ماذا تريد منى قال أريد أن تذهب فى هذه الساعة معى إلى السجن لاخراج بهزاد وغير ذلك لا أريد منك . فأسرعت اليه زوجته وقالت له أجب بهروز إلى ما يطلبه منك فقد وصلت اليك السعادة ونلت الغنى العظيم فقال فاووق سر أمامى فاسير وإياك إلى الحبس وأخرج لك منه بهزاد فقاده بهروز وسار به وهو يرجو سرعة العمل وإخراج بهزاد من السجن وتسليمه السلاح وكان فاووق قد أخلص الود إلى بهروز وتأمل بواسطته وبواسطة بهزاد أنه ينال المراد ويصير ملكا على البلاد وبقى سائراً مع بهروز إلى أن وصل إلى باب السجن فطرقاه فخرج السجان ولما رأى رأس الوزير أجفل وقال له ماذا تريد الآن ياسيدى قال ان الملك خوركان فكر بأمه وأخيه كركسانى وديدار فى هذه الليلة فخطر له أن يعذب هذا الايرانى فدعانى وبعث معى هذا العيار الصينى الذى كان حارسا عليه هذه الليلة لاحضاره فدفع السجان اليهما بهزاد إذ أنه مجبور أن يصدق الوزير

وكان بهزاد من حين رجوعه من أمام كركانى ومعرفته بهروز ينتظر الخلاص لعلمه أنه جاء لأجل خلاصه وأن لابد له من إتمام رغائبه بأى طريقة كانت ودام على هذا الانتظار إلى تلك الليلة فلما رأى بهروز عرفه ففرح مزيد الفرح وأخذ بهروز فى الحال المبرد بعد أن بعد عن الحبس وقطع القيود وفك وثاقه وجاءه الوزير بعدة حرب وجلاد وقال له أسرع بنا إلى بيتى لنرى فى أمر الملك خوركان فساروا جميعا وكان الوقت إذ ذاك عند انبثاق الصباح وقد أخذت الشمس فى أن ترسل طلائع نورها قبل ظهورها . وما بعدوا إلا القليل حتى رأوا جماعة من الفرسان تتقدم إلى ناحية السجن وفى مقدمتهم خوركان الملك وقد التقوا بهم فصاحوا عليهم وحملوا وفى نيتهم أن ينتشلوهم على أسنة السيوف ولا سيما لما رأوهم قليلى العدد فتوهموا أن لاقدرة لهم على الدفاع فالتقاهم بهزاد بقلب مقروح ونفس مشتاقة الحرب والكفاح .

قال وكان السبب فى اطلاق خوركان واتيانه إلى لحاق بهروز هو أنه تقدم أننا تركناه فى بيت فاووق مع زوجته وأشرنا أن زوجته كانت ذات حسن رائق وشابة وكانت تعلم من نفسها أنها مظلومة مع زوجها كونه شيخا وليس من العدل أن تكون زوجة له غير أنها كانت أرغمت إلى ذلك فاقامت معه كل تلك المدة تتظاهر له بالود وقلبها ملوء من الكره له والبغض من هيئته وحالته وما هى عليه معه وكانت تنتظر الفرص للتخلص منه وتؤمل موته كونه شيخا والوفاة منه قريبة كدأب كل امرأة تزوجت برجل ليس من درجتها ومن المرجح أن لابد أن تطمح عينيها إلى غيره عندما ترى الفرق الكائن بينه وبين زوجها وهكذا عادة كل الرجال أيضا إذا كانت نساؤهم

من العجائز وكانوا هم من الشبان أى لسن فى الدرجة التى حددتها الفروض الطبيعية والواجبات البشرية العائدة لارتباط كل من الزوجين بالآخر ارتباطا يكفل دوامهما على الحب والبقاء والسير معا فى درجات هذه الحياة إلى حين بلوغ منتهاها ولما رأت امرأة الوزير خوركان ونظرت أنه على جانب عظيم من الحسن والبهاء وأنه فى السن الأول من الشبوبية مالت نفسها اليه وتقدمت منه وقالت له أرأيت اتحاد بعلى مع بهروز العيار وخيانته لبلاده وملكه قال انى رأيت ذلك فاذا كان فى قلبك قسم من الرحمة فخلى عقالى ودعينى أدرك زوجك وبهروز وأنتقم منهما وأبعث برجالى إلى أن تقبض على بهزاد إذا كان تخلص من سجنه . فقالت له كيف لا وإنى أحب ذلك وأرغبه غير انى أخاف إذا مات زوجى أو لحق به أمر أبقى من بعده بلا زوج متروكة ولذلك أريد منك أن تعدنى بعد أن تقتل زوجى وتقترن بى وأكون عندك وهذا ليس بشىء بالنسبة إلى ما أفعله معك الآن لانى سأكون علة حياتك وسبب وجودك وإلا إذا بقيت هنا إلى حين اتيان بهروز وبهزاد قتلت لا محالة لانهما لا يبقيان عليك قطعا ليقيما قاووق عوضا عنك . قال انى أعدك بأصدق الوعود انى لا أتزوج بغيرك بل آخذك إلى بيتى وتكونين فيه إلى الممات صاحبة الكلمة والنفوذ أى تكونين ملكة هذه المدينة ولا أعمل شيئا إلا بعلمك وإطلاعك ولا أنسى لك هذا المعروف والجميل فأسرعى إلى فكاكى واشترى البلاد من طمع الكافرين

فاجابته فى الحال وتقدمت منه وفكت كتافه وأطلقته وقبلته وقالت له أنت صرت الآن زوجى وأحب عندى بألف مرة من ذاك الخبيث العاجز الجبان الخائن الذى لطمه باع بلادة ولا أريد منك إلا أن تنتقم منه قبل غيره لأنه يستحق القتل والاعدام قال سوف ترين ما أفعل به وما يصل اليك من الاكرام والمجد . ثم خرج من هناك وأسرع إلى الثكنة فاستدعى بالقواد وطلب منهم ان يتبعوه بما هناك من العساكر الحاضرة فأخذهم وسار فى طريق الحبس بينما كان بهروز قد خلص بهزاد كما تقدم وجاءوا غير عالمين ان زوجة احدهم قاووق ستطلق الملك خوركان إلا ان بهزاد لم يعبأ بهذه العساكر لانها كانت قليلة لا تبلغ الألفين وكان له زمان ليس بقصير تاركا الحرب مرتاحا من ملاقاة الأبطال فتلقى هذه العساكر بالقبول وجرد الحسام بيده واطلق لجواده العنان وخاض المعمعة وصال وجال واخذ فى ان يقتل بأولئك الرجال وينزل بضرباته عليهم اسواء الأحوال وبهروز ينخطف من وراءه كانه فرخ من فروخ الجان وقد احمى ظهره وما فارقه قط ولا يفارق الجواد بل يطعن بخنجره صدور الخيول فتقع عنها اصحابها إلى الارض وبهزاد يصيح صيحات الآساد ويقاتل قتال الجبابرة الشداد وينادى ويلكم

أيها الأوغاد . قد أنزل الله عليكم نوازل العذاب . وحكم عليكم أن تموتوا فى الأزقة ميتة الكلاب . فاثبتوا لتروا من سفى ما لم تروه قط من انسان ولا سمعتم بمثله من قديم الزمان وهم يتجمعون عليه وهو يفرقهم ويبدد شملهم ويمحقهم وبقى على مثل هذا الشأن حتى التقى بالملك خوركان . وهو يحرض الرجال والفرسان . على قتل بهزاد بن فيلزور البهلوان فكان كأنه ينفخ فى رماد فلما وصل اليه ابتدره بضربة على رأسه أطاره عن جسده ولما رأى قومه ما حل به ضعفت عزائمهم وتفرقوا من أمامه وكان النهار قد أشرق جيدا واجتمعت الناس فى تلك الناحية تتفرج على قتال بهزاد ولم يخطر لهم أنه يثبت فى وجوه رجالهم كونه واحدا وأنه لابد أن يداس بحوافر خيلهم حتى شاهدوا فعله وتاكدوا أنه ليس من طوائف الانس وقصدوا الرجوع وإذا بالوزير قاووق يدعوهم إلى التقدم ويطلب اليهم أن يطيعوه وقال لهم اعلموا أنه لابد من إتيان الفرس إلى هذه البلاد إذا كانرتم وامتنعتم فيفعلون بها كما فعلوا بغيرها فاشتروا بلادكم من الخراب وناموسكم من الانهتاك وابعدوا عنكم ضربات هذا العذاب فمالوا إلى كلامه وأخذوا فى أن يتقدموا أفواجاً أفواجاً من بهزاد ويقدموا له طاعتهم وهو يترحب بهم وسار أمامهم إلى دار الاحكام وأجلس الوزير حاكما عوضا عن خوركان وقال لسكان المدينة اعلموا أنه لم يبق أحد من نسل الملكة كركانى يحكم فيكم ولذلك من العدل والصواب أن يكون الوزير حاكما عليكم لانه منكم ومعتاد الحكم معكم وهو أوفق من الاتيان برجل غريب فأطيعوه وافعلوا ما يرضاه فنادوا جميعا باسم الوزير قاووق حاكما عليهم وانقادوا إلى أوامره ثم بعد ذلك أمر بهزاد أن تنزل عن أسوار المدينة الأعلام الصينية وترفع الأعلام الفارسية ويكون حكم الوزير عائدا لارادة الفرس ويحسب من عمال الملك ضاراب وتكون قلعة سوسان شهر وملحقاتها على الدوام بلادا فارسيه فما فيهم من خائف أو مانع بل أجابوا صاغرين منقادين إلى أوامره

وهكذا انتهى تدبير المدينة وانطلق سراح بهزاد وجاء الأمر على أحب ما يشتهى ونجح بهروز فى عمله وسفرته وحكى لبهزاد كل ما وقع عليهم أثناء غيابه وكيف انهم لاقوا من الصينيين الأهوال لأن فيروز شاه لم يسهل له الخروج إلا لتلك الأيام وحكى له عن اتيان الملك بهمن ووصوله بالأبطال والفرسان ومعه أردوان وشيروه رشيرزاد وحكى له ما عملوا بجيوش الصين وكيف قتل أردوان ديدار فهلع بهزاد الى الطيران الى بلاد الصين والاجتماع بابن أخيه وباقى الابطال والرجوع الى ساحة الحرب والكفاح ليأخذ لنفسه بالثأر ويوقع بالأعداء ويقاتل بين يدى الملك بهمن ملك الفرس الجديد وعليه فقد طلب من الوزير السفر فاجابه اليه وحينئذ قال بهروز لقاووق انى أريد منك أمراً قبل سفرى فلابد من قضائه قال اعلم أن الذى أطلق خوركان

هى زوجتك ومن العدل والاصابة بمجازاتها على قبيح فعلها ولا ريب أنها فعلت ذلك كرها فيك وبغضا وأريد أن أعدمها وأن تختار لنفسك غيرها فانتبه إلى كلامه وأحضروها فى الحال وحكموا عليها بالموت فأماتوها جزاء لها على خيانتها وغدرها . ومن ثم ركب بهزاد وودع رجال المدينة والملك قاووق وسار عنها وبين يديه بهروز العيار يقمز قفزات الغزال ويسرع فى الركض وهما يتمنيان سرعة الوصول إلى بلاد الصين والانضمام إلى جيوشها .

فلنبقهما على الطريق ونعود إلى ما هو حاصل فى بلاد الصين فاننا تركنا القوم تاركين الحرب والقتال بسبب الهدنة التى تقدم ذكرها ينتظرون نهايتها وفيروز شاه وبهمن وباقى أمراء الفرس ينتظرون اتيان بهروز ورجوعه اليهم ويدعون له بالتوفيق والنجاح والفوز بمأموريته والملك جهان ينتظر وصول كركانى الساحرة لتنتقم له من أعدائه وأخذ بثأر ولدها وكان قد بعث النك أخا رتك العيار إلى بلاد الهند إلى الملك شنكال يعرض عليه كل ما وقع من الفرس على بلاده ويطلب منه النجدة والمساعدة وبقيت عساكر الصين فى ضواحى المدينة والملك يخرج فى كل يوم من بينهم ويعود فى المساء إلى بيته . وكان له بنتا بديعة بالجمال ليس له سواها لا ذكرا ولا أنثى ولهذا أحبها محبة عظيمة لا يقدر على تحمل فراقها يوما واحداً وكانت رائقة الحسن كاملة فى كل صفاتها دارسة تواريخ العالم وفنونها عالمة بأحاديث الطوائف وأخبار ملوكهم اسمها شمس يندر وجود مثلها فى ذلك الزمان وقد قيل أنها كعين الحياة حسنا وبهاء وتعقلا وحكمة كنور زوجة طيطلوس ففى ذات يوم جاء الملك جهان من بين معسكره ودخل عليها فوجدها بانتظاره ولما رأته دنت منه وقبلت يديه فقبلها فى جبينها وسألته عن حاله فقال لها انى بخير وما من مكدر يكدرنا الآن إلا أمر واحد وهو خوفنا من أن تنقضى الهدنة ولا يصل الينا نجدة تقينا من الأعداء أو تصل الينا كركانى الساحرة فقالت له انى قلت لك قبلا ولا أزال أقول أن الفرس لا يغلبون وأنهم موفقون وأجسر أن أعيد عليك هذا الكلام الآن بان لا تطمع أن توقع بهم بل من الواجب أن تعمل على الصلح معهم والوفاق وإذا كنت رأيت نجاحا قليلا ستلاقى بعده شرا كبيرا والدليل أن إلههم صادق معهم يحبهم وقد أعطاهم من الشجاعة والاقدام ما لم يعطه لغيرهم وفوق كل ذلك فقد خصهم بالمزايا الحميدة والحسن البديع الذى لا يمكن أن يوجد بغيرهم فهم أرباب الحسن والبسالة والكرم . وكانت شمس تتكلم ذلك عن علم بمعرفة أحوال الفرس وميلها اليهم وشوقها أن لا تتزوج بواحد إلا منهم لتكون قد جارت غيرها بذلك وفعلت ما به خيرها فى مستقبلها لكنها كانت حكيمة بكل أعمالها بل كانت تسعى عند أبيها فى

ان يصالح الفرس أولا لعلها إذا وقع الصلح بينهم تدبر بعد ذلك إلى التقرب منهم إلا أنها كانت لا تصر على أبيها بالصلح بل تبديه من قبيل النصيحة والمعرفة لتزرع في عقله مع التمادي الميل اليهم والتقرب منهم . فلما قالت له ذلك قال لها انى أثبت قولك وانى أرغب فى مصالحتهم وقد عرضت عليهم ذلك فلم يقبلوا ولم أطلب منهم إلا شرطا واحدا وهو أن يسلمونى اردوان لأبعثه إلى كركانى الساحرة كونه قتل ابنها فتأخذ منه بثارها وليس من العدل ان تترك ثار ديدار وقد قتل فى سبيل الدفاع عن بلادنا ولا بد من تدبير طريقة لأخذ ثاره وان الرعية بأجمعها لاتقبل ولاتوافق على الصلح الآن مالم تأتى كركانى وتأخذ بثار ولدها قالت ان ديدار قتل بالحرب والقتال فلو قتل أحد ملوك الفرس وقت الانهزام لكان قتل فى سبيل معدالقتال لكن لا يمكن أن يكون ذلك بالاختيار كاتطلب أنت اردوان وهو من الابطال الشداد .

وبينما كان الملك جهان مع بنته بمثل هذا الكلام وإذ لاحت منه التفاتة إلى باب القاعة الجالس فيها فوجد صبية واقفة فيه كأنها القمر بالاشراق موردة الخد معتدلة القد مرفوعة النهد تسبي بحسنها كل من رآها وهي لابسة من الملابس الثمينة مالا يوجد فى خزائن الملوك ولا عند الشاهات مكللة بالجواهر من رأسها إلى قدمها وبيدها قضيب من الذهب الوهاج يلمع كالمصباح وعلى رأسها اكليل من الجواهر محكم الصنعة تنبعث منه الأشعة كالشمس فى رابعة النهار حتى تعجب جهان من وجودها فى ذلك المكان وانبهر من حسنها وجمالها وقال لها من أنت أيتها القمر المشرق وكيف سهل لك الوصول إلى هنا مع أنه عند أبواب قصرى ألوف من الحراس والحجاب لايقدر أحد على الدخول بدون اذنى فأجابته بفصيح عبارة ورقيق كلام انى أنا التى لا يمنعها حجاب ولا حراس ولا يخيفها ملوك ولا فرسان ولا يصعب اجراء أمر من أمور هذا الزمان فقال لها اذن أنت من طوائف الجان الذين يتنقلون من مكان إلى مكان قالت لا بل أنا من الانس الذين تسلطوا على ملوك الجان واستخدموا عفاريتها وطوائفها ولا بد انك تسمع بأمرى أو بلغك بعض من صيتى أنا شمس الساحرة بنت أخى المقنطر الساحر وقد حضرت لآخذ لعمى بالثار وأبدد هذه الطائفة الفارسية وأهلكها بعد أن أذيقها أشد العذاب وسوف ترى بعينيك ما يكون من أمرى وأمرهم لأنى كنت فى داخل جبال قاف ولم يخطر بفكرى قط أنهم يقدرون أن يحتالوا على عمى ويتوصلوا اليه بأذى فأتيت هذه الايام لأزوره فوجدت قصره خرابا وعرفت كل مافعله الفرس معه فحضرت حالا إلى هذه البلاد ودخلت عليك دون ان يرانى أحد لأطلعك على ماأحل عليهم وأنزل بهم لتعلم

ان ذلك كان لأجل توفيقك ونجاحك فلما سمع جهان كلامها كاد يطير من الفرح ولعبت به عواطف السرور وقام لها واقفا وقال لها نعم انى اسمع بك واعرف أنك سيدة سحراء هذا الزمان وملكتهم تضرب بك الأمثال ويتمنى كل ملك وأمير ان يكون لك طوعا وتكونى له عونا فاشكر النار لأنها لم تنسى قط بل نظرت إلى وبعثت من ينتشلنى من وهدة الضيق ويمنع عن بلادى مهاجمة الفرس ويزحمهم عنها دون ان اتكلف إلى حمل أثقال ومعاناة قتال ودفاع واهراق دماء. قالت انى لاأكلفك إلا الفرجة فقط والشماتة وان لاتظهر أمرى الآن بين قومك إلا حين انقراض هذه الطائفة الفارسية قال اليك ماتطلبين ثم دعاها ان تجلس فجلست إلى جانب بنته ونظرت اليها وتعجبت من حسنها وجمالها وقالت للملك جهان انى لاأظن ان فى هذا الزمان يوجد جمال كجمال بنتك الآن وقد شغل عقلى بها وانبهرت كيف ان الطبيعة قد خصتها بمثل البهاء. فقال هى وحيدة لى وانى أحبها أكثر من الف ذكر ولا أرغب فى مفارقتها ولذلك ترنى الآن عندها

وكانت شمس بنت جهان قد كرهت شمس الساحرة كل الكره وتألمت فى قلبها تألما موجعا عند ماسمعت أنها عاملة على هلاك الفرس والايقاع بهم بعد ان تعذبهم وترميهم بالعذاب الأليم وكان أكثر كرهها لها كونها ساحرة تقصد الضرر بالعباد وكانت بنت جهان تكره السحر وتعلم أنه من عمل الشياطين وان الانسان الحكيم العاقل هو الذى يقدر ان يسحر بأعماله الحسنة الغير بأكثر من استخدام مثل هذه القوات الباطلة ولذلك كانت قد أطرقت فى بادىء الأمر إلى الارض ولم تبد ولا كلمة إلى ان جلست الساحرة إلى قربها فقالت لها انك أتيت لمساعدة أبى ودفع الضرر عنه فحسنا تفعلين لكن لاتخفاك ان أبى موصوف بالصدق وهو يحسب كاله عند الصينيين ومن مزايا الاله الصدق والامانة ووفاء العهد. فعملك الآن على هلاك الايرانيين ليس من موجبات الانسانية والأمانة كونه وقع بين أبى وبينهم شروط على الهدنة إلى مدة خمسة وأربعين يوما وقد مضى أكثر من نصفها فاذا أحنث أبى بوعده وعهده يحسب أنه خان والخائن عندنا مغضوب من النار مرذول من الناس

ان فسر الملك جهان من كلام بنته مزيد السرور وقال لشمس الساحرة أريد منك

توجلى عملك مع الايرانيين الى حين انقضاء مدة الاربعين يوما ومن ثم تعودى الى اجراء ما يمكن اجراؤه . قالت ان هلاكهم بيدى كل ساعة وهو لا يكلفنى من الوقت لأكثر من دقيقة انما اكراما لوعدك وحفظ شرفك أبقى الى حين حلول الوقت المعين لكن لا أتركهم هذه المدة الباقية مرتاحين وساضرب عليهم غمامة سوداء تمنع الشمس عنهم فلايقدرون على ان يروها قط ولا يمكن لأحد منهم ان يخرج عن تلك

الغمامة كى ينجو منهم أحد إذا قصدت هلاكهم وانى سأبعث اليهم فى اليوم الأول بالأرياح والزوابع بما يلقيهم فى عذاب لايعلمون أمره ولاأفعل ذلك إلى يوما واحدا وعليه فلا أكون قد حاربتهم إلا من بعد أمرك لأنى محبة لك راغبة فى نجاحك قال افعلى مابدالك من هذا القبيل .

وكان قصد شمس بنت جهان أن تؤخر أيام هلاكهم ليعرفوا كيف يقدرون ان يتخلصوا منها وأنها إذا القت عليهم مثل هذه الغمامة ينتبهون إلى أمرهم وكما قتلوا غيرها من السحرا. والكهان الذين شاع صيتهم فى كل مكان لا يصعب عليهم قتلها وأنها إذا قتلت عرفت كيف تتصرف مع أبيها لتدعه يصالح الفرس ويوافق على الأمان والسلام وسرت فى داخلها سرورا لامزيد عليه من تأخير العمل .

قال وأقامت شمس مدة عند جهان ثم ودعته وخرجت من أمامه وهو مسرور بها ثابت فى ذهنه أن نصره سيكون على يدها وبعد أن خرجت من أمامه ذهبت للخلاء لاتمام ما وعدت به وفى صباح اليوم الثانى نهض الايرانيون من مراقدهم وهم بأمن وأمان غير حاسبين حساب صروف الزمان منتظرين نهاية الهدنة وانقضائها ليعودوا الى حرب الأعداء. وينهوا أمرهم فلم يشعروا إلا وريح جنوبية هبت عليهم بغتة ثم أخذت تقوى وتشتد وتعصف حتى القتهم بالخوف والرعب لأنها كانت تضرب بالخيام فتقلعها وترفعها إلى بعيد وكانت الخيول لاتقدر ان تثبت بارجلها منها بل تحذفها فتلقيها إلى الارض ومثلها الرجال والعسكر فكانت تقع وتقوم ولا تعرف لأى جهة تسير وكيف تتخلص وأين تحتمى من هذه الارياح التى جمعتهم إلى جهة الشمال ثم أخذت بهم إلى الوراء تتلاعب بهم وتضربهم بعضهم ببعض حتى كان لايسمع إلا صراخ وبكاء ونواح ودعاء لله سبحانه وتعالى وكل ينادى ياألله ابعث بابواب الفرج وامنع عنا العذاب والارياح تشتد وعساكر الصين ترى عذابهم وماهم عليه من الاضطراب والخوف والبكاء ولاتعلم السبب بذلك غير ان جهان عرف ان هذا الفعل فعل شمس الساحرة وأنها وفت بقولها فسر فى داخله لذلك مزيد السرور وقال فى نفسه هذه طلائع النصر بدأت ولو قلت لشمس أهلكيهم اليوم لأهلكتهم وماأبقت منهم إنسانا غير ان ذلك لايفوتنى ولابد من قضاء الأمر بعد فوات الهدنة فانال الفوز عليهم ولايهلك شخص واحد من عساكرى وفى نيته ان النار رضيت عنه وان النصر قد ثبت له وعاد يتمنى فوات تلك الايام القليلة لينهى أمر الأعداء ويعود إلى المدينة برجاله وقد قرر فى ذهنه أنه سيتزوج بشمس الساحرة مكافأةً لها على عملها هذا وتصير ملكة الصين وقد وقعت فى قلبه موقعا عظيما وأحبها كثير حب وصارت أفكاره عندها .

وبقى رجال الفرس يقعون ويقيمون والرياح تضرب بهم وتتلاعب بالخيام وترمى بالخيول وتطير بالغبار إلى ما فوقهم حتى زهقت نفوسهم وأيسوا من الحياة وأيقنوا بالممات وفيروزشاه لا يفترعن ذكر الله ومثله كل رجال الفرس من عال ودون وطيطلوس يسبح ويصلى ولم يكونوا مجتمعين إلى بعضهم بل كل واحد يسير إلى ناحية والأرياح كانت تشتتهم وتجبرهم على المسير من جهة إلى جهة رغما عنهم وشعروا بالويل وضعفت قواهم وعند المساء أخذت تلك الرياح تضعف وتقل شيئا فشيئا كأنها طبيعية والناس ترتاح قليلا حتى انقطعت بعد الغروب فحمدوا الله سبحانه وتعالى وهم لا يعرفون سببا لتلك الضربة واشتغلوا فى أن يضربوا الخيام ويرجعوها إلى مراكزها ويفتشوا على خيولهم وعلى ما ضاع لهم وكل يسأل عن رفيقه وحاجته إلى بعد نصف الليل حتى انتظم حالهم فأكلوا وشربوا كونهم لم يأكلوا كل ذلك النهار واجتمع فيروز شاه إذ ذاك برجاله الأعيان وأمرائه وقال لهم من أين هذه البلية والضربة ولا أظن أن هذه الرياح رياح طبيعية لأنها ليست مما يطاق قال طيطلوس ان ذلك يحيرنى ويلقينى بالارتباك لأنه لو كان رياح أهل الصين على الدوام مثل اليوم لما قدروا أن يعيشوا فى هذه الأرض أو يثبتوا فيها فقال بزرجمهر لا ريب أن هذه الرياح هى من الأفعال السحرية القتالة وأن الذى وقع علينا لم يقع على الأعداء قط بل تراهم بأمن وهناء والرياح الطبيعية لا يمكن أن تضرب بنا وتعفوا عن أخصامنا حال وجودنا وإياهم فى أرض واحدة وانى أشعر اننا نقع ببلاء عظيم وويل جسيم ونلاقى إذا وجد بينهم سحرة عذابا ومن اللازم أن ندبر طريقة تقينا من سحرهم فقال طيطلوس أى طريقة لنا تقينا منهم إلا الطلب منه تعالى أن لا يدع سحرهم يفعل فينا لأننا لا نستعمل السحر قط ولا نريد أن نستعمله فهو ممنوع منه تعالى لا يمكن أن يرضى به وقد حمانا مرات عديدة من السحراء وأعمالهم ثم انهم ناموا تلك الليلة محيرين مضطربين لا يعلمون ما يلاقون فى الغد وهل ان الرياح تعاودهم أم تفارقهم

وكانت شمس عند المساء بعد أن فرغت من عملها حضرت إلى جهان وقالت له هل رأيت ما كان من أعدائك فى هذا اليوم قال انى رأيت وسررت مزيد السرور به وندمت لوقوع الهدنة بيننا وبينهم إلى مثل هكذا مدة ولولا هذه الهدنة لكانوا لا ريب قد هلكوا بعملك فى هذا النهار وارتحنا من شرهم قالت انى كنت قادرة أن أبعث عليهم بمازيب النيران والكبريت فأحرقهم بيوم واحد واجعل يومهم من أشم الأيام . فقالت شمس بنت جهان ان ذلك لا يفوتنا ومهما كانت المدة طويلة لا بد أن تنقضى والبقاء عليهم مدة قليلة لا يمنعنا من انفاذ مآربنا . قالت ان بقيوا

أشهراً وأعواما لا بد من هلاكهم ومحو آثارهم . ثم أن شمس الساحرة صرفت قسما من الليل عند جهان تتحدث بأمر الأعداء وقد قدم لها الطعام الفاخر والمآكل الطيبة وأكرمها مزيد الاكرام وبنته شمس تتألم منها فى داخلها وتتوجع وتطلب لها الهلاك والموت قبل إنفاذ غايتها بالفرس وبعد أن انقضت السهرة انصرفت من عند جهان إلى الفلا لتفعل فى الغد ما يحلو لها وقد نويت أن لا تضر بالفرس إلى حين انقضاء المدنة لأنها رأت أن من الضرورة المحافظة على شرف جهان وحفظ ناموسه .

وفى صباح اليوم الذى بعده نهض الفرس من مراقدهم وإذا بهم يرون غمامة سوداء تظللهم وتحيط بالجيش من كل مكان وهى على قدر معسكرهم لا تتعداه فارتاعوا واضطربوا وجفلوا وخافوا وثبت عندهم ما كانوا ظنوه من أن ذلك كله بفعل السحر وكان بالكاد الواحد منهم يرى الآخر وأصبحوا يسيرون كالعميان لا يرون إلا بصيص نور ضعيف ينبعث عن ظهر تلك الغمامة من جرى نور الشمس . وإذ ذاك جاء الجميع إلى صيوان الملك بهمن وأخذوا يصلون لله طول ذاك النهار إلى المساء وفى المساء انقشعت تلك الغمامة فحمدوا الله وأكلوا وشربوا وصرفوا السهرة بالصلاة وفى الصباح عادت الغمامة فظللتهم فتكدروا واضطربوا وقطعوا الرجاء من السلامة وصرفوا ذاك النهار على تلك الحالة وعند المساء انقشعت الغمامة وعند الصباح عاودتهم وهم لا يرون طريقا للفرار ولا سبيلا للخلاص غير الاتكال عليه تعالى وكان بكل عهدهم أن الله لا يتركهم عرضة لأفعال الشياطين فهو الحى القيوم الذى لا يغفل ولا ينام ولا يتقاعد عن نصرة طالبيه ودامت حالتهم على مثل ذلك إلى أن مضت المدنة وقرب اليوم الأخير وقبل بيوم واحد جاءت فى المساء شمس الساحرة إلى جهان وقالت له لم يبق لانقضاء المدنة غير يوم واحد وإنى بعد الغد سأنزل عليهم أمطارا من النار والكبريت فأحرقهم وآخذ منهم بثأر عمى المقنطر وبثأر من قتل لك من الفرسان والأبطال فقال لها ساعدتك النار على بلوغ غايتك وما ربك فانى بانتظار مثل هذا اليوم وهذا العذاب وكانت شمس بنت جهان تتألم من ذلك وقد اسودت الدنيا فى عينيها ولم يعد فى وسعها أن تراها أو تنظر اليها وثبت فى عقلها أن الساحرة ستنفذ قولها بالفرس وتهلكهم ولا تعود تقدر على نوال ما أملته من إقناع أبيها بمصالحتهم والزواج بسيد منهم فاستأذنت من أبيها وذهبت إلى غرفتها وهى مكدرة كل الكدر حزينة كل الحزن لا طريقة لها إلا الدعاء لهم والطلب من الله الذى كانت تعتقد بوجوده وتميل اليه أن يهلك الساحرة الخبيثة . وفى نفس تلك الليلة اجتمع الفرس إلى بعضهم البعض فى الصيوان الكبير وقال لهم طيطلوس إنى أظن وظنى لا يخطىء أن الأعداء صابرين علينا إلى حين انقضاء هذه المدنة ليعودوا إلى

محاربتنا ليس بالسلاح بل بقوة السحر ولم يبق من المدنة إلا غير يوم واحد فماذا يا ترى يكون لنا بعده غير العذاب وما ليس نعلمه . فقال فيروزشاه لا خوف علينا بعنايته تعالى فلا تنقضى هذه المدنة إلا ويبعث لنا من عالم غيبه من يساعدنا ويعين ضعفنا وينزل بالأعداء المصائب وإنى أنتظر مجيء بهروز عيارى لأن لا أحد غيره يقدر أن يكتشف لنا هذا الأمر ولو كان حاضرا لما تأخر أن يجلوا عنا هذه المصائب لأنه أصحب من صفراء الساحرة ثيابا لا ينفذ فيها السحر ومعه إبرة من الفولاذ جاء بها من قصر صفراء يلجم بها السحراء فيبطل عملهم ولا يقدرون على عمل شيء وإنى أسألكم أن يصلى فى هذه الليلة كل منكم إلى الله سبحانه وتعالى أن يرفع عنا هذه الضربة وأن يبعث الينا بهروز العيار أو بغيره لانقاذنا من يد الأعداء الذين تركوا الانصاب ولجئوا إلى السحر والكهانة . فأجابوا الكل طلبه وصغوا اليه وطار أمر فيروزشاه فى كل الجيش فدخل كل واحد صيوانه وانكب على الصلاة والطلب منه تعالى أن يخلصهم مما هم واقعون به بحيث لا ينقضى اليوم الآتى وهواليوم الأخير من المدنة ويأتى اليوم الذى بعده إلا وتنقشع عنهم تلك الغمامة فيعودون إلى ما كانوا عليه قبل المدنة وصرفوا تلك الليلة على الصلاة إلى الصباح وفى الصباح خرجوا من خيامهم وإذا بالغمامة تظللهم وهى أشد سوادا مما قبل حتى صعب على كل واحد أن يرى طريقه أو يسير من جهة إلى ثانية فكان يسير الواحد قليلا فيلطم بالآخر وهم كالعميان الفاقدين كل بصرهم فقطعوا الرجاء ووقعوا باليأس وأيقنوا بالفناء وثبت لهم أن هذا اليوم هو اليوم الأخير ستشتد به المصائب والأهوال وفى اليوم الذى بعده يكون أعظم حتى ينقرضوا وكانت حالتهم حالة حزن كل واحد جالس فى مكانه لا يعرف إلى أى جهة يسير ولم ير أحدهم الآخر ولا عرف باب صيوانه .

ولنرجع الى بهروز وبهزاد فانهما بعد أن سارا من قلعة سوسانشهر راجعين الى باكين عاصمة الصين للاجتماع بقومهما ومعهما الأموال والجواهر الغزيرة التى كانت فى قصر كركانى وداما فى مسيرهما بجد وبهروز يحكى لبهزاد ويعيد عليه كل ما حصل للايرانيين مع الصينيين ويخبره بما رآه من بسالة أردوان حتى ثبت عند الجميع أنه كعمه بهزاد ومثل ذلك شيرزاد بن خورشيد شاه والبطل شيروه ابن كرمان شاه الذى فعل برجال الصين أيشم الأفعال وهما يسيران بسرعة أملا أن يصلا قبل انقراض المدنة وفراغها ليباشر بهزاد الحرب بنفسه ويشفى غليل فؤاده ومامضى أيام قليلة حتى اكتشف المدينة عن بعد وتبينوا الجيوش حواليها واذذاك قال بهروز لبهزاد انى أرى الجهة القائمة عليها جيوشنا مغطاة برواق ولا أعلم السبب فعرج بنا الى أكمة عالية بين هذه الآكام

لترى قبل وصولنا ماهناك وماذا حاصل فأجابه الى سؤاله وأسرعا الى أكمة مطلة على السهول القائمة فيها الجيوش وكان وصولهما فى نفس اليوم الأخير من المدة أى اليوم الذى كانت شمس الساحرة تعد نفسها أنها عند انقضائه تنزل على الفرس نارا وكبريتا فتحرقهم عن آخرهم . ولما استقرا على ظهر الاكمة نظرا الى الاسفل وقال بهروز انى متعجب كل العجب مما أراه الآن لان جيوشنا مغطاة بغمامة كثيفة سوداء لا يظهر ما تحتها والشمس تضرب بكل أنوارها الى المدينة وبالاخص الى جيوش الفرس ولاريب أن قومنا بضيقة عظيمة وأن هذا الذى نراه هو من عمل السحرة ولا أعرف كيف توصلوا الى الوقوع فى مثل هذا الضيق بعد ذاك الفرج الذى تركتهم عليه . فقال بهزاد هلكوا واقه العظيم فهذه العلائم ردية مؤدية الى الخراب والانقراض فماذا نعمل وان من الصواب أن لا نضم اليهم الآن ولا ندخل تحت هذه الغمامة . فاطرق بهروز الى الارض برهة ثم نزع عنه ثياب عيارى الفرس ولبس ملابس الصينيين وقال لبهزاد اصبر ياسيدى فى هذا المكان ولا تبعد عنه الى أن أعود اليك لانى أحب ان اوسع بالفلاء فى هذه الجهة وانزل الى جيوش الصين اجس اخبارهم على اعرف سببا لذلك فاسعى وراءه فى الحال واكشف عن قومنا هذا البلاء العظيم . قال افعل ما بدالك ولا تبطىء على فوعده بسرعة العودة وانطلق كالبرق الخاطف عن الاكمة ونزل فى واد ثم تسلق اكمة ثانية ونزل فى واد آخر واسع وفيما هو يتدرج الى اسفله شم رائحة قير منتشرة فى تلك الجهة فوقف لحظة يتنشق تلك الرائحة وينظر فى مكان صدورها حتى تبين انها من جهة يمينه فعمد الى الاكتشاف على سببها وسار مخففا سيره ووطىء اقدامه دون ان تشعر الارض انه ماش عليها وهو كلما قرب زادت تلك الرائحة وقويت حتى انتهى الى مغارة عند بابها شجرة كبيرة فاستتر خلفها ونظر الى الداخل حيث كانت رائحة القير خارجة منها واذا به يرى امراة جالسة الى جانب المغارة وبين يديها خلقين كبير على النار وهى جالسة فوقه تتمتم وتحرك فى ذلك الخلقين والرائحة تخرج منه فثبت عنده ان تلك الامراة ساحرة وأنها تستعمل السحر وربما تكون هى التى تسحر قومه فكاد يطير من الفرح وباسرع من البرق فك حر ندانه واخرج من وسطه ابرة الفولاذ التى كان ادخلها فى انف المقنطر ومسكها بيده ومن ثم انقض على تلك الامراة وكانت نفس شمس الساحرة المتقدم ذكرها وهى مشغلة بعملها غير منتبهة اليه واذا به قد لطمها لطمة قوية على رأسها غيبها عن الصواب واغتنم الفرصة فادخل الابرة فى انفها وكتفها واسرع الى الخلقين وقلبه واطفأ النار ووقف ينتظرها الى ان تعى الى نفسها وتأمل فيها فوجدها

كأنها البدر فى تمامه حمراء الخدود طويلة العنق برأس مستدير ينسدل منه شعر طويل كالأحناش وعيونها قائمة فوق عروش خدودها كعيون الفهود فأخذت بجامع قلبه وجعل فؤاده يخفق وشعر من نفسه أنه علق بحبها وأن قلبه هام بالرغم عنه بهاويها هو واقف يتأمل فى محاسنها ويتعجب مما أعطيت من الحسن والجمال إذ رآها قد وعيت الى نفسها وجلست ونظرت اليه وقالت له من أنت أيها الساعى الى الهلاك والقلعان بثبات عزم وجنان . وكيف قدمت على ارتكاب مثل هذه الجسارة حتى رميت لى عملى وما خفت من بأسى وسطوتى . فأخبرنى عنك وإلا أمرت خدامى الآن أن يقتلوك وينتزعوا روحك من صدرك . فقال لها قولى لى أولا من أنت وماذا تعملين هنا ولأى سبب تشعلين النار وتغلى هذا القير وإذا لم تقولى ما أطلبه منك لا تصادفى نجاحا وتلاقى منى خلاف ما تنتظرى وإنى لا أخاف من سحرك ولا من خدامك فانهم أصبحوا الآن لا يطيعونك وما من سلطة لك عليهم . قالت إنى أنا شمس الساحرة بنت أخى المقنطر الساحر الذى شاع صيتى من مشرق الشمس الى مغربها وخضع لقوة سلطانى كل جبار عنيد وفارس صنديد وهابت ملوك الأرض جانبى وتمنت القرب منى فأخبرنى عن اسمك قبل أن تلاقى شر عملك لأنى أراك من رجال الصين وإنى محبة لهم راغبة فى نجاحهم . فقال ألم أقل لك أن سحرك لا ينفذ فى وقد أمته وأبطلته بواسطة هذه الابرة التى أدخلتها فى أنفك ولو كان لك من القوة ماتدعى لكنت تقدرين على فك نفسك أو بالحرى كنت تعرفى من أنا ولست أنا ممن تتوهمين فانى إيرانى الأصل ولا بد أن يكون بلغك أن عمك المقنطر قد قبض عليه من بهروز العيار عيار فيروزشاه فأنا هو بهروز صاحب الأفعال العظيمة والأعمال الحميدة الذى قتلت صفراء الساحرة فى جزيرتها وأسرت عمك المقنطر وركبت على ظهره من قصره الى جيش الفرس وذبحته هناك وقد قتلت فى هذه الأيام كركانى الساحرة وعدت من قلعة سوسان شهر مؤخراً بعد أن خلصت بهزاد ولو كنت حاضرا بالجيش لما قدرت على أن تفعلى به مافعلت .

فلما سمعت شمس باسم بهروز وقع الرعب فى ركابها وشعرت بعجزها عن الاتيان بعمل ضده بسبب تلك الابرة التى أدخلها فى أنفها وأنها لا تقدر أن تخرجها قط وصدقت كل ما كانت تسمع عنه ورأت من نفسها أنها لا تقدر أن تقاومه ذلك الوقت وأن من الصواب خداعه ليخرج لها الابرة من أنفها فقالت له الآن قد عرفت أنك بهروز فأخرج لى هذه الابرة من أنفى وانا اكافئك بكل ما تريده . قال إنى لا اريد منك شيئا إلا أن تؤمنى بالله تعالى أولا وأن تعدنى انك تتزوجى بى لأنى حتى اليوم لم اتعلق قط بفتاة ولما رايتك وقعت فى قلبى موقعا عظيما وحتمت على نفسى

انه لا بد من انى اقترن بك وتكونين لى زوجة فضحكت من كلامه وقالت له ما هذا الذى ترجوه فان الموت اهون على منه كيف بعد ان اكون شمس الساحرة سلطانة سحراء هذا الزمان ترهب ملوك الأرض جانبي واعظمهم يتمنى ان يكون لى عبدا اقبل ان اكون زوجة لعيار خادم ليس هو من الشرفاء العظماء. قال إنى مكرم الجانب مرفوع المقام عند الملوك الكبار وفيروزشاه ابن الملك ضاراب الذى تسلط على الانس والجان واهلك عفاريت السيد سليمان قد احبنى واعزنى وفضلنى على كل إنسان عنده وعلى الملوك والوزراء فأطلب اليك الآن ان ترحمينى وترحمى نفسك وتقبلى بالاقتران بى وتتخلصى من هذا الأسر الواقعة فيه فقالت له كيف تدعى انك تحبنى وتقبل ان ترانى معذبة اسيرة بين يديك . قال إنى احبك حبا لم يعله حب واعتقد انك صادقة القول تفى بالوعد وتقومى بقولك فاذا عاهدتنى على الحب وتزوجت بى اكرمك مزيد الاكرام وافديك بروحى وإلا فلا اقدر لأجل حبى ان اتركك تفعلين بقومى العجائب وتنزلين بهم المصائب ولا اخاف على نفسى منك لأن عندى ثياب إذا لبستها لا يفعل بها السحر ولا تنفذ فيها سهام الكهان ولولا خوفى على جيوش الفرس منك للبست هذه الثياب واطلقت سراحك وتتبعت آثارك . اما الآن فقولى لى اتقبلين ان تتزوجى بى ام لا فانى احب سرعة العودة الى قومى ولا سيما ان بهزاد ينتظرنى فى الأكمة . قالت إنى مصرة على ماقلته لك وافضل الموت الف نوع مع امر العذاب من ان اقبل بأن اتزوج بعيار لا اصل له ولا حسب ولكن مؤكدا عندك انه لو طلب زواجى جهان ملك الصين او سيدك فيروزشاه لامتنعت وما رضيت بأحدهما فكيف ارضى بك فاقصر عنادك ولا تطمع نفسك بما يستحيل نواله فانى ابقى على ما انا عليه الى حين يوافينى الأجل اويأتى من يخلصنى منك وينقذنى من بين يديك ويقطع رجاءك منى .

فلما رأى ان لا وسيلة لمرضاتها فى ذاك الوقت خطر له ان يبقيها لوقت آخر وفكر فى انه يغير مكانها وينقلها الى مغارة اخرى ويقفل بابها ولا يدع احدا يعلم بها ويعود اليها مرة ثانية ويحاول ان يرضيها ويقنعها بقبول الاقتران به . ولذلك قال لها انه يصعب على ان ابقيك على مثل هذه الحالة غير ان الضرورة تدعونى بالرغم عنى الى ان لا أتغافل عنك ولا اطلق سراحك إلا إذا صرت زوجة لى حيث لا يعود يمكنك الضرر بقومى فيصبحون قومك . واما الآن فانى ارى نفسى مضطرا ان ابقيك أسيرة الى حين يرجع اليك تعقلك وتعرفين الحق وترفعين من رأسك العناد وترضين بى بعلا . وماذلك إلا قياما بواجبات على لفيروزشاه الذى لا يمكن ان افضل محبة احد عليه وعليه فقد احببت ان انقلك من هذا المكان الى مكان آخر لا يعرفه غيرى . قالت افعل ما انت فاعل

فانى مصرة على قولى وأفضل الموت بعيدة عنك ولا الحياة قريبة منك . فانفطر قلبه من كلامها إلا أنه صبر عليها صبر الحبيب الهائم وأخذها إلى مغارة كان قد رآها فى طريقه وهو آت فأدخلها اليها ووضع الحجارة على أبوابها بحيث لا يظهر للرائى أن هناك مغارة وترك فى أعلى الباب نافذة صغيرة لدخول النور والهواء وانكفأ راجعا إلى الوراء وقد ترك بكل قلبه فى المغارة وشعر بشدة الحب واضطراره إلى مراعاتها وأخذت تتلاعب به الأفكار ويقوى فيه الغرام وهو يعد نفسه بالرجوع اليها فى كل يوم وأن يأتيها بالأطعمة ويصرف وقتا عندها إلى أن تقبل وترضى بزواجه فيعرض أمرها على فيروزشاه وبقى فى مسيره إلى أن اجتمع ببهزاد فقال له ماذا رأيت أهل عرفت شيئا عن سبب تلك الغمامة قال لم أعرف شيئا . قال إنها انقشعت بعد مسيرك بساعة فظننت أنك أنت السبب بذلك . قال لا أعرف الآن سببا فانزل بنا إلى قومنا لنرى ما وقع عليهم وما صار فيهم فأجابه وتدرجا من أعالى الآكمة يقصدان الجيش .

قال وكان كما تقدم تلاقى جيوش الفرس شدة الظلام من جرى تلك الغمامة وهم بضيق عظيم وشدة وبلاء يدعون الله ويسألونه الفرج فلم يشعروا إلا والغمامة قد انقشعت عنهم وسطع نور الشمس عليهم بأسرع وقوع فانتعشت أرواحهم وشكروا الله وحاروا من جرى ذلك وهم لا يعلمون السبب لا من الأول ولا من الآخر بل وقعوا بالضيقة وخلصوا منها وهم يجهلون أسبابها وبعد أن أمنوا على أنفسهم وعادت اليهم الحالة التى كانت فى البداية لهم اجتمعوا فى صيوان الملك بهمن وقال لهم طيطلوس إن حالتنا قد أصبحت أحسن مما كانت قبلا وأن الله قد نظر الينا عند ما وقعنا بأشد الضيقات ولا أعلم إذا كنا نعود إلى ما كنا عليه ويعاود السحرة عملهم أو انقضى الأمر دون أن نعلم له سببا وعندى أن من الصواب إذا لم نصب بأمر يكدرنا ونمتنع عن القتال أن نباشر الحرب فى صباح اليوم القادم ونضرب طبول القتال من نصف الليل ونزحف على الأعداء دفعة واحدة فلا نرجع عنهم إلا ونبيد منهم قسما ونوقع فيهم الخلل ولا نترك لهم قائمة تقوم أو أنهم يدخلون المدينة ونتخلص من شرهم ومن ثم نعود فنعمل على فتح المدينة إما بواسطة الوزير مهريار واما بطريقة ثانية وهذا نحن بشديد حاجة اليه لأن رجالنا لا يزالون بالمدينة عند هذا الوزير الحكيم التقى ولا ينبغى أن نتقاعد عنهم أو عن فتح المدينة وبينما الوزير طيطلوس يتكلم إذ دخل الصيوان طارق العيار وقال لفيروزشاه إنى أبشرك ياسيدى ببشرى عظيمة تسر بها وتفرح وهى وصول بهزاد بهلوان تختك وفارس بلادك مع بهروز عيارك وقد دخلوا الجيش آتين إلى هنا فلما سمع فيروزشاه والملك بهمن وأردوان وبقية الأبطال

والفرسان هذه البشارة صفقوا من الفرح على غير وعى ونهضوا واقفين على الأقدام وفى نفس تلك الدقيقة دخل بهزاد ورمى بنفسه على فيروزشاه وقبل أحدهما الآخر ثم قبل أيادى طيطلوس وسلم على كل من فى الصيوان من الكبير إلى الصغير ولاسيا ابن أخيه اردوان فانه قبله مرارا وقد أعجب من قدرته وشجاعته وبسالته إذ وجد فى وجهه علائم جده فيلزور البهلوان وفرح أيضا بشيروه وشيرزاد وسال عن فرخوزاد إذا كان خرج من المدينة فأخبروه أنه لا يزال فى بيت مهريار مع باقى رجال الفرس الذين كانوا بالمدينة قبل أن أخذ من بينهم ومن ثم أمر بهمن أن يطاف بكل الجيش ويعلن مجىء بهزاد وأن يأتى كل رجل يرغب فى ملاقاته للسلام عليه والفرح باتيانه وأن يقام يوم هناء واحتفال بكل الجيش وأن يفرح الجميع ويسروا معا . وكان قد انتشر الخبر قبل أن أشار به فيروزشاه حيث الحراس لما رأوا بهزاد أسرعوا يركضون وينادون بوصوله سالما مع بهروز حتى عرف به القواد والعيارون وجاءوا فاخبروا الملك وما لبث أن قامت الأفراح فى كل ناح ودار بين القوم الرقص والطرب حتى عم الصغير والكبير .

قال وبعد أن احتفلوا بأميرهم وفارسهم اتفقوا على أن يباكروا الحرب فى اليوم الثانى وعليه قد صرفوا السهرة بأهنى سرور وأنعم بال وقد حدثهم بها بكل ما وقع عليه فى قلعة سوسان شهر إلى أن جاء بهروز وخلصه منها وحكى لهم عما فعل مع جلدك العيار وكركانى وأولادها والكل يتعجبون من بهروز ومن حسن توفيقه وكيف أنه ذهب بنفسه إلى بلاد شهيرة خطيرة وفاز بما هو طالبه وخلص بهزاد واستولى على المدينة حتى جعلها فارسية الحكم . وبعد ذلك تفرق كل إلى خيمته وكان أشدهم وساوس اردوان وشيروه وكل منهما كان يتمنى سرعة الحرب والوصول إلى المدينة والدخول فيها لخلاص أبيه وقد انفطرت مرائرهم لهذا السبب وتمنى كل واحد منهما أن يكون قادرا على الهجوم ليهدم أسوار المدينة ويدخلها لنوال غايته وقبل انبثاق صباح اليوم الثانى ضربت طبول الايرانيين تنذر رجال الصين بالحرب والقتال والفتك بالفرسان والأبطال فاجابتها طبول الصينيين بأصوات كالرعود القاصفة وكان جهان لا يزال معلقا كبير امل بأفعال شمس الساحرة ولذلك كان شديد الحيل والقوى إلى أن أشرق الصباح وضاء بنوره ولاح وحينئذ نهضت الفرسان إلى خيولها فركبتها وتقدمت إلى ساحة الميدان طالبة الحرب والقتال فوقف بهزاد وفيروزشاه فى الوسط واردوان ويلتانى اليمين وشيروه وشيرزاد فى الشمال وبقية الفرسان والشاهات متفرقة على طبول الجيش وركب جهان ومنكوخان ولم تكن إلا دقائق قليلة حتى هجمت الفرسان على بعضها البعض وأخذت فى القتال والمناضلة

والجولان وطاف عزرائيل بكاس الأهوال وسق الفرسان والابطال جرعات البلاء والوبال . وطوقهم باطواق الاكدار والاذلال . وكان ذاك اليوم من أشد الأيام وأصعب أوقات الصدام . فيه تدفقت الدماء أنهارا . ولاقى الصينيون هلاكا وبوارا . كون بهزاد كان يفعل فيهم العجائب وينزل عليهم بشهب المصائب حيث من أكثر من خمس سنوات لم يمر عليه يوم من مثل ذاك وهو مشتاق إلى الفتك بأعداء ه فما صدق أن لاقاهم بقتال حتى يشفي منهم غليل فؤاده . ولذلك كان يزيد كالجبال ويطعن فى صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال وهو ينادى بأصواته المعتادة أنا بهزاد أنا بهزاد ابن فيلزور البهلوان بن رستم زاد جالب على الأعداء الهم والبلاء . وكذلك فيروز شاه عروس الميدان . وجرثومة الافتخار وعلو الشان . من خضع له كل جبار . وخرلفرند سيفه كل بطل مغوار وأذل ملوك الأرض الكبار والصغار . فانه أطلق لجواده الكمين العنان . وارسل سيفه لخطف الأرواح من الابدان فترك جثث القتول كالجبال والتلول وهو لا يفتر عن ملاحظة فرسانه وابطاله . ولا يهمل فيئة من قومه ورجاله . بل كان يسرع كالبرق من جهة إلى ثانية وأينما وجد الأعداء تجمعت على فارس من فرسانه نادى بها وفرقها بضرباته وشدة همه رطعناته . مناديا بندائه . وهو انا فيروز شاه انا فيروز شاه حبيب عين الحياة فكان هذا النداء يفرق جموع الاعداء لعلمهم انه قضاء الله المنزل وان لا احد من الفرسان يقف امامه فى الميدان وكان شيروه يفعل افعال الآساد ويمدد الفرسان على بساط الوهاد وهو ينادى انا شيروه بن كرمان شاه من بقوائم سيفه يتعزز المجد والجاه . وكذلك شهرزاد فقد غاص فى الصينيين وانزل عليهم عذاب الله المبين واما اردوان فقد قلب الشمال على اليمين واليمين على الشمال وسطا واستطال وغطى من جثث القتلى الرمال حتى حير الخواطر وادهش النواظر وارعب الأعداء فى صيحاته وحيرهم بسريع ضرباته وهو ينادى انا اردوان انا اردوان ابن اخى بهزاد بن فيلزور البهلوان ونزل على الصينيين من الايرانيين العذاب والهوان وشعروا بالخراب والقلعان وما جاء آخر ذاك النهار وفيهم بقية رمق إلى الثبات وفى نيتهم الفرار والشتات . إلا ان سرعة الظلام حمتهم من ويلات الاخصام وفى الحال ضربت طبول الانفصال فترك القومان الحرب والقتال ورجع كل فارس الى الوراء طالبا الراحة من هول ما لاقى فى ذاك اليوم العظيم الشان . وكان بهزاد قد شاهد اردوان وقت القتال فعجب منه كل الاعجاب واندهش من سرعة قتاله وجولانه وتأكد انه بطل من ابطال ذاك الزمان وانه سيحيي اسم جده فيلزور واسم عائلته التى اختصت بهم الشجاعة والاقدام والبسالة وعند زوال النهار مال اليه ليلاقيه فسمعه ينشد

ويل الاعادى وفى كفى مهندة — بيضاءكم نزعت نفسا عن البدن
مصقولة الحد لم تحمل لغير يدى — أنزلت فيها عليهم نازل المحن
وهل عجيب إذا فرقت جمعهم — وقمت عنتر فعلا وابن ذى يزن
وحى الفارس السامى البسالة من — بمنة الله لاقى أشرف المنن
بهزاد من فرقت ضرباته أبدا — من الأعادى بين الجفن والوسن

فلما سمع بهزاد كلامه رمى بنفسه عليه يقبله وقال له لاعدمتك من بطل تذكر بين الأبطال العظام فى كل محفل ومقام فبمثلك تأتى الآباء وإلا فلا . قال كيف لا أكون كما ترانى وأنت حى وقد رضعت ذكر أعمالك مع لبنى وهو الذى شوقنى أن أسرع فى خطط المعالى لأقتدى بك وأقاتل بين يديك . فشكره وعادا الى الخيام وبعد أن مضى قسم من الوقت وتناول كل منهم الطعام ونزع ما عليه من ملابس النهار اجتمعوا فى صيوان الملك بهمن وهم مسرورون من فعل ذاك النهار وقد قال لهم فيروزشاه ان الأعداء لا يثبتون بعد أكثر من يوم واحد وعندى أنهم فى الغد يدخلون المدينة ويقفلون الأبواب وهذا أخافه وأخشاه لأنه يعيدنا إلى المطاولة والحصار . فقال طيطلوس علينا أن نقرضهم ونبيدهم وبعد ذلك لا يصعب على الله أن يسهل لنا طرق أخذ المدينة والاستيلاء عليها ولابد لكل بداية من نهاية وقد يفعل ما يشاء وفى الصباح نرى ما يكون بيننا وبينهم فبين الليل والنهار عجائب

وأما الملك جهان فانه رجع إلى ديوانه وهو غضبان كثير الغضب محروق الفؤاد عاحل على عساكره من الأعداء ولم يجسر أحد أن يخاطبه بكلمة وكان أكثر غضبه وكدره كيف ان شمس الساحرة لم تقم بوعدها ولا وفت له وكيف انها بذاك النهار لم تهلك الأعداء بالنار والكبريت كما كانت قالت له ولولا أمله بعودها اليه ووفائها فى اليوم الثانى لدخل المدينة فى ذاك اليوم وحاصر فيها غير انه كان يخطر له أنه ربما كانت قد تأخرت فى ذاك اليوم لسبب منعها عن انفاذ وعدها وانها ستحضر فى الغد إلى إتمام رغائبها ورغائبه ولذلك فى كاتما أمرها لا يقبل أن يبيح به إلى أحد كى يعلن بعد ذلك أن هذا الفعل فعله كونه رسول النار . وبقى صابرا إلى اليوم الثانى

فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من بهروز العيار فانه عند رجوع قومه من الحرب دعا اليه بدر فتات العيار وقال له انى مزمع أن أسير فى هذا الوقت لأمر مهم لى فأوصيك أن تقدم فى خدمة سيدى فيروزشاه وإذا سألك عنى فأخبره أنى سرت لأتجسس خبر الأعداء. وأعرف أمرا بينهم له فيه النجاح وإياك أن تغفل عنه فى الليل وعن حراسته وإياك أن تنام دقيقة واحدة إلى أن أعود اليك فأجابه بالسمع

والطاعة ووعده بالتحرس والانتباه . ثم ان بهروز حمل على عاتقه الطعام والنقولات والماء وكل ما خطر له أن يأخذه لشمس الساحرة حبيبته وخرج من المعسكر وانطلق فى البر إلى أن علا الأكمة ثم نزل الوادى تحت ذاك الظلام حتى جاء إلى المغارة التى ترك فيها محبوبته ولما وصل اليها أزاح الحجارة عن بابها ودخل وأشعل مصباحا كان قد أحضره معه وتقدم من شمس فسلم عليها وقال لها لاتظنى أنى نسيتك أو تغافلت عنك فأنت التى أحبتها نفسى ووهبتها قلبى وعلقت بها عقلى وقدجئت اليك بكل ماتحتاجينه فهل خطر لك أن تعدينى بالاقتران وصدق المحبة لأجلك الآن وأذهب بك إلى فيروزشاه وادعه أن يقيم زفافنا . فقالت له ويلك يابهروز قد قلت لك سابقا ولا أزال أقول ان نفسى لاتقبل الذل وانى أفضل الموت الف مرة من أن يقال عنى أنى تزوجت بعيار بعد أن امتنعت عن الملوك الكبار . فقال ان زواجك بى ليس بعار لأن أكبر الملوك يذل لى ويخافنى وانى لم أذل قط لأحد الا لسيدى فيروزشاه ولا أخدمه واخلص له الخدمة الاحبا به وتعشقا الكرامته ولولا ذلك لرأيتنى أعظم من أعظم الملوك مفضلا فى جيوش الفرس على الشاهات والأمراء وما أريده لا أجد يمنعنى عنه أو يخالفنى فيه فاقبلى بزواجى وارضى به والا اهلكت نفسك واهلكتنى بحبك . قالت عبثا ترجو فمامن وسيلة لنوال مرادك وانى ابقى العمر على هذه الحالة ولما صرف الجهد إلى اقناعها ولم تقنع اخذ يطعمها الطعام بيده وهى تأكل منه ولا تمتنع طمعا بالحياة لأنها كانت تضورت من الجوع وسقاها الماء واقام عندها نحوا من ثلاث ساعات . وقبل ان فارقها قال لها انى اعيد عليك القول ثانيا وثالثا فهل لك ان تقترنى بى وتعودى إلى معسكرنا . قالت لا اعدك وعدا الا بعد ان تحلنى وتخرج هذه الابرة من انفى قال لا يمكن ذلك الا بعد المعاهدة واليمين والوعد والا لو اطلقت سراحك لأهلكت جيش الفرس وانزلت بهم العذاب واما انا فلا اخاف منك قط لأن سحرك لا يعمل بى . قالت انى اعدك ان اكون معك على الدوام لكن لا اتزوج بك قطعيا حفظا لشرفى وانى لا ارجع عن قولى لو قطعت بالسيوف . قال لا اقبل ان تبقين معى الا كزوجة والا فلا اطمع بالخلاص . قالت ولا اطمع بالزواج فلما قطع الرجاء من قبولها بنى الحجارة فى باب المغارة كما كانت وانطلق عائدا إلى معسكره واعينه تذرف دموعا سخية تحسرا وشفقة على حالتها وهو حزين كل الحزن لا يقدر ان يطلقها خوفا على قومه منها ولا يطيعه قلبه على طول عذابها حتى كاد يفقد عقله وبقى على ذلك لا يجد وسيلة يتخلص منها من ثقل تلك الحالة إلى ان وصل إلى المعسكر وجاء صيوان سيده فوجد بدر فتات عنده فسأله اذا كان سأل عنه فيروزشاه قال له سألنى فاخبرته بما اعلمتنى فقال له اذهب انت إلى صيوان الملك بهمن واقام

بهروز يحرس مولاه وهو بمزيد حزن وانفطار قلب إلى الصباح

قال وفى الصباح نهض العسكران إلى الحرب والكفاح واعتلوا ظهور الخيول وتقلدوا بالنصول وكان أشد الجميع رغبة اردوان وشيروه لأن كلا منهما كان يشتاق تبديد هذه الجموع والدخول إلى المدينة لمشاهدة أبويهما ولذلك عندما اختلط القومان ودار دولاب الحرب والطعان فعلا أفعال الجان . وأهلكا الجموع وبددا شمل القواد وضيعا عقول الصينيين عن الادراك والارشاد بعظيم ضرابها القوية وجسيم أعمالها الحربية وكان ذاك اليوم أعظم من اليوم الأول على الملك جهان وهو يحرض الابطال والفرسان على الثبات فى ساحة الميدان ويعدهما بقرب الفوز والأمان منتظرا ان تظهر أعمال شمس الساحرة فى مدة ذاك النهار وظن أنها ما تأخرت عنه إلا لتأتيه عندما تشتد عليه الضيقات ليظهر النصر لها وبيان فضلها ودام على مثل تلك الحال إلى قرب الزوال فرجع القومان عن الحرب والقتال والصينيون بأيشم الاحوال وقد تأخروا تأخيرا عظيما وتمتع جمعهم كل التمتع ولاصقوا الأسوار ورجعوا إلى الوراء وقد امتلأت السهول من قتلاهم ولم يبق منهم إلا القليل وعند المساء اجتمع وزراء جهان عنده وأعيانه وهو متكدر الخاطر مضطرب الفؤاد .

فلم يجسر أحد ان يكلمه بكلمة منتظرين منه الرأى والفكر إلى ان قال لهم انى انتظر فى الغد حدوث أمر عظيم فى جيوش الفرس يكون به انقراضهم فان وقع وانتهى كان النصر والظفر لنا وإلا فافتحوا باب المدينة وادخلوا البلد أثناء القتال ومن ثم اقفلوه فى وجه الأعداء ومتى دخلنا المدينة حينئذ يسهل علينا ان ندبر لنا أمرا آخر نطلب من النار ان تهدينا إلى الطريقة التى يكون لنا بها النجاح فقال منكوخان قد كان يخطر فى ذهنى ان ندخل هذه الساعة ونترك الأعداء يتحرقون ويتحسرون على مافقد منهم من النصر والظفر . وإذذاك أخبرهم جهان بأمر شمس الساحرة ومافعلته فى الأعداء مدة الهدنة وكيف أنها ذهبت لترسل عليهم نارا وكبريتا ولم تعد اليه قط

فقال مهربار لاريب ان الفرس قبضوا عليها أو أوقعوا بها لأن لهم سلطة على السحراء والكهان فقد قتلوا كثيرا منهم وعلى ما أظن أخيرا انهم قتلوا كركانى الساحرة ولولا ذلك لما تخلص بهزاد وجاء يقاتل مع رفاقه وقومه فقال منكوخان انى رأيته فى الامس واليوم وتعجبت من عمله فينا فهو بلوة لانطاق وأكثر العجب كيف تخلص من قلعة سوسان شهر ومن المؤكد ان كركانى قتلت وإلا كانت جاءت لأخذ ثار ولدها من قاتليه ولا تمكن أسيرها ان يفلت من يديها . فتنهد الملك جهان وقال قبح الله الفرس فانهم لا يغفلون عن شىء لايتركون أمرا به الخلاص لهم ولم يبق لى أمل إلا بشمس الساحرة التى هى أقدر سحراء الدنيا فان وفت بقولها كان لنا ما نتمناه

والا فندخل المدينة ونبحث ونفتش عليها فى البرية فى احدى المغائر لأنها أخبرتنى أنها تقيم هناك لاتمام عملها على انفراد فيه فسكت الجميع عند اصراره على البقاء وأملوا أنهم فى الغد يدخلون المدينة أو يكون لهم ماوعدهم به وأيضا الايرانيون فانهم صرفوا تلك الليلة وقلوبهم مملوءة من الفرح بما أوقعوه على أعدائهم من الهلاك والمحاق وتأكد عندهم أن الباقين لايثبتون أكثر من ساعات قليلة فى اليوم الثانى وعادوا ينتظرون الصباح

وأما بهروز فانه فعل فى تلك الليلة كما فعل فى الليلة التى قبلها فدعى بدر فتان وأوصاه بالسهر على فيروزشاه وانطلق بين تلك البرارى يقصد مغارة شمس الساحرة وقد أصحب معه لها الطعام والشراب وما صدق ان وصل اليها حتى رفع الحجارة عن بابها ودخل عليها وأطعمها من كل ماجاء به وبعد ذلك أخذ ان يحاولها ويسألها ان تعده بالاقتران به وهى مصرة على العناد لاتقبل قط بطلبه ولا تلين لتذلله وقد قوى بها العناد والامتناع إلى درجة أولى حتى تركته على فراش الهم والكدر مفطور القلب كئيبا حزينا مقطوع الرجاء ثم عاد من عندها بعد ان ارجع باب المغارة كما كان وسار عائدا لايعى على نفسه وهو ينشد ويقول :

يا قمرا يزرى بشمس الفلك   كل جمال وبهاء فالك
ملكت قلبى فترفق به   ما أنت فى حسنك ملك
الله الله بنا يا رشا   فان قلبى فى الهوى قد سلك
أرسلت لى طيفك تحت الدجى   ياطيف حيا الله من أرسلك
مولاى ما ذنبى اليك اتئد   فى قتلتى مقدار ان أسئلك
ان كنت لى أضمرت غدرا بلا   ذنب وحق الله ماحل لك
فاعطف علينا وترفق بنا   واعمل جميلا بالذى جملك
ذبت يا قلب عليه جوى   ويحك أيا قلب ما قلت لك
وأنت ياناظر عينى اصطبر   اياك تهلك مع من هلك

وبقى فى مسيره على حالته إلى ان دخل بين الخيام وجاء صيوان سيده وأقام يحرسه إلى الصباح وفى الصباح نهضت الفرس من مراقدها على أصوات طبول الحرب فعمدت إلى خيولها وتعددت بعددها وهى كأنها الأسود الكواسر وكل واحد يطلب إلى الآخر ان لايرجع فى ذلك النهار مالم ينقرض الصينيون ويحل بهم الويل والهوان وكان شيروه قد صمم بنفسه انه يتأثر فى ذاك النهار منكوخان الوزير ليقتله وإذا وقع بجهان فيأسره ويفديه بأبيه وقرر فى عقله انه لايرجع عن القتال مالم ينل غايته ويقبض على الملك .

ومن ثم تقدم إلى المكان الذى أشار له فيروز شاه ان يقيم فيه وكذلك بهزاد

واردوان وشيرزاد وباقى الفرسان والابطال وركب الملك بهمن ورفعت من فوق راسه الأعلام وإلى جانبه طيطلوس وبزرجمهر وهو ينتظر النهاية فى ذاك النهار .

ثم ركبت جيوش الصين وتقدمت إلى الايرانيين إلى ان هجمت عليها هجوم الأسود فالتقتها بخوار عزائم وضعف كبود . ولم يكن إلا كلمح البصر حتى اشتبك القومان ونعق فوقهما البوم والغربان واختفى سلطان الامان وظهر ملك الموت وبان وأخذ بيده ملاك الحسبان عادل الميزان وانتصب صاحب كل دين يستوفيه فى ذاك الآن وكان اليوم شديد الحرب والطعان عظيم القتال جسيم الأهوال يبعث فيه النفوس بيع السماح وتهادت جنود الموت جواهر الارواح وحل على الصينيين ضباب الويلات والاتراح ولم يعد لهم من الهلاك خلاص ولا براح فرجعوا إلى الوراء وسيوف الايرانيين تضرب بأقفيتهم وتجود الطعن لتشفى غليلها منهم وتفنيهم قبل دخولهم المدينة والحصار فيها وكان كل من فرسان إيران غائصا بين الأعداء غارقا فى وسطهم يضارب ويناضل بأسرع من نزول القضاء وأخذ الصينيون فى الدخول طمعا بالنجاة من سيوف متأثريهم وقد يعجز بنا شرح ما فعله شيروه بن كرمان شاه فى ذاك اليوم فانه قاتل حتى استقتل ولم يعد يعلم مابين يديه ولا ماوراءه ولا أمامه وقد غاب وعيه وخاف من ان تقفل أبواب المدينة ويمتنع عن الوصول إلى أبيه فجعل يزيد كما تزيد فحول الجمال ويرمى بضربات سيفه الفرسان والأبطال ويشردها إلى اليمين والشمال وكلما تقربت منه ووصلت اليه صاح فيها وارتمى عليها حتى دخل بين الداخلين من أبواب المدينة وهو لايعلم بأى مكان هو ولا بأى جهة صار ودام دخول الصينيين إلى قرب العصر .

وبعد ذلك أقفلت الابواب فى وجه الايرانيين فعادوا مكللين بالنصر والظفر ودخل الصينيون مقهورين مذلولين فرحين بالخلاص ومالبثوا ان سمعوا بوجود شيروه بينهم يقاتل كالأسد الضارى وعرف ذلك جهان فصاح بالأبطال والرجال ان تتقدم منــــه وتحذف عليه وتفعل بين أيشم فعال فانحطت عليه الغمامة فالتقاها التقاء الرياح وضرب بها من الاربع جهات فبددها وفضحها وهى تزدحم عليه وتصوب اليه بضرابها وهو يلتقيها بعزم متين وفؤاد جرىء . ودام يزيد فى قتاله ويفيض بأعماله والرجال تنفر من بين يديه عندما يصيح بها ثم تعود فتهجم عليه إلى ان اسود ظلام الليل وإذذاك تقدم ونك العيار بأسرع من الشهاب ورمى جواده بنبلة أصابته فى صدره فوقع إلى الأرض قتيلا ووقع من فوقه شيروه إلى الأرض إلا أنه نهض والسيف بيده يقاتل ويناضل وبالاختصار أنه بعد ذلك بساعات قليلة تمكن منه رجال المدينة فقبضوا عليه وشدوا أكتافه وساقوه إلى جهان وهو كأنه الأسد المربوط ولم يكن عمره ذاق الذل ولا عرف الأسر فصعب عليه هذا الأمر جدا وكاد يفقد

صوابه . وعند ما وقف بين يدى الملك فرح بأسره جداً . وقال له ويلك أيها الغلام أتظن أن الحرب مرسح للأولاد ألا تعلم أن قوة رجال الصين وكثرتهم تفعل ما لا تفعله أسود الدحال وقد دخلت المدينة استهزاء بنا وتعديا على ما أعطينا من القوة والبسالة فأجاب شيروه ويلك ياجهان لو كان فى بلادك فارس يلقانى وأسرت أو قتلت منه لكان لك الحق والافتخار بقومك ولكن تراني ما أسرت إلا بعد أن أهلكت من قومك مئات وألوفا وتركت السكن علوء من المجاريح الذين يتوجعون من ضرابى وإنى أقول لك ولا أخشى الموت ولا الهلاك إنى مارميت بنفسى فى هذه المخاطر ودخلت مدينتك إلا طمعا بان أقبض عليك وأقودك أسيراً ذليلا ولولا اختبائك وإسراعك إلى الدخول فى مقدمة رجالك لما نجوت من يدى ولو كان دونك جبال من الرجال فاقصر اللوم وافعل بى ما أنت فاعل فأنى أحتمل العذاب والموت بالصبر الجميل لعلى أن وراءى أسود الفرس وأبطالها فلا يتغافلون عنى إن بقيت أسيراً عندكم ولا يتركون ثأرى إذا أصبت منكم بشيء .

فلما سمع جهان منه هذا الكلام كاد يفقد عقله وعجب من وقاحته وجسارته . وفى تلك الساعة تقدم منكوخان وقبل يدى الملك وبكى بكاءاً مراً وقال لا تنس يا سيدى أن أولادى السبعة قتلوا فى سبيل الحرب والطعان بين الجيوش الصينية وإنى لا أزال حتى الآن حزين القلب منكسر الخاطر محروق الفؤاد لا تنشف لى دمعة ولا تطفىء لى لوعة كلما دخلت بيتى ووجدته خاليا من أولادى وأعظم شيء يغيظنى ويكدرنى عند ما أرى نفسى غير قادر على أخذ ثأرى من الأعداء وكلما وقع بيدى أسيرا أبقيت عليه فيسهل له الخلاص والآن اريد منك ان لا تترك دم اولادى يذهب هدرا وهم فرسانك وخدامك واولاد وزيرك الأمين فسلمنى هذا الأسير لآخذ منه بثارى وتكون بذلك قد رحمتنى واحسنت إلى . فقال له جهان خذه وافعل به مابدالك . وكان قد تكدر من كلامه ورأى ان منكوخان يتحرق ويبكى فشفق عليه وماصدق منكوخان ان سمع هذه الكلمة حتى اخذ شيروه اليه . وتفرق كل رجال المدينة إلى اماكنهم وقامت العساكر على الأسوار للدفاع عنها إلى ان اشرق صباح اليوم الثانى وفيه نهض منكوخان ودعا احد قواد العساكر وكان اسمه ميزاب وقال له اريد منك ان تاخذ هذا شيروه إلى ظهر الأسوار وتقطعه هناك على مرأى من الايرانيين لأنه سيد وابن سيد وموته يغيظهم ويرمى بقلوبهم نارا متسعرة فاجابه واخذ شيروه محاطا بجماعة من الجند وساروا إلى ان دخلوا القلعة وتسلق على الأسوار وتقدم إلى الأمام واوقف شيروه على طرف الجدار وصاح اى رجال إيران هلموا فانظروا مايحل باميركم الآن .

قال وكان فيروز شاه وقومه عند رجوعهم من ساحة القتال واجتماعهم بصيوان الملك بهمن تفقدوا شيروه فلم يروه فتكدروا مزيد الكدر وحزنوا مزيد الحزن وقال لهم الملك بهمن انى أخاف أن يكون قتل أو أصيب بأذى فقال فيروز شاه لا يمكن ان يكون قتل ولاريب أنه دخل بين الأعداء واجتاز الأبواب فبقى فى الداخل لأنى رأيته عندفرار الصينيين يفعل مالايفعله غيره من أشد الأبطال والفرسان ومن ثم انتقلت إلى جهة ثانية لما ثبت عندى ان لاخوف عليه من الأعداء ولاسيما وهم ينهزمون ولابد لنا من الاكتشاف على خبره والاستعلام عنه بأى وسيلة كانت وكان أشد الجميع حزنا على شيروه اردوان وشيرزاد وانفطرت مرارتهما على غيابه وشغل خاطرهما وضاق صدرهما وبعد ان ذهب كل رجل إلى صيوانه ذهب اردوان إلى فراشه وبقى طول ليلته قلقا مطربا حزينا خائفا ان يلحق بشيروه ضر وهو لايعرف الطريقة الموصلة لمساعدته وفى الصباح نهض مع عموم عساكر إيران وأمرائها ونظروا إلى جهة أسوار الصين فوجدوا القائد ميزاب قد قدم شيروه للذبح وهو موثوق الأيدى مشدودها فهاجوا وماجوا وتقدموا من جهة الأسوار يصيحون بالقائد المذكور ان يطلقه وأما اردوان فصاح فيه وفى الذين حواليه من العساكر وقال لهم ويلكم إذا ألحقتم بشيروه أذى كان ذلك أعظم ويل وخراب عليكم وانى أقسم بالله العظيم ان أقتل منكم فرسانا وأبطالا بقدر شعر رأسه عددا .

ثم ان اردوان تناول سهما وأوتره من قوسه وأرسله باسرع من البرق إلى القائد ميزاب فوقع فيه فأرداه قتيلا ورماه من الأسوار ولما رأى ذلك شيروه تامل الخلاص واستغنم الفرصة فقمز عن السور وفى كل ظنه أنه ينجو ويخلص إلا ان القائد الذى قتل كان قد حسب هذا الحساب ولذلك ربط طرف الحبل المكتوف به بحلقة فى أعالى السور عليه لم يتكن من الخلاص بل ما وصل إلى نصف المسافة الواقعة بين أعالى السور والارض حتى شده الحبل فضرب فى حائط السور ضربة أعدمته صوابه وغاب هداه فاسرع الجند وسحبوه مرة ثانية الى الاعلى وهو على تلك الحالة ومددوه على ظهر السور ونزلوا عليه بسيوفهم فقطعوه قطعا ورجال ايران ترميهم بالسهام وهم يصحون ويبكون وقلوبهم تتقطع وتتوجع لشدة الحزن والأسف وقد سال دمه على حائط السور من الأعلى الى الأسفل فرسم عليهم خطوطا جفت عليه فكانت على الدوام ذكرى محزنة لرجال ايران ولاسيما اردوان وشيرزاد وبهمن وبزرجمهر وبقية شبان الفرس ولطم كل منهم على خدوده وناح وصاح ومزق ثيابه ووقع على الايرانيين حزن عظيم لم يقع مثله قبل ذلك الآن وعملوا له عزاءا عظيما فما نشفت لهم قط دمعة ولاأخذهم صبر ولا جلد وأشدهم كان اردوان فانه مزق ثيابه كل التمزيق وهشم

جسده من الضرب واللطم ولم يقدر أحد يصبره أو يمنعه وهو ينادي«وا أخاه وا ركناه . أنت رفيق الصبا وصديق الوفا أنت رافع الشدات ودافع الضيقات لقد مت غريبا وقتلت غصبا وعدمت قبل أن أراك أبوك وماذا يصيب أمك إذا علمت بموتك وقتلك فياليتني كنت الفداء عنك أو كنت برفقتك عند دخولك المدينة . وبقي كل ذاك النهار على تلك الحالة وقد خاف عليه فيروز شاه وبهزاد والملك بهمن من أن يلحق به الجنون أو يصاب بداء مؤثر ناتج عن تلك الحالة المحزنة ولذلك لازمه طيطلوس وجعل يعظه ويطلب اليه أن يصبر ويهتم بثاره اخلاصا له ولما زاد عليه الحال جعل يرثيه فقال :

يا شقيق الفؤاد ابن الكرام ورقيق الطباع حلو القوام
مت ظلما وا لوعتي وانقطاعي من أخ لي وساعد مقدام
كيف قلبي يرجو الصبر يوما بعد هد القوى وكسر العظام
كيف يحلو لي عنك قط بديل أو نصير وأنت فرد الأنام
من أنادي إذا الجيش أحاطت بي يوما وقام سوق الزحام
من أنادي إذا الفوارس جاءت زمرا من خلفي ومن قدامي
كم رفعت المصائب كم جدت طعنا بصدور العداة نسل اللئام
شيروه كنت للأعجام ركنا وملاذا ومنعا للأنام
يأمن الخائف الطواريء في نا ديك لما يرى محط السلام
لا أرى العيش أخضرا في حياتي يا صديق الحلال خصم الحرام
سوف يلقى العداة منا رجالا يطحنون الجبال وقت الخصام

ولازم اردوان البكاء والنواح على ماتقدم وبقيت مناحة شيروه ثلاثة أيام والبكاء والنواح والحزن بين الايرانيين منتشر لا ينفكون عنه وقد لبسوا عليه السواد كالعادة الفرس في تلك الايام وبهروز العيار كان يذهب في كل ليلة إلى المغارة القائمة فيها شمس الساحرة ويجتمع بها ويعرض عليها الزواج وهي لاتزيد إلا نفورا وامتناعا وهو صابر عليها مؤمل بنوال مراده على التمادي وقد خطر له أخيرا أن يطلع مولاه فيروز شاه على حبه لها ويطلب مساعدته عساه يقدر أن يقنعها إلا أنه امتنع أو انتظر وابقى ذلك إلى حين انقضاء عزاء شيروه وترك الأحزان وهو بأمان واطمئنان عليها كانها وهي في تلك المغارة في صيوانه

قال وفي اليوم التابع لقتل شيروه اجتمع جهان بابنته شمس وحكى لها كل ما لاقوا من شر الفرس فقالت كان بعهدي أن تصالح هؤلاء القوم وتتخذهم لك حلفاء وأنصارا وترتاح من حر قتالهم وحربهم فقد عجز عنهم أكثر الملوك الكبار وقد قلته

لك مرارا فلم تعمل به ولا وعيت إلى كلامي وعلقت آمالك بشمس الساحرة وفى ظنك أنها تهلكهم مع أن سحرها لا ينفذ فيهم لأن الاله الذى يعبدونه يقيهم من السحرة ومن الاخطار . قال انها لو وفت الساحرة بكلامها لنفذ فيهم الفناء وقد كانت أهلكتهم ولم يقدر أحد أن يحميهم منها ولا أعلم أخيرا ماذا جرى بها وأخاف أن تكون ماتت . فقالت له لاريب اما أن تكون ماتت أو تكون قد رحلت عن هذه الديار فلا تعود اليها بعد . فما من وسيلة تقيك إلا بالصلح والأمان . قال كيف يقبل الايرانيون بالصلح بعد قتل شيروه ثم حكى لها عن قتله فتكدرت فى داخلها وأظهرت على نفسها الغيظ وقالت له لم يكن فى عهدى أنك تطيع منكوخان إلى حد أن تذهب بعدلك وحلمك وينسب اليك الظلم وقلة الانصاف أهل من شروط الانسانية أن يقتل الاسير وهل لا تظن أنك تحتاج اليه فتفدى بلادك وقومك به لقد عملت على خرابك ووصل اليك الرجل الذى كان يمكنك أن تصالح الايرانيين به فأضعته فوعى جهان إلى كلامها وتأكد صحته وندم على قتل شيروه ندما لا يوصف وبقى برهة مطرقا إلى الأرض إلى أن قالت له بنته انى أعهد بالايرانيين الرقة والحلم فاذا اعتذرت اليهم عذروك ولا يعاملوك بالاساءة وإذا سألتهم الصلح بالطريقة الجيدة لم أجابوك فى الحال ولا يرغبون بالظلم والتعدى . قال انى أرغب ذلك لكن سأتركه إلى مدة أيام لأنى بانتظار الملك شنكال الهندى وقد بعث له رسولى النك العيار ولا ريب أنه صار قريب الرجوع فاذا رجع بالخيبة عملت على مصالحة الفرس وليس هذا وحده الذى يؤخرنى بل أرى أن من الواجب أن أبحث على شمس الساحرة وأخاف إذا عادت ورأتنى قد اتفقت مع الفرس وهم أعداؤها تكدرت وعاملتنى بالعداوة . ثم ان جهان ذهب من قصر بنته إلى قصره الخصوصى ودعا بونك العيار وأطلعه على خبر شمس الساحرة وقال له انها أخبرتنى أنها تذهب الى البرية لعملها فأريد منك فى الغد أن تخرج إلى البرية وتبحث لى عنها وتفتش فى كل المغائر علك تجدها أو تعلم خبرا عنها واذا وجدتها فادعوها الينا وأخبرها بكل ما حل علينا فوعده بذلك وانه سيذهب عند الصباح إلى التفتيش ويلازمه إلى أن يعرف خبرا عنها ثم ودعه وسار على هذه النية وبقى جهان فى قصره وهو يؤمل ظهور خبرها

قد مضى بنا الكلام إلى ذكر ما تقدم وأمراء الفرس لا يزالون عند الوزير مهريار وهو يقوم لهم بالاكرام والاحترام وهم ينتظرون العودة إلى المعسكر الفارسى دون أن يتسهل لهم ذلك والوزير غير مهتم باعادتهم لعلمه أن قومهم لابد أن يدخلوا المدينة فيجتمعوا بهم وانهم لا يحتاجون اليهم بل كان يخبرهم على الدوام بكل ما كان يقع فى جيوش الفرس ويطمنهم عنهم الا أنه فى هذه المرة كتم عنهم خبر موت

شيروه كي لا يكدر كرمان شاه بموته كونه ولده وهو مشتاق الى رؤياه وقد سأل الوزير تكرارا أن يتسهل باخراجهم الى الخارج فيمتنع ويقول لهم ان في بقائكم بالمدينة نفع عظيم لقومكم بحيث أقدر ذات يوم أن أفتح بكم الابواب لدخولهم ورأى مهريار أنه مضطر على الدوام لايصال الاخبار الى الفرس ودوام العلاقة بينه وبينهم وعرف أنه لا ينال ذلك الا بواسطة الاشوب العيار الذى كان باق عنده في بيته مع الامراء وعليه فقد جعله خادما له يسير على الدوام برفقه ليراه أهل المدينة ويعرفوا أنه مختص به فلا يعترضونه فى ذهابه وايابه وهو يلبس ملابس الصينيين كانه واحدمنهم وهكذا كان ينتظر الفرص لفتح المدينة وادخال الفرس وأمل أن ذلك يكون وقت قريب

ولترجع الى ونك العيار فانه أسرع فى صباح اليوم الثانى الذى أمره به الملك جهان أن يتفقد شمس الساحرة وخرج من باب المدينة قبل انبثاق نور النهار وانطلق بين الآكام والوديان سائرا من جهة إلى ثانية وهو لايعرف فى أى ناحية يسير لكنه لما كان خبيرا جدا بمغائر تلك الارض ومعابرها جعل يدورها واحدة فواحدة دون أن يرى قصده وبقى على مثل ذلك الى أن أرسلته الصدف الى المغارة القائمة فيها الساحرة المذكورة ونظر اليها متعجبا عند ما رأى بابها مسدودا بالحجارة ورقف مبهوتا نحوا من نصف ساعة ثم تقدم من الحجارة وجعل يرفعها واحدة فواحدة حتى انكشف الباب وظهر ما داخله ورأى فى المغارة شمسا المذكورة وهى على تلك الحالة موثوقة بالحبال وفى أنفها ابرة الفولاذ وكان لا يعرفها فنظر اليها متعجبا من جمالها

انتهى الجزء الرابع والثلاثون وسيليه الجزء الخامس والثلاثون

الجزء الخامس والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

مأخوذاً من حسنها ثم قال لها من أنت وما الذى أدخلك إلى هذه المغارة قالت له أسرع أولا واخرج لى هذه الابرة التى فى أنفى وبعد ذلك أخبرك عن حالى فارتاب ونك من كلامها وقال ماذا يا ترى تعمل الابرة فى أنفها وتردد عن سؤالها وقال لها لا يمكنى أن أقترب منك مالم تخبرينى من أنت لأنى أنا ونك العيار وقد خرجت بأمر سيدى جهان أفتش على شمس الساحرة فهل أنت هى . قالت لقد وصلت إلى ما أنت ترجوه فانى شمس الساحرة وقد عمل معى هذا العمل بهروز العيار فأسرع إلى وفكنى لأنتقم من الفرس وأنفذ بهم غايه سيدك الملك . قال وكيف تركت بهروز يصل اليك بمثل هذه الاعمال وأنت ساحرة وتقدرين على هلاكه . قالت غدر بى فادخل هذه الابرة إلى أنفى وبسببها ماتت قوتى السحرية فلم أقدر أن أعى على شىء أو أعرف شيئا فقبحه الله من شيطان أشمط . قال وكيف أبقاك فى هذه المغارة ولم يأخذك معه إلى معسكر الفرس لتبقى أسيرة عندهم جزاء على عملك معهم . قالت انه أطمع نفسه بالمحال وسألنى أن أتزوج به فامتنعت فجعل فى كل ليلة يأتى إلى بالاكل والشرب والنقولات ويقيم عندى أكثر من أربع ساعات يحاول اقناعى وأنا أمتنع وهو لا يكل ولا يمل ولا ريب أنه كتم أمرى عن قومه ولم يخبرهم بى وما ذلك إلا من سعادتى لتأتى أنت إلى خلاصى فأسرع إلى فك وثاقى وأخرج لى أولا هذه الابرة من أنفى فأمعن ونك برهة إلى الارض وقال فى نفسه لا أخرج لها هذه الابرة إلا بعد أن تعدنى بزواجها وإلا إذا أخرجتها لا أعود أجسر أن أفاتحها بشىء من ذلك ولو لم يكن بهروز من شياطين هذا الزمان ويعرف أنه بواسطة هذه الابرة ينال مراده لما قيدها بها وكان ونك قد مال اليها كل الميل وأحبها كل المحبة وتعشقها تعشقا عجيبا وعاد لا يقدر أن يتمالك نفسه عن الاباحة بالحب وعليه فقد قال لها لقد خاب والله سعى عيار الفرس أيطمع نفسه أن يقترن بك وهو عدو الله يعبد الله ويكره النار ذات الشرار وأشكر النار التى أوصلتنى اليك لأخلصك منه وأتخذك لنفسى زوجة فهل لك أن تعدينى بذلك لآخذك وأسير بك إلى سيدى جهان وأدعه يرفى عليك وتفعلين بالاعداء ما تريدين فضحكت من كلامه وقالت له ويلك يا ونك كيف أقبل بك وقد رفضت بهروز وهو أجمل منك وجها وأشد بأسا وأعظم صيتا أو كيف يمكنك أن تخون سيدك جهان وقد بعثك للبحث عنى فاطلقنى الآن ولا تكثر من الهذار

فقال لها انى لا أرغب أن أخون سيدى إنما لا أريد أن أميت نفسي بحبك وهواك فقد وقعت من قلبي موقعا عظيما بالرغم عن إرادتى حتى صرت لا أقدر أن أعيش بلاك فاصغى إلى كلامى واسمعي ما أقوله لك ولا تمتنعى عن الاقتران بي. قالت عبثا ترجو وانى لو كنت أقبل بمن هو مثلك لقبلت ببهروز فهو عندى اليق منك فاخرج هذه الابرة من أنفى فانى اتألم منها الآن. فقال لها لا أخرجها وأنت مصرة على رفض طلبي وانى سأذهب بك الآن من هذه المغارة إلى مغارة ثانية بظهر المدينة تحت الآكام لا يمكن لبهروز ولا لغيره أن يراك ويتوصل اليك ولا أخرجك منها إلا بزواجي والقسم لى على الوفاء والوداد. قالت وإذا سألك مولاك عنى ماذا تقول له. قال هذا لا يعنيك فلابد لى من الوصول إلى ما يسألنى فيه حبي فالحياة عزيزة عندى وبغيرك لا حياة لى

ثم انه تقدم منها ورفعها على عاتقه إلى الخارج وبعد أن صار هناك وضعها على الارض ووضع الحجارة على باب المغارة حتى صارت كما كانت قبلا وحينئذ حملها على عاتقه وهى على تلك الحالة تسأله أن يتركها فى مكانها إذا كان لا يريد أن يطلقها وهو لا يسمع ولا يصغى وقد قالت فى نفسها ان مصيبتى مع ونك أعظم بكثير من مصيبتى مع بهروز لان هذا أشنع الخليقة وردىء الافعال واما ذاك فانه باهر الجمال جذاب القلوب حميد الفعال ولو لم يكن من العيارين والخدم لما رضيت غيره لى بعلا وبقى ونك يعدو كالغزال وهو حاملها على عاتقه يخترق الآكام وينزل الوديان حتى بعد عن تلك المغارة مقدار أربع ساعات فتخلل واديا عن ظهر المدينة وجاء المغارة التى أشار اليها وكانت مغطاة بالاعشاب والحجارة القديمة فأزاح ما عند الباب ودخل بشمس فوضعها فى تلك المغارة وقال لها انك تبقين هنا إلى حين قبولك بالاقتران بي ولا سبيل لاحد أن يعرف بأمرك قالت انى أعرف أكيداً أن لابد لبهروز من الاكتشاف على أمرى وأخذى منك كما أخذنى منه وبذلك تكون قد حرمت بلادك وسيدك من الانتفاع بعملى وهلاك أعدائه. قال لا يمكن لاكبر السحراء ولا لاعظم ملوك الجان أن يعرف مكان وجودك فابقى وراجعى نفسك فى طلبي إلى حين أعود اليك لانى سآتيك فى صباح الغد بالطعام ولا بد أن ترى الحقيقة بعين الحكمة والصواب. ثم ان ونك تركها هناك وخرج من المغارة وأعاد الاعشاب كما كانت على أبوابها ووقف بعيداً ينظر إذا كان يظهر اثر للباب فلم ير فاطمأن باله ولا سيما لعلمه أن تلك المغارة مستترة بعيدة عن الطرقات منخفضة تحت الارض لا تظهر قط للرائى. ولما اطمأن باله انطلق عائدا نحو المدينة وفى نيته أن يخبر الملك جيهان أنه لم يجدها وأنه فى الغد سيذهب إلى البحث عنها ودام فى سيره حتى جاء باب

المدينة عند الساعة الثالثة من الليل فطرق الباب وعرف الحارس بنفسه ففتح له فدخل وقال لسيده انه لم ير قط أثراً للساحرة وأنه سيداوم التفتيش إلى حين الاطلاع على خبرها . وصار فى كل صباح يدلى نفسه من السور الأخير أى الذى هو فى قفا المدينة ويسير من هناك إلى المغارة الموجود فيها شمس الساحرة ويصحب معه الطعام والشراب والفاكهة ويسألها ان تتزوج به وهى تمتنع كما كان يقع بينها وبين بهروز وفى المساء يعود من ابواب المدينة فيفتحها ويدخل

فهذا ما كان منه واما ما كان من بهروز فانه كان مشغلا كل النهار بعزاء شيروه بين قومه ولم يكن عنده قط خبر مما حصل بل كان ينتظر الليل ليذهب كعادته إلى حبيبته ويحاول اقناعها ويقدم لها المآكل الطيبة وكل ما يختاره لها وما صدق ان جاء الليل وانصرفت السهرة فاقام مكانه بدر فتات كالعادة واوصاه بكل انتباه وتيقظ وخرج مسرعا كأنه الريح عنداشتداد الهبوب وهو لا يصدق ان يصل إلى المغارة ويشاهد شمس ويتمتع برؤياها ويسمع كلامها ويطفى نار فؤاده بالنظر إلى جبينها الوضاح ولم يخطر له قط ان احداً يقدر ان يعرف مكانها او يتوصل اليها وبقى فى مسيره إلى ان وقف عند باب المغارة فوجدها كما كانت قبلا ففتحها ودخل اليها واشعل المصباح ونظر فلم ير احداً فوقف مبهوتا مدة ينظر إلى اليمين وإلى الشمال كمن اصيب بضياع العقل وكلما طال به الوقوف كلما زادت حالته وعظم عليه الأمر حتى غاب وعيه وضاق صدره وانطبقت على رأسه المصائب من كل ناحية فرمى بالمصباح إلى الأرض وجعل ينوح ويبكى كالأطفال ويلطم بيديه على خدوده ويمزق من ثيابه وكر راجعا بين تلك الوديان يفتش على شمس الساحرة دون أن يرى مكان وجودها أو يعرفها وهو ينادبها بأعلى صوته مؤملا أن ترد عليه أو تجيب نداه وبقى أكثر من ساعة حتى عيل صبره فقطع الرجاء وأخذ بيده حجرين وجعل يضرب بهما رأسه وصدره وقد فعل به العشق مالا يفعله أعظم الأشياء وأقدرها فانه بعد أن كان يحتال على الحية فيخرجها من وكرها ويخدع الأسد فيقوده من اذنه ويتدر إلى إذلال الملوك وابطال سحر السحراء اصبح محلول الحيل مقطوع القوى فاقد العقل عديم الصبر كانه من اكثر المجانين جنونا وسار على تلك الحالة حتى وصل عند الصباح إلى أول المعسكر فانتبه اليه الحراس عندما وجدوه على تلك الحالة وقد هشم جسده وسال الدم منه وهو ينادى بأعلى صوته باسم حبيبته فثبت عندهم انه مجنون فحزنوا عليه واسرعوا فاخبروا فيروزشاه بحالته فتكدر مزيد الكدر وحزن اشد الحزن وخاف عليه لأنه كان يحبه حبا شديدا لصدق خدمته ومهارته فسار اليه ولما رآه على تلك الحالة تقدم منه ورنبه على عمله فلما رأى سيده هدأ ونظر اليه وبكى

واطرأ إلى الأرض وقد تقدم منه بدر فتات فسكه وأمر فيروزشاه أن يتبعه إلى الصيوان فأجاب سؤاله وسار مع بدر فتات حتى دخلوا الصيوان وكان الملك بهمن قد جلس على كرسيه الملكى ومن حوله أمراء الفرس ووزراء المملكة وكان قد وصل اليهم خبر بهروز فلما دخل فيروز شاه وقفوا له اجلالا لقدره وبعد أن جلس قدم منه بهروز وطيب بخاطره وقال أطلعنى على خبر هذه شمس ومن التى تناديها وانى أقسم بحياة الملك ضاراب انى أبذل الجهد إلى أن أجمع بينك وبينها ولا أدع بنفسك حاجة منها لأنك خدمتنى كل العمر بأمانة وأحب أن أكافئك على خدمتك السابقة ولا يصعب الوصول اليها فلو كانت داخل البحار السبع أو وراء جبال قاف سرت معك وأنلتك مرادك .

فنزل هذا الكلام على قلب بهروز أحلى من القطر وارتاح باله وعادت اليه آماله لما علم أن سيده سيساعده على نوال مراده ولذلك أخذ فشرح لهم كل ما وقع لهم مع شمس الساحرة من حين حضوره مع بهزاد ومشاهدته الغمامة فوق المعسكر إلى تلك الساعة حتى تعجب الجميع وقال طيطلوس لقد خدمت قومك فى هذه المرة خدمة لا تقدر لأنك لو تأخرت يوما واحداً لبعد انقضاء المدة لكنا هلكنا عن آخرنا لأن هذه الساحرة هى أعظم سحراء الزمان ملكت مع ما هى عليه من صغر السن أعلى درجات السحر حتى أصبح الكبير والصغير يخافها وانتشر صيتها فى الآفاق فنشكر الله تكرارا على خلاصنا منها عن يديك واسأله أن يقينا منها فى المستقبل وأن يجمعك بها . فقال فيروز شاه انى بمساعدته تعالى نويت أن لا أرجع عن تاثرها واستقصاء خبرها مستعينا عليها بالله تعالى والآن انى أحب أن أعرف المكان التى كانت موجودة فيه وأرغب أيضا أن أفتش فى تلك الجهات عسى أن يكون أحد العيارين أو الأمراء أو غيرهم يترقب بهروز ورأى ما هو بينه وبينها فاطمع نفسه فيها ونقلها إلى جهة ثانية فانتبه بهروز إلى هذا الكلام وترجح عنده وقوعه ونهض فى الحال كانه ظبى الغزال وقال له هيا ياسيدى نبحث عنها عل التقادير تجمعنا بها فاجابه فيروز شاه إلى طلبه وركب جواده الكمين وسار معهما بدر فتات وخرجوا من المعسكر وقبضوا على الطريق المؤدية إلى المغارة التى كانت فيها قبلا الساحرة وداموا على مسيرهم إلى أن دخلوها فاذا هى فارغة خالية ليس فيها إلا آثار المآكل التى كان يأتى بها بهروز وبعد ان وقفوا نحو ساعة يتأملون وبهروز يبكى ويتذكر الأيام التى كان يأتى ويشاهد بها محبوبته فى تلك المغارة خرجوا جميعا واخذوا يفتشون فى تلك الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ويبحثون على الآثار دون جدوى وقد مروا من امام المغارة التى وضع فيها ونك شمس الساحرة دون ان يكتشفوا عليها او يعرفوا عنها شيئا حتى وقعوا باليأس وكلوا وملوا وضجروا من التفتيش

واذ ذاك قال لها بدرفتات انتا نبحث عبثا لأن الذى أخذها لا يضعها فى هذه الجهات
فاما أن يكون أطلق سبيلها فذهبت خائفة من وقوعها مرة ثانية بيد بهروز واما ان يكون ٢
أخذها إلى بيته وأبقاها فيه يتحكم فيها ويحاول رضاها . فقال فيروزشاه انى ارجح انها
لم تطلق وما كانت شمس الساحرة لتخاف أحدا إذا أطلقوها وخرجت الابرة من أنفها
لأنها لا تخشى أحد قط من السحراء فهى قادرة على تنفيذ مآربها وأخذ ثارها وكانت تنتقم
قبل كل أحد من بهروز لكن لابد أن تكون فى المدينة أو عند أحد ولابد أن نتوصل إلى
الوزير مهريار فنسأله عنها وندعه يبحث فى سائر الأنحاء عنها ويعلمنا بمكان وجودها
ولابد أن يكون وصل اليه خبرها أو عرف شيئا من ذلك . ثم انهم عند المساء عادوا بخفى
حنين وبهروز منكسر الخاطر حزين مكدر لا يعرف يمينه من شماله وادمعة تذرف على
خدوده وأشد الأوجاع يتسلط على قلبه ولما رأى أن لا سبيل للوصول اليها وأنهم
رجعوا كما جاءوا دون جدوى ولا نتيجة زادت به الحال فانشد وقال

عودتها بالمرسلات دموعى ... وحجبتها بالموريات ضلوعى
وعلمت ما القاه ساحر طرفها ... وجهلت ما القاه من تفجيعى
ورويت عن لين المعاطف مسندا ... صيرته عند اللقاء شفيعى
فمتى يساعدنى زمان قد مضى ... هيهات لم يسمح لنا برجوعى
يا صاحبى قفا صباحا واسألا ... عن شمسه هل آذنت بطلوع
واستنشدا جمر الغضا ومياهه ... عن برد سلوانى وحر ضلوعى
واستعطفا فى عين من لو آنست ... ما استأنس المهجور بالتوديع
ودعتها والصبر يهجر مهجتى ... ما كان أغنانى عن التوديع
ووجدت بعد شىء بارد قربها ... حر الفطام على فؤاد رضيع
شغل الرقيب وساعدتنا خلوة ... فى بث شوق واجتلاب هلوع
سابقت أشهب من نهى فى أفقه ... بكميت دمع فى الخدود سريع
حيث الحمائم فوق بانات الحمى ... تسجيك بالتغريد والتسجيع
تشدو فيعرب لحنها ما أعجمت ... ه القضب بالترديد والترجيع
يا أيها اللوام كفوا إنما ... ناديتكم يا بكم غير سميع
ما العذل نصح لا ولا انا جلمد ... فأظل منه كخادع ومصدوع
مهلا فان القلب ليس بقلب ... وترفقا فالصبر غير مطيع
يومى على المحبوب عام كامل ... الصيف قلبى والشتاء دموعى

سمع فيروزشاه انشاده فعرف أن الحب قد أخذ فيه أشده وتذكر أيام كان غارقا بغرام

عين الحياة وأبوها وطيفور يبعدانها عنه من مكان إلى مكان وهو يتقلى على جمر العذاب من فراقها ولذلك عذر بهروز وتأثر من حالته وقال فى نفسه لا يعرف الصبابة إلا من يعانيها فقبح الله الغرام ما أقدر سلطانه وأعظم هيبته . قوته لا تدفع وسحابته لا تقشع وبقى سائراً وبهروز إلى جانبه وهو يطيب بخاطره ويعده بكل جميل ومساعدة حتى وصلوا إلى المعسكر عند المساء فدخلوا وسار فيروزشاه إلى صيوانه ونام تلك الليلة وأمر بهروز أن ينام مرتاحاً وأبقى بدرفتات عنده إلى أن كان الصباح وفيه نهض من رقاده وأفكاره تضرب بين اليأس والرجاء لا يعرف إن كان يتوصل إلى قضاء غرض عياره أو يتصعب عليه وكان يرى أن هذا الأمر من الأمور الصعبة المهمة مرت عليه وكانت وحدانية صفاته وكمال خصاله وشعوره بالواجب عليه يزين له صدق خدمة بهروز له ومفاداته بنفسه لأجله مراراً كثيرة من حين إخراجه من سجن صفراء الساحرة إلى ذلك اليوم ورأى أنه مضطر كل الاضطرار إلى السعى باجتماعه بشمس الساحرة وتزويجه بها كى يكون قد وفاه بعض حقوقه المتوجبة من جرى حسن أعماله وبقى سائراً إلى أن دخل صيوان الملك بهمن وجلس فى صدره وهو عابس الوجه قاطبه وجميع الوزراء والأمراء ينظرون اليه وما منهم من يسأله عن شىء إلى أن سأله طيطلوس وقال له هل قدرت أن تعرف وسيلة تصلنا إلى الوقوف على خبر هذه الساحرة قال لو وصلت إلى أثرها أو عرفت خبراً عنها لوجدتنى الآن على غير هذه الحالة التى ترانى عليها وأخاف أن تضيع هذه الابنة منا ولا نقدر أن نزفها على بهروز وبذلك نخسره وأتكدر من عجزى عليه لأنه كيف يمكن أن أكون فيروزشاه ابن الملك ضاراب ولدى من الأبطال والفرسان والحكماء ما يعجز شبرى عن مثلهم ولا أقضى غرض عيارى وأحب الناس عندى . فقال بزرجمهر إن أمر هذه الساحرة لا يختفى ولا بد من ظهور أمرها كيف كان الحال ومهما طال الزمان فهى مرتبطة بحربنا هذه ومن الضرورى مساعدتها للملك جهان إذا كانت مطلقة القياد وإلا فتكون أسيرة وآسرها لا يقدر على إخفائها أكثر من أيام قليلة . فقال فيروزشاه إن هذا يخطر لى وأظنه ولذلك قصدت أن أبعث ببدر فتات وطارق إلى التفتيش عليها بعد وفوق كل ذلك فلا بد من إيصال الخبر إلى مهيار الوزير والسؤال منه على مساعدتنا لقضاء هذه المصلحة فاذا كانت داخل المدينة توصل بالبحث إلى مكان وجودها قبلنا إياه وربما توصل اليها وأخفاها عنده وأرسل فاعلنا بها .

قال وبينما كان فيروزشاه وطيطلوس والملك بهمن وبزرجمهر وباقى الفرسان والأمراء يتحادثون بأمر شمس الساحرة واذا بهم رأوا رجلا بلحية سوداء وثياب

صينية عليه ملابس الخدم أبيض الشعر والشاربين قد دخل الصيوان ودنا من فيروزشاه يقبل يديه وفى الحال عرفه بهروز وكان بالقرب من سيده صامتا حزينا لا يفوه بكلمة قط فلهف اليه وقال له ما وراءك من الاخبار يا أشوب واذ ذاك عرفه الجميع لأنه غاب عنهم زمانا طويلا وقرب منه الجميع يسألون عليه وخصهم أردوان فانه تقدم منه وقال له اخبرنى عن أبى فرخوزاد هل هو بخير وهل عرف بقدومى وكيف صحته .

فقال له هو على أحسن هناء وراحة مكرما معظما عند الوزير وقد عرف بقدومك مع رفاقك وسأل الوزير مرارا أن يتسبب له بالخروج فيعده ويقول له لا يصعب على خروجك الآن لكن لى بكم حاجة أريد أن أقضيها عند وصولنا اليها لانى لاأقدر أن أفتح المدينة الا بكم . ثم ان فيروزشاه ساله عن سبب مجيئه وكيف قدر على الخروج وباى مهنة جاء . فقال اعلم ياسيدى أن الوزير رأى وجوب اتصال الأخبار بينكم وبينه واذ لم يكن يائمن أحدا على مثل هذا الأمر العظيم أدخلني بخدمته وجعلنى أن امشى بقربه كعيار مختص به . وقد قصد بذلك أن يعرف كل رجال المدينة أنى من خدمه فلايشتبهون بى ولا يرتابون بامرى . وبقيت على ذلك عدة ايام حتى صار كل واحد بالمدينة يدعونى بعيار الوزير ولا أحد منهم يظن بانى فارسى بل حبونى كل الرجال الذين كانوا مع ديدار حتى نفس الملك كان يجهل أمرى ولا يعرف حالى وهو يعطى للوزير دائما فن مدة يومين خرجت فى الصباح باكرا لقصد أن أبتاع أكلا لرجالنا وأعود قبل أن يخرج مهريار من قصره فوجدت ونك العيار حاملا زادا وشرابا ونقولات وهو مسرع الجرى ومر من أمامى دون أن يعرفنى وهو مشغل الفكر غير منتبه الى أحد فقلت فى نفسى لا بد من أن أتبعه لأرى أين يذهب فوجدته قد سار الى سور فى آخر البلد ورمى نفسه منه وسار من هناك حاملا الطعام فشغل بالى من ذلك وبقيت أراقبه من بعيد الى أن غاب عن نظرى متوغلا بين الأدغال ومن ثم رجعت فقضيت غرضى وعدت الى مهريار الوزير فاخبرته بما رأيت فقال لا بد لذلك من شان ولا ريب أنه فى المساء يعود من باب المدينة فراقبه هناك وانظر من يصحب ومامعه واذا وجدت معه أحدا فتاثره الى أين يسير فصبرت الى المساء وفى المساء سرت الى باب المدينة وانزويت فى ناحية لايرانى أحد وبقيت الى أن مضى قسم الليل دون أن ياتى فشغل بالى وفقد صبرى وقطعت الرجاء من مجيئه من الباب وقلت ربما يعود من حيث نزل فتحجبه الحراس عن الاسوار وعولت على الذهاب واذ به قد طرق الباب ففتح له فدخل لوحده لا يحمل شيئا قط وبخلاف ما رأيته فى أول النهار وهو مصفر الوجه وذهب فى طريقه فعدت الى مهريار وأخبرته به

فقلق لعمله هذا وارتاب فيه وقال لاريب أنه يقصد نصب شرك لأحد أمراء الفرس أو أنه يريد الضرر بهم لأنه يعرفه ويعرف ما هو عليه من الخيانة والاحتيال فقال لى اذهب فى صباح الغد وانظر هل يفعل كما فعل اليوم فأجبته وفى اليوم الثانى رأيته على على ما تقدم فشغل خاطر الوزير وقال لى اذهب فى هذا اليوم إلى معسكر الفرس واعلم سيدك فيروزشاه بذلك ليكونوا على حذر منه وإذا قدروا أن يتوصلوا اليه ويقبضوا عليه يريحون الناس من شره ويقللون من قوة الملك جهان لأنه يتكل على أعماله ويسهلون لنا طرق النجاح لأنه ما زال بالمدينة يفحص المعابر ويتفقد الجهات وينفع بأكثر من جيش . فصبرت إلى أن مضى قسم من هذا النهار وخرجت من الباب فلم يعترضنى الحرس لعلمهم أنى خادم الوزير الخاص وظنوا أنى ذاهب بمهمة فأوسعت فى الفلا إلى أن غبت عن أعينهم وأتيت أطلعكم على مثل هذا الخبر لتكونوا منه على حذر ولأعلمكم أيضاً أنى منذ الآن وصاعدا سأجيئكم بكل مايحدث داخل المدينة عند سنوح الفرصة .

وعند ماسمع فيروزشاه هذا الكلام بهت منه وكذلك باقى الحاضرين إلا أن بهروز صفق بيديه فرحا وصاح والسرور يطفح على وجهه عرفت غريمى الآن وسأنال مرادى فقال له فيروزشاه وماذا عرفت من هذا . قال لاريب أن ونك اطلع على خبر شمس وأطمع نفسه بها ولم يقبل أن يطلقها من قيدها إلا إذا وعدته بزواجها وقد أبت ذلك فنقلها إلى مكان آخر خفى ولم يطلع أحدا على أمرها وهو يفعل كما كنت أفعل أنا يأتيها بالطعام والشراب فى كل صباح فسآتيه من منا أقدر على نيل المراد فترجح هذا الأمر عند الجميع ولا سيما فيروزشاه وقد نوى فى المساء أن يسير إلى ظهر المدينة ويكمن هناك ويتأثر ونك ليطلع على خبر شمس الساحرة . ولذلك صرف الأشوب وأوصاه بالسلام على أمراء الفرس واحدا بعد واحد وبالأخص على مهريار الوزير العاقل الحكيم التقى العارف بدين الله وبواجبات الانسانية فودعه الأشوب وسار وبقى فى الصيوان إلى المساء وفى أول الليل انصرف إلى صيوانه وأمر بهروز أن يسير معه . فقال له ما من داع لرحيلك فانى أقدر أن أقبض على هذا الخبيث وحدى وأنال كل ما أنا طالبه وأجيء بشمس الساحرة إلى المعسكر عسى أن تجيب مطلبى .

قال لا بد من مسيرى إلى هناك وقضاء الأمر بيدى فاذهب أمامى وعلى الله إتمام المسعى . وركب فيروزشاه وسار وبين يديه بهروز وخرجا من المعسكر وانطلقا بسرعة البرق ليصلا قبل الصباح إلى الآكام الواقعة خلف المدينة أى قبل مرور ونك من تلك الجهات وداما بسرعة الجرى حتى وصلا إلى المكان المقصود فنزل فيروزشاه عن جواده الكمين وسحبه إلى شجرة هناك فربطه بها وتقدم إلى ناحية من أكمة عالية

مشرفة على أسوار المدينة وما وراءها وأقام هناك مع بهروز يرقبان الطرقات وينظران إلى كل الجهات يمينا وشمالا وكان النهار قد أخذ فى أن يتقدم شيئا فشيئا وفى كل دقيقة تمر كانا يؤملان بجيء ونك وهو لا يظهر ولا يبان ولا يرى له أثر . وكان بالصدفة قد شغل ونك ذاك النهار فى خدمة جهان فلم يتمكن من الخروج ولا تسهل له فزاد لعدم إتيانه قلق بهروز وضاق صدره وخاف أن يكون قد رآهما من بعيد أو عرف شيئا من أمرهما فامتنع عن الخروج من المدينة ولهذا الاضطراب والقلق قال لسيده إنى أرى الزمان يعاندنى يا سيدى فقد مضى أكثر النهار ولم يظهر له خبر ولا ريب أنه عرف أمرنا فامتنع أو رآنا فغير طريقه فهيا بنا نرجع من حيث أتينا وسنعود فى غير يوم . قال إن هذا لا يمكن قط لأن ونك لا يعرف بنا ولا رآنا ولا بد من شغل يكون قد شغله فى هذا اليوم منعه عن الاتيان ولا بد فى هذا المساء من إتيانه أو فى صباح الغد فاصبر ولا تضجر من الانتظار إلى أن كان المساء ولم يريا ونك ولا غيره وهما قائمان فى مكانهما وحينئذ طلب بهروز ثانية إلى فيروزشاه أن يرجعا إلى المعسكر ويتركا ذاك المكان فامتنع عليه وقال له لا أعود من هنا إلى ثلاثة أيام أو ألاقى شمس وأرجع بها . فسكت وصرفا الليل على مثل تلك الحال .

وكانا قبل خروجهما من المعسكر أصحبا معهما طعاما وفاكهة فأكلا وبقيا إلى الصباح وفى الصباح بكا بهروز أمام سيده وقال له بالله عليك عدبنا من حيث أتينا ودعنا نبارح هذه الأرض لأنى أخاف أن يكون ونك قد رآنا فامتنع عن الحضور وخاف سوء العاقبة وبسبب امتناعه بقيت شمس منفردة مقطوعة عن النصير ولم يأتها بطعام لا فى اليوم الماضى ولا هذا اليوم فتموت جوعا ولا ريب أنها تتصور الآن وتتألم ولا أقدر أن أتصور الحالة القائمة عليها الآن فهى بدون شك تتألم وتتعذب وتقاسى ما لا اطيق أن اشخصه . فعرف فيروزشاه منه شدة حبه وقوة غرامه وقبل ان يجيبه نظر إلى جهة المدينة فراى رجلا يعلو اسوارها فقال لبهروز هوذا ونك الآن على الاسوار يتهيأ للنزول فالتفت اليه وعرفه حق المعرفة فكاد يطير فرحا ونظر اليه وإذا به قد تدلى إلى الاسفل كانه من العفاريت لم يصب ألم ولا خوف حتى صار على الارض وبعد ذلك انطلق فى ذاك السهل الضيق حتى انتهى إلى الآكام فتخللها وبهروز يغتصب بمراقبته نفع مسيره وقلبه مهلع من الفرح والاستبشار حتى رآه ترك الطريق ومال إلى جهة المغارة آمنا من كل رقيب وعدو وبعد قليل وقف عند بابها وازال الاعشاب عنه ثم رفع الحجارة ودخل فاختفى عن اعين بهروز وفى الحال قال بهروز لفيروزشاه هلم ياسيدى ندركه فى المغارة فاجاب سؤاله وركب باسرع من البرق حتى وصلا إلى المغارة فترجل فيروزشاه ودخل مع عياره وكان سمع صوت

شمس فغاب وعيه وانقض كالصاعقة على ونك وهو مشغل بمداعبة الشمس ولطمه لطمة قوية على صدره ألقاه إلى الارض وغيبه عن الصواب وأخذ حبلا من وسطه شده فيه وألقاه الى جانب . ثم التفت إلى شمس الساحرة وبكى بين يديها وقال لها لا كان يوما لا أراك فيه يا سيدتى فقد لحق بى من جرى حبك الجنون حتى عدت لا أعى على نفسى وأشكر الله حيث رأيتك بسلام وأمان لم يصل اليك هذا الخبيث بأذى ولا ضر . وكانت شمس قد بهتت من حضوره بغتة وتعجبت من عمله بونك وكانت كأنها سرت من عمله وأصبح لسان حالها يشكره عليه . ولذلك لم تجبه بكلمة لانها كانت تعلم مقدار حبه لها وأمانته ولم تكن تنكره فيه إلا كونه عيارا وكانت تعد نفسها أن لاتتزوج إلا بأعظم الملوك . ثم ان بهرور قال لها وهو ذا الآن سيدى فيروزشاه ابن الملك ضاراب قد جاء لهذا السبب نفسه باحثا معى عليك صارفا الجهد إلى إيجادك وكان دخل فسلم عليها فاستحت منه كيف رآها على تلك الحالة المهينة مع أنها كانت تفتخر على أعظم رجال الدنيا

وبعد أن استقر فيروزشاه داخل المغارة ووقف أمام شمس تعجب من جمالها واعتدال قوامها وحذر بهروز على محبته ولذلك صاح فيه وقال له ويلك يابهروزألهذا الحد وصلت بك القساوة ولم ترع حرمة هذه السيدة الكريمة التى لا تقاس بغيرها من سيدات هذا الزمان فأسرع فى الحال إلى حلها ولا تخش بأسا ولا ضيرا منها فما هي إلا كريمة الاصل والأخلاق حسنة المزايا والسجايا لا تقابل الجميل بغير الجميل فأسرع بهروز وفك وثاقها وأخرج الابرة من أنفها ووقف ساجدا بين يديها وكانت غائبة عن الصواب بما سمعته ورأته من فيروز شاه ورأت من نفسها العجز بين يديه فأطرقت إلى الأرض حياء لاتبدى حركة ولا تفوه بكلمة فقال لها فيروزشاه لقدجئت بنفسى أيتها الملكة اللطيفة باحثاعنك حتى إذا رأيتك خطبتك من نفسك لبهروزهذا الذى أمامك ولاتفتكرى أنه قليل المقام كونه عيارا فما هو إلا بالدرجة الاولى بين رجال فارس ولو شاء لتملك الملك أعظم البلدان وأهمها غير أن حبه لى وأمانته التى لاتوجد برجل فى كل هذه الحياة أرغمته إلى البقاء على هذه الحالة ولوادعى بمملكته فارس لحق له التسلط عليها لأنها تقوت به وبأفعاله ولا أنسى جميله معى فقد خلصنى مرارا كثيرة من القتل واشترانى من الموت بحسن أعماله والآن أطلب اليك ولا تضيعى سؤالى وأن تقبلى طلبى بزواجك ببهروز فهو محب مخلص لك وإذا امتنعت ألقيته فى حفرة الموت والعذاب لأن الغرام الثابت الحقيق مهلك مميت . فنظرت شمس اليه وتعجبت من رقة ألفاظه وعذوبة كلامه وكيف ملك عظيم مثله يأتى إلى تلك الجهة لأجل هذه الغاية وأخذ بها الخجل منه كل مأخذ

وارتفع من رأسها الكبر والتعاظم وعليه أرسلت نظرا خال من البغض إلى بهروز فرات باهي جماله وحسن قوامه وانجلت لها معانى صفاته وأعماله التى لاتقاس بغيرها وحركها قلبها إلى محبته لأنها رأته بغير العين التى كانت تراه قبلا وشعرت كل الشعور بعظم محبته ولم يعد لها صبر عن إجابة طلبه فسبحان مؤلف القلوب وجامعها يفعل مايشاء وإذ ذاك قالت شمس لفيروزشاه أيليق بى ياسيدى أن امتنع عن اجابة أمر تسألنى فيه أنت وتطلبه منى نعم انى كنت قبلا أنظر إلى نفسى نظر العظمة والفخار والتعجرف وكنت أقول انى لا أتزوج إلا برجل يكون قادرا على امتلاك الدنيا من مشرقها إلى مغربها ويكون رفيع الاصل عالى النسب لأكون أول امرأة فى العالم ضربت بها الامثال حتى ألقانى ربكم فى يد بهروز هذا فأذلنى وهو بالحقيقة أقدر منى ويحق أن يتخذنى زوجة له لأنه عالى الهمة عجيب الأعمال كيف لا وهو مكلف لخدمة ملك عظيم مثلك خدمته السعادة خدمة العبيد الأمناء للأسياد الشرفاء ولا ألوم نفسى كونى تزوجت بخادمك اذ أن قلبى وكلى بأجمعى يدفعنى الى ان انتظم معه فى سلك خدمتك ولا أحسب قبضه على ذلا وعارا بل لى أسوة بغيرى لان صفراء الساحرة أخذت بجماله وهى عجوز فأماتها وهى المقنطر أسره وركب على ظهره من قصره إلى مصر ومن ثم أماته وأشكره الآن حيث قبلنى زوجة له ولم يفعل بى مافعله بغيرى بعد أن وصلت اليكم شرى وأرجوك المعذرة

وكانت تتكلم بكلام صادر عن قلب صحيح المحبة خالص من الرياء وبهروز يكاد يطير من الفرح وهو لايكاد يصدق أن يسمع منها مثل هذا الكلام وحسب نفسه فى منام وجعل قلبه يصفق فرحا وهو لا يعرف بماذا يجيب وكذلك فيروز شاه فانه فرح من اجابة شمس الساحرة فى الحال وقال لها بالحقيقة قد جمعت بين الحسن وكرامة الأخلاق ورقة الطباع واللين مع اقتدارك الغريب العجيب وما ذلك الا من توفيقات بهروز وسعادته لكنى أريد منك أمرا واحدا وهو أن تتركى عبادة النار وتتمسكى بعبادة الله خالق الكائنات ومدبر أمورها له عين ساهرة ترعى عباده فهو وحده الاله الحقيق وما سواه باطل فاجابت انى سأتبع بعبادة الله تعالى خطة بهروز فكل مايريده هو أقبله أنا لانه أصبح منذ الآن لى وأنا له وما من مانع يحولنى عن قيامى بانفاذ ما آمر به فقد سلمته أمرى من هذه الساعة وصار له حق السلطة على فؤاد بهروز سرورا عند سماعه هذا الكلام وشكرها فيروز شاه عليه

ثم انهم عزموا على الرجوع إلى المعسكر وتقدم بهروز من ونك وهو ملق إلى الأرض وقد وعى إلى نفسه وسمع كل ما دار بينهم من الكلام غير أن حالته أنسته هوى شمس وقد أيقن أن بهروز لابد من أن يميته شر ميتة ولما دنا منه أوقفه واخذ

الخنجر بيده وقال له أريد منك أن تحملني على ظهرك من هنا إلى محط جيوشنا فاذا تأخرت او امتنعت العبت هذا الخنجر فى عنقك . فلم يمتنع فركب على ظهره وخرج فيروزشاه إلى جواده فركبه ومشت شمس الساحرة بينهما وساروا سيرا بطيئا بتمهل حتى بعدوا عن تلك المغارة واستدلوا الطريق المؤدية إلى ناحية معسكرهم فساروا عليها وكان الوقت عند الظهر وفيما هم سائرون نظر بهروز عن بعد فرأى رجلا يقمز كالغزال وهو آت من صدر البرية إلى ناحية المدينة فقال لفيروزشاه انى أرى هذا الرجل صينيا ولذلك عزمت على أن أسير اليه وأقبل عليه وأرى ما سبب مسيره إلى المدينة عسى أن الصدف تنفعنا به . فقال له افعل ما بدا لك فنزل عن ظهر ونك واندفع بسرعة الطير حتى فاجأ الرجل وهو سائر بأمان غير خائف من أحد قط ولما قرب منه تبينه فاذا هو النك أخو ونك فكاد يطير من الفرح وانقض عليه انقضاض الصواعق ومسكه من عنقه وقال له أين كنت ومن أين آت وما وراءك من الاخبار فأراد النك أن يدافع عن نفسه فلم يقدر لأنه وجد أن بهروز أقدر منه باضعاف فالتزم أن يسلم اليه خوفا من الهلاك فقال له كنت فى بلاد الهند مرسلا من قبل سيدى جهان وقد عدت بكتاب له من الملك شنكال وباعثا ورائى فارس بلاد الهند كيوال وكتوال مع مائتى الف فارس من فرسان الهند وهم سائرون على أثرى وبعد قليل يكونون عند المدينة . فقال له اعطنى الكتاب فناوله اياه فاخذه منه وأوثقه وشد كتافه وقاده إلى جهة سيده فيروزشاه وعند ما قرب منه أخبره بما سمع من النك ودفع اليه كتاب شنكال فاخذه وأبقاه فى جيبه وأقرن النك إلى أخيه ونك وركب بهروز على ونك وساروا جميعا إلى ناحية المدينة وونك والنك ينظران إلى بعضهما وقلوبهما تتقطع وقد أيقن كل منهما بالهلاك لايقدران أن يأتيا بحركة أو يتخلصا من يدى بهروز العيار نقمة العيارين وافعاهم الارقط إلى أن قربوا من المعسكر فى نصف الليل فدخلوا الصيوان وأمر فيروز شاه أن يضرب إلى شمس الساحرة بصيوان مخصوص مزين ممتاز عن سواه من الصواوين ليكون به عرسها وزفافها على بهروز وناموا تلك الليلة مطمئنين ما عدا بهروز فانه لم ينم قط ولا غفلت له عين بل كان ينظر نظر الرقيب لجهة صيوان حبيبته وهو لا يصدق أنها فيه ويتمنى أن يأتى الغد لينتقم من ونك والنك ويأخذ لنفسه بالثار من عمل ونك معه وبقى على حراسة مولاه والعيارين وخطيبته إلى الصباح وعند الصباح نهض فيروزشاه من رقاده وخرج إلى جهة صيوان ولده بهمن وجلس على كرسيه واجتمع اليه الكبير والصغير من الوزراء والأمراء وجعل كل منهم يهنىء فيروز شاه برجوعه بشمس وارتياح عياره

بهروز وإذ ذاك حكى كل ما توقع لهم فى هذين اليومين . ثم دفع طيطالوس المكتوب الذى أخذه من النك وأمره أن يقرأه علنا وإذابه

من الملك شنكال ملك ملوك الهند إلى جهان حاكم الصين ورسول النار

أخبرتنى أولا بوصول الفرس إلى بلادك مع قلة عددهم فترجح لدى أنك لابد من أن تنتصر عليهم وتفوز فوزا مجيدا ببركة النار إلى أن جاءنى رسولك النك بتحريرك تخبرنى بكل ما حل بكم من هؤلاء العلوج الذين تعدوا علينا وداسوا بلادك فكدرنى ذلك وأقسمت أن لابد من محو آثار هذه الطائفة وتبديدها كل مبدد وعليه فقد بعثت فى مقدمة جيوشى فارسى الهند كيوال وكتوال وهما لا يوجد لهما ثان فى هذا الزمان من مغرب الشمس إلى مشرقها يركبان الافيال ويقاتلان بالأعمدة الطوال فوزن عمد الاول ستمائة وخمسون منا ووزن عمد الثانى خمسمائة ولا ريب أنها يفضحا جيوش الفرس وينزلا عليها المصائب والأهوال وبعثت تحت لوائهما مائتى الف جندى من أبطال الهنود وانى مستعد لان أسير بنفسى إلى دفع أولئك المهاجين لأدفعهم إلى بلادها ولابد أن أتملكها وأخربها وأنزل فيها البلاء وأمحو منها كل عبادة غير النار فالسلام على من اعترف بقوتها وعجيب فعلها وعرف عزيز نفعها .

فلما قرأ طيطلوس المكتوب وسمعه كل من كان حاضرا فى الديوان نهض بهزاد إلى أمام فيروز شاه وقال له أنت تعلم يا سيدى أن أمر القتال مسلم الينا مفروض لنا من عهد أجدادنا وإنى كنت أسمع أن أبى وأجدادى قد قتلوا كثيرا من فرسان الأفيال غير أنى لم أقاتل ولا واحدا منهم ليكون لى الاسم العظيم وعليه فانى جئت راجيا منك أن تسمح لى أن أختص بقتال الفارسين أى كيوال وكتوال وأن تأمر أن لا يبارزهما احد سواى . قال اليك ما طلبت فانى لا احب ان امنع احدا حقوقه وعند مجيء الهنود كن انت خصم قوادهم وانا اعرف انهم لديك كالغنم بين يدى الذئب . وحينئذ تقدم منه بهروز وقال له وانا يا سيدى اريد منك ان لا تحرمنى حق لأن لى ثارا على ونك فاريد ان اعدمه على مرأى من رجال الصين مع اخيه النك فيرتاح منهما قال خذهما إلى امام الأسوار واقتلهما واعدمهما الحياة فامر بهروز ان يأخذ كودك العيار ونك وروضة النك ويتقدما بهما امامه مكتوفين إلى ساحة القتال ليعدمهما هناك وينزل عليهما صواعق الهلاك وسار الى جهة محبوبته شمس وقال لها انى سأقتل ونك عدوك فى هذه الساعة واخاه جزاء على تعديه عليك وطمعه بك . قالت جزاك الله خيرا فانه يستحق القتل والاعدام لأنه ابن حرام قاس خبيث لا يلين قط بالكلام وإذا بقى حيا لابد ان يبقى الدوام على اثرك واثرى

وان كان لا يقدر على إيصال أذى الينا إلا انه يبقى بصفة عدو لنا ومن العجب أن نعجز عن كبح عدو مثله فنبقيه على عناده ثم انه تركها وتقدم إلى جهة الساحة الواقعة بين المدينة ومعسكر الفرس وقبل أن وصل اليها وجد ونك قد تخلص من كودك واندفع يركض إلى جهة المدينة وما قرب من الباب حتى فتح له ودخل وذلك انه كان وهو يقوده كودك إلى تلك الساحة يسلت يده من كتافه شيئا فشيئا حتى أفلت اليد الواحدة فلطم بها كودك على صدره القاه إلى الأرض غائبا وقصد أن يقبض على روضة ليخلص أخاه وإذا به رأى بهروز قادما فخاف ان تأخر دقيقة أدركه فسار إلى جهة الباب ركضا وكان رجال المدينة يرونه على الأسوار ففرحوا بخلاصه وسقطوا إلى الباب ففتحوه له ليدخل قبل أن يدركه بهروز وهكذا تم فانه دخل قبل أن وصل اليه وأقفل الباب من خلفه ولما رأى بهروز ذلك كادت تنشق مرارته منه وكاد يغيب عن الصواب ووبخ كودك على تهامله. ومن ثم تقدم من النك ودفعه إلى الأرض واستل خنجره وذبحه به وفصل رأسه عن بدنه وأقامه على خشبة في نصف الساحة ليراه ونك من الأسوار ويغتاظ عليه. وكان ونك بعد أن أمن على نفسه صعد إلى أعالي السور ليرى ما يحل باخيه وهل يقتلونه أو يبقون عليه بعد أن رأوا فراره فرآه وقد قتل فبكى بكاء مرا وحزن حزنا شديدا ولطم على خدوده وناح نوح الأرامل وتقدم إلى جهة جهان ملك الصين وهو على تلك الحالة ودخل إلى قصره وعرض عليه ما توقع له من البداية إلى النهاية حتى ملأ قلب جهان عليه حنقا وقال له ويلك أنها الخبيث ان خراب المدينة يكون بسببك لأن طمعك أفلت شمس من يدنا فلو فككت عقالها لكانت أهلكت الأعداء وارتمى من شرهم فزاد في البكاء وقال ياسيدي ان النار قد أعمت بصائري والقتني في ضياع العقل فلم أهتد قط إلى الصواب إلا أنها جازتني أخيراً بموت أخي الذي كان قد ذهب إلى الملك شنكال وقد أخبرني انه جاء منه بكتاب فأخذه الأعداء منه ولكن سررت من قوله ان عساكر الهند آتية بعد قليل مع فارسي الهند كيول وكتوال. ولا خفاك يا سيدي ان هذين الفارسين لا نظير لهما في كل العالم من الشرق إلى الغرب وهما يركبان الأفيال إذا اندفع أحدهما على معسكر الفرس جفل منه وضيعه وشتته بين الروابي والتلال فاشكر النار التي ما تركتك إلى النهاية بل سعت في خلاصك من الأعداء لا على السحراء والكهان بل على يد أحلافك وأنصارك من عبدة النار. فوقع هذا الكلام على قلب جهان أشهى من الماء الزلال وقال أصحيح ان الملك شنكال قد بعث الينا كيوال وكتوال فقال منكوخان هو ذا ياسيدي ما كنا ننتظره منذ أمد طويل واني أثبت لك وأؤكد كل التأكيد أن هذين الفارسين يفضحان فرسان العجم وينزلان بهم العدم ولا أظن

إلا أن أمورنا قد سارت على سبيل النجاح ولم يبق لنا إلا أن نكون على استعداد ونخرج عند وصول الجنود ونقطع هؤلاء الأوباش من بلادنا ونبيدهم عن آخرهم . فقال جهان انى أعرف حق المعرفة أن هذين الفارسين صاحبا بطش واقتدار وعليه فانى أرجح الفوز لنا هذه المرة لأن فيروز شاه وقومه لا يقدرون على الثبات أمام الأفيال ولابد أنهم يخافون منها عند نظرهم اليها . ثم ان جهان أمر العساكر أن تستعد فتخرج عند وصول كيوال وكتوال وطيب بخاطر ونك على فقد أخيه ووعده بأخذ الثأر وكشف العار وبقى هو متأثرا من أخذ شمس الساحرة إلى جيوش الفرس لأنه كان يحدث نفسه بزواجها ويؤمل أن يشرح لها عن حبه فخاب ما كان يؤمله وأصر أنه لابد عند مجيء هذه النجدة أن يفتك بالأعداء وينتشلها من بينهم ولا يترك بهروز يقترن بها وإذا كان اقترن بها ينزعها منه لنفسه حليلة أو خليلة ووضع العيون على الأسوار يرقبون له البر حتى إذا رأوا وصول كيوال وكتوال جاءوا اليه وأخبروه به

قال وأما بهروز فانه تكدر من فوات ونك من يده مزيد الكدر ومن ثم قتل النك ورجع إلى فيروز شاه فأخبره بفراره فقال له دعه يذهب أينما ذهب فلا بد من القبض عليه ومسكه وقتله جزاء له على ما فعله مع أخ سعدان وفيرموزوانى الآن أريد أن أباشر بزفافك على شمس الساحرة قبل كل شيء لأدعك تتنعم بها وتلافى بدل أتعابك كل هذه المدة . فكاد يطير قلب بهروز فرحا وهو لا يصدق أن سيده يزفه عليها فى مثل هذه الأيام وقال له انى لا أكره ذلك ياسيدى وأحب أن لا أكون بعيدا عنها وفى الحال أمر أن يؤتى بشمس الساحرة ليعرضها على طيطلوس ويمتحن إيمانها أولا فحضرت إلى ديوان الملك بهمن وقد تعجبت من عظم ما رأت ولما وقفت بين يدى طيطلوس قال لها لقد صرت منذ الآن واحدة منا وصار لك علينا حق الاكرام والتعظيم كونك ستتزوجين ببهروز وهو مرفوع المقام مفضل على الوزراء والأمراء الكرام ولكن لا خفاك اننا قوم نعبد الله وهى العبادة الحقيقية ونعترف بوحدانية ألوهيته ونكرم أنبياءه ورسله ولا نريد أن يتزوج أحدنا بغير اللاتى يعبدن الله تعالى ويعظمن جانبه وحيث أن سيدنا وملكنا فيروز شاه قد وطد العزم على أن يزفك فى هذين اليومين على بهروزه أراد ان يعرض عليك الايمان حقيقة فاذا دخلت عن صدق نية كان لك عند الله عظيم منزلة وخلصت نفسك من عذاب الجحيم وصار لك بيننا مكانا رفيعا . قالت انى منذ وعدت بهروز امام سيدى فيروز شاه على الاقتران مالت نفسى إلى عبادة الله تعالى لأنى تعلمتها من قديم وهى بالحقيقة عبادة صحيحة يرى المرء عند دخوله فيها راحة فى ضميره ولذة وهناء فى فؤاده فاشكره حيث هدانى

إلى الصواب وجعلنى من ابنائه وكانت شمس تتكلم عن صدق نية وجد لا يخفى على السامع صحتها . ثم قال لها طيطلوس ولا خفاك ان الله سبحانه وتعالى قد حرم علينا استعمال السحر وحذرنا منه لأنه من عمل الأبالسة والشياطين كما انه وقانا منه ووعدنا بان يحفظنا من كيد السحرة ولذلك ما من وسيلة لعمل السحراء فينا وعلى الدوام تتغلب عليهم فعند وقوعنا بضيقة منهم ندعو الله فلا يلبث ان يجيب دعانا ويبعدعنا شر اعمال السحره وعليه فنريد منك ان تعدينا بترك السحر والبعدعنه وعدم استعماله فى المستقبل فقالت له ماذا ينفعنى السحر بعد ان اعدكم وعداً صادقا امينا ان لا افعل السحر زمانى بطوله إلا بأمر سيدى فيروز شاه اى انه إذا وقع بضيقة وسألنى ان ادفع عنه تلك الضيقة فعلت ذلك ولا اكون فعلت حراما إذا خلصت عباد الله من كيد الكفرة وفى غير ذلك لا اعمل السحر قط ولا افكر فيه . فشكرها طيطلوس على قولها ومدحها كل من كان حاضراً ثم قال لها طيطلوس ان سيدنا فيروز شاه اخذ منذ هذه الساعة بعمل العرس فاذهبي إلى صيوانك واستعدى لمنائك فذهبت بعد ان قبلت ايادى طيطلوس وفيرور شاه والملك بهمن وهى مسرورة فى داخلها كون الله سبحانه وتعالى قد اراح عن جبينها برفع الجهالة وأظهر لها حقيقة الحال وحبها بقوم كرماء المزايا والطباع ولا سيما بيهرور الذى كان قلبها يصفق طربا عند ذكر اسمه واقامت فى صيوانها تهيء نفسها لمثل هذا الزواج وبالاختصار ان فيرور شاه عمل لعياره عرسا ليس بادنى من عرس الملوك الكبار حضره كل امراء الفرس والشاهات وبذلوا فيهم الدرهم والدينار ونقطوه بالجواهر واليواقيت وفى نهاية النهار زف عليها واجتمع بها وقطف زهرة حسنها وجمالها وصرف عندها بعض ايام على اتم راحة واهنأ عيشة وكان فيروزشاه قد اتخذ لخدمته موقتا بدر فتات العيار مانما بهروز من خدمته ليصفوله الجو ولا يشغله شاغل عن زوجته واقام ملك الفرس وفرسانه ينتظرون قدوم الهنود ليروا ماذا يكون من امرهم وهم على رجاء ان يوقعوا بالقادمين ما اوقعوا بالذين قبلهم إلى ان كان ذات يوم وفيما هم على وشك الانتظار وإذا وصلتهم الأخبار بقدوم الهنود ووصولهم إلى تلك النواحى ففرحوا مزيد الفرح ولا سيما بهزاد فانه كان ينتظر ان يقاتل كيوال وكتوال ليضاهى بذلك فيروز شاه ويقال عنه بقتالها ما يقال عن فيرور شاه وحربه لطومار سلطان الزنوج الذى كان يركب الأفيال ويقاتل عليها . وايضا اردوان وشيرزاد فانهما كانا على مقالى الجمر ينتظران القتال ليأخذا بثار شيروه وقد اجتمعا ببعضهما واتفقا ان يقاتلا برجالها الليل والنهار حتى يبيدا الأعداء ويأخذا بالثار ويهلكا جيوش الصينيين

قال وتقدم ان جهان قد أقام على الأسوار ديادبة يرصدون له مجيء الهنود وكيوال وكتوال ليخرج برجاله ثانيا إلى خارج المدينة ويضم اليهم وهو على يقين تام أنه فى هذه المرة سيفوز على الفرس ويبددهم ويشتت شملهم ويوقع بهم مستنداً بذلك على شجاعة كيوال وكتوال وما هو مشهور عنهما من البسالة والاقدام فعند وصول الهنود سارت الديادبة وأخبرت جهان بوصولهم ففرح مزيد الفرح وأمر ان يفتح باب المدينة وتخرج منه الرجال وتحط عند الأسوار إلى حين وصول كيوال وكتوال كى لايقال عنه أنه محاصر فى داخل المدينة. وفى الحال خرجت العساكر أفواجا أفواجا وفى مقدمتهم جهان ومنكوخان وبقية فرسان الصين ومن كان معهم وجاء لنصرتهم وضربوا الخيام خارج البلدة وهم يرون عن بعيد رايات الهنود تتقدم شيئا فشيئا إلى ان وصلت إلى تلك الارض فحطت فى نواحيها ولم تختلط بالصينيين بل أقامت على حدة وبعد ان استقر بهم المقام أخذ كيوال فكتب تحريراً إلى جهان يقول له فيه ان الملك شنكال قد بعثه مع أخيه لمساعدته مع مائتى الف فارس من فرسان الهنود الأشداء وكلهم تحت امره وان الملك المذكور على استعداد المجيء إلى باكين لمساعدته ولما وصل التحرير إلى جهان أجابه بالشكر والممنونية ووعده بالاكرام والعطايا.

ولما كان المساء ونشرت جيوش الفرس أنوارها على طول معسكرها ومثلها الأعداء وفى نيتهم أنهم فى صباح اليوم الثانى يكون الحرب اجتمع جهان بوزرائه وقال لقد خطر لى خاطر أريد ان أبديه لكم الآن قالوا وماهو قال أريد ان أكبس معسكر الفرس بعد ساعات قليلة أى عند شعورى بدخولهم للخيام ونومهم وبذلك أقلل من عددهم وأوقع بهم أشر الوقعات وأجعل فيهم آثارا تدوم وتذكر فأجابوه اليه وفى الحال أمر جهان عساكره ان تكون على استعداد وأوعز إلى كل الأمراء والقواد بالاستعداد وان يكونوا على نية القتال عند نصف الليل أو مابعده وفيما هم على مثل ذلك دعا مهريار الوزير بالأشوب وأخبره بما كان وأوصاه ان ينطلق إلى جيوش الفرس بأسرع من لمح البصر ويعرض خبر جهان وما نواه على الملك بهمن وأبيه ليكونوا على حذر فأجاب سؤاله وانطلق فى الحال إلى ان قرب من حراس الفرس فعرفهم بنفسه ودخل إلى صيوان الملك بهمن فقبل يديه وشرح له رسالة الوزير وماجاء لأجله وكيف ان الملك جهان عزم على كبس معسكرهم بجيوشه فسروا بهذا الخبر وقالوا لابد من الانتباه والتيقظ ثم انهم أرجعوا الأشوب بالشكر للوزير ومدحوا من حبه وخلوصه وبعد ذهابه قسم فيروز شاه العساكر إلى فرق ومئات وأقام كل واحد منهم فى جهة وكان اردوان وشيرزاد فى جهة اليمين فلدى اجتماعهما لبعضهما قال اردوان لرفيقه أخبر عساكرك بأجمعهم ان يقلعوا الخيام ويرفعوها أثناء الحرب على البغال

حتى انهم عند الرجوع عن الحرب يسيرون متخفين إلى بين الجبال ويقيمون لوحدهم منفرزين عن جيوش إيران ليسهل عليهم فى كل ليل كبس الصينيين ومواصلة قتالهم دون ان يمكنوهم من الراحة قط وهكذا فعلا وانفرد رجالهما إلى جانب من المعسكر وأقام الجميع على انتظار وصول الصينيين وقد أمر فيروز شاه باطفاء النار وتقليل الأنوار حتى يظهر لجهان انهم ناموا آمنين .

وعند مضى نصف من الليل جاء الصينيون يتقدمون متلصصين شيئا فشيئا وفى كل نيتهم ان الفرس نيام حتى قربوا منهم أى من الخيام فصاحوا وحملوا مسرورين بما أملوه من غفلة الأعداء . إلا أنهم لما لبثوا ان سمعوا صياح الفرس وفى أوائلهم بطل الأبطال وسيد الفرسان وحامي حومة الميدان فيروز شاه بن الملك ضاراب وهو ينادى لقد خابت والله آمالك ياجهان وحل بك الويل والهوان واليوم تلاقى جزاء أفعالك وغدرك وخياناتك وهكذا كان يصيح بهزاد وقد حمل حملة الآساد وفتك بالأعداء فتك الصناديد الشداد وحمل اردوان وهو ينادى يالثارات شيروه قتيل الظلم ومغدور الخيانة وبأقل من ساعة اشتبك القومان ووقع بينهم واقع الحرب والطعان . وكانت الحرب كثيرة المخاطر عظيمة الأهوال لم يسمع بمثلها منذ قديم الاجيال سطت فيها الفرس على رجال الصين وأنزلوا بهم القضاء المبين وحكموا فيهم السيوف الصقال وشتتوهم إلى اليمين والشمال وما أشرقت شمس النهار إلا والجئوا إلى الخيام مقهورين مكسورين نادمين على ما وقع منهم ورجع عنهم الفرس بعد ان اشفوا الغليل وأنزلوا بهم كل عذاب وبيل وعند وصولهم إلى الخيام تفرقوا للراحة وهم بأمان من الأعداء ولم يكن عند أحد منهم علم بما فعله اردوان وشيرزاد بل فكروا فى ذاك اليوم انهم على حسب العادة بين الجيوش نازلين .

وكان جهان قد تكدر مزيد الكدر عندما رأى ان الفرس قد انتصروا عليه وان الهنود لم يشتركوا بالحرب بل انهم انفردوا بقصد ان يظهروا فضلهم على الصينيين ليبينوا ان النصر كان لهم وعلى يدهم وأكثر غيظه كان من عدم توفيقه لكنه صبر على مضض وعرف ان الهنود متعظمون متكبرون . وبقى على مثل ذلك طول ذاك النهار إلى المساء ولم يقبل ان يقرب منهم أو يذهب اليهم حيث لم يأتوا هم اليه كونه أكبر مقاما وعليه رضاء النار لأنها اختارته رسولا وبقى مرتاحا فى مكانه إلى المساء وعند المساء بينما هو فى صيوانه مع قومه يتباحثون بأمر الليل الماضى وما وقع عليهم من الفرس ويتخابرون إذا كان فى نية كيوال وكنوال وقومهما الحرب فى اليوم الثانى أم لا وإذا به سمع الصياح قد وقع فى رجال الهنود وقام القتال واختلط الفريقان فقال لوزيره منكوخان ومهريار إذا صدقنى حذرى يكون الفرس قد كبسوا

الهنود ولابد من انهم يوقعون بهم وينزلوا عليهم الويلات والضربات قال وكان سبب ذلك ان اردوان وشيرزاد بعد ان رجعا عن الحرب قصدا واديا خلف جيوش الأعداء فضربوا فيه الخيام ونزلوا على جنباته وسرحوا خيولهم وأقاموا كل ذلك النهار بانتظار المساء إلى ان اسود وحلك فركب اردوان وشيرزاد برجالهما وانقسموا إلى قسمين كل قسم إلى جهة وساروا إلى جهة عساكر الهنود وفى نيتهم ان يفاجئوهم بالقتال ليشتركوا به حالا ولا يتأخرون إلى الراحة والتماهل وعند وصولهم إلى الهنود صاحوا يالفارس يالفارس وانقضوا كالبواشق عليهم واشغلوا فيهم الطعن والضرب وهم على غفلة لايحسبون حساب الكبسة فاغتاظ كيوال وأخوه كتوال من هذا العمل وتناول كل منهم سلاحه وعلا على ظهر فيله والتقى الفرس وكذلك رجال الهنود وقام بأقرب وقت قائم الحرب والطعان وحمى سعير الضرب من كل ناحية ومكان وفعل اردوان وشيرزاد أفعالا عظيمة حتى أشفيا الغليل ولولا كيوال وكتوال لتفرقت جيوش الهنود غير ان هذين البطلين ثبتا ثبات الأبطال وفعلا أفعال أسود الدحال .

وبالاختصار فان اردوان وشيرزاد قبل نهاية الليل رجعا عن الحرب برجالهما وتوغلا فى ذاك الوادى ولا أحد يعلم بوجودهما هناك وقد ظن الهنود ان الذين كبسوهم هم الفرس بأجمعهم وكذلك الملك جهان فانه ثبت لديه ان تلك الحملة هى حملة بهزاد وفيروز شاه وعند الصباح اجتمع كيوال بأخيه وافتقدا الجيوش فوجدا أن عددا ليس بقليل قد فقد منه فخافا عليه واجتمع بجهان وأخبراه بكبسة الفرس فقال لاعلم لنا بها وان من العدل والاصابة ان نكون عند القتال ولاتظنوا ان الفرس كمن تظنون فيهم والحق يقال فرسان لم يخلق الزمان مثلهم فاذا لم نبادرهم بالحرب يداواحدة أهلكوا منا قوما بعد قوم وهم منضمون إلى بعضهم أى انضمام فاجابه كيوال إلى ذلك وقال له إننا منذ الآن نكون مع بعضنا وأنه لابد ان يظهر لك ماأفعله بهؤلاء العلوج عابدين الله فسر جهان من كلامه مزيد السرور وقال له ان الحرب فى هذين اليومين كانت تحت ظلام الليـــل ولابد من الحرب فى وسط النهار ليظهر فضلك ويعرف الفرس شدة باسك .

قال وفيما هم يتحدثون بمثل هذا الكلام وإذا بهم سمعوا طبول الفرس تعلن بالحرب وتنذر بالاستعداد والتهيء فقال جهان هو ذا الفرس على نية القتال وان الذى نطلبه قد صار ووصلنا اليه فقال له سوف ترى ما يحل بهم وانى أقسم بالنار أنى لاارجع عنهم مالم أبدهم عن آخرهم واحدا بعد واحد ثم أنه مال إلى رجاله فامرهم بالركوب وكانوا لايزالون تعبين من حرب الليل فركبوا وتقدموا وكذلك

جهان فانه أمر فرسانه أن تركب للقتال وتصطف فى ساحة المجال وكان العجم فى الليل الماضى تفقدوا أردوان وشيرزاد فلم يقفوا لهما على خبر لا هما ولا رجالهما فتكدر الملك بهمن وفيروزشاه وباقى الأبطال وسألوا عنهما فما وقف لهما أحد على أمر فزاد كدرهم وبقيوا على مثل ذلك القلق والاضطراب إلى ما بعد السهرة وإذا بهم سمعوا فى جهة جيوش الهنود أصوات وغوغاء فاستعدوا وظنوا أن الأعداء على نية الكبسة ولم يعلموا بما عمله أردوان وبقيوا إلى أن استكنت الحرب وهدأت وراق البال وعند الصباح جلسوا للمخابرة فقال فيروزشاه إن هذه الحالة تطيل فى جلوسنا هنا وتمكن الأعداء من الفرصة ليتدبروا ويتقووا وفى ظنى أن لا نضيع هذا النهار سدى وفى المساء نبعث بالعيارين يفتشون على مكان أردوان وشيرزاد فاجابوا سؤاله فى الحال وضربوا طبول الحرب والقتال فاجابهم الصينيون والهنود وتقدموا للحرب .

قال وفى تلك الساعة حملت تلك الطوائف على بعضها البعض واهتزت من حملتهم الأرض واضطرب البر من كل ناحية ولم يعد الأخ يعى على أخيه ولا الابن على أبيه وكانت وقعة فى ذلك النهار . كثيرة الأهوال عظيمة المقدار . تدفقت فيها الادمية كالانهار واكتست الارض من جثث القتلى وتلونت بلون البهار . وسطا كل فارس مغوار . وبطل جبار . ووقع بالجبان الفشل وقلة الاصطبار . وكان بهزاد كالشهاب الثاقب ينحدر من مكان إلى مكان . يطارد الفرسان . وعددها على ساط الصحصحان . ولا يترك سبيلا للأعداء فى ساحة الجولان . بل سد عليهم كل طريق . وأبلاهم بالويل والضيق . اقتداءا بفارس الحرب والقتال . وسيد الجبابرة والابطال . فيروزشاه ابن الملك ضاراب الذى أنزل على الصينيين بحملاته أشد العذاب وأحاط بهم من كل جانب بالكدر والمصاب . وسد فى وجوههم كل باب . وهو ينادى أنا فيروزشاه . حبيب عين الحياة . وأما كيوال فارس الهند فكانت حملاته حملات الاسود وهو يقلب الفرسان على ظهورها وبطونها وينزل بالذين يقعوا أمامه الويلات بجهرها ومكنونها وكذلك أخوه كتوال . فقد جاراه فى مثل هذه الاعمال . وتحت كل منهما فيل عظيم الخلقة كبير الهيكل تجفل منه الخيول وترتج الجبال والسهول ولولاهما لما انقضى ذاك النهار إلا لحق بالصينيين البلاء والاندثار ولا قامت لهم قائمة فيما بعد وبقى القتال منعقدا إلى الزوال فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن ساحة المجال . وعاد فيروزشاه كأنه الاسد الرئبال . دخل صيوان والده الملك بهمن بعد أن نزع ما عليه من آلة الحرب والجلاد واغتسل من الادمية التى سالت عليه فى ذاك اليوم . وبعد أن تناول الطعام أخذت الفرسان تتجمع حواليه

وتجلس فى مجالسها إلى ان انتظم سلك الجميع فقال الملك بهمن ان القتال كان فى هذا النهار عظيما ولولا وجود هذين الفارسين لماثبت قط الاعداء انما كنت اراقب قتالهم والحق يقال انهما من اشد الابطال ما قصدا فيئة الا وبددا شملها وانزلا عليهماغمامة المحاق . فقال بهزاد انى كنت احب فى هذا اليوم ان ابارز كيوال واعحقه من هذه الدنيا غير ان سيدى فيروزشاه فضل الحملة على البراز ولابد لى عند صدور امره بالبراز ان اقتل كيوال وكتوال واريح جيشنا منهما . فقال فيروزشاه ان الاعداء ما قتلوا منا عشرة الا بعد ان قتلنا مئة ولذلك قصدت ان احط عليهم بكل جيشى مدة ثلاثة اواربعة ايام متتابعة حتى يضعفوا كل الضعف ويقلوا عددا والا لو قتلنا الآن كيوال وكتوال تخافنا جيوشهما وجيوش الصين ويرجع الجميع الى المدينة غير ان لا بد من قتلهما بعد تبديد الجيوش المتجمعة حولها ولا سيما انى مشغل الفكر على اردوان وشيرزاد لا اعرف فى اى جهة هما .

قال وبينهم على مثل تلك الحال يتخابرون بامر القتال واذا بهم قد سمعوا صيحة القتال بين الاعداء من جهة مؤخرتهم وارتفعت غوغاء عظيمة وصلت الى الجو الاعلى واذ ذاك انتبه الملك بهمن اليها وقال لا بد من ارسال عيار من عيارينا لكشف خبر هذه الغوغاء العظيمة فقد سمعنا فى الامس واليوم ولابد ان تكون صادرة عن قتال واقع من اردوان وشيرزاد وقد اختارا هذا الامر كي لا يدعا الاعداء براحة لنقاتل نحن أثناء النهار وهم فى الليل فيحل بذلك عليهم الويل والتعب . فقال طيطلوس انهم اصابوا بذلك غير ان هذا الامر لا يتركنا براحة نحن ايضا عليهم كون لا يوجد معهم اكثر من ثلاثين الف فارس وهذا العدد لا يكفى لمثل هذا العمل ومن الصواب الآن بعث احد عيارينا لكشف صحة هذا الخبر . وفى الحال دعا الملك بهمن طارق العيار وقال له اذهب وانظر سبب هذا الصياح . فاجاب طلبه حالا وسار الى قضاء امره .

وكان السبب فى ذاك الصياح هو ان اردوان كان قد سمع بقتال الفرس قومه للأعداء فى ذالك النهار وعرف من نفسه ان لا بد من وقوع التعب عليهم من جرى هذه الحملة ولذلك قال لشيرزاد ان حملتنا فى هذه الليلة تأتى مفيدة فنوقع بالاعداء وهم سكارى من الملل والانحلال فننال منهم الغاية ونفعل فيهم كل ما يحلو لنا ويشفى به غليلنا واستعدا للقتال الى أن رجع الصينيون والهنود عن ساحة القتال ونزلوا عن خيولهم للراحة وهم لا يصدقون أنهم ينالونها وقد اجتمع جهان بقومه وقال لهم ان اليوم يوم تاخر كان علينا ولولا كيوال وكتوال ما ثبتنا قط وأريد أن أبعث بعيارى ونك الى كشف خبر الاعداء عساه أن يأتى بنتيجة نقدر أن نعرف منها وجها

خلاص والفرج . وفيما هو على مثل ذلك قام الصياح فى معسكره من كل ناح فصاح
ثلا قبح الله الأعداء فانهم لا يكلون ولا يملون وهاانذا قد حملوا ثانية علينا دون
ن يصبروا على أنفسهم أو يرتاحوا وأمر فى الحال أن تسرع الرجال إلى القتال وفى
كل نيته أن الحاملين هم جموع الفرس بأجمعهم ولم يكن إلا القليل حتى غاص رجال
يران بين الأعداء وأنزلوا عليهم الويل والبلاء وقاتلوا قتال الأشداء وكان اردوان كالبرق
لخاطف يسرع من مكان إلى مكان وينقلب عليهم تقلب الثعبان وفعل مثله شيرزاد وقومه
فعال الجان وشتتوا شمل أهل الصين والهنود وماتركوا لهم مجالا يجولون فيه ولا سبيلا
يسلكونه للخلاص وقبل أن بزغت أنوار اليوم الذى بعده انسحبوا من بين الأعادى
ورجعوا من حيث أتوا وتوغلوا بين الشعاب والهضاب إلى أن وصلوا إلى مركزهم
فحطوا به وأقاموا ينتظرون المساء

وبعد أن ارتاح بال جهان من الأعداء عقد مجلسا قبل الصباح وقال لقومه
حيث ان الأخصام قد اتخذوا هذه الخطة وهى أنهم يقاتلون الليل والنهار أرى من
اللازم اللازب أن نقسم قومنا إلى قسمين قسم يبقى على الراحة كل النهار وقسم يقاتل
فيه وإلا أهلكناعن آخرنا فاستحسنوا رأيه وأجابوا سؤاله وفيما هم على ذلك وإذا بو نك
العيار قد دخل عليهم وقال لجهان انى أطلعت لك على أمر به النجاح والفلاح . قال
وما هو قال ان الذين يحملون علينا بكل ليلة ليسوا هم الفرس بأجمعهم بل فيئة قليلة
منهم تحت امرة اردوان وشيرزاد وقد اثرت القوم فاذا هم نازلون فى واد بعيد
عن المدينة لوحدهم لا أحد يعلم بهم وإنهم فى النهار يكنون وفى الليل يحملون وقد
أرى من المناسب أن ترسلوا قوما منكم مع بعض الفرسان والأبطال فيكبسونهم
ويوقعون بهم ويقبضون على اردوان وشيرزاد وبذلك تنالون ما أنتم طالبون
وتغنمون غنيمة باردة لا يتسهل لكم أعظم منها وأوفق فى سائر أموركم . فلما سمع
جهان هذا الكلام فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور . وقال الآن وقت نوال الغرض
ثم قال لمنكوخان أريد منك أن تأخذ مائتى الف فارس وتقصد ذاك المكان المقيم فيه
اردوان وتكبسهم وهم غافلون عند مغيب الشمس أى قبل أن يخرجوا من الوادى
وإياك أن تترك لهم مجالا للهرب وأمسك كل طرقات الوادى وإذا جئتنى باردوان
وشيرزاد أسيرين كان لك الفضل فى نجاحنا بهذه الحرب . فوعده منكوخان بكل
جميل وانه سيفعل ما يضمن له النجاح والفوز وأخذ من تلك الدقيقة بالاستعداد
والمسير إلى انفاذ أمر الملك جهان . وعندما رأى مهريار الوزير أن منكوخان قصد
الايقاع بالفرس خاف عليهم من أن تدركهم مدارك الويل على غفلة منهم فينفذ
قضاء الله المقدور ولذلك دعا بالأشوب وقال له أريد منك أن تقصد جهة هذا

الوادى المقيم فيه أردوان وتعرض عليه ما كان من أمر جهان وما عزم عليه منكوخان ليكون على حذر واستعداد . فأجاب قوله وانطلق فى الحال حتى خرج من بين المعسكر كانه الغزال وتوغل فى القفار وبين الاكام حتى تبين المكان النازلين فيه الفرس فأسرع اليهم إلى أن وصل من أردوان فعرفه بنفسه وعرض عليه أمر الوزير مهريار وما بعثه لاجله فى تلك الساعة . فشكر أردوان من الوزير وقال له بلغه منى سلامى إذا وصلت اليه لكن أريد منك الان أنْ تذهب إلى نحو معسكرنا وتدخل بينه دون أن يعلم بك أحد وتأتى صيوان صى بهزاد وتعرض عليه هذا الامر وتسأله أن يبقى ذلك مخفيا عن الملك بهمن وعن فيروز شاه واطلب اليه أن يأتى وحده كى يرى قتالى فى مثل هذه الليلة فى هذا الوادى وان يقاتل هو بنفسه لنقع بالأعداء ونجعل طمعهم عليهم مشؤما . فاجابه وانطلق إلى ناحية رجال إيران حيث نازلون إلا أنه ما بعد غير مسافة ساعة حتى التقى ببهزاد آت مع جماعة من فرسان الفرس يبلغ عددهم العشرين الف فارس

قال وكان سبب مجيئه هو أن طارق العيار كان عندما قصد جهة الصياح ووصل إلى آخر معسكر الصينيين تبين أن القتال واقع بينهم وبين الفرس وسمع أصوات أردوان وشيرزاد فتاكد عنده ظن الملك بهمن وبقى إلى أن كاد يبطل القتال فعاد راجعا إلى جهة الملك بهمن ودخل عليه وأخبره بما رأى وقال له رأيت أردوان يسحق جيوش الصينيين والهنود كانه الجبل الثقيل وقد أنزل عليهم كل وبال ولولا كثرتهم وقلة عساكره لبددهم فى هذه الليلة . فلما سمع الملك كلامه دعا بالحال اليه الوزراء والأعيان والشاهات وأخبرهم باخبار أردوان وما سمعه من طارق واستشارهم فيماذا يفعلون به فقال طيطلوس الرأى عندى أن نرسل من يحضره الينا بامر الملك وولده فيروز شاه وبهذا نكون براحة من قبله فقال الملك بهمن انه ما قصد الانفراد لوحده مع شيرزاد إلا لما رآنا لا نقرم بالحرب التى يرغبها حق القيام كونه يريد أن ياخذ بثار شيروه فى الحال ولهذا نخاف من أن يتاثر من دعوته الينا ويتكدر فى داخله حبا بنوال مراده فهو عصبى المزاج يؤثر فيه الحب كما تؤثر فيه أقل الأشياء فلا ينسى قط محبة أخيه شيروه وصديقه ما لم يرو غليله من قاتله . فقال بهزاد انى ساذهب اليه الان بجماعة من الفرسان وادعوه عن رضى فاذا جاء كان خيرا والا أقمت عنده وفعلت كل ما يرضيه الى ان يقنع من تلقاء نفسه ويأتى الى المعسكر فوافق جميع الحضور على كلامه وخيروه باجراء ما يرجو ويطلب ومن تلك الساعة جمع عشرين الف من اخصائه وركب بهم قاصدا ذلك الوادى وهو يجهله لا يعرف من أى جهة يسير لأن طارق لم يكن يعرف مكان اقامة أردوان

بل رأى الطريق التى سار منها وإلى أى جهة سار و فيما هو سائر فى تلك النواحى وإذا بالأشوب قد صادفه فى الطريق فعرفه ودنا منه وأخبره بواقعة الحال وما كان من أمر أردوان وأمر الوزير مهريار

فلما سمع بهزاد هذا الكلام قال له سر أمامى إلى جهة هذا الوادى تدبعنى الله لأنتقم من الصينيين وأجعل كيدهم بنحرهم ومن ثم سار خلف الأشوب إلى أن أدرك الوادى قبل الغروب بساعة وحينئذ أمر الأشوب أن يرجع إلى مهريار ويهديه منه السلام وسار هو إلى معسكر أردوان فخرج اليه واجتمع به وسلم عليه فلامه على فعله وقال له كان الأحرى أن تخبرنى بكل ما فى نيتك قال ان هذا لا يوافق قط لأن الأعداء مهما ثبتوا لا يقدرون على الثبات أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام فبعدك عنا يشغل أفكارنا ويلقينا بالاضطراب على الدوام وقد أصبح سيدنا فيروز شاه يسأل عنك فى كل ساعة والآن ليس وقت عتاب بل ارجع عن الخيام مع شيرزاد واتركها فارغة واذهب إلى يمين الوادى واكمن هناك حتى إذا رأيت الأعداء قدجاوا وحملوا على الخيام احمل عليهم من أمام وأنا سأذهب إلى الوراء واطردهم إلى داخل الوادى وامسك عليهم الطرقات وامنع خروجهم فأميتهم عن آخرهم . فأطاع أردوان طلبه وأخذ كل رجاله وذهب بهم إلى يمين الوادى وأقام بالانتظار وكذلك بهزاد فانه صعد إلى ظهر الآكام وانحدر إلى أسفل شمال الوادى وأقام يراقب وصول منكوخان بعساكر الصين إلى أن وصلوا عند غياب الشمس فرآهم عن بعد نصف ساعة فتأخر أيضا إلى ما وراء اكمة واستتر خلفها ليروا من هناك وبعد أن مضى ساعة كانوا دخلوا ورأوا خيام الفرس منصوبة فصاحوا وهجموا وقد قسمهم منكوخان إلى أربعة أقسام قسم أقام على باب الوادى والباقون حملوا من ثلاث جهات ومن ثم تخللوا الخيام وأخذوا يرمونها بأعمدتهم وفى ظنهم أن داخلها رجال من الفرس فأخطأوا ولم يروا أحدا فاحتاروا ووقعوا بالارتباك وإذا بأصوات أردوان تدوى بتلك الوديان وهو ينادى يا لثارات شيروه من اللئام وقد هجم على القوم هجوم الآساد وأبلاهم بالويلات وارتمى عليهم وأشغل الضرب فيهم ومن خلفه شيرزاد وبقية الفرسان الأجواد وما لبث أن صادم الصينيين من الامام حتى أجابه من خلف بهزاد بدوى صوته المعتاد وقام سوق الحرب أى قيام وتطوقت رجال جهان بأطواق الاعدام وتسربلوا بالحلل الحمراء . وتتوجو باكاليل الفناء ووقع عليهم واقع الهلاك ووقف فى وجوههم واقف الارتباك وضاع واسع القفار ومارأوا لهم سبيلا ولا اصطبار ولاوجدوا طريقا للخلاص والفرار فالتزموا أن يتسلقوا جنبات الوادى ويتركوا الطرقات ولما رأى منكوخان ما كان من الفرس وما حل على رجاله خاف على

نفسه من الفرار وأيقن بالهلاك فنزل عن ظهر جواده وأخذ يتسلق جدران الوادى وهو لا يأمن على نفسه من لحاق الاعداء ووقوعه بأيديهم إلا أن الليل ستره فلم يظهر لاحد وبقى حتى أصبح على ظهر أطراف الوادى وانحدر من هناك يقصد جيش الصين وكان قد فعل فعله ببعض فرسانه فنجوا بانفسهم والباقون أكلتهم السنة الصقال فاندثروا تحت النعال وكان الذين نجوا لا يبلغ عددهم الخمسون الفا وهلك مائة وخمسون الف فارس

وبعد أن أشرقت شمس النهار وراقت الحال وبطل القتال أخذ أردوان يهنىء بهزاد بما فعله فى تلك الليلة العظيمة الأهوال وقال له انى أخبرك انى أشفيت فؤادى من قتال الاعادى فانظر إلى الارض كيف اكتست حمراء من أدميتهم والحفر كيف أصبحت آكاما من جثثهم وانى أشعر الآن انى قد وفيت أخى شيروه بعض حقوقه وقمت بقليل من ثأره وما من شيء يسرنى فى هذه الحياة من أن أرى نفسى قد وفيت ما تطلبه منى المحبة. فقال له بهزاد ان تلك حقوق الاخاء والمودة فانت بالحقيقة من نسل فيلزور وبك تفتخر هذه العائلة فاذا شئت فاترك هذه الاماكن وسر إلى معسكر الملك بهمن حد ارضاء لخاطر فيروزشاه سيدنا ومولانا إذ لا يجب ان يكون رجاله إلا على يد واحدة يقاتلون ويضاربون ولا ينقسمون وبذلك يكون مرتاح الضمير مطمئن الخاطر على كل قومه. فقال له اردوان لقد شفيت فؤادى فهلم بنا نسير إلى سيدنا فيروزشاه ونذهب بجميع الخيول والاسلاب والغنائم التى جمعتها فى هذا اليوم مما تركها الأعداء

ثم ان بهزاد امر ان يجمع الفرسان الخيول والاسلحة من المقتولين وان يسير الجميع إلى جهة المدينة ليطلعوا ملكهم على ما كان من امرهم فاخذوا فى انفاذ اوامره وجمعوا كل ما امرهم به حتى سد به ذاك الوادى ومن ثم ركبوا وعادوا سائرين إلى جهة معسكر الفرس كل ذاك النهار إلى المساء وعند المساء وصلوا الى حيث يقصدون فامر اردوان رجاله ان تضرب خيامها فى اماكنها وسار هو مع بهزاد الى ان وصل الى صيوان الملك بهمن فدخل عليه وقبل ايادى فيروز شاه وطيطلوس وحكى لهم كل ما كان من امره مع الصينيين وانه كان يقصد ان لا يرفع الحرب عنهم الى ان يهلك منهم جانبا عظيما فتسهل له بأقرب وسيلة جميع ما يطلبه وانه لا يزال يؤمل ان الظروف تساعده على قتل منكوخان ليأخذ لشيروه بالثأر ويقهر الأعداء فمدحه فيروز شاه على قوله وعمله وقال له ان طلبك لثأر شيروه واجب ونحن نقاسمك فيه ولا بد من قتل منكوخان وفتح المدينة بمساعدته تعالى كيف كان الحال. وانما اريد منك من الآن وصاعداً ان لا تبارح المعسكر الى حين يتسهل لنا ما نحن طالبون وفى الغد

تكون الحرب بيننا عظيما ولا بد من براز كيوال وقتله وقتل أخيه كي لا يصعب علينا أمر بعده . فقال بهزاد وإني أطلب منك يا سيدي أن تفي بوعدك لي فلا بد من قتال هذين الفارسين في الغد فاسمح لي بكل ما أناطالبه . قال لا أمنعك منه فكن أنت في الغد وعلى الدوام خصما لهذين الفارسين إلى أن نرى ما يكون من أمرهما وعندي أنك لا بد أن تسطو عليهما وتعدمهما الحياة وتفوز بالمطلوب وعلى ذلك فقد اعتمدوا أنهم في اليوم الثاني يقاتل بهزاد رجال الهنود .

وأما ما كان من منكوخان فانه بقي مهزوما راكضا على أقدامه كما تقدم معنا الكلام إلى أن وصل إلى معسكر الصين ودخل على جهان وهو بتلك الحالة فارتاع من أمره ونهض مغتاظا مكدرا وقال له مالي أراك وحدك فأين العساكر التي ذهبت معك وماذا حل بك . قال كان بظننا أن نكبس الفرس وإذا هم كبسونا وأوقعوا بنا كل أذى وشردونا وأهلكونا وأنزلوا بنا الويلات والمصائب ولولم أنج بنفسي وأتسلق جدران الوادي ويسترني الظلام لما جئت اليك سالما . ثم أعاد عليه كل ما كان من أمره وما لاقى في ذلك الوادي وما فعل بهزاد وأردوان برجاله والذين رافقوه . وكان جهان يسمع والغيظ يمزق أحشاءه ولعن تلك الساعة التي جاء بها الفرس إلى بلاده وقال كلما دبرنا على هلاكهم رجع تدبيرنا علينا وفشلنا وخاب مسعانا ثم إن جهان جمع ديوانه ودعا بكيوال وكتوال وقال لهما لا شيء أرجوه منكما إلا أن تبارزا إلى فرسان الفرس وتقتلاهم أو تأسراهم وعلى تفريق الجيوش أي أن عساكري أكثر وأقدر من رجالهم إلا أن وجود فيروزشاه وبهزاد وأردوان وغيرهم من الأبطال مما يقويهم ويضعف جيوشنا فقال له كيوال إني ببركة النار سأقصد في الصباح ساحة الميدان وحدي وأطلب براز الأبطال وأعدك أنه لا يأتي المساء مالم أبد هؤلاء الذين ذكرتهم إذا تجاسروا أن يبرزوا إلى وما خافوا من سطوتي وهابوا مقدرتي وسيظهر لك الغد أضعاف ما أخبرك الآن. فشكره جهان وعلق كبير أمل على وعده وبات ينتظر قدوم صباح اليوم التالي وتفرق من حواليه الفرسان والوزراء .

قال وفي صباح اليوم المذكور نهض الفريقان من مراقدهما على أصوات طبول الحرب التي كانت تضرب بأصوات الرعود وانطلق كل واحد إلى جواده فركبه بعد أن أسرجه وتقدم الجميع صفوفا صفوفا على أحسن ترتيب وأنظم نظام . وقبل أن أبدى من أحد الصفين إشارة انحدر بهزاد إلى وسط الميدان كأنه أحد أسود خفان وهو غارق بالحديد إلى حد العيان يرهج من تكسر الشمس على أسلحته ويبرق بلمعان المشعال ولعب على أربعة أركان الساحة حتى حير العقول وأذهل الخواطر وضيع الأفكار وأبهج النواظر واعترف له كل فارس وبطل أنه أخف من جال في ساحة المجال . وبعد

وبعد ذلك وقف فى الوسط ونادى أى فرسان الهنود والصين من عرفنى عرف فعالى ومن جهلنى أعرفه بحالى أنا بهروز حامى حومة الطراد وبهلوان تحت الفرس وبذكر اسمى غنى عن شرح عملى فلا يبرز لى منكم إلا الفرسان الأشداء وإنى ماتوسطت هذا الميدان إلا للانتقام من كيوال وأخيه كتوال فليبرز أحدهما إلى أو فليبرز الاثنان .

قال وما انتهى من كلامه إلا وجيوش الهند اضطربت وخرج منها كيوال راكبا على ظهر فيله كأنه جمل فوق جبل وقد تقدم معنا أنه كان كبير الهيكل عظيم الخلقة عريض الأكتاف يقل وجود مثله بين الرجال . ولما صار أمام بهزاد رفع العمد بيده ولعب به بالهواء وكان ثقيل العيار يصعب على عدة رجال أشداء رفعه ثم صاح وحمل على بهزاد فالتقاه بقلب أشد من مطرقة الحداد وأخذمعه فى القتال والطراد والفرسان تنظر من اليمين والشمال تراقب بينهما واقعة الحال وتتعلم منهما أبواب البراز والنزال وهما يهمهمان كأنهما أسدان ويدمدمان كطوائف الجان وكان الشرار يتطاير من وقع السيوف على الدرق ويسبحان بما سال منهما من العرق ودام بينهما وقوع الضراب والطعان على مثل هذا الشأن إلى ما بعد الظهر وحينئذ تعجب كيوال من شدة بهزاد فى القتال وعرف أنه على خلاف ما كان يظن ولذلك خطر له أن يتضاربا بالعمدان على أمل منه أنه لا يقدر على حمل ضرابه ولا يثبت تحت ثقلها وعليه فقد صاح ببهزاد وقال له إن هذه الحالة لاتنال منها مرادا ولا يقدر أحدنا على الآخر ولو صرفنا شهورا وأعواما ولذلك أطلب أن يضرب أحدنا الآخر ثلاث ضربات فمن كانت ضرباته أقوى وأقدر نال من خصمه مراده فاضربنى ثلاث أنت أولا ثم الق منى مثلها فقال له إن بذلك الانصاف فهل سمعت أن أحد الفرس ضرب أولا فهذا لا يمكن قط فاضرب أنت بكل عزمك وأنا أتلقى ضرابك إلى أن يأتى دورى قال استعد لضربى واحذر لنفسك .

ثم إن كيوال أطلق الفيل ذهابا وإيابا حتى حمى وجعل يضرب الأرض بخرطومه ففتح فيها حفرا وبعد ذلك صاح بكلا العسكرين وقال هيا انظروا ما يحل الآن على بهزاد ثم رفع العمد إلى أن كاد يلحق السماء وهو يضحك على خصمه وفى كل ظنه أنه إذا وقع عليه وهو ثابت تحت سحقه هو والجواد غير أن بهزاد كان واقفا كأنه الجبل الراسى لا يتزعزع وقد عرف من نفسه كل المعرفة أنه يقدر على حمل مائة ضربة دون أن تؤثر فيه مثل ضربات كيوال وإن كان من أشد الأبطال وأفرس الفرسان وجديده بالطارقة حتى وقع عليها العمد فسمع له صوت ودوى أشبه بالرعود القاصفة وخفقت قلوب الفرس خوفا على بهزاد إلا أنهم صفقوا من الفرح عند ما رأوه خرج من تحت الضربة كأنه السرحان ولم يلحق به أذى قط ولا عبأ بالضربة بل صـــاح

بكيوال وقال له ويلك هل أنت عامل على المزاح واللعب فاضرب ضرب الأبطال المعدودين فى ساحة المجال فانى لم أشعر قط بضربك لى . فزاد هذا الكلام فى غيظ كيوال ووقف مدة مبهوتا متعجبا من قوة خصمه وقدرته . ثم انه رفع العمد ثانيا وضرب به بهزاد وكذلك ثالث مرة دون أن يناله تعب أو ملال حتى كاد كيوال يغيب عن صوابه وضاع عقله وكره فى الحياة وقال له ويلك أيها الفارسى العاتى اضربى بدورك وافعل ماأنت فاعل فانى أشهد لك أنك من الابطال الصناديد والفرسان الاماجيد وانى مستعد لوقع عمدك فاما ان تقتلنى واما ان أعود فاضربك مثل هذه الضربات . فقال له أهل تظن أن الذى مثلى يضربك بعمد من حديد قال بماذا تضرب قال بهذا السيف الصقيل ثم جرد الحسام وأطلق لجواده العنان حتى كاد لايبان . ثم صاح ووقف فى وسط الميدان وقال هيا أيها الأبطال الشداد انظروا أفعال بهزاد بن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد وهاك ضربة واحدة لعين فيروزشاه وحبيبى اردوان فارس فرسان هذا الزمان وتاج البسلاء والشجعان . ثم انه جمع نفسه ووقف بأسرع من البرق على ظهر الجواد وشخص بفكره ما كان يسمعه عن عمل فيروز شاه بطومار وضربته التى سار ذكرها فى سائر الأقطار وأراد ان يقتدى به ويقرن ذكره بذكره فأرسل السيف بضربة شديدة وقعت على طارقة كيوال قطعتها ووقعت على رقبة الفيل فبرتها وفصلت رأسه عن جسده فجعر الفيل بصوت كالرعد وسقط إلى الأرض وسقط كيوال خلفه إلى البسيطة ونهض بركض فأراد بهزاد أن يتأثره وإذا بجماعة الهنود قد صاحوا وحملوا وفى مقدمتهم كنتوال طالبين خلاص كيوال .

قال وفى الحال صاح فيروز شاه بالرجال أن تحمل على فرسان الهنود والصينيين وحمل هو فى مقدمهم وعليه فقد اشتبك الفريقان وقام سوق الحرب والطعان ومسك

انتهى الجزء الخامس والثلاثون ويليه الجزء السادس والثلاثون

الجزء السادس والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

كل فارس خصمه وأراد أن يعدمه اسمه ويمحو من هذه الدنيا رسمه فتقطعت الظهور وتمزقت الصدور واشتاقت النفوس إلى مفارقة الأجساد وطلبت الجسوم الملآواة باللحود للخلاص من البلايا الشداد وكان اردوان يقاتل بثبت عزم وجنان ويطاعن مطاعنة الأبطال والفرسان فيفصل بين الرؤوس والأبدان وفيما هو على مثل ذلك الشان إذ لاحت منه التفاتة فوجد عن بعد كتوال قد التحم بشيرزاد وأخذ معه بالجدال والطراد فأراد أن يقصد تلك الجهة خوفا عليه من أن يوقع به وإذا به يرى كتوال قد قبض على شيرزاد وجذبه الى الوراء فاختطفه قومه الهنود وبعدوا به ولذلك غاب صوابه وضاع هداه ولم يعد يعرف ماأمامه وماوراءه وتذكر شيروه وخاف أن يقع على شيرزاد ما وقع عليه وقد فضل الموت على الحياة فصاح بصوت من فؤاد مجروح جفلت منه الخيول وتفرقت من اليمين إلى الشمال وحمل يضارب بقوى عزم وثبات ويطاعن بطلب خلاص شيرزاد وانحط انحطاط الصاعقات وكلما قربت منه الفرسان مددها على بساط الصحصحان وعيناه لا تفارق المكان الذى فيه شيرزاد خوفا أن يضيع عنه فلا يقدر على خلاصه ويتمكن منه الأعداء ولذلك غاص فيما بينهم وهم يجتمعون عليه فيعدمهم بسيفه البتار ويطوقهم بأطواق البوار ويبعثهم إلى إلى دار الهلاك والدمار ولا زال يقتل ويكسر حتى وصل إلى المكان الذى فيه شيرزاد وكان جماعة من الفرسان قد احتاطوا به وأوثقوا كتافه بالرغم عنه وحاولوا اجره وإذا باردوان قد صاح فيهم وانقض عليهم وفرقهم يمينا وشمالا حتى قرب منه فقطع كتافه وأخذ يدافع عنه ليتمكن من ركب الجواد ويأخذ من أسلحة القتل هذا والفرسان تزدحم حول اردوان تطلب مسكه وهلاكه وهو لا يكل ولا يمل بل كل ما تضايق وكثرت عليه الجموع وصاح بها وانحط عليها وأكثر من النداء قائلا أنا اردوان ابن أخى بهزاد صاحب الشرف الرفيع العماد وبقى على مثل هذا الايراد إلى أن تمكن شيرزاد من ركب الجواد وعاد الى معاونته بسوق الطراد وألبس الأعداء أثواب العار والسواد

هذا وكان قد شاع بين رجال الفرس أن شيرزاد أخذ أسيرا فاغتاظوا وارتموا على الاعداء كالصواعق وهم يصولون ويجولون ويجودون الطعن ولا يكادون حتى قرب الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن ساحة القتال وقد حل بالصينيين

والهنود ايشم الأحوال وهم مغتاظون من انتصار بهزاد على كيوال وقتله فيه وما لحق بهم بعد رجوعه ثم أن جهان بعد أن رجع إلى صيوانه واجتمع من حوله وزراؤه وأعيانه قال لهم ان النار غضبي علينا فلم يكن من سبيل لنا للانتصار ولهذا سأبقى هنا يومين أو ثلاثة أيام فاذا أبان كيوال النصر لنا ورأينا وجه النجاح بقينا فى الخارج والا فانى أدخل إلى المدينة ولا أعود أخرج منها قط لأن لاقدرة لنا على الفرس وتبديد جموعهم فهم أبالسة بصورة البشر وكلما بان لنا عليهم وجه الفوز والظفر عكس الأمر فوقع علينا الانكسار والضرر فقال منكوخان لا بد من أن كتوال يبرز فى الغد ويأخذ بثأر أخيه ورفع ما لحق به من العار فقال جهان ان ذلك بعيد النوال نعم انى رأيت كتوال قد أسر شيرزاد وأملت أننا ننال به المراد فنبقيه عندنا الا أن اردوان ماتركه قط وقد فعل أفعال العفاريت فبدد الوفا من الفرسان الهنود حتى وصل اليه وانتشله من بينهم وعاد به ومن تكن هذه الفعال فعالهم لا يقاسون بغيرهم ولا يعادون فانهم يفعلون كل ما يقولون ولا يمكن لأحد أن يتسلط عليهم أو يخاصمهم بنجاح

فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من كيوال وكتوال وقومهما فانهم بعد أن رجعوا إلى الخيام وجدوا أن النقص قد وقع بهم كثيرا وأن حالتهم بتأخر عظيم ولذلك اجتمع كيوال بأخيه وقال له انى كنت لا أظن قط أن الفرس يثبتون هذا الثبات وان بينهم فرسان وأبطال لم ينتج مثلهما قط الزمان وعليه فانى أعتمد ت أن لا أقاتلهم فى الغد ولا بد من رجوعنا إلى الملك شنكال لنعرض عليه ما كان من أمرنا ونخبر اخوتنا بما وقع علينا ولا ريب أن الملك يأتى بكل قوته فهو فارس بطل ولديه كثير من الأبطال فيسطو على رجال الفرس ونكون نحن معهم لأن ما من أمل بثبات الصينيين ولا يرجى منهم نجاح . فقال كتوال هذا أبقه إلى ما بعد الغد فانى مزمع على أن أبارز الفرس فى اليوم الآتى ولا بد من أن الصدف تساعدنى فأقتل بهزاد وإذا تأخرت معه تركنا بعد الغد الملك جهان ورحلنا إلى بلادنا . قال انى أخاف عليك من أن يحل بك ضر أو أذى . قال انى احاول أن أمنع عن نفسى غدرهم ولا بد من النجاح أو الخلاص وباتا تلك الليلة على مثل هذه النية وهم مؤملون أنهم فى الغد ينالون ما يطلبون

قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك بهمن فانه رجع إلى الخيام وهو مسرور بما رأى فى ذلك النهار من نجاح فرسانه وبطشهم وما وقع على كيوال ولذلك تلقا بهزاد بملء الاحضان وشكره على فعله وقال له لقد ضربت ضربة تتحدث بها الفرسان جيلا بعد جيل . قال انى مكدر يا سيدى من عدم نجاحى فى هذا النهار

فانه كان النجاح تاما لو قتلت كيوال غير انى لم أصل إلى غايتى ولى أمل أنه ان نزل مرة ثانية أحرمته هذه الدنيا وبعثته إلى دار الآخرة ولاريب أنه فى الغد تحركه منيته إلى البراز على أمل انه يأخذ لنفسه بالثار ويرفع مالحق به من العار أو ان يبرز أخوه كتوال فأعدمه وأنال منه المنال وكان خورشيد شاه قد بلغه ان ولده شيرزاد قد أخذ أسيراً قبل مجيئه إلى صيوان الملك بهمن ولم يكن قط بلغه أنه تخلص فصعب عليه الأمر وارتبك مزيد الارتباك وخاف ان يلحق به مالحق بشيروه فجعل يبكى لذاته وينوح وبقى نحواً من ساعة لايرتاح ولايأخذه هدو لتيقنه ان ابنه بقبضة الأعداء ولابد من عذابه أو موته وكان اردوان قد أخذ شيرزاد إلى صيوانه فأكل واياه الطعام وجاء به إلى مقام الملك بهمن دون ان يراه أبوه أو يشاهده أو يعلم بخلاصه فتلقاهما الملك بهمن وفيروز شاه بالأحضان وهناه بالخلاص وشكروا اردوان على عمله ولهذا بقى خورشيد شاه إلى نصف السهرة وهو حزين القلب منكسر الخاطر على فراق ولده إلى ان هدأ روعة فلاح له ان يقصد صيوان الملك ليرى مايدبر بأمر ولده ولما دخل من باب الصيوان وجده محتبكا مجتمعا بالخاص والعام ورأى فيما بينهم شيرزاد إلى جانب اردوان فصاح من الفرح ورمى بنفسه عليه يقبله وهو لايعلم من أى طريق جاء ولامن أوجده فى ذلك المكان بعد أن أسره ووقعه بيد الأعداء ثم سأله عن سبب خلاصه فحكى له عن جميل اردوان ومافعله لأجله وكيف خاطر بنفسه لينتشله من بين الأعداء ولايدعهم يتمكنون منه فشكر اردوان على جميله ومدحه كل المدح وبعد انقضاء السهرة ذهب كل منهم إلى صيوانه للمنام .

قال وفى صباح اليوم الثانى نهض كل من العسكرين على نية الحرب والقتال إلا ان الفرس كانوا على أهنى سرور وأنعم بال بخلاف الصينيين والهنود فانهم كانوا يعتقدون أنهم ذاهبون إلى الذبح لايرجعون ولم يكن إلا القليل حتى اصطف الصفوف وترتب الميئات والالوف وقوم كل سنانه وأخذ عنانه ووقف ينتظر أمر قواده وأمرائه وبينما هم على مثل تلك الحال وإذا بفارس الفرس بهزاد قد صار فى وسط الميدان وبين يديه الخدام والغلمان كأنه أكبر سلطان ثم أمر الجميع ان يرجعوا إلى الوراء وصال بعد ذلك وجال ونادى ان يبرز اليه كيوال وأخذ معه فى البراز والجدال بقتال يشيب رؤوس الأطفال ويذكر على مدى الأعوام والأجيال حتى حمى الحر وهو جر البر واتسع نطاق الأعمال وأوغرت صدور الرجال وكثر بينهم القيل والقال فبعضهم كان يدعو لبهزاد وبعضهم لكتوال وعند ذلك سمع من الاثنين صوت كأنه الرعد القاصف وكان صاحب ذلك الصوت بهزاد وقد ضايق خصمه كل المضايقة وفاجئه مفاجئة الاسود وأشهر بيديه

الحسام ونادى خذها ضربة من يد بطل الفرس وحاميها وسيد الأعجام وواليها . ثم أرسل الحسام فسقط يهوى على طارقة كتوال فشطرها وطيرها إلى قطع متعددة ووقع السيف على يده اليمين فقطعها ووقع إلى الارض كأنه طود من الاطواد وحينئذ حملت الفرسان على بعضها البعض طالبة الحرب وخلاص فرسانها وبقى القتال إلى المساء وكان الهنود قد توصلوا إلى رفع كتوال من ساحة القتال بلا يد ودمه يتدفق كأنه أنابيب المياه وفى المساء اجتمع به أخوه كيوال وقال له ألم أقل لك ان لاتبارز بهزاد فهو من أشد من سائر الفرسان والأبطال وماوأيت ولاسمعت قط بوجود فارس مثله قال انى تحققت ذلك وأوصيك يا أخى ان لاتبارز فارسيا بعد الآن بل اذهب إلى الملك شنكال واعرض عليه كل ما صار بنا واشك إلى اخوتك عظيم المصاب الذى لحق بنا واجتمعوا إلى أخذ ثارى فأنا هالك هذه الساعة لامحالة فلم يبق من العمر إلى قليله وانى أشعر بانحلال الجسم منذ هذا الوقت .

فبكى كيوال على أخيه وقصد مداواته فلم ينجح فيه الدواء ولكنه فارق الحياة ومات على دين النار محروقا بعذاب مقدرة الفرس فقام عليه البكاء والصياح من كل جهة وناح وعملوا له مناحة كبرى ثم دفنوه بالتراب وبعد دفنه ذهب جهان إلى صيوانه ودعا اليه مهريار وزيره وقال له أريد منك ان تنزل الآن إلى المدينة وتقيم على أبوابها مع الحراس هناك فاذا رأيت فى الغد وقد حمل علينا الأعداء وكسرنا إلى جهة المدينة فافتح لنا الباب ومتى دخلنا اغلقه وإذا وجدتنا لانزال بعيدين عن الكسرة وباقين فى مراكزنا فاترك الباب مقفلا كى لايدخل أحد قط غيرنا قال سوف تعلم ما يكون منى وها أنذا بعد قليل من الدقائق اجمع غلمانى وخدامى وأسير إلى المدينة وأهيىء كل ماهو لازم لدخولنا اليها ومتى جئت افتح لك بالحال .

قال ثم ذهب الوزير إلى صيوانه ودعى بالأشوب وقال له أريد منك ان تسرع بأسرع من البرق إلى صيوان فيروز شاه وتخبره ان بقصد الملك جهان ان يدخل فى الغد إلى المدينة وقد أعهد إلى بحراسة الأبواب ولذلك نويت ان لاأفتحها قط إلى ان يصل هو إلى الباب برجاله ولو مهما صار وانى سأترك بهمنزار وكرمان شاه وباقى الأمراء والفرسان الذين عندى ان يقيموا عندالابواب حتى إذاوصلتم لاقوكم وفتحوا لكم ومنعوا كل من يدافع عن ذلك . فاجاب سؤاله وسار حتى وصل إلى صيوان فيروز شاه وأخبره بما أرسله لاجله الوزير مهريار ففرح غاية الفرح وأيقن أنه سيدخل المدينة فى الغد وينال ماهو متشوق اليه وقال للأشوب بلغ مهريار سلامى وأوصه ان يحافظ على كلامه وأنا سأبذل الجهد إلى ان أطرد كل الصينيين عن الأبواب وأدفعهم عنها وأدخل قبل كل أحد . وبعد ذلك رجع الأشوب وأخبر مهريار بما

عمه من سيد الفرس وعليه فقد ذهب مهريار مع خدمه وطلب من الملك جهان ان يدفع اليه ونك لغرض يريد وهو ان يقيمه عند الباب وقت الدخول كي لايدخل أحد من الفرس إلا ويظهر أمره وتعرف حالته ويقبض عليه فاستحسن جهان كلامه وأمر ونك ان يذهب بمعية مهريار فسار وسار مهريار حتى جاء من الباب وأمر الحارس ان يفتح له ففتح ودخل ومعه ونك وهو يراقبه وقال له اذهب معى الآن إلى بيتى وفى الصباح نحضر إلى الأسوار ونشاهد مايكون من الفرس ومن قومنا فاجاب أمره وذهب معه إلى بيته فادخله إلى غرفة خصوصية وقال له ابق هنا إلى ان أرجع اليك ودخل على أمراء الفرس وسلم عليهم وحكى لهم عن نجاح قومهم وقال لهم أريد أولا ان تذهبوا وتقبضوا على ونك لأنى ما احضرته إلا لهذه الغاية لأسلمه إلى فيروز شاه وبهروز ثم أهدام على مكان وجوده فانقضوا عليه وأوثقوه كتافا وربطوه بالحبال وهو ينادى الخلاص وقد تأكد خيانة مهريار لمولاه واتفاقه مع الفرس .

ثم ان الوزير أمر خدمه ان يحضر خيلا وسلاحا ففعلوا وقال لرجال الفرس أريد منكم فى الصباح ان تكونوا على اهبة الحرب حتى إذا دعوتكم تسرعون إلى الابواب وتقتلون من هناك وتستلمون أنتم المداخل وأقيم أنا على الاسوار ومتى دعوتكم لفتحها فافتحوها لأنى لاأدع أحدا يدخل قبل فيروز شاه فاستحسنوا قوله وأملوا بنوال مراده وخلاصهم من هذا الاسر وكان أكثرهم فرحا وأشدهم سرورا فرخوزاد وكرمان شاه فان كلا منهما كان يؤمل ان فى اليوم الآتى سيلاقى ولده ويبل شوقه بالنظر اليه ولم يكن كرمان شاه يعرف ان ولده شيروه قتله منكوخان على أسوار المدينة .

قال وعند الصباح بكر فيروز شاه وهو مسرور الفؤاد ودعا اليه بهزاد واردوان وباقى الوزراء والأمراء وقال لهم لابد فى هذا النهار بمساعدته تعالى من الدخول إلى المدينة والجلوس على تخت جهان وهدم معابد النيران فليكن كل منكم على حذر وعلى نية الدخول وأمروا الخدم والعبيد ان تقلع الخيام لتدخلها معها فاطاعوا أمره وفعلوا ثم أمر الطبول ان تضرب للحرب والقتال وركب هو وتقدم فى الأول ودعا ولده ان يركب تحت علمه بموكبه العظيم وحواشيه وفرق الفرق وأقام القواد على الترتيب الذى اختاره وأخذ هو جماعة من الفرسان ومال بهم إلى ناحية الشمال على أمل ان يدرك الابواب قبل الجميع ويطرد الذين عنده ويملك المداخل قبل الجميع

قال وكان الاعداء قد ركبوا وفى نيتهم ان يتفرقوا فى ذاك النهار وكذلك كيوال فانه أوصى جماعة الهنـــود أن يتفرقوا ويذهبوا على طريق الهند ويتركوا

الصينيين لوحدهم مع الأعداء وقد أيقن أنهم هالكون بسيوفهم ولم يكن إلا مقدار نصف ساعة من الزمان حتى صاح فيروزشاه واندفع على الأعداء اندفاع السيول وتبعته الأبطال والفرسان وهم ينادون اليوم يوم الحرب والقتال واليوم بلوغ الغاية والمراد وانحطوا على جيوش الأعداء بثبات عزم وفرح لا يوصف واعينهم تضرب إلى ظهر الأسوار ليروا إذ كان مهريار قائما عليه فرأوه منذ الصباح وترجح عندهم نوال مايتمنون وجودوا الطعن وانقسموا إلى قسم وفرق وقد ظن قوم الصين ان الدنيا ملئت رجالا واينما ساروا راوا فرسان الفرس تلحقهم وتضرب فيهم وتقف فى وجوههم ولهذا انقرضوا وتشتتوا والووا عنان خيولهم وكروا راجعين إلى الوراء قاصدين ابواب المدينة وفى نيتهم ان مهريار يفتح لهم الأبواب لا سيما وقد رأوه واقفا ينظر إلى البر فوصلوا إلى تحت الأسوار وجعلوا ينادون ويصيحون به ويطلبون اليه ان يفتح وهو متجاهل ينظر إلى الوراء كأنه لم يرهم قط حتى ازدحمت الأقدام وإذا بجهان قد وصل مهزوما ففتحوا له الطريق واخبروه ان مهريار لا يفتح الأبواب فقال لقد اصاب إذ لا يقبل ان يفتح لاحد قبلى ثم صاح به ونادى بأعلى صوته يأمره بفتح الباب فلم يجبه قط ولا وعى اليه . هذا وفيروزشاه يقاتل ويضارب ويفرق الفرسان ويبذل الجهد إلى تفريقها وهى تفر من بين يديه كما تفر الحجال من البواشق وسد بهزاد فى وجوههم كل مذهب واهلك منهم قوما كثيرا ولم يكن فعل اردوان بأقل من هذا الشأن ومثل ذلك عموم امراء إيران وأبطالها الشجعان . ولما قطع الرجاء جهان من فتح الباب عول على الهرب لأنه رأى جيوش الفرس قد صارت قريبة منه فاذا ثبت مكانه استأثروه وقادوه ذليلا حقيرا وثبت عنده أن المدينة ستأخذ بعد دقائق فحزن كل الحزن وطلب النجاة وهو يرجو ان يخلص قبل ان يعلم به احد ولا زال هاربا وتسهل له الهرب إلى ان بعد عن المدينة وتبعه كثير من قومه وكذلك رجال المنرد مع كيوال فانهم تفرقوا من اول النهار وغابوا عن تلك الديار فشغل رجال الفرس عنهم بالدخول إلى المدينة لأن الأبواب قد فتحت عند وصول فيروزشاه اليها برجاله وقومه وفرسانه الصناديد

قال وكان مهريار فى صباح اليوم كما تقدم الكلام نهض إلى فرخوزاد وقال له خذ رفاقك واظهر إلى العيان بالمدينة وقف على أبوابها واقتلوا الحراس الذين هناك ومن قرب من الباب فاقتلوه واعدموه الحياة ولا تدعوا أحدا يقرب منه إلى أن اوعز اليكم فتفتحوها ليدخل قومكم فاسرع إلى الخيول مع قومه وركبوها وتقلدوا بنصولهم وساروا إلى جهة الأبواب والناس تنظر اليهم ولا أحد يقدر أن يقرب منهم حتى وصلوا إلى الباب فهجموا على الحراس وفرقوهم عنه والذى دافع قتلوه واستلموا المفاتيح

ووقفوا يهدرون كالجمال ويزأرون كالأسود وهم لا يصدقون بدخول قومهم المدينة ولبثوا إلى أن أشار اليهم مهريار بفتح الباب ففتحوه وإذا بفيروزشاه رأى الفتح فاندفع منه إلى الأسواق وتدفقت من خلفه بحور الرجال الزاخرة على كل نواحي المدينة وتفرقوا إلى الأسوار فملكوها واعتلوا على أسوارها وأمر فيروزشاه أن تنزل الأعلام الصينية عن الحصون والأبواب وأن تهدم كل الأبواب المسدودة وأن ينادى بالمدينة أنها دخلت فى حوزة الفرس وأن الملك عليها هو بهمن بن فيروزشاه فمن وافق فليحضر صاغرا ويبدى طاعته ومن امتنع كان جزاؤه الموت وفوق كل ذلك فانه أمر بهروز أن يذهب إلى معابد النار فيهدمها وينزل الأصنام فيكسرها ويحرق كل ما هو فيها ولا يبقى أثرا لغير عبادة الله سبحانه وتعالى فانطلق وفعل كما أمره سيده مع جماعته العيارين وهدم كل حجر قائم للعبادة ونزع عبادة النيران منها ورجع إلى سيده فأخبره بما فعل ففرح غاية الفرح وشكر الله . قال وكان فيروزشاه قد دخل مع ولده بهمن إلى قصر جهان وجلسا فيه ومعهما الوزراء والأمراء وأخذت الفرسان تتقاطر واحدا بعد واحد ويجلسون فى مراكزهم فرحين مسرورين بهذا النصر المجيد والفتح المبين فجلس بهزاد وإلى جانبه شيرزاد ودخل فرخوزاد وكرمان شاه وسيامك سياقيا وبهمنزار وغيرهم من الفرسان الذين كانوا داخل المدينة على الملك وسلموا عليه وعلى طيطلوس والجميع وهنأوهم بالنصر والفتح ونظر فرخوزاد ما بين الفرسان وفى نيته أن يرى ولده أردوان فلم يقف على خبره ولا وجده بين قومه فتعجب من ذلك وسأل عنه فيروزشاه وبهزاد والملك بهمن فتعجبوا لغيابه من بينهم وسألوا بعضهم البعض إذا كان أحد رآه فلم يره أحد فزاد كدرهم وغيظهم وخاف من أن يكون لحق به أذى أو ناله مكروه وحينئذ قال لهم شيرزاد إنى وقت القتال كنت قد رأيته يقاتل فى جيوش الهنود ويطاعن فى أقفيتها عندما طلبت الفرار وحيث قد فتحت أبواب المدينة لم أعد أراه وشغلت بالدخول لظنى أنه سيسرع ويدخل كغيره من الفرسان ولا أعلم إن كان بقى فى أثرهم أو سار إلى غير جهة . فقال طيطلوس إن صدقنى ظنى يكون قد تأثر وحده جيش كيوال فوقع بأيديهم وقادوه ذليلا لكثرتهم وطمعهم فيه أنه لوحده وأن فرسان الفرس منقطعة عنه وأخاف أن يحصل لنا بسببه أيضا عائق كبير ومانع عظيم فقال بزرجمهر إنى أرى من الصواب أن يسير بهزاد فى هذه الساعة ويأخذ معه خمسين ألف فارس ويتأثر عساكر الهنود قبل أن يصلوا إلى بلادهم أو يقدروا على منع أردوان عنا وإذا سار فى هذا الليل الآتى يقدر ان يدركهم فى الصباح لأنهم لا يسيرون بالليل فنهض بهزاد وقال لفيروزشاه ارجوك يا سيدى ان تسمح لى بما اشار اليه بزرجمهر خوفا من ضياع الوقت لأن لا عيشة لى بغير

اردوان ولا يطيعني قلبي ان لا أعرف مكانه واني اسير بهذه الساعة فاذا كان بين الهنود خلصته والا فاكمل عليهم وياهم وارجع افتش عليه فى مكان آخر قال سر بسرعة وخذ معك عياري بهروز وباقى الفرسان الذين تختارهم انت ولا ترجع الا به إذا كان بين الهنود

فنهض بهزاد حالا وركب جواده وانتخب معه خمسين الف فارس من اشداء الفرس وبين يديهم بهروز يسير كأنه فرخ النعام وخرجوا من المدينة وساروا على طريق الهند إلى ان كان المساء وعند المساء نزلوا إلى الأرض واكلوا وارتاحوا واطعموا خيولهم ثم عادوا إلى ظهورها فركبوها واندفعوا سائرين وفي اوائلهم بهزاد الأسد الكاسر يتمنى بشوق زايد ان يصل إلى عساكر الهنود ليرى ان كان اردوان هناك فيخلصه وبقى سائرا كل ذلك الليل إلى ان اشرقت غرة الصباح واضاء بنوره على البسيطة ولاح فتبين بهزاد ما امامه واذا بجيوش الهنود سائرة عن بعد قليل فصفق من الفرح وامر قومه بالمسير وسرعة الجد والتشمير فانقضوا كالجنادل وقلوبهم مملوءة فرحا املا بالوصول إلى خلاص اردوان

قال وكان كلام طيطلوس عن اردوان بمحله وبمكان الاصابة لانه لما وقع القتال واستعرت نيران الوغى جعل همه وشغله قتال الهنود على امل انه يقع بكيوال فيعدمه الحياة إلى ان انهزموا فسار فى اثرهم ثامل بعمله سكران بخمرة فوزه لا يعلم ما يجرى من غير جهة وأخذ فيه الطمع كل مأخذ عند ما رأى ان الهنود قد ركبوا طريق الهرب مسرعين لا احد ينظر الى ورائه وحدثته نفسه وبسالته ان لا يرجع عنهم حتى يفنيهم عن آخرهم وما مضى عليه نحو ساعتين من ذلك حتى بعد عن المدينة وتلك النواحي وشعر الهنود ان يتأثرهم لوحده وان قومه منقطعون عنه فاخبروا به كيوال فالوى عنان فيله وامر قومه ان يعودوا اليه باجمعهم وقال له اذا اسرناه نلنا به غايتنا وماتمناه ثم انهم انقضوا عليه واحتاطوا به من كل جهة وهو يطاعن ويضارب وينادى بندائه المعتاد انا اردوان ابن اخي بهزاد حتى التقى بكيوال فاخذ معه فى الطراد والنزال والفرسان تحيط به من كل جهة طالبة مسكه وهو يحاول من بينهم الخلاص وكلما صاح فيهم فرقهم غير ان كيوال كان يمنعه من اتساع المجال ويضيق عليه اى تضييق وقد تقدم معنا انه كان يحسب من ابطال ذاك الزمان واشدائه ولذلك بمساعدة الكثرة غلب على اردوان اذ قتلوا جواده فوقع إلى الأرض وانحدفوا عليه وبعد قتال ليس بقليل وقع بايديهم فشدوا اكتافه واوثقوه بالحبال وقادوه إلى امام كيوال ففرح به غاية الفرح وقال له اتظن انك تقدر على الخلاص بعد ان قادتك النار الينا غنيمة لناخذ منك بثار كتوال الذى قتله عمك بهزاد ولا بد ان اقتلك

به وادع عمك عروقا عليك كل العمر فقال له ويلك يا كيوال أمثلي يقال هذا الكلام فاقتلني فى هذه الساعة فالموت أهون لدى من أن أوخذ أسيرا وما أسرتني وحدك بل بكل قومك ولو كان معي من يحمي ظهري لكنت عجزت عن أن تدنوا مني أنت ولو كان برفقتك جموع الهنود وجيوشهم باجمعهم فاقصر الكلام وافعل ماأنت فاعل واكد ان لابد من أن يسير عمي بهزاد فى خلاصي ولو أخذت إلى داخل جبال قاف وياخذ لي بثاري ولو كان قاتلي سيف ابن زى يزن أو ابنه ضمر الجبار وقد شاهدت بعينيك فعاله ورأيت ماحل بك وبأخيك منه قال ان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ولذلك لابد من انقلاب الايام وإذاجاء عمك كانت تلك آخرته ثم أمر أن يوضع عليه الحرس ويحافظ من كل ناحية ولا يغفل عنـــه خوفا من أن يتخلص ولما أمسى المساء نزلوا عن خيولهم وباتوا فى تلك الناحية وهم آمنين من لحاق الفرس بهم لعلمهم أن لا أحد منهم عرف بانهم أسروا اردوان فصرفوا تلك الليلة للراحة من عذاب ذاك النهار وتعبه وفى الصباح نهضوا وركبوا خيولهم وقصدوا جهة بلادهم إلا أنهم ماساروا مقدار نصف ساعة حتى لاحت لهم أعلام الفرس تلوح من خلفهم وهم مسرعون الجرى كأنهم البواشق فقال لهم كيوال عودوا الى الحرب فاني لاأسلم بخلاص اردوان ولو مهما صار واني أسأل النار ان توصلني الى أسر غيره من الابطال الاماجيد المعدودين بين جيوش الفرس لنكون رجعنا منتصرين وما ضاع لنا تعب قط وفى الحال داروا رؤوس خيولهم والتقوا جيوش الفرس

فهذا ماكان من هؤلاء واما ما كان من رجال الفرس فانه بعد ان سار عنهم بهزاد سأل كرمان شاه عن ولده شيروه كما سأل فرخوزاد فقال له طيطلوس الا تعلم ان لنا إله رحمة وتعزية وانه هو الذى يبعث لنا بالاولاد وهو الذى يسترجعهم منا وأن وجودنا فى هذه الدنيا له ومنه وأخيرا اليه فهو القاضي والخصم عند القضاء لكنه لايحكم بغير الحق والعدل بكل ما يرضاه ويختاره وعليه فاني أخبرك باسف أن ولدك شيروه رحمه الله قد فقد وقتل على أسوار المدينة ظلما واشكر الله الذى قدرنا على اخذ ثاره فلما سمع كرمان شاه بموت ولده حزن جدا ولطم على وجهه من الحزن ولم يقدر على مقاومة الطبيعة ومدافعة الأميال البشرية التى تسلطت عليه والقته بغتة فى حجر الياس والكدر فناح نوحا اليس بقليل وطيطلوس وفيروزشاه وباقي الأمراء يصبرونه وما منهم الا من تذكر شيروه فبكى عليه وكان له مناحة عظيمة كبرى فى كل رجال الفرس الى ان كان اليوم الثاني وفى اليوم الثاني سأل الملك بهمن مهريار الوزير عن منكوخان اذا كان عرف بمكان وجوده فقال اني لا أعرف قطعيا. تركته مع جهان خارج المدينة قبل دخولكم اليها واذ ذاك تقدم بدر فتات

وقال للملك انى اعلم ياسيدى بحالته فهو مقتول الآن وشلوه بين المقتولين متروك لحرارة الشمس وعفار الارض . قال ومن قتله قال ان الذى قتله يا سيدى هو بهروز العيار وقد رأيته عند وصول سيدى فيروزشاه إلى قرب أبواب المدينة قد قصد الهرب والفرار خلف جهان فوقعت عليه عينا بهروز وهو من وراء مولاى فيروزشاه يطعن بخنجره كل من يقرب منه وإذذاك قال لى ابق مكانى يابدرفتات ولا تبارح قط سيدى فيروزشاه ثم قفز كالغزال متخللا الجيش حتى أنه أسرع من حصو الطير صار عنده فطعن جواده بسكينة القاة ماتنا ووقع منكوخان على أم رأسه فقضى عليه فشرحه بهروز وأذهب منه الحياة ورجع كالبرق وقد فعل كل ذلك بمدة لا تزيد عن الربع ساعة · فتعجب الجميع من عمل بهروز واشتفوا بمنكوخان وقال فيروز شاه لبدر فتات أريدك ان تذهب بين القتلى وتفتش على جثته فاذا وجدتها فاحرقها بالنار فأجاب أمره وفعله فى الحال ومن بعد ذلك أخذت الناس من سكان المدينة ورجالها ترد أفواجا أفواجا إلى حضرة الملك بهمن تقدم له طاعتها وتأخذ لنفسها منه الأمان وهو يهش ويبش فى وجهها ويمدح منها ويعرض عليهم عبادة الله فيصغون اليه ويسمعون كلامه لأنهم سروا من عدله وحكمه وكان بظنهم أن الفرس متى دخلوا المدينة نهبوها وأوقعوا بأهلها وفضحوا نساءها فشاهدوا عكس ماظنوا ورأوا أن الفرس يكرمونهم ويحافظون على راحتهم وما من أحد منهم تعدى على رجل من سكان المدينة أو حكى امرأة منها فعلموا انهم كرماء وان دينهم على حق يعلمهم الرحمة والعدل .

والآن نرجع إلى بهزاد فانه كما تقدم معنا الكلام انقض على جيوش كيوال وهو يصيح وينادى ويلكم أوغاد غير أمجاد قد جاءكم البطل بهزاد أين تغدون منى أو تفروا من أمامى ثم أشهر بيده الحسام وتبعه قومه وفى دقائق قليلة اضطرمت نيران القتال واتسعت بالاشتعال وعمل السيف القرضاب فى موقع الصدور وحكم الرقاب وكانت ساعة تشيب الأطفال بطل فيها القيل والقال . وشغل كل فارس بالجدال . وبقى على مثل هذا المنوال . وبهزاد يطاعن فى صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال ويصيح فيشردها بين الروابى والتلال إلى ان التقى بكيوال · وهو على ظهر الفيل يزأر كاللبوة الفاقدة الأشبال . ففرح بملتقاه وصاح به وناداه وقال له ويلك قد آن أوان رحيلك من هذه الديار فاستعد لشرب كاس البوار ثم أخذ بالجولان . واختلاف الضرب والطعان كأنهما كفتا ميزان . أو بيضتا قبان . وبينما هما على مثـــل ذلك الشان . والفرسان تسعر نار الحرب فى كل مكان . وإذا بصوت البطل اردوان ينادى بين أولئك الشجعان . وينقض انقضاض فروخ الجان . ويطعن فى الصدور فيخرقها ويضرب فى النحور فيشقها .

قال وكان سبب خلاصه انه لما قام سوق الحرب والطراد كما تقدم معنا الايراد اندفع بهروز العيار واغتنم فرصة انشغال القوم وهو مستل بيده خنجره واخترقهم الصفوف من ناحية إلى ثانية مفتشا عن مكان وجود اردوان إلى أن وقع به وهو مقيد الأيدي والأرجل محاط بجماعة من الفرسان الذين وضعهم كيوال لمحافظته فصاح فيهم وقال لهم ويلكم خلوا عن اردوان وإلا حل بكم الويل والهوان . فقد جاءكم بهروز العيار فنزل بالأعداء المصائب والاكدار وجعل يخترق صدورهم وينخطف من واحد إلى واحد بأسرع من البرق حتى أعمى بصائرهم وضيع عقولهم وانقطعت ظهورهم عند سماعهم ذكر اسمه ومشاهدتهم لأفعاله فتركوا اردوان وبعدوا عنه طالبين الحياة والنجاة فأسرع اليه بهروز وقطع عقاله وقال له أبشر يا سيدي بالخلاص فان الذي أسرع لأجل خلاصك عمك بهزاد وهو يقاتل الآن ويناضل ويبدد الفرسان ولا يلبث ان يفرقهم ويبدد شملهم فلما سمع هذا الكلام قفز عن الأرض إلى ظهر جواد هناك دون أن يبدي كلمة وسأل بهروز ان يقدم اليه سلاحا من أسلحة المقتولين ففعل ومن ثم انطلق انطلاق الصاعقة ورمى بنفسه على جيوش الهنود وهو ينادى باسمه ويعرفهم بخلاصه حتى أرعبهم وأيقنوا بالهلاك ولولا ثبات كيوال مع خصمه بهزاد لطاروا فى النواحى واختفوا من أعين رجال الفرس غير انهم ثبتوا لثباته العجيب وقدموا انفوسهم ضحايا لسيوف الأعداء فالتهمتهم مزيد الالتهام واختطفت أرواحهم من الأبدان .

قال ولما سمع كيوال أصوات اردوان عرف انه تخلص ورجع إلى القتال فوقع من أجل ذلك بأسوأ الأحوال ولحق به الخوف والانذهال واحتار أى طريق يسلك وفى أى مجال . وفيما هو على مثل ذلك وإذا ببهزاد قد صاح فيه وحمل عليه وضربه بسيفه فوقع على وسط الزنار أبراه كما يبرى الكاتب القلم ووقع عن فيله كالطود المدد ولما رأت فرسانه ما حل به طلبوا الفرار طمعا بالخلاص من الموت والاندثار فتأثرهم بهزاد واردوان وباقى الأبطال والفرسان وجعلوا يضربون بأقفيتهم حتى بددوهم كل مبدد وفرقوهم كل تفريق وشتتوهم كل تشتيت ورجعوا بعد ذلك عنهم وجمعوا الخيول والاسلاب وهنأ بهزاد اردوان بالخلاص وقبله ما بين عينيه فشكره على اهتمامه به وعادوا راجعين بالنصر والظفر إلى ان قربا من المدينة وبلغ الخبر الملك بهمن بوصول بهزاد كاسبا غانما وخلاصه لأردوان ففرح مزيد الفرح وأرسل بديطرس وبزرجمهر وزيره وجماعة من الأمراء والأعيان لملاقاة بهزاد واردوان وان تخرج الجوقات العسكرية والموسيقات السلطانية وان يجرى احتفال لملاقاتهما عظيما كما يوجب فخرج الجميع حسب أمره وخرج فرخوزاد وهو لا يصدق ان يلاقى والده ويشاهده بخير

وعانية إلى أن اجتمع به قبل الجميع فارتمى عليه وجعل يقبله وهو يذرف دموع الفرح والاستبشار فجعل أردوان يقبل يديه وصدره ويبكي ويقول له أصحيح يا أبتاه أني أراك وأخاطبك وبعد أن جرت الملاقاة على أحب ما يرام رجع الجميع بالدفوف والطبول وهم يثنون على بهزاد إلى أن دخلوا المدينة وجاءوا قصر جهان المقيم فيه ملوك الفرس فدخلوه وحينئذ لاقاهم الملك بهمن وفيروزشاه إلى خارجه وقد كان مشغل البال على أردوان لا يصدق أن بهزاد يتوصل إلى الوقوف على خبره بأسرع آن إلى أن بلغه رجوعه ولما رأى بهزاد مدحه وشكره وقبله بين عينيه ودام الفرح عاما إلى أن جاس كل إنسان بمركزه ومن ثم جعل بهزاد يحكي لهم ما كان من أمره وكيف قتل كيوال وفرق من كان معه من الرجال فقال له فيروزشاه إن أعمالك بيننا لا تنكر فأنت اكثر ما تقول وتقدر ان تفعل بيوم واحد ما لا يفعله غيرك بأعوام ثم عملوا عيدا عظيما احتفالا بدخولهم المدينة ونصرهم على الأعداء بعد صرف مدة سنين قدموا غاية الشكر لله سبحانه وتعالى .

قال وبعد دخولهم المدينة بايام اى عند ماراق بالهم وهدا روعهم واطمئنوا من جهة تدبير المدينة وتقرير احوالها جمع فيروزشاه بمجلسه الخاص والدون وقال لهم لا تخفى ان كل واحد منكم يعلم ما اتى اخ سعدان لأجلي ولأجل قومي اى انه تعذب العذاب الأليم من ذلك وقتل ولداه دون ان يسلمنا أو يشهر امرنا ولهذا اريد ان اكافئه مكافأة يستحقها ومثله فيرموز غير انى قبل كل شيء اريد ان احكم اخ سعدان مكان ولدى بهمن يوما واحدا واعهد اليه بأمر عدوه يفعل به مايشاء ويكون كل الأمر بيده يفعل ما يختار فقال له طيطلوس من كان مثل اخ سعدان لا يترك بلا مكافأة ولا ينسى قط ثم إن فيروزشاه احضره اليه مع فيرموز وترحب به غاية الترحيب واجلسهما بين وزرائه وابناء عمه . ثم نهض واقفا وقال لولده بهمن إنى اريد ان ارفع التاج عن راسك هذا اليوم وانزع خاتم الملك من يدك واسلم بصولجانك إلى اخ سعدان ليكون الحاكم فينا والآمر علينا عسى من غاية له يريدها فنجريها طاعة له على السرعة والاستعجال . فاجابه بهمن بالطاعة وقال له انت ابى ومن حقك عزلى وتوليتى فافعل ما انت فاعل فوقف فى الحال ووقف لوقوفه كل من كان فى المجلس وتقدم من ولده فرفع التاج عن راسه ووضعه على راس اخ سعدان وهو يمتنع ويرجوه ان لا يفعل إذ لا يستحق هذه النعمة ثم اجلسه على كرسي ولده بعد ان وشحه بالوشاح الملكي واصبح الحاكم والمالك بكل دولة الفرس ومن يتعلق بها وبارك له جميع الحاضرين وهنأوه ثم إن فيروزشاه امر ان يؤتى به لك العيار من السجن إلى ذاك المجلس مقيدا ففعلوا وجاءوا به اسيرا حقيرا إلى ان وقف بين يدى اخ سعدان

وهو بحالة يرثى لها وقد أيقن بالهلاك والممات وثبت فى ذهنه كل الثبوت أنه ما جاء إلى مثل هذه الدعوة إلا للانتقام ولما صار فى الوسط اضطرب جميع من لهم عليه الثأر ثم ولا سيما سيامك ومصفرشاه لأنه عذبهما وإذ ذاك نهض فيروزشاه ووقف بين يدى أخ سعدان وقال له هذا عدوك الآن بين يديك تفعل به ما تريد وتختار وقد أحضرته لتأمر بموته على الطريقة التى تختارها ولا لزوم لمحاكمته لأن كل فرد من أفراد الرعية يعلم بارتكاباته العظيمة التى ارتكبها ضدك وضد أمراتى وأولادعمى وما منا من يعارض فيه فاحكم أنت لنفسك بما شئت وعلينا إنفاذ حكمك .

قال فأطرق أخ سعدان إلى الأرض برهة ثم رفع رأسه وقال لاخفاكم أيها القوم من وزراء وأمراء وأعيان أن هذا ونك قد عذبنى عذابا أليما وأمات لى ولدين وتركنى إلى الأبد محروما عليهما وعليه فان قصاصه رحمة وعدل فأجابه الجميع إن موته من الفروض الشرعية والواجبات العدلية وما من أحد إلا ويعلم بخباثته ورداته . ثم قال أخ سعدان إن سيدى فيروزشاه أعهد إلى بزمام الأمر فى قصاصه فلو قتله هو لكنت راضيا وأشتفى بموته إنما الآن أرى أن جلوسى على مثل هذا التخت المعروف بالعدل والرحمة يحتاج إلى النظر بالحلم والعقل وعليه فانى لا أريد أن أقاص بنفسى عدوى بل أحب أن أتركه وأسامحه وأنسى كل ما فعل لأجلى فلما سمع فيرموز وسيامك ومصفرشاه هذا الكلام انفطرت مرائرهم وانشقت أكبادهم ولعب بهم حب الانتقام ولولا هيبة فيروزشاه لنهض سيامك وقطعه بسيفه ثم إن طيطلوس قال اعلم ياسيدى الملك أن الرحمة مثل هذا الرجل ظلم وأن الله سبحانه وتعالى يأمر بقتل القتلة والشريعة فى كل المذاهب تأذن بقتل القاتل عمدا فكم بالحرى هذا الذى تعمد قتل ولديك وزوجة فيرموز وعذب قومنا وما من حسنة له فى العالم تذكر فتشفع به عن جناياته . فقال أخ سعدان إنى أعرف ذلك لكن ان مولانا فيروزشاه أعهد إلى بأمره لتأكده أن أكبر جريمة ارتكبها ضدى وأنا أرى من نفسى أنى خصمه الأكبر وعدوه الألد والشريعة لاتأذن الخصم أن يكون حاكما فلو أمرت بقتله أكون ظالما وماسبق أن سمع عن صاحب عرش الفرس أن ظلم أحدا وما وقد سبق منى أمر العفو فلا أرجع عنه ولو كان أمره بغير يدى وحضرت وإياه أمام حاكم آخر لما طلبت غير قتله وسألت ذاك إنصافى منه أما الآن فأنا الخصم والحاكم : وفضلا عن ذلك فارغب أن يقال عنى أنى بعد أن كنت قادرا على أشد الناس عندى بغضا وعداوة عفوت عنه والعفو عند المقدرة سيمة بالكرم لاينكرها أولوا الألباب .

وكان يتكلم بمثل هذا الكلام وفيرموز يتكدر من كلامه ويغتاظ مما يسمعه منه ولا يقدر أن يبدى كلمة لعلمه أنه المالك وأنه لا يقدر أحد على ممانعته . وبعد هذا

قال فيروزشاه ما من وسيلة لارجاع أمر أخ سعدان وحيث قد عفى عن ونك فذاك جائز ومقبول من كل بجلسه فأجابه اليه الجميع . وفى الحال أمر أخ سعدان بهروز أن يفك وثاقه ويطلق سبيله فاجاب بهروز فى الحال أمره وتقدم من ونك وهو يضحك مظهرا عدم اكتراثه بذلك وبعدأن حل وثاقه قال له لاتفرح بهذا الخلاص فانى أعرف أنك لابد من الرجوع إلى أطوارك الخبيثة وسوف ترتكب جرما آخر تموت لأجله ويكون موتك من يدى إذأنى لا أنسى لك جريمتك ضدى ومارتكبته بسرقتك لزوجتى وهذا سيبقى إلى حين انتقامى منك . هذا وونك لا يصدق كل ما يسمع ولا يعلم نفسه هل هو بحلم أم فى يقظة وهل ينتهى خلاصه أم لا إلى أن فك بهروز كتافه وأطلق سبيله فكاد يطير قلبه من الفرح وتقدم من أخ سعدان يقبل يده فمنعه وقال له اخرج الآن فى الحال ولا ترنى وجهك بعد الآن فخرج مسروراً فرحا وهو يقول لنفسه ماذاجرى أن هذه رحمة من النار أهل خلصت من القتل نعم خلصت وهنذا مطلق الايدى والأرجل أسير لوحدى املك حريتى لا احد يعترضنى بأمر او يطالبنى بجريمة وبقى سائرا إلى ان وصل إلى بيته فدخل وجلس مفتكراً فى حالته وسأل نفسه ثانية إلى اين يذهب وماذا يعمل وإذ كانت نفسه خبيثة ظالمة وقع بالارتباك العظيم بسببها ثم حدثته ان يذهب فى اثر سيده جهان ويبحث عنه فى اى مكان فيقيم عنده غير انه فكرفكرا مشئوما وقال لا يجب ان اذهب الآن مالم اترك اثرا فى ملوك الفرس يذكروارى بهروز كيف يقدر ان يقتلنى بيده وينفذ غايته فى ويظن ان الجرة فى كل مرة تنزل إلى البئر وتخرج سالمة واقام يترقب الفرص لاجراء مانواه . وانعم فيروزشاه على اخ سعدان وفيروز بالأموال الغزيرة واخصهما بالضياع الكثيرة وجعلهما من اخصائه .

قال وقد سبق معنا قبلا ان لجهان ملك الصين بنت اسمها شمس وكانت بديعة بالحسن الفائق النادر المثال وكاملة بكل اطوارها واميالها مهذبة فصيحة وكانت تسأل اباها على الدوام ان يصالح الفرس ويتفق معهم والظروف تعاندها بارادتها وابوها لا يرى وسيلة لاجابة سؤالها إلى ان كانت ذات يوم وهى جالسة بقصرها وموقعها تجاه دار الاحكام التى كان لابيها وصل اليها الخبر ان الفرس افتتحوا المدينة بعد كسرهم جيوش ابيها واخذوا يدخلونها ويتملكون اسوارها واما كنها فتكدرت فى داخلها وقالت إنى كنت خائفة من وقوع مثل هذا الأمر إلا انها تجلدت وقالت لقهر ماتها وكانت سوداء واسمها خاطرة إنى اريد ان اجلس مختفية فى إحدى طاقات قصرى اترقب دخول الفرس إلى دار احكام ابى لانظرهم وارى ابطالهم وفرسانهم وملوكهم قالت اجلسى فى الطاقة واتركى ستارها وانظرى من خلاله وإنى اجلس إلى جانبك لأرى انا ايضا ذلك . فدنت

من النافذة المطلة على دار الاحكام ونظرت الى الأسفل فوجدت الناس تتراكض من جهة الى ثانية والمدينة باضطراب عظيم والأصوات مرتفعة من كل ناحية وبقيت جالسة وهي تتأثر من كل ما ترى وكان حبها لوطنها ولأبناء جنسها قائم على الدوام في داخلها وبينما هي على مثل ذلك إذا بجماهير الفرس قد اقبلت إلى تلك الجهة وهي تتقدم صفوفا صفوفا فوجهت بكل انظارها اليهم وهم يمرون ويصطفون خارج دار الحكومة إلى ان وصل الموكب الأكبر وهو محفوف بالأبطال والفرسان المشاهير وهم يرمجون بالأسلحة كالكواكب وفيما هي تنظر رأت اولا فيروزشاه تقدم من الباب ونزل عنده عن جواده واسرعت الخدم واخذت الجواد ومشت بين يديه فعرفت انه من اعظم الفرس واكبرهم لأنه دخل قبل الجميع ولم يدخل احد قبله وقالت لقهرمانتها إني ارى الذي دخل من السادات والملوك العظام الا انى لا ارى على رأسه اكليل الملك وهو لا ريب ابو الملك بهمن الذي يقال انه لا يزال بسن الصبوة ومع انه بسن لا ينقص عن الاربعين منه فهو جميل الوجه للغاية ذو هيبة ووقار لم ارقط بين رجال الصين مثله قالت نعم انى ارى ذلك كما انى ما رأيت قط رجلا من كل الذين مروا الا وعليه سمة الحسن مما ياخذ بالأبصار والافكار فهذا عند قولك هو فيروزشاه .

وفيما هما تتكلمان نظرت شمس الى شاب جليل القدر جميل الخلقة معتدل القوام بسن الفتوة لم ينبت نبات بعارضيه وعلى رأسه تاج من الجواهر يضيء ويلمع كانه كوكب قد تقدم من الباب فتراكضت الابطال والفرسان ما بين يديه فانزلته عن الجواد الى الأرض ودخل من الباب بعد الأول ومن ثم اخذت الفرسان من بعده تدخل افواجا افواجا بترتيب ونظام . ولما رأته شمس عرفت انه الملك بهمن الا انها جمدت في مكانها تنظر اليه ضائعة العقل وقد اخذت بحسنه وجماله وضاع عقلها على غير قصد منها وارادت ان تحاكي قهرمانتها فانعقد لسانها في الحال وخافت ان يضيع الوقت بذلك فتفوتها لحظة من النظر الى جماله وبقيت على تلك الحالة وقلبها يخفق ويهلع وكل جوارحها تتحرك وتحن الى تأثر الملك بهمن وبقي شخصه مقصورا امام عينيها وكلما مامضت دقيقة زادت بها الحال حتى لحظت منها ذلك قهرمانتها ورأتها على غير الاستواء فقالت لها ماذا جرى لك يا مولاتي ومن اي سبب لحق بك هذا الاضطراب فلم ترض أن تكتم عنها امرها لعلمها ان الاباحة بالحب تخفف من مصائبها وان خاطرة قائمة على الدوام بخدمتها كاتمة لأسرارها لا ترض لها الا ما ترضاه هي لنفسها فقالت لها هل رأيت هذا الشاب الجميل الذي دخل الباب . قالت رأيت الجميع فكلهم جميلون وبديعون فأيهم تعني قالت ذاك الذي كاله الله باللطف والجمال واخصه بكل أنواعه الذي دخل بعد الأول محفوفا بجيوش

الحسن العجيب معظما مكرما . قالت نعم رأيته ويظهر من حالته أنه ملك القوم وسيدهم وابن سيدهم . قالت أصبت فهو الملك ويحق له أن يكون ملكا لقد أخذ عقلي بحسنه وما كنت أظن أن نظرة واحدة تفعل بي ما فعلت وإني أريد أن أغيب عن ذهني ما رسم به من صورته فلا أقدر وقلبي يقود بي ويسألني إلى أن ألقي رجائي عليه وأجعله حبيبا لي وسيدا . قالت القهرمانة أنك مصيبة بذلك من جهة نفسك لكن لا نعلم إذا كان نفسه يقبل ذلك ويرضاه قالت إن كان لا يسهل لي ذلك فالموت لا يبعد عني نعم إني أرى من نفسي أن لي قوة فوق العادة أقدر بها أن أتغلب على مفاعيل الطبيعة وأطرد من قلبي كل سلطة تريد أن ترغمني وتحملني أثقالا لا عيار لها إنما لا أرى لي سلطانا أن أدفع مثل هذه القوة بل أشعر من نفسي أني مضطرة إلى التشفق على نفسي والسعي راكضة بجد واجتهاد خلف هذه السعادة العظيمة ولا رأيت أن الدهر يأتي بما ليس في الحسبان فهو شاب جميل جدا وملك مهيب من أكبر ملوك هذا العالم وأعظمهم ملك من الشرق إلى الغرب بسيف أبيه فيروزشاه فهل يتسهل لي أن أكون حاصلة عليه نعم لا بد أنه متى رآني يهيم بي فقلبي يخبرني بهذا ولا يمكن القلب السليم من الرياء والغش أن يخدع بصاحبه أو يكذبه إني بنت ملك وإني أعاهده بعبادة إلهه ومعبوده حق العبادة فكيف لا يقبل بي ثم إنها تنفست الصعداء من قلب ملتهب ودفعها غرامها الجديد إلى أن تتسلى بالشعر وتصف جماله فأنشدت :

لو كنت أطمع بالمنـــام توهما	لسألت طيفك أن يزور تكرما
حاشـــا صدودك أن تذم فانها	تحلو لدي وإن أسيغت علقما
فاهجر فهجرك لي التفات مودة	ألقاه منك تحننا وترحما
عذب فؤادي بالذي تختاره	لو كنت منسيا تركت وإنما
لو لم تكن بغبار طرفك كحلت	عين الغزالة صدها وجه الدما
هات اسقني كأس الملامة عاذلي	وأدر على حديثـــه مترنما
فاذا ذكرت لي الحبيب يكاد من	طربي يقبل مسمعي منك الفما
إني لأعشق في هواه عواذلي	شغفا به وأود فيه اللوما
سرق الرسول بلحظه من وجهه	حسنا أبى عن ناظري أن يكتما
بدر من الأعجام لما أن بدا	ترك البدور ترى لعينك أعجما
تسقي لواحظه العقول مدامة	الصحو منها لا يزال محرما
ملك من الايمان جرد صارما	بالحق حتى الكفر أصبح مسلما
لم تخط آساد الفلا في عهده	بين الشقائق خفية أن تتهما

عقد النثار على العداة سحائبا لولا الحيا لسقى السما منها دما
لو يرتضى حمل السهام لغارة لرأيته اتخذ الكواكب أسهما
ان شاء ان يهب الملوك لبعض ما فى رقه مستحرقا لتبرما
تب يازمان فان ذكرتك عنده من قبل أن ينهاك عن توهما

وقفت تنشد والدموع تنسكب من أماقيها لا تعرف الشدة شوقها أو لعظم فرحها بتعلق قلبها بحب ملك عظيم كالملك بهمن بن فيروز شاه ودامت على مثل هذه الحالة أياما وهى تقاسى عذاب تلك المحبة وفى كل يوم تجلس فى تلك النافذة من الصباح إلى المساء أى عند وروده إلى دار الحكومة وعند مبارحته اياها وقد تأكد عندها كل التأكيد أنه الملك بهمن وعرفت جميع فرسان الفرس واحداً بعد واحد وفى كل يوم تبعث بجاريتها خاطرة تتجسس لها أعمال الفرس فى المدينة ومايفعلون وهى تعود اليها فتخبرها بكل ما يجرى ويصير من العدل والحلم والرأفة وفى كل يوم تقول لها يا سيدتى اذهبى بنا إلى الملك بهمن لتعرض عليه حالنا وليكون عارفا بنا وشمس تمتنع وتقول لها لابد من ذلك لكنه يوافق الآن لأنه لا يزال مشغولا بتدبير المدينة وتقرير بعض أمور لا بد له من تقريرها ومتى تأكدت رواق باله وهدو حاله وخلو فكره من كل شاغل سرت اليه ودامت هذه الحالة حالتها تنتظر الوقت المناسب إلى ما بعد جلوس أخ سعدان بيومين إذ تأكدت أن الفرس أصبحوا على البسط والهناء ولم يبق من أمر يكدرهم وحينئذ دعت بقهرماتنها خاطرة وقالت لها انى أريد منك أن تستعدى فى هذا النهار للذهاب إلى الملك بهمن إلى دار الاحكام نعرفه بنفسنا ونعرض عليه حالنا ونطلب منه الأمان قالت ان هذا الذى تطلبينه لا أراه موافقا فذهابك اليه وهو فى مجلسه لا يأتى بالمرغوب بل يلتهى عنك ولا يمكن أن تشرحى له حبك . قالت انى لا أحب أن أذهب اليه إلا وهو فى مجلسه حفظا لشرفى وناموسى كى لا يظن بى الطيش والخفة لأنه حكيم عاقل تضرب بآدابه الأمثال ولا أبوح له قط بحب ما لم أره قد وقع مثلى بالحب وظهرت على وجهه ملامح الهوى التى لا تخفى قط على كل ذى بصيرة . ولا بد أن أرى نفسى لأبيه ولقومه دخيلة مستجيرة فيرثون لحالى ولا بد أن الصدف تقع موقع القصد فيكون لنا كل ما نطلبه . فأجابتها قهرماتنها وسلمت بارادتها وتهيئت للسير معها ولبست شمس لبسافاخرا مزينا بالكمال والوقار وكتبت كتابا وضعته فى جيبها وخرجت من قصرها ومشت إلى باب دار الاحكام فوقفت هناك وأمرت خادمتها أن تدخل إلى الداخل فتدفع الكتاب إلى بهمن وتسأله الاذن بدخولها وأن يسمح لها بمقابلته . فأخذت التحرير وسارت حتى وقفت بباب الغرفة المقيمين فيها وسألت الحاجب أن ياخذ لها بالاذن لتدخل ففعل

ودخلت خاطرة إلى أن وقفت بين يدى الملك بهمن وقالت له بصوت مرتفع مسموع من كل من فى المجلس انى رسولة يا سيدى من خصيصتك شمس بنت الملك جهان وهى واقفة بالباب الخارجى تنتظر صدور أمرك بدخولها لتقبل أياديك وقد سلمتنى كتابا ادفعه اليك. ثم سلمته الكتاب فاخذه منها وهو مضمخ بالطيب ونظر فى عنوانه فوجده مكتوبا بخط جميل لم ير مثله قط فانبهر به وإذا يرى مكتوبا عليه اسمه واسم أبيه فيروز شاه فدفعه إلى أبيه فقرأه ودفعه إلى طيطلوس وكل منهم يعجب من حسن الخط. ثم فتحه طيطلوس إذ تأكد انه لم يكن خصوصيا وإذا فيه :

من لذلى وحيرتى والتهابى ولدمعى الهامى وقلب المذاب
ولتسالى الربوع دموعا بالآماق من غير رد جواب
ووقوفى بكل باب وقد كا ن وقوف العلا على أبوابى
يتمنى الفخار لو كان طرفا امتطيه والمجد لثم ركابى

وقفت بابواب حلمك انتظر اذنك وأدمعى تنسكب حزنا على حالة ألمت بى فابعدتنى عن أبى ولم تبق لى محط آمال أتوكأ عليه لدى شدتى أو مرمى رجاء أصوب اليه باغراضى تركت أياما على دست الاضطراب متروكة أتقلب وأرقب من وصواص ستار الزمان ما سيظهر لى بجلاء من خلفه حتى أشرقت شموس كرامتكم فى آفاق السعادة فطأطأت رءوس التوفيق ساعية لخدمتكم راغبة أن لا تفارق ركابكم علما منها بانكم مصدر أشعة الفضائل وينبوع غزارة السجايا والمآثر حققت الحق وسبرت الصدق فاذا أنا على ضلال مبين نفورة إلى التمسك باذيال الاله الذى يقدر على اجابة من يدعوه فيعطى مناديه ما يرجون لا حساب ولا غرض رغبت به مندفعة بصفاء النية والباطن لا لغش ولا لغرض ذاتى. قلبت الكتب وتصفحتها فلم تخفف على خفايا زواياها بل ظهر لى ظاهر الحق وباطنه حتى كرهت كل مادة معبودة ورأيت احتياج المرء بالتمسك عن اضطرار بالجوهر والمبدأ الواحد. فانا وربك على دينه.

ثم وما وقفت وقفة الحزن والكآبة عند أعتاب أبوابكم إلا طمعا بان يكون لى من الشرف الأكبر ونصيبا من السعادة العظمى كنت وحيدة لأبى فى حجره والآن وحيدة فى حجر المصائب والأكدار لا أعرف أيتيمة أنا أم لا أمقطوعة من النصير والمساعد أم لى من يحيط بالتفات هالة شفقته بى وحنوه. وأخيرا وجدتك أنت النصير المساعد المغيث المؤمن. فاتتت على قدم الحياء ولولا ثقة كبرى برحمتكم بى لذممت زمانا أخرجنى من عرش الدلال إلى حضيض الاذلال ان ذلك إلا بأمر ربك يفعل ما يشاء. كتبت لك بيدى هذه منتظرة اشارة منك توصلنى الى ما بين أيديك لأنال السعادة وأحظى بأمرك بالتأمين على نفسى وان تبقى كرامتى محفوظة

تحت عنايتك فأنا أعرف فضل الفرس وحسن مآثرهم وسألت أبي كثيرا أن يجهد نفسه إلى مصالحة أبيك العظيم الشأن فعاندته الظروف ولم يتسهل له أن يترك ثار منكوخان ولا أنسب لأبي بذلك الجهل بل ان أمورا قدرت عليه من الله لمصاوته اياه وادعائه الألوهية كي يعرف من نفسه أن الحق لا يغلب . أقبل دخولى عليك وعلى الله تدبير أمرى وتدمير قهرى وانى مستجيرة بك وبابيك غوث الملتجئين وملاذهم ومقصد العفاة ومجيرهم وهو

ملك يجيب سؤال كل مؤمل ... ومجير من خطب الخطوب من استجر
فالى سناه البدر فى الليل الدجا ... وإلى نداه الغيث فى المحل افتقر
ان هب فى الهيجاء هبت ثائر ... هبت رياح لا تبقى ولا تذر
وإذا علا فى المجد أعلا غاية ... قالت له النفس الابية لا وزر
قاسوا نداه بالسحاب فاخطأوا ... أيقاس طوفان المكارم بالمطر
ما أسمرت بالهام سمر رماحه ... الا لأن الغصن يعشق بالثمر
كلا ولا لمعت بوارق بيضه ... الا لتحرق بالأشعة من غدر
يا من يروم لحاق شأو علاته ... اقصر فليس العين تلحق بالأثر
مولاى يا كهف الملوك ومن حوى ... بأسا تذل له الأسود وتحتقر
حزت الفضائل عاصبا لاغاصبا ... والحق اورثك النفيس المدخر
فلك السلامة والكرامة والمنا ... ولك السعادة والبقاء المستقر

« دخيلتكم شمس بنت جهان »

ولما فرغ طيطاوس من قراءة هذا التحرير سر منه فيروزشاه مزيد السرور وكذلك الملك بهمن شعر من ذاته بانعطاف طبيعى فى داخله إلى اجابة سؤالها واشتقاق فى ذاته رؤيتها ليرى باى مركز هى من مراكز الحسن وهل ان فصاحتها وبلاغتها وما وقف عليه فى تحريرها من العبارات الرقيقة وما رآه من حسن خطها مقرون بالكمال ومشفوع بالحسن المطلوب وبعد ذلك امر الملك بهمن بدخولها فاسرعت اليها القهرمانة واخبرتها فدخلت بوقار وحشمة ووقفت بين يدى الملك وهو محدق بها ماخوذ مما شاهده من جمالها . وكذلك كل من رآها تعجب من جمالها وسبح الله سبحانه وتعالى على ما اعطاها واحدق بها فيروزشاه مندهشا بها وهو يشخص بذهنه جمال زوجته عين الحياة وبهاها ايام كانت بقصرها فى تعزاء اليمن ولم يعد يقدر ان يرفع بنظره منها ويحوله . عنها فعرفت هى ما حل على الملك بهمن وابيه وقومه من الاعجاب بحسنها وكبرت نفسها بقدر الامكان واطلقت لسانها بفصيح عبارة فعلت بالعقول اكثر مما فعل جمالها وقالت حيى الله سيدى الملك الرفيع المقام العالى

الشان وأسبغ عليه من رحمته سوابغ النعمة والاحسان ان عبدتك شمس بنت جهان المطرود المهان قد أتيت إلى هذا المكان . راجية العفو والأمان . والتمسك بأذيال كرامتكم والتعلق بحبال مجابرتكم فهل يصادف رجائى هذا قبولا نعم يصادف وإن كنت لاأستحقه لعلى ان لكل امرء الحق بحملكم والنصيب بنزارة لطفكم وماأناإلا واحدة من الجوارى المعدات لخدمتكم وان كنتم لاتعلمون بى . ثم صبرت تنتظر الجواب وهى مطرقة إلى الارض وقد تقدم معنا ان الملك بهمن كان حكيما عاقلا فتغلب على أميال قلبه وأجابها بثبات قلب ورصانة وقال لها اننا مقصرون بالسؤال عنك منذ البداية حتى جئت الينا فعلى الرحب والكرامة فأنت أعز الناس عندنا وأحبهم فرى مكل ماتريدين فنقضيه على الرأس والعين لأننا لانحب إجحادك حقك وأنت سيدة بنت سيد وملكة بنت ملك وقد أعطيت من فصاحة اللسان وكرامة الطباع والحسن الباهر مازينك به الله وفضلك على سواك قالت انى أريد أن ابقى أمينة تحت لوائك مظللة بظلك وإذا وفقنى الله وعرفت مكان أبى وسعيت بينكما بالصلح والسلام وان تعفو عنه أيصادف مسعاى هذا قبولا . قال لك كل ماتطلبين فاذا جاء أبوك على نية سليمة لايرغب العناد والخصام عفوت عنه وأرجعته إلى بلاده وملكه وأشرطت عليه شرطا واحداً فقط وهو عبادة الله تعالى وغيره لاأريد منه . فكونى مطمئنة مرتاحة أمينة على رجاءك وغايتك . فشكرته على قوله وأثنت عليه ورجعت من أمامه وقلبها يصفق من الفرح وهى مسرورة كل السرور بما رأته على وجه الملك بهمن من سمات الحب والغرام التى حاول كثيرا أن يخفيها فتظهر بالرغم عن أمياله .

ولما دخلت قصرها قالت لقهرمانتها قد توفقنا إلى ما به الصواب وانى أخبرك بالحق انى مرارا ماكدت أبوح جهارا بحبي وأشرح الملك بهمن غرامى سد تأكدى حالته وما لحق به من جرى نظره إلى إلا انى كنت امتنع وأضبط نفسى كي لا يشتبه بقوة تغلبي على أميالى وليكون هو البادىء والساعى بالحصول على كعادة المتزوجين والمتزوجات ولهذا السبب والتحمل كنت أخاف ان أقع إلى الارض بالرغم عن إرادتى خشاء من ان تساعدنى رجلاى على الوقوف أو المشى فالحمد لله الذى لم يظهر على أثر يحط من شانى ويبعدنى عن قلب الملك بهمن فهو حكيم عارف بالدهر وأحواله وقد سرنى منه قوله لى كونى أمينة على رجاءك وغايتك لعله بغايتى ورجائى .

وهذا أثبت عندى حبه لى وقبوله بالتقرب منى وسأنتظر مايفعله الله سبحانه وتعالى وياليت ان يأتى أبى قريبا لأكون واسطة الصلح والسلام بينهما فتتم بذلك سعادتى وأحصل على راحة الضمير وهناء العيشة بوقت واحد فقالت لها أعطاك الله كل ما

تطلبين ولا أبعد عنك أمراً ترغبينه وانى أعذرك كل المعذرة على محبتك الملك بهمن ورغبتك فيه لأنه أجمل رجل فى هذا العالم الآن وأرفع مقاما من كل الملوك وأوسعهم ملكا كيف لا وهو ابن فيروز شاه الذى خدمته السعادة وقهر الانس والجان ثم أقامت شمس فى قصرها مع جاريتها تنتظر ما يكون لها من مستقبلها وهى تهز طول الوقت بذكر حبيبها ولا تحدث جاريتها بغير حديثه .

قال وبعد ذهاب شمس من حضرة الملك بهمن بقى مطرقا إلى الارض وتأثيرات الحب تطفح فوق وجهه وتمتد إلى كل جهاته وهو يحاول ان يظهر ذلك فلم يقدر على ذلك وكان سبب ازدياد هذا التأثير غيابها من أمامه وبعدها عنه وكان قبلا لا يعرف الحب والغرام ولا يظن ان العشق يقدر ان يتسلط عليه أو ينال منه مرادا وعرف فيروز شاه حالة ولده فتأثر غاية التأثير وعذره كل المعذرة لأنه كان وقع قلبه وذاق عذاب الحب وشدة مفاعيل الحسن بالرجل الخالى وكان قد تمنى من كل قلبه ان تكون شمس زوجة لولده لأنها أشبه الناس بعين الحياة زوجته حسنا وقواما واعتدالا وأدبا وفصاحة ورقة ولينا وكمالا وكذلك التفت إلى وزيره طيطلوس وقال له لا خفاك ان الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بكل ماأطلبه منذ بداية وجودى إلى هذه الساعة وان كان بالحروب والعذاب لكن هذا يزول وتبقى رحمته ولما جاء ولدى الملك بهمن من إيران إلى هذه البلاد وداويته فرحت به جدا وأفضل كل شيء تمنيته فى ضميرى ان أفرح بزواجه فى حياتى وألاقى له زوجة كوالدته عين الحياة فى كل صفاتها وهذا شان كل أب يرغبه لولده ولاسيما نحن الملوك فاننا نرغب المحافظة على الملك ولذلك نسر إذا تزوجت أولادنا أوجاءهم الاولاد

وفى هذه الساعة دخلت علينا شمس هذه بنت ملك الصين فبالكاد كنت أفرق بينها وبين عين الحياة أمه وأريد ان أزفه عليها فهل من مانع بذلك وهل من أمر يمنعه الآن واجراء هذا الأمر متعلق بك وبتدبيرك لأنك مدبر المملكة وملوكها ورعاياها فقال طيطلوس لقد أصبت ياسيدى فشمس إلا عين الحياة وما عين الحياة إلا شمس وان من الفروض المقررة فى شريعة الفرس ان تتزوج ملوكها حال بلوغهم سن الرشاد إذا لم يحدث حادث يمنعهم وانا اسأل مولاى بهمن الآن ان يحقق آمالك ويتمم انتصارنا بافتتاح هذه المدينة بايام سرور وهناء نعدها لزفافه .

ولما سمع بهمن هذا الكلام وقع على قلبه احلى من النعاس على عيون السهران إلا انه بعد الامعان والاطراق اجاب انى من الآن لا اخالف شريعة المملكة او امتنع إجابة امر ابى وولى نعمتى أليس هو الذى وحده يقدر على خلعى ملكى وإذلالى كما يقدر على اعزازى وتعظيم جاهى فوقى وحياتى هو على الدوام بين شفتيه وانى

أريد من كل قلبي أن أتزوج لأفرحه كما أفرح هو جدى الملك ضاراب غير انى أريد تأخير ذلك إلى حين رجوعنا إلى إيران حيث أن مثل هكذا زواج يجب أن يكون بحضور والدتى عين الحياة وجدى الملك ضاراب فكيف يطيب هنائي وأنا بعيدعنهما ووالدتى التى تعلم انى وحيد لها تنتظر حضور مثل هذا الزفاف ليفرح قلبها وتنال الغاية التى على الدوام موضوع أفكارها منذ وجودى فى هذه الحياة الى حين نوالها

ولما سمع فيروز شاه كلام ولده تحرك فى قلبه محرك الحنو والحب الى زوجته فاندفعت دمعة سخية من عيونه على غير مقصد منه ورأى ان ما قاله ولده هو صواب الا انه كان لا يريد فى التطويل فصبر ريثما أخذ روحه وهدأ قلبه . فقال لقد اصبت يا ولدى ومن الحق الواجب ان يكون ابى وامك فى يوم زفافك كما كانت امى تمرتاج فى ايام زفافى ولولا وجودها لما كنت نلت الحظ والسعادة والهناء ايام الزفاف . وهذا أريده أنا أكثر منك لكننى لست أمينا من الدهر فهو كثير التقلب يأتى على الدوام بما ليس فى الحسبان . وما لقيت انا من شدة الحب ومعاندةالزمان جعلنى وعلمنى ان اعرف كيف احافظ على راحة ولدى ولا ريب اننا بعد قليل من الأيام نرحل من هذه الديار إذا لم يقف الدهر فى سبيل مقاصدنا فاذا كانت شمس معنا ترحبت بها عين الحياة وسرت بزواج ابنها واعادت يوم الفرح واجرته ثانية باكثر احتفالا وزينة من السابق ولهذا اطلب من ولدى الان ان ينقاد لقولى ويقبل بالاقتران فى هذه الأيام حالا اختشاء من ان يجد امر جديد لا نريده كوننا ببلاد الأعداء ولانعلم من الصديق منا ومن العدو فنخاف ان يطرأ على شمس امر نجهله او تبعد الى غير بلاد وغيرها لا اريد ان تكون زوجة له . فوافق طيطلوس على قوله واجابه فى الحال اليه الملك بهمن وقال له انى طوعك كيف امرت وكيف فعلت فقام اليه فى الحال وقبله بين عينيه واثنى على آدابه وطاعته وبعد ذلك قال لطيطلوس اريد منك فى هذا المساء ان تذهب معى الى بيت شمس لنطلبها من نفسها زوجة لابنى وعندى انها لا تمتنع كونها حكيمة مهذبة عاقلة تعرف صالح نفسها وتعترف بسعادة عيشتها اذا اقترنت بابنى قال قد لحظت وتاكدت انها ما جاءت الى هذا المكان الا لمثل هذه الغاية لترينا نفسها وتعلمنا بانها تركت عبادة النار ودخلت بديننا اى انها صارت كواحدة منا وهذا دليل قوى على رضاها وقبولها

وبعد ان انفرط الديوان فى المساء وذهب كل واحد الى مكانه بعث فيروز شاه عياره بهروز الى قصر شمس يخبرها بقدومه اليها مع وزيره طيطلوس لغاية يريد اعراضها عليها فسار اليها وبلغها كلام سيده واخبرها بانه سيأتى بعد قليل اليها مع وزيره فقالت له على الرحب والسعة فانى خادمته وبانتظار قدومه وثبت عندها انه

ما قصد المجيء اليها إلا وفى نيته أن يخطبها لابنه ففرحت كل الفرح وقالت لقهرمانتها ها قد جاءنا الامر كما نرغب ونختار فاسرعى إلى تهيئة كل ما يليق بشأن فيروز شاه واعدى له الشراب الممزوج بالسكر وماء الورد وعطريه بكل رائحة عطرية وقومى بكل خدمة واجبة فوعدتها بكل ما أمرت وتهيئت شمس لملاقاة فيروز شاه واقامت فى قاعة جلوسها إلى أن عرفت بوصوله فخرجت اليه وقبلت يديه وترحبت به وقالت لقد وطئت بأقدامك الشريفة قصر هذه الخادمة تشريفا لها ومجابرة فارحمنى ياسيدى فما أنا إلا حزينة كئيبة مفارقة الأب والأصدقاء والانصار. فقال لها ما أنت إلا كريمة وعزيزة فى أعين الجميع ولا بد أن نصرف العناية إلى إيجاد أبيك ومصالحته ثم دخل معها إلى قاعة الجلوس فجلس وجلس إلى جانبه وزيره طيطلوس ووقفت هي فى خدمتها فأمرها فيروز شاه أن تجلس فقالت له كيف يليق بي ياسيدي أن أجلس فى حضرتك وأنت مولاى ومالك رقى وأنا أسيرتك وخادمتك ومحتاجة إلى عنايتك وحنوك وكانت تتكلم وفيروز شاه وطيطلوس يتعجبان من فصاحة لسانها وعذوبة الفاظها ورقة معانيها وحلاوة لفظها وكان الكلام ثمين جوهر يتساقط من فيها.

ثم قال لها فيروزشاه انك لست بخادمة ولا بأسيرة بل انك سيدة باعيننا وكرامتك واجبة علينا ومن كانت مثلك قد خصها الله بكل المآثر الحسنة لا تدعى بأسيرة بل بملكة ولهذا أريد منك أن تجلسى إلى كرسيك فان لنا بعض كلام نريد أن نعرضه عليك فقبلت يديه وجلست. وبعد أن قدمت خاطرة الشراب. قال طيطلوس لشمس اعلمى أيتها السيدة الكريمة انه وان كان أبوك غائبا عن المدينة ولم يكن لك من يقوم مقامك عن نفسك فقد اخترقنا حرمة العادة وجئنا اليك نفسك لنسألك أمر عزمنا على انهائه واتمامه بأقرب وقت. قالت مر ياسيدى فان كان الزمان قد أبعد أبى فلا بد بعناية سيدى فيروز شاه بقربه وان كان قد بعد عنى النصراء فيكفانى انه هو وحده النصير الذى يغنينى عن ألوف وألوف الالوف من الملوك والوزراء.

فلما سمع طيطلوس جوابها سر منه ولذلك قال لها لما كنت أنا وزير المملكة الفارسية وكبيرها ومدبرها أعهد إلى أن اخاطبك بامر نفسك وأخطبك لسيدى الملك بهمن وقد رأيته بالأمس وهو يرغب ذلك ويريده ولولا رغبتنا بسرعة الزواج لابقينا ذلك إلى حين الوقوف على خبر أبيك انما سيدى فيروز شاه يرغب بأن يكون الزواج بوقت قريب بحيث نعود إلى تدبير شؤوننا من جهة ثانية لأن لا بد من رجوع الجنود إلى هذه البلاد وانشغالنا بحربهم. فأطرقت شمس إلى الارض حياء وترقرقت دمعة الفرح فى أعينها إلا انها أبدت الانكسار والذل ولم تجب بكلمة

فقال لها طيطلوس اجيبي فما من داع الآن للامتناع من الجواب لأنك أصبحت واحدة منا تعبدين الله وصار كل رجائك علينا ولا يجب أن تخفى أمرا واننا نعرف أن أولياءك وأوصياءك غائبون وأن الشريعة الالهية توجب إلى السؤال من نفسك فلا تدعي الخجل يتغلب عليك ولا نريد منك أكثر من كلمة القبول فقط فبقيت مطرقة إلى الأرض واجابت أن أمري الآن ليس بيدي يا سيدي بل هو بيد مولاي فيروزشاه فهو وحده الذي يقدر أن يجيب عني وتعلم من نفسه أني طائعة له سامعة لقوله في كل ما يأمرني وأن ما تطلبه مني الآن هو راجع اليه واني لا أسأله بشيء الا بأمر واحد وهو إذا جاء أبي وسأله الصلح كان مجيبا له . فقال طيطلوس لقد أحسنت يا ابنة الكرام واني أعدك أن زواجك بالملك بهمن أكبر وسيلة تدعو أباك إلى الانقياد والطاعة وطلب الصلح والأمان ولا بد أنه يفرح به حبا بك . ثم ان طيطلوس نظر إلى فيروزشاه وقال له ان شمسا قد أقامتك وكيلا عنها واختارتك وصيا لها فهل تقبل أن تزوجها بابنك الملك بهمن وما قصدت بذلك الا لتخبرك أنها هي كبنتك وذاك ابنك . قال اني أزوجهما ببعضهما وليباركهما الله ويوفقهما فنهضت شمس وقبلت يديه وقالت هذه نعمة ياسيدي لا أستحقها ولا كنت اظن اني انالها وهل من كانت مثلي اواعظم مني تمتنع عن قبول ملك جمع كل الخصائل الحميدة واوجد الله فيه من كل فضيلة افضلها . فهو سيدي وقد سبق الله سبحانه وتعالى فرمى حبه بقلبي قبل ان يراني وما ذلك الا لغاية منه يريد ان يجريها . فشكرها فيروزشاه وطيطلوس وخرجا من عندها بعد ان اعلماها بمدة يوم الزفاف وكان بهروز مع فيروزشاه فقال له اريد منك ان تبعث بزوجتك شمس إلى خطيبة ابني تقيم عندها وتصلح شأنها وتدبر امرها اذ ليس عندها الا قهرماناتها وزوجتك تعرف بتدبير مثل هذه الأحوال فوعده بالاتيان بها إلى هناك .

قال ودخل فيروزشاه على ولده بهمن فقبل وجنانه وهنأه بخطبته واعلمه بما اشارت اليه شمس بنت جهان من رغبتها بالتقريب منه وقال له ان يوم الزفاف سيكون بعد عشرة ايام اذ لا اريد تطويل المدة اكثر من ذلك كون الظروف لا تسمح لنا وانا نريد ان نعرف بعد ذلك بمكان وجود جهان لانه هرب وتبعه كثير من قومه ولا نعرف اي جهة قصد ولا بد من انه يجمع الفرسان فيعود إلى قتالنا مرة ثانية ولا بد ايضا من مجيء الملك شكال افندي بجموع الجنود التي هي اشبه بالجراد ومثل هذا الملك لا يترك ثار رجاله وفارسيه كيوال وكشوال . فقال له لك الامر فليكن الزواج بعد عشرة ايام واني اعرف متى تم زواجي على شمس وعرف ابوها بذلك لا يعود إلى محاربتنا ولا اظنه يكره في صاهر تنا بل يطلب التقرب عن قوم مطل على

بلاده وأخذوها ملكا ثم أرادوا إرجاعها له وتزوجوا بابنته مع أنهم يعلمون أنه عدوهم وكان الملك بهمن مسرور القلب منعم البال طيب الخاطر وهو لا يصدق أن ينتهي زفافه على شمس بعد عشرة أيام حيث كان حبها يتقوى عليه وتتغلب فيه الأميال الغرامية ويذهب به الرجاء إلى السرور والفرح فيصبر نفسه واعدا إياها المواعد الصادقة بنوالها مرادها وبلوغها غايتها . وذهب فيروزشاه فى صباح اليوم التالى الى دار الأحكام وجلس فى صدر مجلسه الى جانب ولده واجتمع حوله كل وزرائه وبعد أن تم انتظامهم قال لهم أريد منكم أن تكونوا على استعداد للزفاف بعد عشرة أيام من هذا اليوم فقد انتهت خطبة ولدى على شمس بنت جهان وما من مانع الآن يقف فى سبيل انفاذ غايتى ومقاصدى . فبارك له الجميع وهنأوه بهذه الخطبة ومن ثم قال فيروزشاه لمهريار الوزير اننا لا ننسى أيها الرجل العاقل الحكيم الخبير بما أبديته معنا من الجميل والمعروف الذى لا نقدر أن نكافئك عليه وسيكافئك عليه الله سبحانه وتعالى وإنى أريد منك الآن بما أنك من أهل هذه البلاد خبير بأهلها وعوائدها أن تدبر أمر هذا الزفاف وتسعى باحتياجاته وقيامه مع وزيرى طيطلوس ليكون زاهيا زاهرا حافلا جامعا لكل أسباب الهناء والأفراح فوعده بالقيام بمثل هذه الخدمة وأنه سيدبر بنفسه كل مايرى للعرس محتاجا اليه وشاع هذا الخبر فى كل المدينة ففرح به الخاص والعام وتمنوا هذا الزفاف وأخذت المدينة تستعد من كل ناحية لقيام الاحتفال وتهتم بعمل الزفاف ومهريار صارف الجهد إلى تدبير مايلزم إلى أن قرب الوقت ولم يبق إلا ثلاثة أيام فقط فانتصبت الأعلام على أسوار المدينة من كل جهة وعلى حصونها وقصورها وعلقت المصابيح على جدرانها شرقا وغربا شمالا وجنوبا وتوجهت كل المصابيح بالأزهار والأوراق الخضراء من الأشجار الزكية الرائحة وبدئت الموسيقات والنوبات تضرب على الدوام فى كل جهة وتزينت رجال المدينة وأمراؤها بالزين الفاخرة وفرشت قاعات قصر الأحكام من كل ما هو ثمين وغال وأخذت الناس ترد أفواجا أفواجا للتهنئة وتقديم واجبات سرورهم وأفراحهم للملك بهمن وهو يلاقيهم ويشكر منهم ومن طاعتهم وما يبدونه من المسرة والأطعمة تمد لهم والمآكل تتقدم مع الأشربة الفاخرة ودام هذا العمل إلى مدة ثلاثة أيام أى إلى اليوم المعين لاجراء الزفاف ففى صباحه خرجت الفرسان من أماكنها مزينة بالزين الفاخرة مدبجة بالملابس الذهبية الرسمية وعليهم من سمات المسرات مايعجز القلم عن وصفه واجتمع الجميع فى قصر الأحكام حيث كان قائما الملك بهمن بملابسه الفاخرة وعلى رأسه تاج الدولة الفارسية يضىء كالكواكب وهو من تحته كالقمر الوضاح يشرق بزاهى جبينه بما يأخذ بالعقول الثابتة ويدهش بالأبصار وباختصار أن ذاك اليوم

كان يوما عظيما حافلا لم يجر مثله بزفاف أحد من الملوك الكبار إلا ان كان يوم زفاف فيروز شاه فى بلاد الرومان ودامت الافراح قائمة إلى ان كان المساء فأضاءت مصابيح المدينة من كل الجهات وأصبحت ترهج وتلمع كأنها الافق فى صفائه تترجرج به الكواكب من جهاته الاربع . وبعد مناولة الطعام والشراب نهض الجميع من ذلك المكان وخرجوا من القصر إلى الاسواق يمشون أفواجا أفواجا بترتيب ونظام وفى أواسطهم العريس أى الملك بهمن مزينا بالزين التى سبق ذكرها وبين يديه الموسيقات تضرب بكل أنواع الفنون وتعزف بالهناء والأفراح وداموا على مسيرهم حتى وصلوا إلى قصر بنت جهان وهو شاعل بالأنوار المختلفة الألوان فدخلوا من بابه وإذا بالأنسجة الحريرية مفروشة من خارج بابه وكل جدرانه مغطاة بمثلها وكانت شمس زوجة بهروز قد اعتنت كل الاعتناء بترتيب القصر وتدبيره على ما اشتهته وأرادته هى بنفسها حتى أصبح بهجة للعيون وفرجة للناظرين .

قال ولما دخل العريس ووالده وكل أمراء عائلته والمدعوون من أهل المدينة وأعيانهم وجلسوا فى قاعة الاستقبال كل على رتبته قدم لهم الشراب والحلوى وما كان أحد فى مثل تلك الساعة . ثم بعد هذا أدخلت عليهم العروس محفوفة بسمات اللطف وينابيع الأنوار تتدفق وتتساقط من جبينها إلى ما بين يديها وحواليها وقد زادت حسنا فوق حسن وجمالا فوق جمال من كثرة ما كان عليها من الجواهر والألماس واليواقيت المختلفة الألوان وكانت شمس زوجة بهروز قد تزينت بالملابس الفاخرة واليواقيت النفيسة ومشت إلى جانب العروس فقاموا لها اعتبارا واحتفالا وتعظيما وما من رجل أو امرأة من الحاضرين إلا وأخذ بذاك الجمال الفائق الحد الذى لا يحسب من صفات البشر وخصائصهم وكان أكثر الكل دهشة وانبهارا فيروز شاه فكان كل ما يراه فى زوجة ابنه ذاك اليوم يذكره بعين الحياة حين زفافها فكان فرحه عظيما عميا كاملا مسرورا بولده ولم يكن من شىء يكدره أو يقلق أفكاره إلا تمنيه ان تكون زوجته عين الحياة حاضرة هذا الزفاف لتفرح كفرحه وعندما كان يخطر له هذا الخاطر وهو فى وسط ساحة من الحظ والمسرة محاطا بكل أنواع الأفراح يرتجف ويرى من نفسه الكدر ويسود قلبه ويقول ليتها كانت حاضرة .

ومن المقرر الثابت ان الأميال البشرية ترتبط ببعضها والشعائر تحاكم صاحبها أحيانا والمحبة التى هى سلطان كل الاحساسات والشعائر لا تترك ما عليها بل تبقى محافظة على حقوقها على الدوام قائمة ضمير المرء فيه جاسوسا ونصيحا وكان الانسان إذا سمع بأحزان من أحبه يتكدر ويحزن هو أيضا ويأخذ به الحب إلى تمنيه وتطلبه بكل رغبة فى مشاركته بذاك الحزن كذلك عند الأفراح إذا رأى الانسان نفسه فى بحبوحة منها

تمنى من أحب وطلبته نفسه ليقسمه ذاك الهناء ولا يحسب حالته حالة راحة الا بوجوده وهكذا كان فيروزشاه من هذه الجهة

وبعد أن دخلت العروس وجلست فى صدر المجلس ومن حولها شمس وجماعة من نساء المدينة اى نساء مهريار وغيره من الاعيان نهض طيطلوس وعقد للعريس على العروس وأشهد الحضور على زفافهما ثم باركهما ودعا لهما بالعز والاقبال ودوام الافراح وبعد منه تقدم فيروزشاه فقبل ولده وأدممه تذرف من الفرح به وجاء إلى العروس وكان قد أعد اكليلا من الذهب الوهاج مرصعا بكل حجر كريم مذخرفا بالنقوش الذهبية التى تأخذ بالانتظار وعند دنوه منها وقف اكراما له فأخذ الاكليل وأقامه على رأسها وقال لها هيا افرحى ايتها الابنة السعيدة التى خصك الله بكل أنواع الآداب وحسن الصفات لتكونى ملكة على فارس وسيدة على قسم كبير من العالم وانى البسك الآن هذا الاكليل رمزا عن التاج الذى سوف تلبسينه من يد ملكة الفرس فتهديه اليك به وقد حق لك أن تكونى ملكة وستسر بك ويمتلىء قلبها فرحا عند ما تراك مزينة بكل المحاسن الوحيدة ثم وضع الاكليل على رأسها فقبلت يديه وجلست وقلبها يكاد يطير من الفرح وقد شعرت من نفسها بعظم السعادة التى وصلت اليها وهى لا تصدق انها أصبحت ملكة على كل بلاد العجم لا بل على أكثر أقسام الكرة الارضية وأعظم أنواع البشر من أعجام ويمنيين وزنوج ومصريين ورومان وغيرهم . ومن بعد ذلك أخذ الناس فى أن يهنوا الملك بهمن بعروسه وينصرفوا واحدا بعد واحد وهو يثنى عليهم ويتلطف بمجاوبتهم ويظهر كل لطف وتواضع مسكر محبوب حتى ذهب الجميع عنه ولم يبق عنده سوى والده فيروزشاه ووزيره طيطلوس وعياره بهروز وزجته شمس وحينئذ أخذت شمس العروس إلى غرفة ملابسها فنزعت عنها ثياب الزينة والبستها البسة النوم وخرجت بها وكانت فى أول الليل قد أمرت القهرمانة خاطرة أن تفرش غرفة المنامة وتحضر سريرمولاتها وتطيبه بالاطياب والروائح الزكية وتقفل وتبقى مفتاح تلك الغرفة معها إلى حين انصراف الناس فتفتحه وتتركها لتدخل العروس مع زوجها ومن ثم انصرف فيروزشاه وشمس وطيطلوس وبهروز ولم يبق بالقصر إلا العروس والعريس فقط واذ ذاك سلم كل منهما على الآخر وترحب به وذهبا إلى غرفة المنامة فوجداها مغلقة الباب فدفعاه ودخلا واذا بهما يتنشقان من كل رائحة زكية بما يشرح الصدور ويطيب الخواطر فسرا مزيد السرور وقال الملك بهمن هل ان شمسا دبرت غرفة المنامة قالت كلا بل جاريتى خاطرة وقد أوصتها شمس بذلك . فنزع الملك ثيابه وقلبه يهلع فرحا من نوال السعادة الحاصل عليها وهو لا يصدق أنه اجتمع منفردا مع من احبها قلبه وكانت وهو ينزع

ثيابه واقفة إلى جانب السرير تنتظره إلى أن فرغ من كل ما هو عليه ورفعها إلى السرير طالبا التقرب منها بما أمر به الله سبحانه وتعالى الا انه ما استقر لحظة معها فى السرير الا وسقطا فيه كالاموات غائبين عن الصواب لا يعى أحدهما على الآخر او يتحرك به عضو

قال وكان قد سبق وتقدم معنا أن ونك العيار بعد ان خرج من امام اخ سعدان يوم الذى ملك على الفرس وسلم اليه امره فعفا عنه وذهب إلى بيته فأقام فيه يوما ثم فى اليوم الثانى اعد كل ما يحتاج اليه وخرج على اعين الجميع من المدينة مظهرا على نفسه ان مراده يبعد عن تلك البلاد ويذهب إلى الهند ورآه الحراس عند خروجه فودعهم وبقى سائرا إلى ان بعد عن المدينة وغاب عن العيون فجاء احدى المغائر ووضع ثيابه بها وكل امتعته ونزع ما عليه واخذ صبغة سوداء فاصطبغ بها بعد ان اخذ موسى فحلق شعر وجهه بأجمعه ولبس ملابس النساء ووضع غطاء على رأسه حتى اصبح كأنه من الجوارى اصلا وفعلا وبات تلك الليلة فى المغارة وعند الصباح قفل راجعا إلى المدينة مسرورا بكل ما هو فيه من نجاح المسعى وهو يحدث نفسه ويقول لها اصبرى فلا بد لك من ان تسرى بعدوك ولا بد لى من ان اعمل عملا يذكر وتتحدث به الناس جيلا بعد جيل ومن ثم اعود فابعد عن هذه الديار اذا بقيت بيد الفرس ولا اعود اليها اصلا ودخل من الباب دون ان يعرفه احد من الحراس او يشتبه به انه ونك العيار وبقى سائرا الى بيت عجوز كان يعرفها فى اطراف المدينة فاقام عندها ودفع اليها بالدراهم لتأتيه بالطعام ففعلت واوصاها بكتمان امره وقال لها اياك ان تخبرى احدا بى لانى اخاف جدا ان يظهر خبرى وما اخاف احدا من

انتهى الجزء السادس والثلاثون ويليه الجزء السابع والثلاثون

الجزء السابع والثلاثون

من قصة فيروزشاه بن الملك ضاراب

الفرس غير بهروز العيار لأنى أعلم انه إذا رآنى على هذه الصورة عرفنى لا محالة فهو زنديق وابن حرام فيتأثرنى ويقتلنى وأنا مرادى أن أبقى مختبئا إلى حين يأتى الملك جهان أو تبعد الفرس عنا وتترك هذه البلاد وأريد منك أيضا أن تجسى لى الاحوال وكل خبر تسمعينه بالمدينة تطلعينى عليه .

فوعدته بكل جميل وصارت فى كل يوم تخرج إلى السوق فتاتى بالطعام وتعود اليه إلى أن جاءته وأخبرته بزفاف الملك بهمن على شمس بنت جهان فأخذ ينظر فى أمر لتدبير مصلحته وصرف مدة العشرة أيام يفكر فى وسيلة تمكنه من بلوغ الغاية ونوال المراد وفى اليوم الأخير منها خرج من بيت العجوز عند المساء وسار إلى جهة قصر جهان وكان يعرف كل معابره ومداخله فوجده مزدحما بالناس من المتفرجين ومن الزائرين وهو على تلك الحالة المبهجة فعرف من نفسه أنه سينال غايته فى تلك الليلة ثم دخل من الباب واختلط بين الجوارى وهن قائمات على الخدمة وهو يراقب أعمالهن إلى أن رأى خاطرة قد دخلت غرفة مولاتها وطيبتها وخرجت وقفلت الباب ووضعت المفتاح فى جيبها فقرب منها وقال لها ياستاه لما قفلت الباب فالأوفق أن تبقى أنت فى الغرفة إلى حين مجىء العروس اليها لأنها مولاتك وأنت قهرمانتها الخاصة بها قالت ان شمس زوجة بهروز أوصتنى بذلك وعند انصراف الناس أعود فأفتحها حيث بعد دقائق قليلة يأتى الملك بهمن مع جماعته فيزدحم القصر كثيرا ولا يعود الأخ يعى على أخيه وانى أحب ان اراقب عمل الخادمات الذين مثلك وأدبر ما تعملن فاذهبى إلى شغلك ولا تكثرى من الكلام فسكت من نفسه وأمل بنوال الغاية .

وفيما هو كذلك إذ سمع أصوات الآتين فصبر إلى أن دخلوا وازحم القصر من كل جهاته وامتلأ بالزائرين فترك الجميع ولم يلتفت إلى أحد وجعل يراقب خاطرة كيف سارت وكيف ذهبت إلى أن رآها دخلت المرحاض منفردة عن الناس فصبر إلى أن فتحت الباب وقصدت الخروج فضربها بخنجر فى صدرها ألقاها إلى الارض وقبل أن تصيح أو تختبط وضع يديه على رقبتها وخنقها وأخذها إلى زاوية فى ظهر المرحاض ألقاها فيها وكان عالما بكل ما فى القصر من الخبايا فعلم أن الجميع مشغولون تلك الساعة ولا أحد ينتبه اليها وأن الخدم سوف تذهب جميعها إلى ولا تبقى غير خاطرة

ولذلك أسرع إلى ثيابها فنزعها عنها ولبسها وعاد إلى بين الجوارى يقوم بالخدمة التى كانت عليها خاطرة وفعل كل ذلك بأقل من ربع ساعة ولم يكن ينتبه اليه أحد من الجوارى أو الخدم لاشغالهم بالاعمال وفى كل دقيقة يخرجون للفرجة وونك يفعل ذلك إلا أنه كان يراقب كل المراقبة ويتحذر كل التحذر من أن يراه بهروز فيعدمه الحياة فاخفى نفسه عنه وما رآه قط أحد من عيارى الفرس وعندما أخذت الناس بالانصراف .

ولم يبق إلا القليل منهم عرف ان بعد قليل لا يبقى بالقصر إلا الملك بهمن وزوجته شمس فاسرع إلى غرفة المنامة ففتحها لأن المفتاح كان معه وأخرج سائلا من البنج رشه على الفراش ودخل تحت السرير واختفى عن الأعيان وهو يؤمل نجاح مسعاه وفى كل نيته ان الملك بهمن حال وصوله إلى هذه الغرفة يطلب السرير حالا مع زوجته ليتنعم بها لكثرة شوقه اليها ولعظم مالاقاه من تعب السهر وأقام إلى ان جاء بهمن كما تقدم معنا الكلام ورفع زوجته إلى السرير وقصدان ينام إلى جانبها فوقع وإياها بتفاعيل البنج وغابا عن الصواب دون ان يقرب أحدهما من الآخر .

ولما اطمأن بال ونك وعرف حق المعرفة ان البنج قد فعل كل الفعل فى الملك بهمن وزوجته وصار يقدر على الملك منهما وتنفيذ غايته فيهما نهض من تحت السرير وقلبه يخفق من الهلع والخوف وعندما وقع نظره عليهما ارتبك وتصور له الوهم بهيئة بهروز العيار فقوى عليه وضيق فى وجهه المذاهب وجعلت ركبتاه ان ترتجفا ورأى من نفسه أنه واقع فى ضعف قوى كادت تنشق له مرارته فأخذ يقوى نفسه بنفسه واستل الخنجر بيده وتقدم من السرير وأراد أن يضرب به الملك بهمن وزجته فلم يقدر أن يرفع يده والوهم ينمو ويكبر أمام عينيه وفيم هو على ذلك أسمعه الوهم صوت بهروز تارتجفت أعضاءه ووقع الخنجر من يده ولم يعد يعى على نفسه وشعر أنه هالك فاندفع بالرغم عن الضعف الذى لحق به إلى جهة الباب وسحب نفسه إلى الخارج وهو لا يصدق انه ينجو من مخالب بهروز حيث كانت عيناه تخشه فتريه اياه أمامه وآذانه تسمعه صوته فيتصور انه آت للانتقام منه على جريته هذه وجسارته للدخول على مثل الملك بهمن وهو مع عروسه وبقى يقع ويقوم إلى ان صار خارج القصر فرأى ذاته قد ارتاح نوعا وصار أمينا على نفسه فسار إلى جهة ابواب المدينة وبقى عندها إلى ان فتحت فى الصباح فخرج منها وهناك أمن على نفسه كل التامين وبقى سائرا إلى ان وصل إلى المغارة التى أبقى ثيابه فيها فنزع ثياب خاطرة القهرمانة ولبس ثيابه ونظر إلى نفسه فوجدانه قد رجع إلى أصله وانه ونك العيار وأخذ يتصور فى ذهنه كل مامر عليه فجعل يعض كفيه ندما كيف لم يقتل الملك بهمن وزوجته وقال فى ذاته ماذا وقع عليك ياونك أهل بسبب لبسك ملابس

النساء اتخذت قلبهن ففاتك أمر خطير كنت تنتظره وتتمنى وقوعه فماذا يا ترى كان يجرى لو قتلتهما غير أنى أذبح إذا وقعت بأيديهم والآن سأذبح اذا وقعت ومسكونى ولعب به الغيظ كل ملعب حتى كاد يختنق من فوات هذه الفرصة ثم خطر له أن يدور فى العواصم والقرى يفتش على سيده جهان لأن لابد ان يكون نازلا فى احد الجهات بعيدا عن العمران او فى العمران ينتظر الفرج ولما قوى هذا الخاطر فى ذهنه خرج من المغارة وانطلق باعدا عن المدينة يقصد كل مكان يعرفه يبحث ويفتش فيه وسنرجع الى حديثه فيما بعد .

هذا وفى صباح اليوم التابع لزفاف الملك بهمن خرج فيروزشاه من قصره مع بعض حاشيته واولاد عمه وجاءوا قصر شمس بنت جهان ليباركوا الملك ويرونه فدخلوا قاعة الجلوس واقاموا مدة ساعة دون ان يروا احدا او يخرج اليهم احد وكان بعهدهم ان تأتيهم القهرمانة بالشراب فلم يروا لها من اثر . واذ ذاك خفق قلب فيروزشاه وقال لوزيره طيطلوس انى اعجب من تاخير ولدى عن الخروج للآن وكان بعهدى ان خادمة شمس تحضر الينا او بعض الخدمة الذين تحت نظارتها فما من احد فى القصر بل رأينا ابوابه مفتوحة فهلموا بنا لنرى ولدى وما سبب تاخيره ونهض مرتاعا حتى جاء الى باب الغرفة فوجده مغلقا فضرب عليه عدة دفعات دون ان يجيبه احد فكاد يغيب صوابه وخاف من وقوع المصائب ولم يطعه قلبه على الصبر بل رفس الباب برجله وولج الغرفة ونظر الى السرير فوجد ولده ملقى دون وعى وهو اصفر الوجه ومثله زوجته فزاد به قلقه واضطرابه ودلف عليه ونهضه على يده واذا به كالمائت وقد اتكأت رقبته ومال راسه الى جانب حتى ظن انه مات فصاح صيحة قوية واراد ان يرمى بنفسه فوقه واذا بيهروز قد قرب منه وقال له ارجع ياسيدى فما من خوف على على سيدى ولدك فهذا فعل البنج واذا قربت منه اصابك مثله .

ثم انعطف الى الملك بهمن فرفعه من السرير الى الأرض وفعل مثل ذلك بزوجته واخرج سائلا مزيلا للبنج ومبطلا لمفاعيله وسكب عليهما وسقاهما واذا بهما قد ابتدآ باستنشاق الحياة وعادت اليهما قواهما وتعجب الملك بهمن عندما راى نفسه على تلك الحالة وابوه وبهروز عنده وباقى امراء الفرس وكبرائها خارج الباب واقفون مضطربون فسال عن السبب وهو ملهوف فقال له بهروز ما من امر موجب ياسيدى انما اريد ان اسالك كيف دخلت فى الامس الى هنا ومن رايت وكيف كان دخولك السرير لانى رأى الفراش والوسادة مرشوشين بالبنج شيئا كثيرا فاخبرنى لاعرف من فعل ذلك وكانت شمس قد وعت الى نفسها فجلست الى جانب بهمن وقالت اريد ان اعرف اولا اين قهرمانتى قال لم نرها فهى غائبة

القصر ولا ريب من وقوع دسيسة عظيمة أحب الاكتشاف على طريقتها ومن تكبها فقال الملك بهمن إنى دخلت هذه الغرفة فلم أر أحدا ودخلت السرير مطمئنا وحال دخولى اليه لم أعد أعرف ماجرى على وعلى زوجتى فقال بهروزلشمس اخبرينا يا مولاتى من الذى دبر هذا السرير ورتبه قالت قهرمانتى خاطرة ولا بد أن يكون جرى عليها أمر مضر فوقف بهروز مفكرا وإذا به يرى خنجرا ملقيا إلى أسفل قوائم السرير فأخذه ونظر اليه وإذا به يرى مكتوبا اسم ونك العيار فتحقق أن هذا العمل عمله وأنه دخل الغرفة وفى نيته قتل الملك فلم يتسهل له ذلك وعرضه على فيروزشاه فقال إذا وقع بيدى لا بد من أن أذيقه أشد عذاب وأميته شر ميتة . وقالت شمس ثانية لبهروز أريد منك أن تكشف لى فى كل نواحى القصر عسى أن يكون هذا الخبيث قد بنج خاطرة أو فعل معها أمرا آخر فتخلصها .

فأجاب أمرها واندفع يفتش فى كل نواحى الغرف داخلا وخارجا وبقى على حالته إلى أن جاء إلى المرحاض فوجد عنده آثار الدم وتأكد أن لا بد أن تكون فى تلك الناحية مقتولة فبحث جيدا إلى أن رأى جسدها ملقى خلف المرحاض عاريا من الثياب ورأى عنده ثياب ونك فزاد يقينه بدخول ونك إلا أنه بقى متعجبا كيف لم ينفذ مآربه بالملك مع أنه كان قادرا على قتله ورجع إلى سيده فأخبره بما رأى فاغتاظ الملك بهمن وكل الحاضرين من هذا العمل وهنأوا الملك وزوجته بالسلامة من هذا الأمر الخطير والمصاب العظيم الذى مر عليهما ثم إن فيروزشاه دعا بالعيارين اليه وقال لهم أريد منكم أن تتفرقوا فى المدينة وفى خارجها من كل النواحى إلى أن تدركوا هذا الخبيث لنقتله وإنى أعدكم وعدا فارسيا أن من جاءنى به قتيلا أو أسيرا أعطيته ثقل جثته ذهبا وقدمته على سواه فوعدوه بالخير والفحص وأخذوا بالبحث والتفتيش عليه من ذلك الحين .

وأما فيروزشاه فانه أمر بهروز أن يدفن جسد المقتولة وقال قد قصرنا بالواجب ونحن نظن أى مكان دخلنـــــاه أننا بنفس إيران وكان من الواجب أن تقيم الحرس على أبواب هذا القصر كما نقيمه على أبوابنا . ثم أمر بأن يحف القصر بالحرس وأن يأتى بالخدم والجوارى لخدمة القصر بمعرفة بهروز فانتهى بوقت قريب كل ما أمر به وتمناه ثم إنه خرج من القصر مع من معه وتركوا الملك بهمن مع زوجته يعتاض بذلك النهار عما غاب عنه فى الليل ويعيد الوقت الذى خسره فأتى زوجته وسر بها مزيد السرور إلى اليوم التالى وفى اليوم الثانى خرج من قصره إلى قصر الأحكام كباقى عادته وهكذا كانت حالته مدة أيام . إلى أن كان ذات يوم اجتمع المجلس من سائر الأمراء واحتبك احتباكا عظيما . وعليه فقال فيروزشاه اعلموا أيها الأمراء والوزراء أننا بحاجة عظيمة إلى العود إلى بلادنا لأننا ببلاد الأجانب غرباء وقومنا باضطراب

من أجلنا ولا نعلم ماذا جرى عليهم وعندى أن الملك جهان ما عاد يقدر على الرجوع إلى هذه البلاد وإذا رجع فنكون نحن قد رحلنا عنها فيعود إلى ملكه ولذلك قد نويت أن أبق البلاد كما كانت وأسلم بزمام أمرها إلى الوزير مهريار فاذا عاد جهان بلغه تحياتنا وأخبره بزواج شمس بنه بولدى ونكتب كتابا نسأله فيه المصالحة والوفاق وإذا لم يرجع تبقى البلاد بيد مهريار ويكون كل شيء باق على حاله .

قال وفيما هم على مثل تلك الحال وقد وافق الجميع رأى فيروزشاه واختاروه ووعدوا أنفسهم أنهم بعد قليل من الأيام يبارحون تلك الديار عائدين إلى بلادهم وأوطانهم فيرتاحون من الحروب ويسكنون فى بيوتهم وإذا بأحد الحجاب قد دخل على الملك بهمن وقال له اعلم يا سيدى أن أحد رجال الفرس واقف بالباب يطلب الدخول اليك وهو آت من إيران بكتاب من جدك الملك ضاراب . فقال له احضره إلى حالا وأقام الجميع سكوتا ينتظرون الرسول ودخوله حتى دخل ووقف بين يدى الملك بهمن وقال له إنى مبعوث ياسيدى من جدك الملك الأكبر بهذا التحرير وقد أوصانى أن أسرع به فقطعت الأرض نهبا وما استقريت فى مكان طول الطريق بل كنت أسير الليل والنهار إلى أن وصلت إلى هذه البلاد فالحمد لله الذى وجدتكم بالسلامة والأمان وقد انتهيتم من الحرب وأقمتم فى سلام .

ثم دفع التحرير إلى الملك بهمن فأخذه وفتحه ودفعه إلى الوزير طيطلوس ليقرأه فاخذه من يده وقرأه وإذا فيه :

بسم الله الحى الدائم إياه أرجو وبه أستعين .

من الملك ضاراب وكيل المملكة الفارسية وابى فيروزشاه إلى حفيده الملك بهمن ملك الأعجام واليمنيين والمصريين والرومان .

كنت يا ولدى عندى فى إيران وعرفت عظم اضطرابى على ابيك وشوقى اليه وإلى اولاد عمى ووزرائى وعموم رجالى الأمناء المحبوبين منى ومن وطنهم ولهذا بعثتك على أمل ان تنفعهم وتعينهم اذا كانوا بحاجة اليك وان ترسل الى باخبارك واخبارهم وبتفاصيل كلما تراه هناك من الحوادث التى كانت تتعبنى وتقلقنى على الدوام فى اضطراب ومن يوم رحيلك الى هذه الأيام وانا اترقب وصول خبر منك فكان انتظارى بدون جدوى ولا منفعة ومع هذا فانى آمالى بالله تعالى لا تزال على ازدياد وحسبت ان كثرة الحوادث وعدم التوفيق منعاك من استطلاعى على ما انتم عليه والآن فان حادثا جديدا بلغنى وعرفت صحته فاسرعت قبل وصولى اليه الى اطلاعكم عليه لتسرعوا الى اذا كان بامكانكم وهو انه عرفت ان الشاه روز ابن الملك كندهار

الذى كان قد ذهب إلى بلاد اليمن بطلب والدتك عين الحياة ومنعه أبوك ودفعه مهزوما بالعساكر التى كان قد جاء بهامن بلاده ومن بلاد الزنوج وقتل بهروزوميسرة اوانئذ انه استغنم هذه الفرصة وهى فرصة غياب رجالنا وطول سفرهم وقصد بلاد الحبشة ووقع على الملك الأبشع ملك الحبشة والسودان واخى طومارالزنجى بالرضاع فوعده بالامداد والمسير الينا ليساعده على اخذ عين الحياة منا واغتصابها بالرغم عنا وتزوجها به واخذ فى ان يجمع بالعساكر ليأتى بها ولما عرفت بهذا الخبر تكدرت مزيد الكدر لأن لاخفاكم ان الملك الأبشع هومن اعظم الملوك سطوة وسلطانا وقد يقال انه ابسل واشجع من طومار بأضعاف لا يقدر احد ان يقف فى وجهه إلا إذا كان ابوك فيروزشاه ومما زاد كدرى خروج الشاه روز عن الطاعة وطمعه بأخذامك عين الحياة بعد ان صارت فى اواسط عمرها وهذا من اكبر العار واعظمه والأمل ان تنصرفوا من الصين وتحضروا بأقرب وقت كيف كان الحال قبل مجىء الأعداء الينا بشرط ان يكون رجوعكم مقرون بالشرف والناموس والفخار كما هومعهود ومنشور عن الدولة الفارسية ورجالها واعلموا انه ربما بتأخيركم تضر البلاد ويحدث بها الخلل ويقع مالا يكون فى الحسبان ولى رجاء منه تعالى ان لا يكون نقص احد من رجالنا وابطالنا ويكون النصر قد انتهى وقربت حال وصول رسولى اليكم ايام رجوعكم واكرر اليكم الطلب بالاتيان حالا دفعا للمصائب والأخطار وصونا للحريم والسلام من الله لكم اجمعين .

وعند ما فرغ طيطلوس من قراءة هذا التحرير اضطرب فيروزشاه ولعب به الغضب عند سماعه بذكر الشاه روز وغايته وان مراده ان يتسبب إلى نزع عين الحياة منه وقد شاهد كل واحد من الحاضرين ما حل به وجرى عليه وخاف طيطلوس من ان الغيرة تزيد عليه فتلقيه فى الجنون لا سيما وهو غير قادر على الوصول الى ايران الى الشاه روز لينتقم منه ويأخذ بثار نفسه من هذا الخارج الذى طمع بحريم سيده وسيد الفرس والأعجام باجمعهم ولذلك قال ان عمل الشاه روز هذا ليس من الأمور التى تهم ومن عادة الكلب ان ينبح بالآساد لكنه لا يجسر ان يقرب منها وعليه فانى مطمئن الخاطر من جهة عمله لانه وان كان يقصد حربنا واخذ عين الحياة لكن يعجز عن مثل هذا العمل ما زال اسم فيروزشاه يرف حول ايران فيحميها من كل عدو بعيدا كان او قريبا ولا سيما أن سيدى الملك ضاراب يقول فى تحريره أن الشاه روز وقع على الملك الأبشع ملك الحبشة فوعده بالمساعدة وأخذ يجمع الجيوش ولهذا يظهر أن الأعداء بعيدين عن بلادنا لا يزالون فى بلادهم فاذا لم يعدلوا وجاءوا يقتضى لمجيئهم وقت طويل . قال بزرجمهر لا بد أن فى هذه المدة نكون

قدوصلنا إلى بلادنا وإذا كنا فيها أو أدركنا الأبشع عندها تلنا الغاية الكبرى لأن كل فارس من فرسان قومنا قادر على كبح هذا الملك الحبشي وفيما هم على مثل ذلك يفكرون بأمر الملك الابشع وبالمسير إلى بلادهم وإذا ببدر فتات العيار قد دخل عليهم والعرق يسيل من رأسه إلى قدمه وهو يلهث والتعب يكاد أن يقطع نفسه فانتبه اليه الجميع وعرفوا أنه ما جاء على مثل هذه الحالة الا لامر مهم وإذا به بعد أن أخذ الراحة وقدر على الكلام قال للملك بهمن أعلم ياسيدي انى ذهبت من هنا بأمر سيدى فيروزشاه للبحث عن ونك الخبيث الغدار فاخترقت البرارى والقفار واوسعت فى سائر الجهات وفى نيتى أن أطوف كل النواحى عليه ولا أعود الا به حتى بعدت كثيرا عن هذه المدينة وأوصلتنى الصدف إلى جهة البحر فوقفت عنده ونظرت اليه وإذا بى رأيت ميئات من المراكب آتية إلى الشاطىء الواقف عليه فبقيت هناك لعلى أن لابد لهذه المراكب من سبب وبوقت قريب وصلت إلى الشاطىء ورست عنده وجعلت تنزل القوارب وتنزل اليها الرجال خارجة إلى البر فتأكد لى أنهم من الهنود فنزعت فى الحال ردائى ولبست ثوبا صينيا ووقفت إلى ان أخذت الرجال تخرج إلى البر وبقيوا من حين وصولهم إلى تلك المساء والقوارب تنقلهم من المراكب إلى البر حتى انتهوا وقد أخرجوا أكثر من الفى فيل عظيم وحيث كنت اريد أن أعرف من هم وسبب مجيئهم ومن معهم من الفرسان اى أردت ان اختبر حالتهم وأعرف معدل قوتهم اجتمعت باحد خدمهم وقلت له انى ياسيدى من فلاحى هذه النواحى أتيت هذا الشاطىء لصيد السمك فرأيتكم هنا ولا أعلم من انتم وما سبب مجيئكم فهل أنتم أعداء بلادنا أو آتون لاغاثتنا قال اننا آتون لنجدة الملك جهان فأظهرت الفرح وقلت أشكر النار التى بعثت لنا من ينقذنا بعد الذل وبدفع عنا المصائب والأمل ان يكون فيكم من يقدر ان يقتل لنا هذا فيروزشاه الذى طغى وبغى وملك البلاد وخرب معابد النيران وأقام دينه فى كل النواحى . قال ويلك كيف لا يوجد معنا من يقدر على هلاك هذا الرجل الطاغى ولو عرفت من مع هذا الجيش لأخذتك الدهشة والعجب فان معنا الملك شنكال الهندى ملك ملوك الهنود وسيد فرسانهم وقد اصحب معه بهلوانى بلاده إخوة كيوال وكتوال الذين لا نظير لهم فى هذه الدنيا وهم القمقام والغطام والهراس وكل واحد منهم يكفى لأن يهلك جيوش أعدائك بأجمعها وبعد أن عرفت معظم ما أنا مشتاق إلى معرفته عدت مسرعا إلى هذه الجهة لأطلعكم على أمر الهنود وما رأيت من امرهم . فلم يضطرب فيروزشاه لهذا الامر بل قال انى اعرف جيدا اننا سنفوز على هذه العساكر الى جاءت لكنى متكدر من مجيئها ولا بد انها تعيقنا عن السفر اذ ليس من الصواب ان نترك الوزير مهريار لوحده وما

من قوة عنده للدفاع عن المدينة أو لكبح الهنود فقال بزرجمهر ان لدينا أمران وهما اما ان تبقى إلى حين دفع هذه العساكر التي جاءت وتبديد شملها واما ان نقسم رجالنا إلى قسمين قسم يسير إلى إيران وقسم يبقى للدفاع عن المدينة وعن سلطة الوزير مهريار .

فقال الملك بهمن انى لا أحب ان أقسم جيوشى إلى قسمين فتضعف بل من الصواب ان نلبث هنا عدة أيام إلى ان يأتوا هؤلاء الهنود وبعد مجيئهم نحاربهم وبمساعدته تعالى ندفعهم ونوقع بهم ومن ثم نسير إلى بلادنا ومهما قدره الله علينا نفعله فهو يعلم ما أعد لنا فى مستقبل أيامنا ثم انهم اعتمدوا على البقاء فى المدينة وانتظار الهنود إلى نواحيها واستعدوا لأن يوقعوا بهم دفعة واحدة ولا يتركوا لهم مجالا طويلا من العاقة والتأخير

قال وكان سبب مجىء الهنود إلى تلك الديار هو ان الذين هربوا من وجه بهزاد عند قتله كتوال وخلاص اردوان كما تقدم معنا الكلام بقيوا مهزومين وسائرين عدة أيام ينتقلون من بلاد إلى بلاد حتى وصلوا إلى بلادهم فدخلوا على الملك شنكال ومزقوا ثيابهم وبكوا وناحوا وحكوا له كل ما حل بهم رجال الفرس ونعوا اليه قتل كيوال وكتوال فغضب مزيد الغضب وتكدر غاية الكدر وكان موجودا فى ديوانه أخوتهما الثلاثة وهم أشد منهما بأسا وأقوى مراسا القمقام والغطام والهراس فناحوا وبكوا على أخويهم ونهضوا واقفين أمام الملك وقالوا له لانقدر يا ولانا ان نسكت عن ثار اخوتنا ولابد من مسيرنا فى نفس هذ اليوم لأن العساكر حاضرة للرحيل وهى تقدر على السفر فى هذه الساعة .

فقال طيبوا قلبا وقروا عينا فلابد من مسيرى معكم إلى تلك البلاد وهلاك هذه الطائفة الفارسية التى تقدر نفسها حق قدرها حتى أوصلت أذاها الينا وصار لنا ثارا كبيرا عليها وجل غايتى إلى المسير معكم لأجل أمر مهم عندى وهو ان بعض السياح أخبرنى ان للملك جهان بنت وحيدة فى زمانها حسنا عقلا وأدبا ولذلك سأصحب معى ولدى كوكلة فأزفه عليها فى تلك البلاد ومتى رأى جهان أننا فعلنا معه جميلا يطلب التقرب منا ويسر بمثل هذا الزفاف .

وكان عند الملك شنكال امرأة مسنة بالعمر اسمها رزة الساحرة قد حوت من أبواب السحر والكهانة أعظمها وعرفت كل فنون الطلاسم وما هو من هذا القبيل وكان شنكال لا يفعل شيئا إلا بمعرفتها لعلمه بما هى عليه من القوة وفى ذلك الوقت دعاها اليه وقال لها أريد منك يا أماه ان تضربى لنا الرمل وتنظرى فى سفرنا إلى الصين ومحاربة الفرس أهل نفوز عليهم أو يقع علينا حادث مسىء فأجابته إلى طلبه وبعد ان فرغت قالت له انى انصحك يا ولدى ان لا تذهب إلى محاربة الفرس

فقد ظهر لى الانكليس وبان النحس معقوداً على أطراف الطمع فما من نجاح تلاقى فى تلك البلاد . قال لها أريد منك مساعدتنا لأن ما من وسيلة ترجعنا عن حربهم بعد أن فعلوا بناما فعلوا والصواب أن لانتقاعد عنهم ونتركهم يقتلون لنا فرساننا وأبطالنا ويوصلون شرهم الينا قالت إذا كان لا بد لك من المسير فانى أسير معكم وأرفع عنكم شدات عند الضيقات فاذا قصرتم أثناء الحرب والقتال وما عاد من أمل لكم بالنجاح قهرت لكم الأعداء بقوة السحر وفعلت بهم أفعالا تذكر مدى الأجيال فافنيهم عن آخرهم . فسر شنكال من كلامها وشكرها عليه وبعد ذلك أمر أن تنقل الفوارس إلى المراكب تعجيلا للوقت وتقربا لسرعة الوصول إلى باكين قبل أن يرحل الفرس منها كل شيء أمر به من زخائر ومؤن وعساكر وأسلحة وغير ذلك ثم أعدمركبا مخصوصا لنفسه فنزل فيه مع ولده كوكلة وكان قدأخذه معه وفى نيته أن يزفه على بنت جهان الذى تقدم وصفها وقد عرض عليه ذلك فما امتنع بل أجاب وكان على ما يقال أنه قبيح المنظر جداً ناقص العقل ضعيف البنية فسر عند سماعه بذكر العروس وصار بفرح لا يوصف .

وبعد أن نزلوا البحر ونزل القمقام والغطام والهراس فى مركب آخر أقلعت المراكب تمخر البحار وهى منتشرة كالنجوم السيارة وقدوافقها الهواء وخدمتها الرياح حتى أوصلتها بوقت قريب إلى شواطىء بلاد الصين فرست عندها ونقل كل ما فيها إلى البر كما تقدم معنا وكان بدر فتات قد رآها وعرف ما هى عليه وسار فأخبرمولاه بهمن وقومه بكل ما رأى وبقى شنكال عند الشاطىء مقدار ثلاثة أيام وقد انتشر خبر وصوله فى كل تلك النواحى وأخذ رجال الصين المتفرقون من عن المدينة يلقون إلى تلك الجهة لينضموا اليه لأنهم لم يقبلوا أن يدخلوا المدينة بعد تأمين أهلها كرها بترك عبادة النار وكانت رزة الساحرة مع الجيوش وهى لا تفارق على الدوام الملك شنكال بل تجتمع به فى كل الوقت وعندها ولدها برنش العيار وبعد مضى ثلاثة أيام عزم على الرحيل إلى جهة المدينة وأمر العساكر أن تستعد للرحيل والمسير .

وكان الملك جهان كما تقدم معنا الكلام قد فر من أمام الفرس فى القتال الأخير عند أسوار المدينة وبقى سائرا من جهة إلى ثانية وقد تأثره بعض قومه وانضموا اليه فقال لهم إن مرادى الآن أختفى عن الأعيان ولا أظهر أمرى لأحد من الناس إلا للذين أعهد أنهم أصدقائى ويكتمون أمرى وذلك لكى لا يظهر خبرى للفرس فيأتون إلى ويقبضون على وربما قتلونى وأبقى إلى أن يرحلوا إلى بلادهم أو أن تبعث النار لنا بالملك شنكال كونى أعلم جيدا أن لا بد من مجيئه لأخذ ثار رجاله الذين قتلوا وتفرقوا وقد كان فى نيته أن يأتى بنفسه منذ الاول فأجابوا سؤاله وذهبوا

جميعا إلى قرية عالية فى ظهر جبل سكنوا فيها وأخفوا فيما بينهم الملك وصار بينهم كواحد منهم وهم فى كل يوم يذهبون إلى البرارى والقفار يصطادون ما تصل اليه أيديهم من الوحوش التغذى بلحمها وكان قوم منهم يذهبون إلى جهات المدن الكبيرة للاستقصاء عن الأخبار والاستعلام عما يجد من أمر الهنود ودامت هذه الحالة حالتهم مدة من الزمان إلى أن بلغهم أن الملك شنكال قد جاء من بلاده على المراكب ونزل الشاطىء فسر جهان بهذا الخبر وقال لقومه انى أريد أن أذهب إلى الملك شنكال من هذه الساعة وعندى أن أنضم اليه واقع عليه وأطلب نجدته ولابد إذا عرف قومنا بنا واننا مع الهنود يأتى الينا كثير منهم فتقوى شوكتنا وعسى أن النار تكون راضية عنا فتعيد الينا بلادنا ويرجع الينا المجد الذى فقد فأجابوه إلى سؤاله وساروا معه إلى جهة الشواطىء التى عندها الملك شنكال وفيما هم سائرون رأوا رجلا يقمز بين تلك القفار كانه العفريت الطيار فتبينوه وإذا به ونك العيار فصفقوا من الفرح وأمر جهان أن يسير اليه أحد قومه ويطلب حضوره فأسرعوا اليه وأحضروه أمام جهان فقبل يديه وفرح بملتقاه مزيد الفرح وسر غاية السرور فقال له جهان أين كنت فى كل هذه المدة وكيف تسهل لك الوصول إلى هذه النواحى فأخذ يشرح له كل ماتوقع من الوزير مهريار من حين دخوله ومسكه إلى يوم زفاف شمس بالملك بهمن وما جرى من الاحتفال وكيف انه كان عزم على قتل الملك فضعفت عزائمه وجمدت يده

ولما سمع جهان هذا الكلام أطرق إلى الأرض وقال له هل انتهى هذا الزفاف برضى بنتى شمس قال نعم وهى نفسها طلبت ذلك ووافقت عليه مع انه كان بوسعها أن تخالف ولو أغصبوها عليه فلم يبد جهان كلمة قط ولا أظهر غيظه من هذا الأمر بل قال لونك سر أمامى الآن إلى جهة البحر فقد عرفت أن الملك شنكال نازل هناك مع فرسانه وأبطاله فأجاب طلبه وانطلق أمامه يجرى وهو مسرور بملاقاة سيده بما سمعه من مجىء فرسان الهنود مع الملك شنكال ويعد نفسه بالانتقام من الفرس. ودام جهان من الأشخاص الذين معه بالمسير إلى أن لاح لهم الشاطىء عن بعد فتبينوا من هناك وإذا بطائفة الهنود قائمة كالجراد المنتشر فزاد فرحهم وانحدروا إلى أن وصلوا اليهم وتقدم جهان من شنكال وشكا له كل ما كان من أمره وما جرى عليه من البداية الى النهاية فوعده بكل جميل وترحب به مزيد الترحاب وقال له يصعب على أن أسمع بوقوع أمر عليك بمثل هذا الأمر وأرغب كثيرا ان أدافع عنك وعن بلادك لأنك صرت شريكا لى بالثأر والذى يهمك يهمنى وعلاوة عليه من حين خرجت من بلادى قصدت أن أزف ابنتك شمس على ابنى كوكلة لأنه بلغنى ما هى

عليه من الحسن الباهر والجمال البارع والتعقل والآداب والحكمة . فقال جهان انى عرفت يا سيدى أن الملك بهمن أجبرها على الزفاف به وتزوجها وهى الآن قائمة عنده . فلما سمع الملك شنكال هذا الكلام زاد به الغضب واضطرب كل الاضطراب وقال لابد لى من قتل هذا الملك المتعدى الذى لم يكفه التسلط على بلادنا والاستيلاء عليها وقتل رجالنا وفرساننا حتى مد يده أخيرا الى التسلط على نسائنا واغتصابهن وأخذهن من أيدينا واحتم الآن انى سأنزع منه بنتك وأزوجها بابنى بالرغم عنه بعد أن أذيقه العذاب الأليم وسوف يرى أن فرسانى وأبطالى ورجالى هم الفائزون فلعن الله الفرس ولعن يوما جاءوا فيه الينا وها انى ادع عساكرى الآن تسير من صباح اليوم الثانى الى جهة المدينة ثم أمر أن يزاع بين الهنود أن يكونوا على أهبة السفر حتى اذا اشرق الصباح القادم ركبوا وساروا لنحو بكين لمحاربة الفرس

قال وكان فيروز شاه باق فى المدينة كل هذه المدة وهو ينتظر قدوم الهنود ولما تاخروا ثلاثة أيام عن الحضور دعا برجاله ووزرائه وقال لهم انه لم يعد يسعنى أن أنتظر فى هذا المكان أكثر من يوم واحد فاذا لم يصل الأعداء رحلنا اليهم ولا يخفاكم صعوبة المركز الواقعين فيه الآن فان فكرى على الدوام يضرب الى جهة بلاد ايران ولا يمكنى التأخر ومن الصواب أن نسير الى الجهة التى فيها الهنود فنبطش بهم هناك ونذيقهم أمر العذاب ونرجعهم من حيث جاءوا وأنا على يقين أن حربنا معهم لايكون أكثر من سبعة أو عشرة أيام . فاجاب الامراء قوله وباتوا يستعدون الى الرحيل واخذوا باجمعهم يتهياون وفى الصباح نهضوا ونظروا الى البر فلم بروا أحداً قادما فاخبروا فيروزشاه فامر ان تخرج العساكر وتسير الى جهة البحر فاجابوا أمره بالحال وخرج الملك بهمن تحت الرايات والأعلام ومن خلفه بقية الفرسان والأبطال وعندما انتهوا من المدينة خرج فيروز شاه فى الأخير بعد ان دبر أحكام المدينة وسلم أمرها الى مهريار واوصاه بالتأنى والتروى والمحافظة على الأبواب ومن ثم لحق بالقوم فادركهم ومشى باولهم وهو كالأسد الغضنفر يطلب ملاقاة الهنود لينهى هذه الحرب ويرجع الى بلاده باقرب وقت ودام على مثل هذا المسير مدة يومين وفى اليوم الثالث تبين طلائع الهنود قادمة فى طريق باكين وكان المكان الذى وصلوا اليه واسعا يانعا فامر فيروز شاه بنزول العساكر فيه وان تاخذ لنفسها الراحة من التعب وكذلك عساكر الهنود فانها رأت الفرس وتأكدتهم من اعلامهم وعلموا بقرب وقوع الحرب بينهم ولهذا السبب امر الملك شنكال ان ترتاح عساكره بتلك الأرض حتى عند الصباح يفاجئهم ففعلوا وبعد ان استقر به المقام وضربت اطنابه فيه اقام بصيوانه وجمع اليه كل رجاله الأعيان ووزرائه وقال لهم هوذا الحرب قريبة منا وانى ارغب فى ارسال

كتاب إلى فيروز شاه أطلب الطاعة والخضوع والتخلى عن البلاد وبعده عنها وترك شمس بنت ملكها وأن يقيد ابنه ويسلمه لنا فاذا أجاب عفونا عنه وإلا زحفنا عليهم وأهلكناهم فى الغد عن بكرة أبيهم فيا منهم من خالفه بشىء مما ذكر وعليه فقد أخذ قلما وقرطاسا وكتب ما يأتى

من شنكال ملك الهند والسند ونحوهما ونصير الملك جهان إلى فيروزشاه بن الملك ضاراب الفارسى

اعلم أيها الملك العاتى المتجبر المتعجرف انك تطاولت وتعديت حتى ظننت أن لا أحد من الملوك يقدر على ردعك والايقاع بك ولهذا قد جئت أنا الملك شنكال لانزل من عظمتك والبسك أثواب الذل والعار وآخذ بثأر فرسانى وأبطالى الذين تعديت عليهم وأنزلت بهم البلاء العظيم وما حسبت حساب قدومى عليك وطلبى لثأرهم والآن فانى آمرك أمرا واحدا اتخذه وسيلة لعودى عنك وبغيره لا رجاء لخلاصك منى وهو تقبض أولا على ابنك بهمن هذا الصغير وترسله إلى مكتوفا تحت الحفظ لأفعل به غايتى ويكون دليلا على طاعتك وخلاصك ورغبتك فى خدمتى ومن ثم تكتب لى كتابا تتعهد به أنك ترحل بعد خمسة أيام عن هذه البلاد فلا يكون لك بها قط أثرا لا أنت ولا قومك وتتخلى عن شمس بنت جهان وتعترف بعجزك عن مقاومتى وإذا وإذا لعب بك الكبر وحثتك نفسك بالمقاومة زحفت عليك بقومى راكبين الأفيال فتدوسك بارجلها ولا يكون لكم قط غير الموت باجمعكم جزاء على أعمالكم السابقة ولا أعود أقبل بصلح فيما بعد والسلام على من أطاع النار وعرف عظم مقدرتها والويل لمن عصاها وكره فى خدمتها وعبادتها

وبعد ان ختم هذا التحرير دعا ببرنش العيار ابن رزة الساحرة وقال له أريد منك أن تذهب بهذا التحرير إلى فيروز شاه فارس الفرس وملكهم وتدفعه اليه وتاتى منه بالجواب حالا فاخذه منه وانطلق كالبرق الخاطف وبعد دقائق قليلة وصل إلى أمام فيروز شاه ودفع له الكتاب فاخذه منه ودفعه إلى وزيره طيطلوس فيقرأه علنا فاخذه وقرأه ومافرغ من قراءته حتى لعب الغضب بفيروزشاه من كلام الملك شنكال ولم يقبل أن يجيبه بجواب بل قال لرسوله سر إلى مولاك واخبره انه لا يستحق عندى الجواب وسوف نلتقى فى ساحة الميدان فيعرف قيمة نفسه ومن هو أمام فيروز شاه فعاد برنش العيار وأخبر الملك شنكال بجواب سيد الفرس فتوعده بالشر وأن لابد من قتله فى الغد وهكذا بات الفريقان على نية القتال . وفى صباح الغد نهض كل فارس يتفقد سلاحه ويعدد عدده لعلمه ان لا نجاة إلا بالدفاع بالأسلحة الحادة والعزائم المتينة . وقبل أن لاح نور نهار اليوم المنتظر نهض فيروز شاه باكرا وأمر

أن تضرب طبول حربه لتنذر الهنود بالقتال فيعلمون أنهم لم يغدروا ولم يؤخذوا بالعجلة ولتكون ميقظة لرجال الفرس من مراقدهم للركوب والاستعداد

قال وعندما أشرقت الشمس ولاحت بأنوارها مالئة الآفاق وكاشفة عن وجه الأرض برقع الظلام تقدمت الفرسان من كل جهة ومكان واصطفت فى وسط الميدان وبأول كل طائفة فارسها وحاميها وركب الملك بهمن وإلى جانبه طيطلوس وبزرجمهر وتقدم فيروز شاه فى الوسط وأقام فى الجناحين بهزاد وأردوان ومن بعدهما باقى الفرسان كفرخوزاد ويلتا وطهمور وبهمزار قلى وخورشيد شاه وكرمان شاه ومصفر شاه وجمشيد شاه وشيرزاد وغيرهم من الفرسان الأمجاد وركب الهنود على خيولهم وأفيالهم وفى مقدمتهم القمقام والغطام والهراس وباقى ما جاء معهم من أبطال الهنود ولما اصطف الصفان وانتظم ترتيبه صاح فيروز شاه بأصواته المعتادة وأشار بسيفه إلى قومه أن تتبعه وهجم هجوم الأسود وانحط انحطاط الرعود واقتحم ذلك البحر العباب الكثير الويلات والعذاب . وقلب الميامن على المياسر وأعمى العيون والنواظر وطعن فى الصدور والخواطر . وشتت الفرسان فى كل جهة ومكان وأبلاهم بالذل والهوان . وهكذا بهزاد فانه فعل فى معركة الطراد كما تفعل بالغنم الآساد وأنزل عليهم الهلاك والدمار وقتل منهم جماعة كثيرة المقدار . وأما أردوان فلم يأخذه هدو ولا توان . بل أشفى غليله فى ذلك اليوم العظيم الشان . وهو ينادى يا لثارات شيروه بن كولندان ولم تكن أفعال فرسان الهنود بأقل عظمة من فرسان الفرس لأن كلا من القمقام والغطام والهراس قد مال بفيله وعمده على ناحية من رجال إيران فأشبعهم من الضرب والطعان . ومددهم على بساط الصحصحان . وشردهم من أمامه فى كل مكان ودام القتال على مثل تلك الحال إلى أن قرب الزوال وحينئذ ضربت طبول الانفصال . فتلقاها القومان بالاقبال . وما صدقوا أن يرجعوا فى ذلك اليوم عن ساحة المجال .

ولم يكن إلا القليل حتى هدأت أصوات المتقاتلين وعاد كل منهم إلى خيامه وهو مقطوع النفس لا يقدر على الحراك ولا يمكنه حمل سلاحه وبعد أن أكلوا الطعام وأخذوا الراحة لأنفسهم وضمدوا جروحاتهم باتوا والحراس قامت تخفرهم من كل جهة وصوب إلى أن أشرق الصباح وضربت طبول الحرب والكفاح وصاح نفير القتال من كل جهة وناح . فنهضت الفرسان من مراقدها وأسرعت إلى أسلحتها فنقلتها وإلى خيولها فركبتها وتقدمت كعادتها وهى تسأل لنفسها الفرج والانتصار ولما التقت العين على العين صاح وهجم كل من الفريقين . فاشتدت الحرب أى اشتداد وراج سوق الطراد . وبيعت فيه النفوس بأبخس الأثمان . واندثرت فيه الجسوم والأبدان . وداست الخيول على الهامات . وعمت المصائب والويلات . ووقفت

فى وجه المتقاتلين من كل الجهات . ودام الدم يبذل والرجال تقتل إلى أن قرب الزوال تركوا الحرب والقتال وعادوا من ساحة المجال وباتوا تلك الليلة تحت مشيئته تعالى إلى أن صافحهم اليوم الثالث بانواره فنهضوا إلى شغلهم وعملهم وركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واصطفوا بالعرض والطول وعول فيروزشاه أن يهجم كالعادة وهو محروق الفؤاد من أفعال القمقام كبير فرسان الهنود لأنه أهلك كثيرا من قومه وهو يود أن يلتقى به فى ذاك النهار وإذا بأخيه الأصغر المعروف بالهراس قد برز إلى وسط الميدان وهو على ظهر فيله كانه أحد عفاريت سيدنا سليمان فعرض وبان ولعب على أربعة أركان الميدان . ثم طلب براز الأبطال والفرسان . وما أتم عمله حتى فاجئه أردوان وصاح فيه بقوة قلب وجنان . وأخذ معه بالضراب والطعان . وباقى الرجال تنظر اليهما بالعيان . تنتظر نتيجة هذا البراز . وتطلب السرعة فيه والانجاز . وكل طائفة تتمنى نجاح صاحبها وأن يعود اليها سالما منصورا هذا وهما بأشد قتال وأعظم نزال لا يسمع بينهما إلا همهمة وصياح ودمدمة حتى ارتفع فوقهما الغبار فغيبهما عن الأبصار وحجبهما عن الأنظار . وتعلمت الفرسان منهما البراز . وما تضمنه من الأسرار وداما على ذلك إلى ما بعد الظهر بساعة وعند ذلك تعجب الهراس من ثبات أردوان أمامه مع صغر سنه وهو دون العشرين وعليه فقد صاح فيه وقال له ويلك أيها الغلام لقد ثبت ثبات الأبطال الصناديد الذين ضربت بهم الأمثال من قديم الأجيال ولم يكن بعهدى مع صغر سنك أن تلقانى وأما الهراس أخو القمقام وما سميت بالهراس إلا لما عرف الناس عنى انى ما ضربت ضربة إلا وسحقت ما تحتها ولو كان جبلا راسيا وقد عولت الآن أن يكون أحدنا منصفا للاخر وهو أن تضربنى ثلاث ضربات فاضربك نظيرها ومن منا كان أقدر على الآخر نال منه المراد فقال له انى أجيبك إلى ما أنت طالب وأسألك أن تضرب أولا لأن الفرس يزيدون غيرهم بالانصاف ولم يسبق لهم أن ضربوا أحدا من مبارزيهم بالأول فكن أنت البادى وبعد أن تفرغ من دورك عدت أنا فضربتك أيضا بدورى

فوافقه الهراس على ذلك وقال فى نفسه انه لا يحمل أكثر من ضربة واحدة وحتم فى نفسه أنه سيقتله لا محالة لأن ثقل عمده كان نحو ستمائة من وكان أعرف الجبابرة بضرب العمد . ومن ثم صال رجال وصاح على أردوان وقال اثبت مكانك واستعد للمات ورفع العمد بيده إلى الجو الأعلى وأرسله بما أعطى من القوة والمعرفة فوقع على طارقة أردوان كانه الجبل الهابط وسمع له صوت عظيم وفرقعة كبيرة كفرقعة الرعود عند اشتدادها وشعر أردوان بتخدر فى يده وعرف أن الهراس قوى الحيل ثابت العزم شديد الضرب غير أنه أظهر الجلد ولم يظهر على نفسه ما لحق به وقال فى نفسه لا بد

من المحاولة فى لقاء ضرابه إلى أن يفرغ أو انى أموت فألحق بشيروه . قال ومن ثم عاد الهراس إلى عمده فرفعه وضرب به أردوان ضربة ثانية كاد لولا القليل أن يقع من تحتها وزاد تخدر يده وضعف زنده وطلب من الله أن يمينه على الثالثة ويساعده على أن تمضى ولحظ منه الهراس الارتباك والضعف فطمع فيه ونظر ما حواليه ليرى ان كانت الفرسان محدقة به ليريها فعله فرأى بهزاد وقد ساق بجواده ووقف قريبا منه فعرف أنه ما جاء إلا لخلاص أردوان ولذلك أسرع اليه بالضربة الثالثة فانثنت لها يده ووقعت على رأس جواده فسحقته وأراد أن يهجم عليه لما رآه وقع إلى الأرض فلم يمكنه بهزاد بل صاح فيه وهجم عليه وفى تلك الساعة أمر فيروزشاه الفوارس بالحملة فحملت من كل الجهات والتقتها جيوش الهند بقوى عزيمة وثبات واشتعلت نيران الوغى أى اشتعال وعملت فى الرؤوس العوامل الطوال . واختفت فى الصدور البيض الصقال وكال بائع الموت نفوس الرجال . بأوسع مكيال . ودام الهراس مع بهزاد فى شديد عراك وطراد إلى أن قرب الظلام وضربت طبول الرجوع إلى الخيام فافترق الفريقان وترك بهزاد الهراس وقال له فى الغد التقيتى ان كنت من أبطال هذا الزمان فوعده بالبراز وعاد كل منهما إلى جهة وكانت رجال الفرس قد أشفت غليلها وأروت ظمأ قلوبها وعادت مسرورة ما عدا أردوان فانه كاد ينشق من الغيظ لما لحق به وهو يؤمل أن يعود ثانيا إلى قتال الهراس ليأخذ لنفسه منه بالثأر

قال وفى المساء جلس فيروز شاه فى صيوان ولده الملك بهمن واجتمع حواليه الأبطال والفرسان حسب العادة وجاء أردوان وهو متكدر من نفسه فسلم وجلس وبعد أن استقر به المقام قال له فيروز شاه انه يخطر لى يا أردوان أن أكبلك بالقيود وأمنعك عن القتال . فقال له بهزاد لما ذلك يا سيدى قال كونه برز إلى الهراس دون استئذان منى وأخاف أن يرمى به جهله واعتزازه بنفسه إلى المخاطرة ويوقع فى مصاب عظيم ويتركنا حزانى عليه . فنهض أردوان وقال له هاك نفسى وجسدى فانى أقدمهما لك وعرفت الآن انى مذنب كل الذنب وكان من الواجب أن أستأذن منك فغاب عنى الوعى من أن يسبقنى أحد إلى الهراس . قال انى أعرف منك ذلك ولهذا كنت أرغب فى قيدك لانك تعديت على حقوق عمك بهزاد فهذه المهنة مخصوصة به لأنه هو بهلوان تخت فارس الأكبر وما زال موجودا لا يحق لى أنا أيضا أن أبارز أحدا وما زال هو يرغب ببرازه ولو لم يكن به الكفاءة لمنعناه من براز الأبطال وانى أعرف جيدا أنك أشد باسا من الهراس ولولا ذلك لماثبت لثقل ضرباته ولو كنت أنت البادى لكنت أمته وأعدمته الحياة حيث عرفت من ضربه أنه بطل شديد الحيل والقوى ولا أحد يقدر من قوى أن يلتقى ضربه بثبات إلا عمك بهزاد

فنهض بهزاد وسأل فيروز شاه باردوان وقال له اعلم يا سيدى انه ليس دونى بالقتال وهو من نسل فيلزور البهلوان غير أن سنه يطيشه ويغيب عنه الصواب فأجاب فيروز شاه سؤال بهزاد وسمح له هو وحده أن يقاتل الهراس واخوته وعلى هذا بات الجميع ينتظرون يومهم القادم إلى أن جاء وضربت طبول الفرس واجابتها طبول الهنود فنهض الفرسان إلى الخيول فركبوها وتقدموا إلى أحد الذى تعين لهم وما انتهوا من الترتيب والانتظام حتى سقط بهزاد كأنه السهم إذا خرج من القوس وانطلق من ناحية الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال بطول المعسكر حتى الذى كان فى هذا الرأس لا يراه عند وصوله إلى الرأس الآخر ولما حمى الجواد وأخذ يضرب الأرض بيديه وهو يغلى كانه المرجل أوقفه بهزاد فى الوسط ونادى الهراس أن يبرز اليه وما أتم كلامه حتى شقت جيوش الهنود وخرج منها الهراس على ظهر فيل عظيم كانه الجبل العالى ولما التقى الاثنان . اختلف بينهما الضرب والطعان . واشتد الحرب والكفاح . وأكثرا من الصراخ والصياح : وكانا يتضاربان ضربا عظيم المقدار . كانه الصواعق عند الانحدار ويتطاعنان بالعمدان فتقع على الطوارق ويطير منها شرار النار . وبالاختصار انهما بقيا على تلك الحال إلى أن مضى جانب من النهار . وحينئذ عمد الهراس إلى أن يترك الجولان ويرجع إلى القتال بالعمدان كما صار بينه وبين أردوان لأنه كان يعتمد على قوة زنده وثقل عمده فصاح ببهزاد وقال له ان هذه الحالة لا تنولنا المراد فاثبت أنت لأضربك ثلاث ضربات بعمدى هذا ثم عد أنت فقابلنى بالمثل فقال ان هذا شأنكم أنتم الضخماء الأجسام فافعل ما أنت فاعل واضرب ثلاثا بثلاثين فان ضربك لا يؤثر ولا يحط من عزمى . ففرح الهراس باجابته وتيقن فى داخله أنه سيفوز على بهزاد كما فاز على أردوان ولذلك رفع العمد وصاح هيا انظروا فرسان إيران ما يحل بفارسكم بهزاد لتعلموا ما الفرق بينه وبين الفرسان الشداد وبعث العمد إلى الطارقة يهوى مدفوعا بقوة زند الهراس وبثقله العظيم حتى ترجح عند الهنود وفى خواطرهم انه لا يصل إلى بهزاد إلا ويسحقه كالرماد ووقع العمد على الطارقة فاندفع إلى الوراء بقوة ساعد بهزاد وبخبرته بهذا الفن ولم يؤثر فيه قط إلا انه شعر من نفسه بثقل الضربة وثبت عنده أنه ما قاتل فارسا قبله مثله غير أنه لم يكترث بذلك بل صاح فيه وقال له ويلك أهل دعيت الهراس وأنت لا تقدر على سحق نملة وكنت أظنك أقدر على قوة الضرب من الآن فاغتاظ من تهكمه عليه وقال له سوف ترى فانك لا تصل إلى الثالثة إلا ويحل بك ما حل بأردوان ثم ضربه الثانية فاندفعت كالأولى إلا أن بهزاد عرف أن أردوان معذور على ضعف يده وعلم انه ان لاقى الثالثة كالأولى والثانية أسقطها الهراس على جواده

أو على فخذه ولذلك قصد التحرس منها وان يدفعها إلى جانبها فلا يدع عدوه يتمكن منه بالخيانة . ثم ان الهراس قال له اثبت للثالثة فهى القاضية ورفع عمده ولاحه بالهواء وسقط به عظيما قويا حتى وصل إلى طارقة بهزاد فدفعه بقوته ومعرفته إلى جانب وعيناه ترقبه فقلت العمد لقوة الدفعة من يد الهراس ووقع على بعد عشرة أذرع حتى غاب عن الصواب وأيقن بالهلاك والممات وكذلك تعجب كل الأبطال والفرسان الذين كانوا ينظرون هذه الأعمال العظيمة .

وبعد ذلك صاح بهزاد بالهراس وقال له اثبت الآن فقد جاء دورى وانى لا أسحب عليك العمد بل أضربك بالسيف ثلاث ضربات قال افعل ما أنت فاعل فما سيفك إلا كسكين جعلت لقطع اللبن فكيف تنال به غاية وطارقتى بسمك أربعة قراريط من الحديد وفيها من الحلق والشناكل والمسامير ماسمكه أربعة قراريط أيضا وانى أضحك من ضعف عقلك ثم رفع الطارقة فى يده حتى كادت تغطيه عن العيان وانتظر بهزاد ان يصل اليه ويضربه لأنه كان أطلق لجواده العنان ودار من حول الفيل عدة دورات ثم وقف فى وجهه وصاح بصوت قوى خذها ضربة قوية من يد بهلوان الفرس فصاحت جميع الفرس بصوت واحد العادة العادة يا بهزاد يا نسل رستم زاد فزاده هذا النداء حماسة فقمز إلى ظهر الجواد بأسرع من البرق حتى التوى عليه واقفا على الابهام وسقط بالسيف على الطارقة فقطعها إلى نصفين ووقعت الضربة فى كف الهراس من ناحية القبضة فشطرت يده شطرين ووقعت عند رقبته فتخللتها وسار السيف من هناك دون معارض ولا مانع إلى ان وصل إلى ظهر الفيل فوقع الهراس مقطعا وحينئذ اندفع أخوه الغطام وهو كأنه الليث الهجام وانطلقت من خلفه جيوش الهند فالتقاها بهزاد بقلب أشد صلابة من مطرقة الحداد وكان فيروز شاه قد صاح وحمل بجموع الفرس وهو مسرور من عمل بهزاد فعمل السيف القرضاب فى الصدور والرقاب وكانت وقعة عظيمة من أشد وقائع ذلك الزمان . ودام القوم بالحرب والطعان إلى حين الليل فضربت الطبول وعاد كل فريق إلى محل اقامته وتلقى الفرس بهزاد ومدحوه على فعاله وشكروه مزيد الشكر وقالوا له ما أنت إلا فخر الفرس وحاميهم ومعزز ملكهم وواقيهم فقال لهم ما أنا إلا عبد من عبيد فيروز شاه بسيفه أضرب وببأسه أسطو فهو قدوتى الوحيدة وساعدى الشديد لأنى ما ضربت ضربة إلا ووضعت أمام عينى كيفية ضرابه وطعانه ولا اخترقت صفا وسطوت عليه إلا واقتديت بأعماله حين انحطاطه على جيوش الأعداء ولولاه لما كنت أذكر بين الفرسان ولا كان يطيب لى الحرب والطعان فقبله فيروز شاه بين عينيه ومدحه المدح الكثير وقال له ما أنت إلا تاج هذه العائلة الكريمة وما رقاك أبى إلى رتبة الملوك إلا علما منه بأنك تستحق أعظم من

هذا وهو حتى اليوم ينتظر عودتك إلى الديار ليقيمك على المدن العظيمة كأحد أولاد عمه الشاهات .

قال وأما الهنود فانهم رجعوا مقهورين محزونين خاسرين وقد أرجعوا معهم جثة الهراس فاحتفلوا بها وبكى عليها أخواه القمقام والغطام وبعد ذلك دفنوها بالتراب وكانوا لا يصدقون باتيان الصباح ليبرز الغطام إلى بهزاد ويأخذ منه بثار أخيه الهراس وينزل به الهلاك والعذاب ولما كان الصباح نهض بهزاد باكرا يقصد الحرب والبراز ونهضت جموع الفرس والهنود فركبوا واصطفوا فى ساحة المجال وإذا ببهزاد قد صار فى الوسط فصال وجال كعادته حتى حير العقول والخواطر ثم وقف فى وسط الميدان وأشار إلى جيوش الهنود بالبراز فما انتهى من كلامه حتى فاجئه الغطام أخو الهراس المقتول فوق فيل كبير وعلى عاتقه عمد يبلغ مقدار وزنه سبعمائة من وبظهره طارقة واسعة كبيرة سميكة لا يقدر على حملها إلا أشد الرجال .

ولما صار أمام بهزاد قال له ويلك أيها الايرانى لقد قتلت أخى الهراس وقد كان يسوى جيوش الفرس بأجمعهم واليوم آخذ منك بثاره وأرسلك إلى دار الآخرة فقال له انى أنا قتلت أخوتك الثلاثة وهم كيوال وكتوال والهراس الأخير وانى اليوم سأتبعك بهم بعناية ربى وليس من العدل ان يبعد أحدكم عن الآخر كثيرا وحيث ما من وسيلة لاعادتهم اليكم فصار من اللازم الواجب أن تذهب مع أخيك القمقام اليهم ولا أحد غيرى يقدر أن يهديكم على الطريق لأنى رسول أمين .

فاغتاظ الغطام من كلام بهزاد وصاح به والقى نفسه عليه وأخذ بالجدال والطراد فالتقاه بهزاد كما تلتقى الارض الجافة وابل الأمطار وتطاير من طارقتيهما الشرار . من وقوع السيف البتار . وكان بهزاد قد عرف ان الغطام أشد من أخيه الهراس بأسا فأظهر براعته وأظهر كل ماعنده وجار عليه بالضرب وسرعة الجولان حتى كاد يغيبه عن هداه وهو يدور من حواليه كأنه المنجنيق ويهمهم كأنه الاسد فى مربضه حتى غابا عن الأبصار بما علا فوقهما من الغبار . وشخصت نحوهما فرسان الهنود والفرس بالانتظار . تنظر ما يكون بينهما ولمن الانتصار وبقيا إلى أن كاد ينقرض النهار . وإذا بصيحة من تحت ذاك الغبار قد ارتجت منها السهول والأوعار . وقائل يقول لعينيك يا مولاى فيروز شاه انظر اليوم ما يحل بعدوك وما يصل اليه فأنا بهزاد بهلوان تختك وخادم أعتابك فمال الجميع بعيونهم ونظروا تأكيد الصائح واذا به بهزاد قد امتطى بالركاب وانحذف على خصمه وفاجأه وسد عليه طرقه وطرائقه وضربه بسيفه على وسطه قطعه الى نصفين وألقاه الى الأرض قطعتين ولما رأت الهنود ما حل بفارسها لطمت على خدودها وبربرت بلغتها وهجمت على بهزاد وهى تقول له قطعت يداك (لا سمح

الله) على ماجنيت فقد قتلت فارسا يساوى المشارق والمغارب فلم يؤخذ بصراخهم وصياحهم بل التقاهم بقوة قلب وجنان وإذا بفيروز شاه قد انحط على الهنود بقومه وهو كأنه الغول يضرب بسيفه الرؤوس فيطيرها عن الأجساد وينزل بأصحابها الويلات الشداد حتى ملأ الأرض من القتلى وسد فى وجوه أعدائه كل باب وهو ينادى أنا فيروز شاه حبيب عين الحياة والفرسان تفر من أمامه وتشرد إلى اليمين والشمال وهو يتأثرها ولا يدعها تفوته أو تنجو من يديه وكان جواده الكمين من تحته كالبرق الخطاف ما أطلقه على كتيبة فارة إلا وأدركها من أمام ولا أرسله إلى ناحية بها الأعداء إلا وسبق بمسره فضل راكبه ولما رأت فرسان الفرس أعمال فيروز شاه اقتدوا به وعملوا كعمله وكان يعلم ان النهار عازم على الارتحال فاجهد نفسه كل الجهد ليلقى مزيد الرعب فى قلوب الهنود فلا يثبتون أكثر من يوم آخر وكان يقاتل وفى ذهنه الصعوبة الواقع فيها من جهة رغبته بسرعة الرجوع إلى إيران خوفا من الأشبع ملك الحبشة على أبيه ولذلك كان لوقدر ان ينهى الحرب فى نفس تلك الساعات القليلة لما قصر ولا يزال يضرب بالهنود حتى ألجئهم إلى الخيام وحال بينه وبينهم سلطان الظلام فرجع مسرورا بما فعل بتاخر الهنود إلى الوراء وتأكد من نفسه انهم يعرفون مركزهم فيضعفون ومامن رجاء لهم بالخلاص أو الثبات .

ولما عاد إلى صيوان والده فى المساء واجتمع كل أمراء الفرس ورجالهم من حواليه قام إلى بهزاد فقبله بين العيان وشكره على فعله وقال له بمثلك يجب أن تفتخر دولة الفرس وتباهى فلقد اشتدت أركانها وتركت لها هيبة فى قلوب الملوك والعظماء وقد استحقيت ان تكون الرجل الأول فيها مفضلا على ملوكها وساداتها . فقال له انى لاأستحق ياسيدى شيئا مما ذكرت وهل يمدح العبد على قيامه بخدمة متوجبة عليه لنحو مولاه أيحق أن اذكر فى دولة الفرس وأنت موجود فيها وذكرك يشق السبع الطباق من مشرق الشمس إلى مغربها وانى لا أهتم الآن إلا بامر واحد وهو أن تنتهى هذه الحرب ونرجع إلى الأوطان لملاقاة الأهل والخلان ولدفع هذا العدو الذى يتهددها وهو الأبشع الذى انتشر صيته فى سائر البلدان وملك على جميع بلاد الحبشة بقائم سيفه فقال الملك بهمن ان الحرب أصبحت على وشك الفراغ فما من الأعداء من يرجو الثبات فى القتال لولا رجاءهم بالقمقام وأعلمهم أنه يعيد اليهم النصر لتفرقوا فى هذا اليوم وانقرضوا عن آخرهم ومن المؤكد الثابت ان القمقام هذا هو أشد اخوته جميعا بأسا واقتدارا ولا ريب أنه يطلب ثار اخوته فيبرز فى الغد فاذا قتلته تفرقت من بعده جيوش الهنود . فقال بهزاد ان الله سبحانه وتعالى الذى ساعدنى على قتال كيوال وكتوال والهراس والغطام لا يصعب عليه أن يعيننى على قتل القمقام فلا بد من

بقتله وأتباعه باخوته الثلاثة فدعوا له بالفوز على عدوه وشكروا خلوصه لدولته .

فهذا ماكان من هؤلاء وأما ما كان من الملك شنكال فانه جمع اليه كل قومه وقال لهم لا خفاكم أن الامر الذى كنا نؤمله قد خاب وظهر لنا أن الفرس رجال أشداء وأنا إذا داومنا القتال معهم لا نرى نجاحا قط وعليه فانى عزمت على ترك القتال وأحب أن أدعو رزة الساحرة وأسألها المساعدة فوافقه الجميع إلى ذلك وأرسلوا إلى رزة فحضرت وسلمت فوقفوا إكراما لها وإجلالا لقدرها وبعد أن جلست قال لها الملك شنكال إنك ترين يا أماه الحالة التى نحن فيها وإذا بقينا يوما آخر أو يومين انقرضنا فاذا لم تدركينا بعنايتك لارجاء لنا بالخلاص وانا واقفون بك الآن وقد وعدتنا بالمساعدة عند الحاجة . قالت مرحبا وكرامة سوف ترى ماأفعل لك بالأعداء لتهلكهم عن آخرهم فقال لها جهان إنى أحذرك من شمس الساحرة فهى عندهم وقد تزوجت ببهروز العيار فقالت إنى أعرف ذلك وأعرف أنها تركت السحر ولم تعد تعتنى به على أنى لا ادعها تعرف ماافعل ولاأترك أحدا يظن أن مانعمله بهم سحرا فلايشعروا إلاوقدانقرضوا وذلك أنى سأنتشل منهم واحدا بعدواحد والذى أنتشله أضع مكانه فارسا من فرساننا بهيئته وصفته فلا يظنونه إلا هو ما عدا الملك بهمن فى الأول كى يظنوا هذا العمل عمل العيارين . ففرح شنكال من كلامها وقال لها لا عدمتك من نصيرة قادرة فاعجلى ياأماه بهذا فاننا فى الغد لا نقدر على الثبات فى وجوههم . قالت ابقوا أنتم هنا وبعد قليل أعود اليكم بالملك بهمن وبهروز العيار فاذا عرفوا بفقدان ملكهم يرتبكون فلا يطلبون الحرب والقتال فى الحال .

ثم إنها خرجت من أمامهم وأخذت ابنها برنش العيار ولما صارت خارج المعسكر اخذت ورقة وكتبت عليها والصقتها فى جبين ولدها وقالت له ان الذى يراك يرى بهروز العيار ثم القت على نفسها بابا خفيا فلم تظهر للعيان وقادت ولدها إلى باب فيروزشاه واوصته بكل ما يلزم عمله وان لا يذهب إلى صيوان شمس الساحرة أو يمر من امامها لانها إذا رأته عرفته لامحالة فوعدها بما أمرته وكان خبيثا محتالا ثم إنها دنت من بهروز وهو لا يراها فبنجته وأخفته معها وسارت إلى الملك بهمن فدخلت عليه وهو نائم فى صيوانه وأخذته وخرجت بعد ان اخفته بقوة سحرها وبقى ولدها عند باب فيروزشاه بصفة بهروز العيار وسارت هى حتى وصلت إلى معسكرها ودخلت على الملك شنكال وأزالت عنها الخفاء فظهرت بمن معها ففرح الملك شنكال وكل الحاضرين وشكروها على عملها ثم إنها أيقظت الملك بهمن وبهروز فنظرا الى ما حولهما مندهشين ورأى بهروز نفسه امام الملك شنكال فكاد يطير صوابه وصاح ويلكم ايها الاوغاد هل جسر تم على

اسرى وانا بهروز العيار وما خفتم سطوة زوجتى شمس الساحرة . فقالت له رزة اننا لا نخشى زوجتك ولا غيرها وسوف نقرنها اليك اذا كابرت ولم ترض بقتلك وسوف تجازيك على تعديك على السحراء فقد قتلت صفراء الساحرة والمقنطر الساحر وكركانى الساحره واخيرا اجبرت شمس الساحرة على الزواج بك ، ولهذا وقت الآن بيد رزة الساحرة وقرب اجلك بيدها . فقال لها ويلك اتظنين انى اخاف الموت وانى اعرف انى لو كنت مطلقا او كنت اعرف ان بين الأعداء ساحرة مثلك لكنت سعيت من اول الأمر بالقبض عليك واتبعتك بمن مضى ولا اخاف من سحرك ومن خياناتك لكنك غدرتى وسوف تعلم زوجتى فتخلصنى وتنتقم منك . ثم ان الملك شنكال امر ان يوضع الملك بهمن وبهروز تحت الحفظ الى حين طلبهما فرفوعهما واخذوهما الى صيوان بالقرب من صيوان الساحرة ووضعوا عليهما الحراس

قال وكان جهان قد رأى الملك بهمن وشاهد حسنه وصفاته فوقع من قلبه موقعا حيدا وقال ان بنتى معذورة على اتخاذه بعلا لها فهو كامل الصفات وعظيم الملك لا يوجد له ثان فى زمانه وكيف يمكنها ان تبدله بكوكلة ابن الملك شنكال وهو قبيح المنظر شنع الخلقة بليد ردىء الطباع مشوه الوجه لا يصلح ان يكون خادما عند هذا الملك الجليل المهاب واخذ من تلك الساعة ان يبحث من نفسه بنفسه على هذه الأفكار فكانت على الدوام موضوع اهتمامه وبحثه وافتكاره .

وفى صباح اليوم الثانى نهض فيروزشاه كعادته فوجد برنش امامه فظنه بهروز عياره لأنه كان على الدوام عنده مدة الحرب لا يفارقه كالعادة فطلب اليه ان يقدم له ماء لغسل وجهه ففعل وخدمه بحسب عوائده وعزم على ان يخرج ويأمر بضرب طبول الحرب والكفاح وإذا ببدر فتات قد وصل اليه وهو يلطم على وجهه وقال له اعلم يا سيدى انى لم اغفل قط طول الليل ولا فارقت الصيوان دقيقة واحدة وفى هذا الوقت دخلت على سيدى الملك بهمن فلم اجده فى الصيوان ووجدت سريره فارغا منه ولم ار اثرا لأحد لا خارج الصيوان ولا داخله فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام كاد يطير صوابه وغاب عن هداه وسار فى الحال الى صيوان ولده فوجده فارغا وكان قد شاع الخبر فى كل المعسكر فاجتمع هناك الوزراء والامراء وكلهم بارتباك وحيرة ووقفوا مبهوتين عند تأكدهم غياب الملك وارتبكوا فيه وصار كل يفكر فى نفسه دون ان يعرف احد منهم اين الملك واين ذهب ولحقت الحيرة كل رجال الفرس من الكبير الى الصغير وما منهم من قدر على ان ياتى بحركة طول ذاك النهار الى المساء وعند المساء قال لعياره بهروز اريد منك ان تذهب الى جيوش الهنود وتنظر لى ان كان الملك بهمن

اسيرا بينهم وتعرف لى خبراً عنه . قال انى عزمت على ذلك يا سيدى ولى ثقة كبرى أن اتوفق إلى المطلوب ثم تركه باتنظاره فى الصيوان الكبير وانطلق بأمان إلى والدته وأطلعها على السبب الذى جاء لأجله وأخبرها باضطراب الفرس لأجل ملكهم . فقالت له عد إلى فيروزشاه واخبره أنك جئت إلى هنا وبعد أن استقصيت الاخبار من الخدم تأكد عندك أن الملك بهمن أسيرا بيد الهنود وأن الذى أسره هو برنش العيار فانه محفوظ عليه بكثير من الحراس إلى غير ذلك من اطلاعه على أمر ابنه وأناهذه الليلة سأقصد جيوش الفرس وأجيء ببهزاد وأضع مكانه فارسا هنديا .

فرجع بهروزالكذاب إلى أن وصل إلى الصيوان الكبيرفدخل والناس فيه جلوس ولما وقف بين يدى فيروزشاه قال له لا ريب ياسيدى أن بالهنود عيارون ماهرون شياطين فقد سرت من هنا إلى أن تخللت جيوشهم وأنا كما ترانى بصفة واحد منهم لا يعرفنى أحد إلى أن جئت صيوان الملك شنكال فاذاهو جالس كأنه الأسد وحوله الملك جهان وجماعة من الفرسان وعلى بابه عياره برنش فدنوت منه وسلمت عليه وأخذت معه من حديث إلى حديث إلى أن عرفت منه أنه جاء إلى جيوشنا فى الليلة الماضية وانتشل من بيننا الملك بهمن سيدنا دون أن يراه أحد وعاد به إلى مولاه ولما تأكدت منه ذلك تركته وسرت إلى جهة ثانية عرفت أن فيها سيدى ولدك فحاولت كثيرا أن أتسبب إلى خلاصه فلم أقدر لأن الحراس كثيرون وكلهم ساهرون على محافظته ويحاطون بالصيوان من كل مكان فرجعت اليك لأطلعك على أمره وأبقيت أمرخلاصه إلى وقت آخر على ظن منى أنى سأرجع مرة ثانية إلى خلاصه عسى أن تكون الحراس قد ملت من المحافظة وآمنوا أكثر فأكثر : فلما سمع فيروزشاه هذا الخبر كاديطيرصوابه وغاب عنه هداه وحزن على ما لحق بولده مزيد الحزن وقال أيؤسر ملك الفرس وسيدهم وعنده أبطال وفرسان وعيارون يندر وجود مثلهم فى هذا الزمان ويكون آسره عيار واحد فهذا من عجائب الزمان ثم نهض إلى صيوانه مكدرا مغتاظا لا يعرف طريقه وتفرقت بعد ذلك الفرسان والأمراء يتحدثون بهذا الشأن وبقى بهروزعلى فيروزشاه محافظا لايظهر عليه ما يوقع فيه الظن أو الاشتباه .

وعند نصف الليل نهضت رزة الساحرة وألقت عليها بابا خفيا حتى لم تعد ترى وأخذت معها فارسين من فرسان الهنود المقدمين وعلمتهما كل ما تحتاج إلى تعليمه وكتبت ورقة ووضعتها على جبين الأول وقالت له كل من يراك ويسمع صوتك يرى بهزاد ويسمع صوته ولا يبقى فرق بينك وبينه وفعلت ذلك بالآخر وقلدته بأردوان وسارت بهما إلى أن وصلت إلى جيوش الفرس وتخللت الخيام ولا أحد يراهم وجاءت

إلى صيوان بهزاد ودخلت عليه وهو نائم وألقت فى أنفه دخان البنج فلم ينتبه فرفعته على عاتقها ووضعت مكانه الفارس الهندى وخرجت إلى صيوان أردوان فبدلته بالآخر ورجعت من حيث جاءت ومعها بهزاد وأردوان وأبقتهما عندها إلى الصباح وعند الصباح جاءت بهما صيوان الملك شنكال وعرضتهما عليه والفرسان عنده كالعادة فلما رآهما فرح مزيد الفرح وقال لها جزاك الله خيرا يا أماه فقد فعلت معنا جميلا عظيما بأسر بهزاد لأن لنا عليه ثارا عظيما فهو قاتل فرساننا ومشتت أبطالنا . ولما رأى القمقام بهزاد زأر كما تزأر الآساد وقال له لقد وقعت بيدنا ولابد من تقطيع لحمك بثار إخوتى فقال له بهزاد إنى إن قتلت لا أسف على نفسى لأنى عوضت ثمنى باضعاف حيث قتلت كثيرا من صناديد الرجال مثل اخوتك وغيرهم لكن لا يحق لك أن تفتخر بمثل هذه الحالة لأنك لو أسرتنى أو قتلتنى فى ساحة المجال لكان لك حق الافتخار بين ملوك الأرض وفرسانها . قال انى ما تأخرت إلا ازدراء بك من أن يقال عنى أنى قاتلت من هو دونى فى ساحة المجال . ثم أمر الملك شنكال أن يرفع بهزاد وأردوان الى الصيوان الموضوع فيه الملك بهمن وبهروز الى حين الاتيان بالباقين فيقتلهم جميعا .

ولما نهض فيروزشاه فى صباح اليوم الثانى الى الديوان ولم يخطر فى ذهنه ذلك النهار أن يباشر حربا وقتالا بل بقى متأثرا من أسرولده وجاء بهزاد وأردوان الكذابان وجلس كل إلى مكانه ولم يقدر أحد من رجال الفرس أن يميزهما أو يفرقهما عن بهزاد وأردوان الأصليين وبعد المخابرة والمحادثة قال طيطلوس لفيروزشاه اعلم ياسيدى أن لا سبيل لخلاص ابنك الا بالقتال والحرب والنزال فاما أن نصل اليه واما أن نأخذ اسيرا منهم عظيما فنفديه به فقال بهزاد الكذاب لقد اصاب طيطلوس وانى مصر فى الغد ان اقترن انا واردوان ونقاتل معا نحن الاثنان فلا نرجع ما لم نصل الى الملك شنكال ونأتى به اسيرا الى بين يديك ومن ثم نفديه بالملك بهمن والا لو تقاعدنا عن القتال تطول علينا الحال ولا نرى نتيجة توافقنا غيره .

فقال فيروزشاه انى اعرف ذلك واريده ولا اريد ان اترك القتال دقيقة غير انى منفعل كل الانفعال من اسر ولدى ومقهور كيف ان عيارا واحدا يخترق معسكرنا ويدخل على ملك عظيم ويأخذه من صيوانه وهو محفوف بالحراس والعيارون . فقال طيطلوس لا تتكدر من هذا يا سيدى فان اعمال العيارين عجيبة لا تقدر بحساب فكأنهم من طوائف الجان ولابد ان تعرف كيف ان برنش دخل وخرج دون ان يراه احد مع انه لم يبنج احدا ولا رآه عيار . ثم انهم قاموا باقى النهار وناموا تلك الليلة على نية انهم يقاتلون فى الصباح . وفى تلك الليلة نفسها جاءت رزة الساحرة واخذت

شيرزاد و يلتا ووضعت مكانهما فارسين من الهنود بصفتهما وهيئتهما ووضع شيرزاد مع رفاقهما وملكها وهم لا يعرفون كيف يؤخذون ولا يرون أنفسهم إلا فى ذاك المكان . وعند الصباح نهض فيروز شاه وركب فى مكان ولده الملك بهمن وأمر الجيوش ان تركب إلى القتال وهو يظن فى نفسه ان بهزاد يقدر على أكثر مما يقول ولا يقف فى وجهه أحد من جيوش الأعداء ولما رأى الهنود ان الفرس قد تقدموا طالبين القتال ركبوا هم أيضا وتقدموا يعدون أنفسهم بالفوز والظفر ووقف فيروز شاه فى الوسط ينظر القتال وأمر عساكره بالحملة فحملت دفعة واحدة والتقتها الهنود وانطبق القومان على بعضهما البعض واهتزت لانطباقهم جنبات تلك الارض وكان ذاك اليوم عظيم الأهوال . عجيب الأفعال تقطعت به الاوصال وقصرت الأعمار الطوال وقبضت الآجال من صناديد الرجال وبقى القتال إلى ما بعد الظهر وفيروز شاه يراقب الأحوال إلى أن رأى جيوشه قد أخذت بالتأخير ووقع بها عدم الانتظام ورأى رجال الهنود تنحط عليها كالبواشق من كل ناحية فغاظه هذا الأمر ولعب به سلطان الغضب فخرج من مكانه وأطلق لجواده الكمين العنان وصاح من فؤاد مقروح ورمى بنفسه على الهنود وأشغل فيهم ضرب الحسام ولما رأت الفرس فعاله واشتد بها أعصابهم وقويت ظهورهم لأنهم رأوا من يقدر على الدفاع عنهم وكانوا يعهدون ببهزاد وارد وان أن يفرقا جيوش الهنود لوحدها فما رأوا منهما فى ذاك اليوم غير التأخير والفشل وبقى فيروز شاه يطاعن ويضارب وهو كأنه الغول حتى أرجع الأعداء عن قومه وأبعدهم إلى خلف مراكزهم إلى أن أقبل الليل وضربت طبول الانفصال فعاد وعاد من خلفه قومه وقد فرحوا بالفوز بعد التأخير وشكروا فيروز شاه سيدهم على مداركتهم وتأكدوا انه ان غاب عنهم لا تقوم لهم قائمة ولا يتوفقون

وبعد أن أقاموا بالخيام فى المساء قال فيروز شاه لم يكن بعهدى أن يقع بعساكرنا ما وقع فى هذا النهار ولولا عنايته تعالى لتأخرنا كل التأخير وتبدد شملنا لأن الهنود انحطوا علينا من كل صوب وأطلقوا بالأفيال كأنها الجبال مائلة على رجالنا ولم أر من فرساني من قدر أن يقف فى وجوههم فقال له بهزاد الكذاب انى لا أعرف كيف كان القتال فى هذا القوم وانى منذ سلكت طرق الحرب وخضت الوغى ولم يمر على نظير هذا اليوم فانى كنت أرى من نفسى غير قادر على الهجوم ولا أعرف أذلك عن ضعف من جسمي أو من أمر آخر . فقال طيطلوس ان التقصير لم يكن منك وحدك بل من الجميع وهذا ليس بالعجب لأن الحرب لا تبقى على حالة ولا بد أن المرء يلاقى فى يومه خلاف ما لاقى فى أمسه ولا نعتب على الايام ولا نلوم نفوسنا بل من الواجب أن نطلب منه تعالى أن لا يهمل أمرنا ولا يلقى بنا إلى الضعف فهو المضعف والمقوى

وبعد انصراف السهرة باتوا ينتظرون الصباح وفى نفس تلك الليلة دخلت رزة الساحرة إلى ما بين الفرس حسب عادتها وانتشلت فارسين ووضعت مكانهما من الهنود . وفى صباح اليوم التالى بكروا إلى الحرب والقتال واشتعلت نيران الوغى أى اشتعال وسطت الهنود سطوة عظيمة واستطالت اطالة جسيمة ولولا فيروزشاه لتبددت جيوش الفرس أى تبديد ولكنه حماها كما تحمى اللبوة الاشبال ودافع مدافعة الابطال إلى ان كان المساء فرجعوا من الميدان إلى الخيام ورجع الملك شنكال إلى خيامه مسرورا فرحانا ناعم البال ولما اجتمع عنده جميع قومه ورجاله قال لهم لقد ثبت عندنا أننا نحن الفائزون المنتصرون ولا يمضى إلا القليل حتى تتبدد الفرس وتندثر كل الاندثار فقالت له رزة وأى اندثار تندثر وفيروزشاه بينهم وهو قادر وحده ان يثبت أمام جيوشك أشهراً وأعواما وانى أعرف ذلك والاحظه قال ولما يا أماه لا تأتينا به لنضمه إلى قومه ونقتلهم كلهم جيما وبعد قتلهم نوقع بالباقين وانى أرغب بالسرعة كثيرا وما أتيت هذه البلاد إلا وفى نيتى تبديد شمل هذه الطائفة ومن بعدها زواج ابنى كوكلة وقد تسهل لنا الأمر ببركة النار وقبضنا على الملك بهمن وما من مانع يمنعنا عن هذا الزواج إلا وجود هؤلاء الفرسان . قالت انى فى هذه الليلة أجيء بفيروزشاه وفى الغد نقتلهم جيما ونرتاح من شرهم فشكرها على قولها وأمل النجاح .

وأما جهان فانه تأثر من كلام الملك شنكال ووقع فى قلبه الخوف من أن يتم زواج بنته على كوكلة وهو قبيح المنظر لا برضاها حيث كان يحبها محبة عظيمة ولا يرضى لها إلا الهناء والانشراح ولهذا السبب قال للملك شنكال مظهراً خلاف ما فى ضميره انى انتظر وقوع مثل هذا اليوم السعيد فان خلاص بنتى من هذا الاسر انى نعمة كبرى وصلت إلى منك لانه يعبد الله دون النار ولا سيما قد اغتصبها وأنزل بها العار وأريد منك ان تسلمنى إياه ياسيدى ساعة من الزمان حيث أريد أن أعنفه وألومه على فعله وأهينه وأحط من قدره تشفيا لفؤادى لان فعله أمر لا أنساه إلى الابد واغتصابه عرضى يشق فؤادى فى كل دقيقة . فقال شنكال خذه وابقه كل هذه الليلة عندك وافعل به ما شئت إلى الصباح ولك الحق أن تشفى غليل قلبك منه . ثم أمر ان يدفع اليه الملك بهمن فاخذه إلى صيوانه ولما اجتمع به سلم عليه سلام المودة وقال له كيف خطر لك أن تتزوج ببنتى وهى على غير دينك وغير رضى أبيها فقال له ان الوفاق علة النجاح ولولم يأتلف قلبى بقلبها لما رضى أحدنا بالآخر ومن الامر البديهى أن الزوجة تنقاد لزوجها بكل ما يريده منها إذا كانت حكيمة عاقلة كبنتك وعما يثبت لى حكمتها وعقلها وادراكها انها قبلت بزواجى لتشترى بلادها وتجمع بين أبيها وأخصامها وقد كان بيننا شرط الزفاف أن نسعى الى استرجاع

أبيها ونصرف الجهد إلى مصالحته ورضاه ولولا ذلك لما وافقتنافط ونحن حتى الساعة قائمون على هذا الشرط ووعدها أبي فيروزشاه بالسعى خلفك ومصالحتك وارجاعك إلى بلادك فماذا تقول يا ترى هل هى مخطئة أو مصيبة .

وكان الملك بهمن يتكلم وجهان يمعن فى وجهه ويصغى إلى معنى كلامه وهو مأخوذ بهيبته معجب بفصاحته وحكمته . ولما سمعه وقد فرغ من كلامه أجابه أن ابنتى صابت فيما فعلت ولو كنت مكانها لما رضيت غيرك بعلا وانى ما اجتمعت بك الآن على انفراد إلا لأعرف منك ميلك إلى وحبك لى رغبة أبيك فى معاملتى وأطلعك أيضا على أسباب أسركم . قال لقد وضح لك ميلى من زواجى بنتك وكيف تكون أنت عمى ووالد زوجتى ولا تنعطف اليك جوارحى ألست أنت الذى كنت سبب وجود من أحببتها وأخذتها معينة لى فى حياتى وشريكة فى ملكى ووضعت على رأسها تاج المملكة الفارسية وهل يهنأ لها عيش دون أن ترانى على حب وسلام مع أبيها . قال انى أعرف ذلك وأعهد فيها التعقل والكرامة وحسن المآثر والصفات .

ثم ان جهان أخبر بهمن بكل ما هو جار من رزة الساحرة وكيف انها فى هذه الليلة عزمت على أنها تذهب وتأتى بأبيه وقال له ولابد أن تكون فى هذه الساعة قد ذهبت إلى جيوش الفرس وجاءت به لأن الوقت الذى تذهب به قد آن وحانت الساعة التى ترجع فيها فلما سمع بهمن هذا الكلام كاد يغيب صوابه وقال أتجسر هذه الخبيثة أن تعتدى علينا وتأخذنا أسارى بقوة سحرها على أن لو استعملنا قوتنا السحرية لبددنا شمل الهنود وغيرهم وأنت تعرف أن شمس الساحرة هى بين معسكرنا مع زوجها بهروز ولو أمرنا أن تعمل على هلاك الأعداء لما قصرت غير أننا منعناها من معاطاة السحر ترفقا بعبادة الله ووفقا لشريعته تعالى والآن أريد منك يا عماه أن تتسبب بارسال رسول مخصوص إلى طيطلوس الحكيم مع كتاب خصوصى له نطلعه به على كل شيء ونسأله أن يذهب إلى شمس الساحرة ويعرض عليها واقعة الحال ويسألها السعى بخلاصهم فاجاب سؤاله وأرجعه إلى مكانه وقال له لابد من أيصال الخبر إلى طيطلوس فى هذه الليلة وبعد ذلك ذهب إلى صيوانه أحد أتباعه الأخصاء بالقرب من صيوانه فأيقظه من نومه وقال له أنت أمين عندى على أسرارى وإنى أقدمك حين رجوعى إلى بلادى على كل انسان وأقيمك عوضا عن منكوخان إذا أجبت سؤالى الآن وفعلت ما أمرتك به .

قال مر يا سيدى ولا تخش بأسا فان حياتى لك وما أنا إلا عبدك وجدت لأجلك فأنت المالك نفسى . قال لا خفاك ان الملك شنكال يرغب أن يزف بنتى شمس على ولده كوكلة وهو قبيح المنظر مشوه الوجه ردىء الطباع مع أنها متزوجة بالملك بهمن

وهو أحب لدى من كوكلة وأريد أن أتفق مع الفرس وأصالحهم وأسترجع بلادى منهم ويرحلون عنى . قال كيف يمكن ذلك وملوك الفرس كلهم بقبضة شنكال وهو مسلط عليهم الآن بواسطة رزة الساحرة . قال ان الفرس لا يعلمون برزة هذه ولو عرفوا بها لأهلكوها من الأول كما أهلكوا غيرها من السحراء العظام ولاسيما أن بينهم شمس الساحرة زوجة بهروز فاذا بلغناهم الخبر وعرفت أن رزة تفعل مثل هذه الأفعال أهلكتها فى الحال . فقال الرجل حسنا تفعل يا سيدى لأن الفرس قوم كرماء يحبون الانصاف ويعرفون الحق بخلاف الهنود فانهم متكبرون متعجرفون عائشون فى البربرة والتوحش وماذا تريد منى أن أعمل قال أريد أن أكتب كتابا إلى طيطلوس فتوصله اليه قبل إشراق الصباح لأن الليل أصبح على وشك الارتحال ولم يبق إلى الصباح إلا نحو ساعتين تقريبا قال عجل بالجواب فانى انخطف على جناح السرعة وأعدك أن لا أسلم الكتاب إلا ليد طيطلوس ولو فقدت الحياة . ومن ثم أخذ جهان فكتب كتابا إلى طيطلوس يقول له فيه

من الملك جهان عم الملك بهمن إلى زوجته إلى طيطلوس الحكيم وزيره الأمين

اعلم أيها الرجل الوحيد فى هذا العالم والحكيم الخبير بأحوال هذه الدنيا أن الحق قد أنار بصيرتى فعرفته وثبت عندى ما أنتم عليه من الرقة والدعة لا سيما قد ثبت الآن عندى أن نسبكم قد اتصل بنسبى وحسبكم بحسبى وصرت كواحد منكم وأرى من نفسى أن الواجبات النسابية تدعونى إلى الدفاع ورفع الاضرار عنكم ولذلك بعثت اليك بهذا الكتاب لأخبرك أمرا خطيرا مهما واقعا بكم وأنتم لا تشعرون به ولا تعرفونه وإذا بقيتم يوما آخرا على حالتكم هذه تنقرضون ويلحق بكم الويل والدمار . وهو انه موجود بين جيوش الهنود امرأة مسنة ساحرة اسمها رزة وهى خبيثة محتالة ذهبت الى جيوشكم فى ظلام الليل مع ولدها برنش وأخذت الملك بهمن ملككم وأخذت بهروز العيار ووضعت مكان بهروز ولدها ووضعت عليه من أبواب سحرها ما يخفى حالته ويجعل الذى يراه لا يفرق بينه وبين بهروز ثم ذهبت فى الليلة الثانية وجاءت ببهزاد واردوان ووضعت مكانها من فرسان الهنود ولا زالت حتى انتشلت من بينكم كل فرسانكم وفى هذه الليلة ذهبت وجاءت بفيروز شاه وتركت مكانه غيره فاياك من أن تطلع أحدا منهم على تحريرى هذا لأنهم كلهم هنود وليس هم بفرسانكم لأن فرسانكم عندنا بالأسر وفى الغد يكون يوم عذابهم وقتلهم وبعد الغد يصير الهجوم عليكم وتنقرضون وأنتم لا تعلمون . بل اذهب إلى شمس الساحرة واسألها كى تخلصهم وهى أن تقدر تعرف صدق ما أخبرك به الآن . وأكد أن ما دعانى إلى مثل هذا العمل إلا حبى لكم وخلوصى بمودتكم ورغبتى فى التقرب منكم فانى أعتمد عليكم واطلب

منك أن تكون الوسيط لى عند فيروز شاه بعد رجوعه إلى معسكره وتطلب منه أن يعفو عن ذنبي وعنادى له فى الماضى . والسرعة فى أخذ الوسائط لتدفع عن قومك المصاب حيث ان الغد قريب جدا والسلام

وبعد أن فرغ من كتابة الكتاب بعثه من الرجل وأوصاه بالسرعة وأن لا يسلمه إلا إلى طيطلوس فأخذه وسار إلى أن قرب من جيوش الفرس فاعترضه الحرس فقال لهم بيدى تحرير إلى طيطلوس فيه الخير والنجاح لكم وأريد منكم أن توصلونى اليه فقالوا له اذهب إلى فيروزشاه وادفعه له قال له هذا لا يمكنى لان الكتاب باسم طيطلوس وهو يطلع عليه فيروزشاه بعد أن يعرف ما به فبعثوا معه رجلا يراقبه ويوصله إلى صيوان طيطلوس ولا زال حتى انتهى اليه فبعث خادمه يخبره باتيانه وإذا رسول الملك جهان دخل عليه وأيقظه من النوم فنهض مرعوب ولما عرض عليه الخادم رسالة الرسول ارتبك وقال ما سببها فى مثل هذا الليل وحسب لذلك ألف حساب إلا أنه نهض وجاء فى باب الصيوان ونظر الى الرجل وسأله عن سبب مجيئه ودفع اليه الكتاب فأخذه وقرأه ولما عرف ماتضمنه كاد يغيب صوابه من هذا العمل وشكر الله سبحانه وتعالى وقال لولا جهان لكنا هلكنا لا محالة وإنى كنت بغاية العجب كيف ان بهزاد واردوان وغيرهم من الفرسان بدلت مزاياهم وضعفت قواهم وتغيروا كل التغير

ثم انه نهض فى الحال وأخذ وراء الرسول ومشى وكان الصباح أخذ فى أن يلوح ويقبل شيئا فشيئا إلى أن وصل من صيوان شمس فوقف عنده وبعث يعلمها بقدومه وكانت جالسة من النوم فخرجت اليه وترحبت فيه وأدخلته الصيوان وسألته عن

انتهى الجزء السابع والثلاثون ويليه الجزء الثامن والثلاثون

الجزء الثامن والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

سبب مجيئه فقال لها ما أتيتك الا لأمر عظيم خطير أريد منك مداركته والا هلكنا عن آخرنا ولم يبق من معسكرنا أحد فقالت ما معنى هذا الكلام وأنتم لا تزالون بتمام الا تنظام والفرسان باقية على حالها فقال لها ان حيلة كبيرة تجرى علينا ونحن لا نشعر بها ولولا مداركة جهان لنا لكنا هلكنا وربما هلكت فرساننا فى هذا النهار . ثم دفع اليها كتاب ملك الصين وقال لها منه تعرفين مانحن فيه فأخذته منه وقرأته إلى آخره ولما عرفت ان زوجها وباقى الفرسان هم أسارى اضطربت فى داخلها واحمر وجهها حنقا . فقال لها طيطلوس أهل ذلك صحيح وهل رزة الساحرة تفعل هذه الأفعال . فقالت له أريد منك ياسيدى أن تأذن وتفتى لى أن أنظر فى ذلك وأسعى بخلاص قومنا والا اذا تغاضينا عنهم هلكوا واريد منك ذلك كونى حنمت على نفسى ان لا أستعمل السحر ترضية لفيروزشاه وخوفا من مخالفة الشريعة الالهية فقال لها إن العدل الالهى لا يقبل باستعمال السحر لكنه لا يقبل بهلاك رجاله وخائفيه ولا يرضى بتغلب الكافرين عليهم وانك إذا سعيت هذه المرة إلى خلاص ملوك الفرس ودفع البلايا عنهم ونجاتهم من الموت وهلاك رزة الكافرة المحتالة التى جسرت على أن تمد يدها على ملوكنا وشاهاتنا ولم تحسب لك حسابا لا تكونين فعلت منكرا ويكون الله سبحانه وتعالى راضيا منك وعنك فأسرعى إلى النظر أولا فى أمر الفرسان الذين عندنا حتى إذا كانوا هم غير قومنا قتلناهم فى الحال وأهلكناهم عن آخرهم . فقالت ان الملك جهان حكى صحيحا وان فيروزشاه أسر فى هذه الليلة وان رزة الساحرة قد جاءت وأخذته وأخذت إبنها برنش الذى كان قائما عندنا بصفة بهروز وهو لم يأت قط عندى وانا لا أسأل عنه حبا منى بان يدوم فى خدمة مولانا فيروزشاه ولو جاء إلى برنش لعرفته حالا فاذهب بنا الآن إلى هلاك هؤلاء الفرسان وبعد ذلك نهض طيطلوس ودعا بمائتى الف فارس من قواد العساكر وقال لهم اتبعونى فتبعوه فذهب إلى أن جاء إلى الصيوان الكبير فوجدهم قد اجتمعوا فيه كلهم وبينهم فيروزشاه الكذاب وهو لا يميز عنه قط ولا يمكن لأحد فى العالم يقدر أن يعرفه لا من هيئته ولا من صوته وكان فيما بينهم برزجمهر فأمره أن يخرج فخرج وبعد خروجه أمر أن تحتاط القواد بالصيوان فارتاعوا وخافوا وقالوا له كيف تقدر

على مثل هذا العمل فقال لهم ويلكم أنتم الآن كبار المعسكر وقوادهم وهؤلاء ليسوا من رجالنا كما تظنون فهم من رجال الهنود وهذا كله من فعل السحر ورجالنا هم الآن أسارى فى قبضة الملك شنكال وعزمنا أن نقتل هؤلاء. ثم نرى فى خلاص أولئك وها كم شمس الساحرة عرفت الحقيقة فما منهم من قدر على المخالفة واحتاطوا بالصيوان ومنعوا خروج من فيه ثم أمر طيطلوس جماعة من المعسكر أن تدخل مع بدر فتات وطارق العيار ويخرجوا واحدا واحدا فدخلوا وأخرجوا أولا كرمانشاه فأمر الوزير بدر فتات أن يقتله فجفل وقال انى أكاد لا أصدق يا سيدى أنه غير كرمان شاه وكيف أمد عليه يدا فقالت له شمس سوف ترى الحقيقة بعد مفارقته وذهاب روحه من جسده ثم نهضت هى وأخذت خنجرا وطعنت به كرمانشاه الكذاب فوقع قتيلا وبعد قتله بطل ما كان عليه من السحر وظهرت حالته فاذا هو هندى من أشنع خلق الله هيئة فلما رأى العيارون ذلك ثبت عندهم الخبر واختلطوا إلى الداخل وجعلوا يخطفون واحدا بعد واحد وكلما خرجوا بواحد قتلوه فتنكشف حالته . إلى أن فرغوا من الجميع وبعد ذلك قالت شمس سوف تعلم رزة الساحرة ماذا يصل اليها فانها تعرف بابا من السحر وتريد تهلك رجال الفرس وأنا بينهم ولا تحسب لى حسابا . قال لها طيطلوس انظرى لنا الآن فى أمر خلاصهم ولا تتركيهم خوفا من أن يقتلوا فى هذا النهار فنظرت بمعرفتها وخبرتها إلى ما هو حاصل بين الهنود فاضطربت ونظر اليها طيطلوس فوجدها قد تغيرت هيئتها واحمر وجهها ثم صاحت بصوت مرعد قائلة خسئت يارزة خسئت وخاب رجاك فقد حاءتك شمس الساحرة ثم انخطفت من بينهم

قال ولنرجع إلى جيوش الهنود ورزة الساحرة فانها كانت فى الليل الماضى دخلت على حسب عادتها بين جيوش الفرس وأخذت فيروزشاه ووضعت مكانه غيره وأخذت معها ابنها برنش وقالت له اذهب معى الآن فما من فائدة فى بقائك لان جميع أمراء الفرس صاروا عندنا وفى الغد نقتلهم ونعدمهم الحياة ورجعت بابنها وفيروزشاه إلى معسكرها وفى الصباح ذهبت به إلى صيوان الملك شنكال ودفعته اليه ففرح مزيد الفرح وقال الآن قدتم لى النصر والظفر . ثم قال لفيروزشاه لقد انتهت مدة حياتك وارتاح العالم من شرك وقد تعديت وافتريت ولم تحسب حساب الملك شنكال وجماعة الهنود. فقال له ويلك ايها الملك الخادع المحتال اتظن ان الله يغفل عنا او تظن انك انت والوف من مثلك تقدرون ان تمدوا يدا على او على قومى قال ومن يمنعنا عنكم وسوف ترى بعينيك ما يكون من امرك وامر قومك وانى ساقتلهم واحدا بعد واحد ثم امر ان يؤتى بهم جميعا لحضروا بين يديه وهم مقيدون ببعضهم وما منهم من يؤمل

الخلاص ولما رأوا فيروزشاه اضطربوا وزادخوفهم وأيقنوا بالفناء وتعجب هولمارآهم مع انه كان يعهد أنهم بين رجاله فى المعسكر الفارسى . فقال له الملك شنكال انك تتعجب من مجيئهم فتلك حيلة انقضت عليكم ثم أخبره بكل شيء حتى كادت تنفطر مرارته وقال له لو كنت من الملوك العظام الذين يدعون بالفخر لما جئت إلى مساعدة السحر بل كنت تفعل بنفسك ومع كل هذا فلست أنت ولا ساحرتك هذه تقدر أن تمد يدا على أو على أحد من قومى فان الله يحفظهم • فقالت رزه انى فى هذه الساعة ساقتلكم واحدا بعد واحد وتبقى أنت الأخير لترى بعينيك ما يحل بقومك وانى أريد أولا أن أقتل عيارك بهروز الذى طال واستطال على السحراء وقتل منهم كثيرا . فقال لها بهروز ويلك أيتها الجانية أتظنين انى أخاف منك أو أحسب لك حسابا ولو كنت أعرف بوجودك قبلا لما أبقيت عليك إلى الآن وانى أنذرك من زوجتى شمس فانها تميتك لا محالة قالت من أين تعرف شمس بك وهى قد تركت السحر ومنعت نفسها منه وسوف تقتل ولا تعلم

وفى الحال أمر الملك شنكال أن يفصل بهروز عن رفاقه ويذبح حالا قبل الجميع إجابة لطلب رزة وكان الملك جهان ينظر ويسمع وهو مضطرب القلب خائف من أن يقتل أحد من الفرس قبل اسراع شمس إلى خلاصهم وقد تعجب من تماملها وتاخرها ولما رأى بهروز وقد أخذ وقدم إلى الذبح ودار به السياف رافعا السيف ليضربه ارتجف وثبت عنده وعند الجميع موت بهروز وتأكدوا انه بعد لحظة يكون من الهالكين إلا أن قبل سقوط سيف السياف على عنق بهروز أرعدت الدنيا واضطربت واهتز الصيوان بما فيه وجمد كل منهم ويبس كانه قطعة من الحديد ووقع السياف إلى الأرض وسمعوا صوت من خلال الخناء يقول ويلك يا رزة الملعونة جاءتك شمس تنتقم منك وأرادت رزة أن تنهض فلم تقدر وحل عليها الخوف ورجف قلبها وفرح جهان بقلبه وتأكد خلاص الفرس فى تلك الدقيقة وعلم بوصول شمس وأن هذا الفعل هو فعلها ورأى من نفسه انه منطلق وجميع من فى الصيوان جامدون مقيدون لا أحد منهم يقدر على الحركة

وفى تلك الدقيقة ظهرت شمس للعيان وهى كانها البدر فى الاشراق وبيدها قضيب من النحاس وقالت ويلك يا رزة أتظنين انى غافلة عنك عن عجز أو خوف منك ولو كنت ممن يسحرون حتى الآن لرأيت كل هذه البلاد خرابا ولكنى تبت وعرفت الحق وتركت ما لا يرضيه تعالى ثم انها دنت من فيروز شاه وفكت وثاقه وهنأ ه بالسلامة ومن بعده الملك بهمن وباقى الفرسان والأبطال حتى انتهت أخيرا إلى زوجها بهروز ففكت قيوده وهو تحت القتل وما صدق أن ملك نفسه حتى انقض

على رزة الساحرة فلطمها على وجهها وقبض عليها وأراد أن يدنو من الملك شنكال فقال له فيروز شاه لا تفعل يا بهروز فهذا ليس من شيم رجال الفرس فانهم استعانوا علينا بالسحر فأخذونا أسارى وذلك عن ضعف منهم وعجز اما نحن فلا نرضى أن نعاملهم بالمثل ولا نأخذهم إلا بواسطة السيف والانصاف فأجابه ورجع عن العمل. وقالت له شمس خذ معك الساحرة وابنها ونك العيار فأجاب قولها وقبض على ونك وبرنش العيارين وهما جامدين لا يقدران على الحركة وسحبهما أمامه. وبعد ذلك طلبوا من جهان أن يذهب معهم ويترك قوم الهنود فاجابهم إلى طلبهم وشكر معروفهم وشكروه على معروفه وساروا فى نصف معسكر الهنودولاأحديدنومنهم أو يقدر أن يلقاهم بسوء. إلى أن خرجوا من بينهم وفى حال خروجهم انفك السحر عنهم وانطلقوا كعادتهم وبقيت شمس ذاهبة ومعها الفرسان والأبطال إلى أن قربوا من معسكرهم وكان فى مقدمتهم الملك بهمن وفيروز شاه وبينهما الملك جهان يترحبان به وهما بفرح لا يوصف لصفاءنيته وانطلق بهروز فاخبرطيطلوس بخلاصهم فخرج فرحا مسرورا وأمر أن يحتفل بقدوم القادمين وتقدم هو وولده بزرجمهر فى أول الجميع ولاقوا فيروز شاه ومن معه وأظهروا مزيد سرورهم وفرحهم بهذه المنة العظيمة من لدنه تعالى وترحبوا كثيرا بالملك جهان وأدخلوه الصيوان بالعظمة والاحتفال وأجلسوه بين الملوك وجعل كل منهم يشكره بدوره ويثنى عليه فأجابهم انى لا أستحق منكم هذا الالتفات العظيم مع انى ما عاملتكم إلا بالقبح والعداوة والشر وكنت لا أقدركم حق قدركم ولا أعرف عظم كرامتكم وما أنتم عليه من لطافة الذات والآن قد انير عقلى وعرفت الصواب فارجوكم المعذرة. فقال بزرجمهر انا لا نفكر بأمر وقع بسماح منه تعالى ومع كل ذلك فاننا نعرف حق المعروف ومافعلته أخيرا معنا من خلاص فرساننا وملوكنا ينسينا كل الماضى ويجعلنا على الدوام مشعرين بفضلك ومعروفك. فقال فيروز شاه ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها والآن أنت السيد الكريم واننا نريد منك أن تكتب كتابا إلى بنتك السيدة شمس فهى لا ريب قائمة على مقالى الجمر من أجل خصومتك لنا وخصومتنا لك وطالما سألتنى بالحاح أن اسعى بالوفاق والمصالحة حتى أجاب الله سؤالها وانتهى ما هى طالبته وفى كدر من أجله ونحن سنكتب لها كتابا أيضا نبشرها بهذه البشارة التى نعلم أنها ستحل عندها محل الفرح والهناء. قال انى مسرور من عملها فهى أحكم منى وأعقل وقد نصحتنى كثيراً وأشارت إلى بمصالحتكم وحذرتنى من عداوتكم وقالت لى انى لا الاقى منكم إلا فشلا وخيبة وهى وحدها التى قدرت على ربط قلوبنا ونزع الشر من بيننا ونهى الخلاف فلو لم يكن الملك بهمن صهرى لما فكرت قط بترك جيوش الهنود ولا

حدثتي فكري بالسعي في خلاصه ولا فضلته نفسي على كوكلة ابن الملك شنكال الذي كان بنية أبيه أن يزفه عليها بل كانت العدارة وتقوم مقام الحب وتبعد عني معرفة الحقيقة . وها أنا منذ الآن سأكتب كتابا أشرح لها به ما جرى بيننا وأشكرها على عملها وتعقلها ثم أخذ فكتب إلى بنته يقول

بسم الله الهادي الواحد الأحد

من جهان صاحب الصين إلى بنته شمس العاقلة الحكيمة

اني أشعر يا ولدي بحسن أعمالك وما انتجت حكمتك من حفظ بلادي وصونها وارجاع السلام اليها كنت من الأعداء وأنا بنية لا ترضى الانسانية أكره في رجال الفرس وأبغض أعمالهم وأرغب لهم الشر والويل والعذاب . أتمنى وقوع الأذى عليهم واطلب انقراضهم وأخذ ثأري منهم وقد أخبرني ونك بزواجك بالملك بهمن وقبولك بالاقتران منه فتعجبت به أولا ولم تقبل نفسي أن تلك وكنت كلما عزمت من ذاتي على أن أنسب اليك الخطأ والخيانة بأبيك كانت محبتك تحول دون هذا العزم وتظهر منها نتيجة حسنة ولم يكن للغيظ على تسلط يقود بي إلى كره عملك ولا سيما عندما عرفت أن الملك شنكال الهندي قد وطد كل عزمه وقرر في ضميره أن يزفك على ولده كوكلة ولأجل هذه النية جاء من بلاده يسحب خلفه جيوشا جرارة وفرسانا عظاما ولا أقدر أن أشرح لك عن حالة كوكلة ابن الملك شنكال وعن قباحة منظره حتى اني لكثرة حبي لك تمنيت أن لا أراك فيما بعد ولا تكونين ضحية لهذا الزوج القبيح خلقة وعملا ولما وقعت عيني على زوجك الملك بهمن بن فيروزشاه وشاهدت ما هو عليه من فصاحة اللسان وحسن المعاني حل في قلبي بأرفع منزل والتزمت أن أحبه بالرغم عن كل الأسباب التي كانت واقعة بيننا وعذرتك على حبك له واختيارك إياه على سواه ولو كنت مكانك لما فعلت غير ما فعلت وقد أرتني الحقيقة اني كنت قبل الآن في ضلال مبين وانك على صدق يقين وصواب وعرفت بترفع عملك هذا . أنهيت هذا الخلاف ورميت الوفاق والحب فيما بيننا حتى أصبحنا يدا واحدا وتلقانا فيروز شاه بالكرامة واللطافة واني أشكرك على فعلك الذي بسببه تقربت من هؤلاء القوم وتقربوا مني تاركين كل الماضي يعاملوني معاملة الأهل والأقارب وارجعوا إلى ملكي ولأجل اطمئنان بالك بعثت اليك بهذا التحرير لتعلمي بما كان من أمري واني الساعة مقيم بين ملوك الفرس ولا نلبث أن نعود اليك

وبعد أن فرغ من كتابة الكتاب دفعه إلى الملك بهمن ليبعث به مع رسول إلى بنته فأخذه ودفعه إلى روضة العيار وكتب هو كتابا إلى زوجته يخبرها مفصلا بكل ما كان منهم وما جرى عليهم من حين مفارقتها إلى تلك الساعة وأخبرها بما

لاقوامن رزة الساحرة وكيف أنهم قدموا للذبح فادركتهم شمس بخلصتهم وكان بلغها الخبر بواسطة أبيها جهان فأخذ روضة التحريرين وسار إلى المدينة وجاء قصر شمس زوجة الملك فدفعهما لها وبعد أن اطلعت على مالها فرحت مزيد الفرح وسقط عن قلبها هم عظيم باجتماع أبيها وزوجها على الحب والوفاق والرضا وكتبت إلى أبيها الجواب تعلمه بعظم ما حل عليها من الفرح بهذا الصلح الذى كانت ترجوه منذ زمان طويل وسألته أن يسمح عنها ويعفو عن زلتها بزواجها الملك بهمن دون رضاه وخاطره ومن ثم كتبت إلى زوجها كتابا تقول له فيه :

اعلم ياسيدى انى مذنبة لديه تعالى ولا أعرف كيف نظر إلى وتلطف بي وخلص لى حياتى وآمالى ودفع عنى عظيم مصاب وجسيم خطب . تكدرت الكدر الزائد لما قرأت تحريرك وعرفت وقوعك بيد علوج الهنود وكدت بكدر لا يوصف حتى كاد يطفح على قلبي لو لم انظر بخاتمة كتابك وخلاصك وخلاص مولاى أبيك وباقى الفرسان من قومك فالحمد لله على ذلك ألوف مرات وأقدم لك أخير الهناء على الخلاص وأرجوك تقديم الهناء لسيدى أبيك واسأل الله توفيقه ونواله كل مراد لأنه نظر إلى وجبر كسرى وعاملنى معاملة الأب الحنون وقبل أبى وغفر له ذنبه وأجاب سؤالى كرما منه وانك تعرف بشعائر فتاة قد القت كل رجائها عليك واتخذتك لها سندا ومعينا على حياتها وأقامت وإياك على الحب الالهى المأمور به كل فرد من عباده تعالى . وانى أنتظر منك اخيرا أن تعود إلى منصورا ظافرا سالما من كل شائبة وأذى والله أسأل وهو المجيب

وبعد أن فرغت من هذا الكتاب دفعته مع كتاب أبيها إلى روضة العيار وأوصته باهداء السلام لكل أمراء الفرس فودعها وسار حتى جاء سيده ودفع اليه الكتابين وبلغه سلام زوجته فقرأ كل واحد تحريره وشكر منها ومن آدابها . وبعد ذلك أمر فيروز شاه أن يؤتى برزة الساحرة فحضرت بين يديه مربوطة بالحبال ولما رآها اضطرب كل جسمه وقال لها أتظنين أنك تفورين على ملوك الفرس والاله العظيم حافظهم من السحراء والشياطين لا يقدرون على التسلط علينا أو إيصال الشر الينا وانك لفى ضلال مبين وقد أتيت بك لأعرضك على مجلسي يرى فى أمرك ثم استشار قومه فى أمرها فاجاب الجميع بصوت واحد ان تموت معذبة لأنها تستحق القصاص والموت على مافعلت معهم وحينئذ أخذوها ورفعوها على خشبة وطافوا بها طول النهار وفى المساء أقاموها فى نصف المعسكر وإلى جانبها ولدها برنش لأن فيروز شاه أمر أيضا بقتله مع والدته وتركوهما على ذلك ثلاثة أيام عرضة لبرد الليل وحرّ النهار حتى ماتا شر ميتة وجف جسداهما

فانزلوهما ودفنوهما فى التراب وكذلك ونك العيار فانه أحضر أمام فيروز شاه مقيداً يقوده بهروز وعندما وقف بين يدى الجميع سأله الملك عن تعديه وقال له هل لك ما تقول فى الدفاع عن نفسك فقال انى أعرف انى أستحق القتل غير انى أسألكم العفو وإذا كان أخ سعدان وهو أحد اتباعكم وملاذيكم قد غفر لى جريمتى فكم بالحرى وأنتم ملوك الزمان وساداته وكرماء أهله فأجاب بزرجمهر فى الحال وقال ان ونك يستحق القتل وتركه من الظلم وقلة الانصاف وقد جربنا أنفسنا معه وعفونا عنه فعمل على قتل سيدى الملك ولو كان ممن يصطنعون لترك الخيانة ورغب فى خدمتنا وقابل عفونا بالشكر والممنونية وقبل أن يجيب فيروزشاه بكلمة قال بهروز ان أمرونك راجع إلى ياسيدى وأسالك أن تعهد به الى فهو مجرم ضدنا عدة جرائم وموته ضرب لازب فهو ثالث طيفور وهلال العيار . قال لقد تركته لك افعل به ما شئت وفى الحال أخذه بهروز إلى خارج الصيوان وجاء بخشبة عريضة طويلة صف عليها مئات من إبر الفولاذ المسننة الرءوس قائمة كلها على كعابها وأخذ ونك ورماه عليها وجعل يرفعه بين يديه ويلقى به فوقها فتدخل رؤوس الابر فى بدنه ويتدفق الدم كالأنابيب وهو يصيح ويستغيث وما من راحم حتى خرجت نفسه إلى النار وبئس القرار واشتفى به قلب الجميع وعجبوا من صعوبة هذا العذاب وقساوة بهروز العيار واختراعه هذه الصفة المعذبة لموته وبعد أن قتل ونك ورزة الساحرة وولدها برنش قال فيروزشاه لرجال قومه أنتم تعرفون أننا بارتباك عظيم من جهة أبى وبلادنا واننا بحاجة إلى سرعة الرجوع إلى إيران فكونوا فى صباح الغد على أهبة الحرب والكفاح لنوقع بالباقين بمساعدته تعالى ونبيدهم عن آخرهم ويرتاح بالنا من جهة هذه البلاد حيث يكون ملكها قد عاد اليها فأجاب الجميع على كلامه وقالوا لابد من الحرب فى الغد وصار أملنا بالرجوع إلى بلادنا قريب العهد وأقاموا يتعددون بانتظار الصباح

قال وكان الملك شنكال بعد أن جرى ما جرى فى قومه وشاهد عمل شمس الساحرة وكيف أنها قادت رزة أمامها كالعبدة وأخذت فرسانها ورجعت تكدر مزيد الكدر وشاهد عدم النجاح وقال للقمقام انى قطعت رجائى من كل واسطة ولم يبق لى أمل قط إلا بالقتال والنزال وأرى انى محتاج إلى منازلة الفرس بنفسى وأنا عارف أنهم لا يثبتون أمامى وهذا معيب بحق أن الق مثل هؤلاء الصبيان فى ساحة الميدان ولا أخاف إلا أمراً واحداً وهو انى إذا أسرتهم أو أوصلت اليهم أذى تفعل بنا ساحرتهم الأفعال الشريرة وتبدد شملنا . قال لا خوف يا سيدى من هذا الامر فان فيروز شاه يكره السحر ولا يعتمد عليه وهو يمنعها منه ولو كان يرغب فيه لفعل ذلك فى نفس اليوم الذى جاءت به الساحرة أو لكان أخذنا بل استقبح هذا الامر

وما ذلك إلا بمساعدة النار لتقصير عمره وأعمار فرسانه وسوف تنظر ما أفعل لك بالغد فانى مزمع على البراز لآخذ ثأر إخوتى من بهزاد لأنه قتل لى أربعة إخوة ولا بد من موته بثأرهم . وهكذا اعتمد أيضا ملك الهنود وفرسانه على القتال وصبروا إلى حين طلب الحرب من رجال إيران .

وفى صباح اليوم الذى بعده نهض الهنود من مراقدهم على أصوات طبول الفرس تنذرهم بوقوع الحرب فى ذلك النهار وعمدوا إلى خيولهم وسلاحهم وتقدموا إلى ساحة المجال فوجدوا أن الفرس قد سبقوهم اليها وعولوا على الهجوم وقبل أن يتمكنوا من ذلك سقط القمقام إلى وسط الميدان وهو فوق فيله وكان من الأفيال الكبيرة الضخمة وبيده عمد من الحديد ثقيل العيار يبلغ ثقله ثمانمائة من وأكثر وبيده طارقة من الحديد عليها مسامير من الفولاذ يبلغ ثقلها كلها النصف قنطار فصال وجال ولعب على ظهر فيله بما حير العقول وما استوى بنصف الميدان حتى سقط بهزاد الايرانى إلى أمامه وصدمه صدمة فارس جبار وأخذ معه بالحرب والقتال دون كلام ولا جدال غير أن السيوف كانت تخاطب بعضها مخاطبة الأحقاد . ويطلب كل واحد أن يجعل مقره فى مجمع الأوراد وبقيت الحرب قائمة بين الاثنين وقتا ليس بقليل والفرسان تنظر اليهما نظر المتعجب من سرعة الجريان وخفة الدوران ولا سيما بهزاد فانه عرف أن خصمه عنيد جبار . ثقيل الحملة والعيار . وأنه أشد من إخوته بأسا وأصعب مراسا فبذل المجهود وقام بكل ما هو فى وسعه كى ينال المقصود . وداما على مثل هذا الأمر إلى أن قرب العصر وإذ ذاك رأى بهزاد أن القمقام قصد التأخير إلى الوراء وفى نيته أن يطلب الضرب بالعمدان فلم يمكنه من ذلك بل أسرع إلى سيفه وامتشقه حتى سطع ولمع كأنه البرق من خلال السحاب وصاح أى رجال الهنود انظروا فى هذا اليوم ما يحل بفارسكم القمقام وسأبعث به إلى إخوته باقرب آن وأرسل الحسام بخفة تحاكى سرعة البصر فعزم القمقام أن يستتر من الضربة فلم يقدر لأنها سبقت ووقعت إلى وسطه فقطعته إلى نصفين وألقته عن ظهر فيله إلى الأرض قطعتين ولما رأى الملك شنكال أن القمقام قد قتل غاب عن الصواب فصاح بقومه وقال لهم ويلكم اسرعوا إلى بهزاد وقطعوه بسيوفكم قبل أن تدركه قومه وخذوا لفرسانكم منه بالثأر فتدفقوا من كل ناحية يطلبونه وقلوبهم محروقة على القمقام وما وصلوا اليه حتى كان فيروزشاه قد حمل برجال إيران والتقى جماعة الهنود وجود الضرب فيهم وأكثر من القتل إلى أن كان المساء وضربت طبول الانفصال ورجع القومان إلى الخيام وقوم الفرس مسرورون بعمل بهزاد وقتله القمقام بقدر ما الهنود متكدرون منه ومن حالتهم .

وبعد أن رجع كل فريق إلى ناحية صرفوا الليل يتحرسون الى الصباح وفيه ركب كل فارس جواده واعتد بعدته وتقدم مع قومه الى الميدان وبينهام يترتبون ويصطفون واذا بالملك شنكال قد خرج من تحت الأعلام وبين يديه العبيد والغلمان وهو راكب على فيل عظيم الجثة عليه سرج من الذهب الخالص يلمع كأنه الكوكب فى ظلام الليل الحالك ولما صار فى الوسط أمر عبيده وخدمه أن ترجع إلى الوراء. ومن ثم أشار الى فرسان الأعجام بالبراز وسرعة الانحياز وما انتهى من كلامه حتى صار بهزاد عند رأس فيله فوق جواده وهو كانه السهم اذا خرج من الوتر وصاح بالملك شنكال وقال له أهل رأيت من نفسك الغلبة وعرفت كيف أن رجال الفرس يغلبون ولا يغلبون لقد قتلنا فرسانك وأبقيناك فى معسكرك وحيدا فريدا فالتزمت أن تلقى بنفسك الى سبيل المخاطر وقد عزمت على أن ألحقك بهم فى هذا اليوم الذى قادتك به المنية الى بين يدى. ثم اصطدما كانهما أسدان. والتطما كانهما بحران. ودار بينهما الضراب والطعان. بعيار ثقيل فى ميزان الميدان. وكان شنكال فارسا قويا وبطلا صنديدا كثير الخداع فى القتال فثبت أمام بهزاد بعزم متين ودام الحال بينهما الى أن كان نصف النهار وعنده رأى الملك شنكال أن خصمه لا يتزعزع ولا يهاب الموت ولا يؤخذ من باب فعمد الى استعمال الحيلة فرجع فى الحال وقال له هل لك أن تعمد الى ضرب العمدان رغبة فى الانصاف قال له انى أجيبك الى كل ما تسأل به وتريده فاضرب بعمدك ثلاث ضربات واضربك بسبق ضربة واحدة. ففرح شنكال وقال له اثبت مكانك وخذ طارقتك واحمى عن نفسك وجعل نفسه كانه يتناول العمد واخذ من عن ظهر الفيل شبكة من الفولاذ معلقة بسلاسل من الحديد من الطرف الواحد بالفيل ولها من الطرف الآخر شناكل وحلقات ولما صارت بيده رماها باسرع من لمح البصر على بهزاد وقال له هكذا يكون القتال فوقعت الشبكة عليه وعلقت الشناكل فى عدته فارتبك بهزاد واراد ان يخلص نفسه منها فرأى ان خصمه قد ألوى عنان فيله واطلقه يجرى فشدت السلاسل ولم يتمكن من تخليصها وخاف ان يقع الى الأرض فشد برجليه على بطن جواده حتى اصبح هو والجواد سوى غير ان الجواد لم يكن بقوة الفيل فجر بالسلاسل بالرغم عنه جرا خفيفا.

ورأى فيروزشاه عمل الملك شنكال فغاب منه صوابه لانه كان واقفا فى المقدمة ونظر الى اردوان وقد صاح من ملء رأسه وانخطف الى خلاص عمه فعرف أنه لا ينال المقصود كونه كان بعيدا فى اطراف الجيش ولذلك اطلق لجواده الكمين العنان فخرج ينخطف حتى كادت الأبصار لا تراه وكانت الحمية قد اخذت برأس كل فارس

إيرانى وبطل عجمى فانطلق بنفسه يظن أنه يصل أولا إلى بهزاد غير أن فيروزشاه كان أسبق الجميع اليه فأسرع بسيفه إلى السلاسل فقطعها وكان قد قرب من معسكر الهنود وهناك جرت وقعة عظيمة مهولة لم يسبق أن سمع بمثلها فى ذاك الزمان تقطعت فيها الرؤوس وخمدت النفوس وجرت الآدمية كالأنابيب وتدفقت من أوراد الفرسان كالميازيب وما جاء المساء إلا ورجال الفرس قد أدخلت الهنود إلى داخل خيامها وأنزلت بها الويل والعذاب وقتلت فيهم مقتلة عظيمة ورجعوا عنهم بعد أن أشفوا غليل أفئدتهم منهم ولولا ثبات الملك شنكال لتفرقوا بين تلك البرارى والتلال وبعد أن رجعوا إلى الخيام وأقاموا فى صيوان الملك بهمن هنأوا بهزاد على خلاصه فقال لهم قبح الله الغدر والخيانة فانى لم أكن أعهد بمثل هذا الملك بعد أن طلب منى أن نعمد إلى العمدان ويضرب كل منا بدوره يرسل إلى بالشبكة على غير انتباه ومع كل ذلك فانى أعرف وأعترف أنه بطل صنديد وفارس مجيد ولكن لا بد لى فى الغد من هلاكه وقصف عمره . فقال له فيروزشاه إنى فى هذه المرة لا أسمح لك أن تقاتل الملك شنكال بل أريد أن أقاتله وأعدمه الحياة كونه ملك وفارس . فلم يقدر بهزاد على مخالفة فيروزشاه وصرفوا ذلك الليل على حسب عادتهم إلى أن كان الصباح .

قال وفى الصباح ركب الملك شنكال وهو متكدر من فوات خصمه من يده فى اليوم الماضى ودعا اليه جماعة من قومه وقال لهم إنى أريد منكم أن لا تتغافلون فى الغد عن الاسراع إلى من أقاتله إذا رأيتم الشناكل وقعت عليه ولو أنكم أسرعتم إلى بهزاد وقتلتم جواده لكان الآن أسيرا بيننا . وبعد ذلك تقدم إلى الميدان وبرز إلى الوسط وفى نيته أن يعمل فى ذاك اليوم كما فعل فى اليوم الماضى إلا أنه قبل أن يدور برأس فيله ويصول ويجول صدمه فيروزشاه وهو راكب على جواده الكمين المشهور فى خيول ذاك الزمان ولما التقيا اصطدما وافترقا والتحما وهمهما ودمدما ووقع بينهما القتال العظيم والنزال الجسيم وهما تارة يلتقيان وتارة يفترقان . والفرسان ترمقهما بالعيان . من كل ناحية ومكان . وسلطان الموت واقف أمامهما ينظر ما يكون من أمرهما وهو عارف من نفسه حق المعرفة أن لا بد لأحدهما من قتل الآخر وإعدامه ولذلك كان يؤمل أنه لا يرجع بالخيبة بل يعود ظافرا منصورا إلى أن قرب الظهر ورأى شنكال عمل فيروزشاه وخفة جريه وسرعة ضربه فكاد يغيب عن الصواب وعرف من نفسه أنه مقتول لا محالة ولذلك عمد إلى ترك المجاولة وطلب من خصمه الضرب بالعمدان : فقال له فيروزشاه إنى أعرف أنك غادر ماكر ولذلك أسألك أن تلقى على بالشبكة والشناكل وأنا على استعداد حتى إذا لم تنفذ غايتك فى عدنا إلى ضرب العمدان ففرح شنكال

بهذا الشأن وأخذ السلسلة بيده وجمعها مع الشبكة وألقاها وفيروزشاه ينظر اليها وقبل أن تصل منه اسرع فاختطف السلسلة من الشناكل وقبض عليها بيديه وظن شنكال أنها علقت فى زنده فألوى رأس فيله وأراد الرجوع واشتد السلسال وفى ظنه أنه يقدر على سحب فيروزشاه إلى أن تدركه الفرسان فيأخذونه أسيرا فخاب ظنه لأن فيروزشاه شد برجليه على بطن الكمين وكان الكمين ثابت القوائم قويا فلم يقدر الفيل على جره بل جعل يضرب برجليه والملك شنكال يطلقه وهو واقف مكانه وفيروزشاه يضحك منه ولما رأى أن فرسان الهنود قصدته خاف أن يفوته الملك شنكال فجذب السلسلة بقوة زنده وجر الفيل من المؤخرة حتى صار أمامه وحينئذ أسرع إلى سيفه فاستله وضرب به الملك شنكال فوقع على رأسه أرداه قتيلا وصاح بعد ذلك على فرسان الهنود وانخطف إلى وسطهم ويضرب ويطعن ولما رأى فرسان الفرس عمل فيروزشاه وكيف أنه سحب الفيل كالكلب وهو ثابت فوق كمينه ورأوا قتله لملك الهنود صفقوا من الفرح وحملوا بأجمعهم وانحطوا على الأعداء وأنزلوا عليهم نوازل الدمار والبلاء وجعلوا يضربون بهم من كل جانب مفرق وسدوا عليهم نوافذ الفرار وداموا يفعلون بأقفيتهم كما تفعل النار بالقش الجاف حتى فرقوهم كل مفرق وبددوهم كل مبدد ومحوا آثارهم عن تلك الديار وعادوا من خلفهم منصورين ظافرين وجمعوا الخيول والأسلاب واغتنموا الذخائر والأموال وكل ما كان مع الهنود ونزلوا للراحة فى تلك الأرض وهم يهنون بعضهم بعضا بهذا النصر المجيد وقضاء الأمر من أقرب طريق .

ولما استقر بهم المقر فى المساء بعث الملك بهمن بكتاب إلى زوجته يبشرها بما حل على الأعداء ويعدها بأنهم فى الغد ينهضون عائدين إلى المدينة ومثل ذلك إلى مهريار الوزير يخبره بكل ما تقدم ويأمره باجراء الاحتفال والزينة إكراما لخاطر عمه جهان فأجاب مهريار طلبه وهيأ كل ما أمره الملك غير أنه كان يعرف أن جهان لا بد أن يلومه وأن ليس من الاصابة ان يبقى فى بلاده بصفة وزير اوغير وزير وعليه فقد وطد العزم على ملاصقة فيروزشاه وقوم الفرس والبقاء معهم الى نهاية العمر . وناموا تلك الليلة فى تلك الأرض على الراحة والاطمئنان بعد ان قسموا الخيول والأسلاب واعطوا الصغير بنسبة الكبير .

وفى الصباح نهضوا على صوت نفير الملك بهمن يأمرهم بالركوب والرجوع الى المدينة كى يقيموا بها الملك جهان على كرسيه كما كان ويأخذوا ما هو لهم هناك ويأخذ الملك وزوجته ويسيرون . وما علت الشمس واشرقت بكل انوارها حتى كانت كل فرسان الاعجام سائرة الى الوراء وفى مقدمة كل جيش منها فارس عظيم من فرسانها وقد ملأوا الارض بكثرتهم وبما

هو معهم من الخيول والجمال والأغنام التى ربحوها من الأعداء. وبقيوا على مسيرهم إلى ان وصلوا إلى المدينة وتبينوا من عندها فرأوا أهلها قادمين نساء ورجالا إلى ملتقاهم وفى مقدمتهم الوزير مهريار والأعيان وأكثر فرحهم كان بالصلح الذى وقع بين الفرس والصينيين ونهاية هذه الحرب ورجوع ملكهم على طريقة جيدة ولما التقوا به وبفيروزشاه والملك بهمن وجماعة الفرس صفقوا من الفرح وتقدموا من ملكهم وخروا له فنهاهم وقال لهم لا تفعلوا الآن ولا فيما بعد ما كنتم عليه قبلا فقد أنار الله بصيرتى وعرفنى مقامى وما أنا إلا واحد منكم مخلوق لا أقدر ان أحيى برغوثا أو أخلق ذبابة ومن الخطاء والخطيئة أن أقبل بعملكم هذا وما سلطنى الله عليكم إلا لأخدمكم بالحكم بينكم واحرسكم بعين العدالة والحكمة فلما سمعوا كلامه زاد سرورهم وعرفوا انه أطاع الفرس على عبادة الله وعرف الحق معرفة كبرى .

وبعد أن سلم كل انسان على الآخر عاد الجميع إلى المدينة ودخلوها وجاءوا القصر الكبير حيث كان الوزير مهريار قد أعد لهم فيه كل أنواع الأطعمة والأشربة وما يليق بمثل هذا الاحتفال وأقاموا كل ذلك النهار فيه والأعيان تردعلى الملك جهان تهنئه بالسلامة والرجوع وعند انقضاء النهار ذهب إلى بنته مع صهره الملك بهمن ولما وصل الى قصرها تلقته الى الأسفل ورمت نفسها على صدره تقبل يديه وتذرف الدموع وهى مظهرة فرحها به ومخجولة من نفسها تطلب منه المسامحة والرضا عنها فضمها اليه وقبلها وقال لها لم تفعلى إلا حسنا ياولدى ولولا ذلك لكنت أنت الآن بكدر وأنا كذلك من أجلك لأنه كان بنية الملك شنكال ان يتخذك زوجة لابنه ولو رأيته لفضلت الموت الوف مرات على التقرب منه واين هو من زوجك الذى لا يوجد مثله فى زماننا هذا ولا أكبر من سلطانه وقد جمع فيه الله سبحانه وتعالى كل الصفات الحميدة الممدوحة منه ومن الناس وانى الآن اهنيك به واسأل الله التوفيق معه والنجاح فشكره الملك بهمن على قوله واثنى على محبته .

وبعد ان اقام أكثر من ساعتين فى قصر بنته ذهب الى قصره وترك بنته مع زوجها يتشاكيان ألم الفراق وما لاقيا من البعد مدة هذه الحرب بعد ان كانا بالراحة وهنأته بالسلامة والرجوع على جناح النصر والظفر وصرف تلك الليلة عندها باعظم راحة واهنىء ليلة .

وعند الصباح اجتمع كل امير ووزيره فى ديوان الملك جهان وجاء الملك جهان والملك بهمن وفيروز شاه وجلس كل واحد فى مجلسه ولما استقر بهم المقام نهض فيروز شاه وقال خاطبا فيهم اعلموا ايها القوم من فرس وصينيين المجتمعون فى هذا المكان اننا صرفنا سنينا كثيرة فى هذه البلاد على الحرب والعناد نلاقى الدهر مع

صروفه أوقاتا مفرحة وأوقاتا مكدرة ولا نلبث ان نودع الواحدة حتى نلاقى الأخرى أى اننا كنا على الدوام عرضة للاكدار والتأخر وعطا للافراح والهناء غير أن الله سبحانه وتعالى كان لايقبل أن يبقى علينا غطاء الفشل والمصائب بل كان فى كل هذه المدة يساعدنا وينتشلنا من بين أيدى الحوادث التى كانت تغيظنا إلى أن وصلنا والحمد لله إلى هذه الحالة الحاضرة وتخلصنا من كل الطوارق التى طرأت علينا ورجع الملك جهان إلى ملكه بعد ان اتصل بيننا وبينه حبل النسابة وصار كواحد منا ومن الاصابة والعدالة أن نرجعه إلى ملكه ونرجع له بلاده حيث لا تقدر أن تقيم فيها أكثر من هذا النهار وفى الغد مزمع على السفر والرحيل مستعجلا إلى جهة إيران لأن لا اخفاكم خبر التحرير الذى بعثه والدى الملك ضاراب وأخاف أن يكون قد وصل الابشع ملك السودان إلى إيران وليس فى إيران من يقدر أن يلقاه فيخرب البلاد ويشتت أهلها ويسبى حريمها ويتمكن الشاه روزمى أخذ عين الحياة وأنا بعيد عنها لا أقدر أن أمنع عدوها وأحميها منه وانى أعلم ان الله لا يقبل لى ان أكون مرتاحا سنة واحدة من الحروب ومقاساة الوقائع وما ذلك إلا لغاية خصوصية يريد أن يجريها لنزيد من عباده ويسلطنا نحن على مشارق الأرض ومغاربها وانى اريد الآن ان أرجع الملك جهان إلى كرسيه وأعزل ولدى منها

ثم تقدم فيروزشاه من الملك جهان وقدم له بلاده وطلب منه المعذرة وتزل الملك بهمن عن كرسى الملك ورفع عمه عليها وقال له هى باقية لك وما من أحد يقدر أن يتعدى عليك بها ولاسيما أننا نحن صرنا من الآن وصاعدا أنصارك وأعوانك .

وبعد أن جلس الملك جهان على كرسيه فرح مزيد الفرح بعمل صهره بهمن وإكرامه له وأراد فيروز شاه أن يصلح بين الملك جهان والوزير مهيار فقال لجهان ان وزيرك ما سلك معك هذا المسلك إلا لما وجد نفسه مضطراً اليه كونه يعبد الله تعالى ونحن نعبد الله مثله ومن المفروض على عباده أن يكونوا يدا واحدة على الحب والولاء وهكذا دينه جعله أن يعمل .

فقال جهان انى راض عنه ولست متكدرا من أعماله غير انى لا أرضى أن يعود إلى الوزارة كسابق عادته وكذلك الوزير مهريار فانه قال لفيروز شاه لا رغبة لى فى البقاء ياسيدى بهذه البلاد لأن محبتى لك وما أراه من نفسى من وجوب خدمتى وبقائى على الدوام بين يديك وتقديم الفروض الواجبه على دائما تدعونى إلى ان أسألك ان تسمح لى أن أكون بين عبيدك وخدمك ولاطاقة لى على فراقك فأجاب فيروزشاه سؤاله وقال له كن أنت معنا على الدوام فاننا بعظيم حاجة اليك ثم التفت إلى الملك جهان وقال له أريد منك أن تستوزر أخ سعدان وفيروز الجراح فانهما أمينان جداً وفيهما اللياقة

والكمال . قال انى أقبل بذلك ومن هذه الساعة أقيم الأول مكان منكوخان والآخر مكان مهريار وجاءوا بهما وأجلسوهما فى هذين المنصبين وباركوا لهما وهنأوهما وصرفوا باقى ذاك النهار على الاستعداد والتهيء وقد أمر جهان أن تزود رجال الفرس بكل مايلزم لهم فى طريقهم وأن يصحبوا بالأغنام وكل الأسلاب التى جاءوا بها من الهنود وأن تزاد أضعافا من المدينة لتكفيهم فى طريقهم فمنع فيروزشاه وقال ان ذلك يزيد علينا لاننا وان كان قد فرغ منا كل ما كنا مصحبينه من بلادنا إلا أن لنا كثيرا من المؤن والذخائر فى مدينة السرور وفضلا عن ذلك فاننا سنمر فى طريقنا على الرومان ومصر وغيرهما من الممالك التى هى فى ملكنا فنأخذ منها ما نحتاجه حتى نصل إلى وطننا ولا نريد أن نأخذ من وطنك شيئا لأنها خارجة من حروب وضيقات عظيمة لكن الذى جئنا به من الهنود نأخذه برفقتنا فوفقه عليه جهان وصرفوا باقى النهار وقسما من الليل مع بعضهم يتودعون ويستعدون .

ولما كان صباح اليوم التالى بكر فيروز شاه بالنهوض من الفراش وأوعز إلى العساكر أن ترحل وكان بمزيد قلق واضطراب من أجل ما سمعه فى كتاب أبيه عن الملك الأبشع والشاه روز بن الملك كندهار ويخاف أن يصل إلى عين الحياة ويطلب أخذها فتميت نفسها أو أنها تهان وتعذب بعد أن أصبحت ملكة وصارت متوسطة العمر وعوضا أن يفرح بولدها ويزواجه تطالب من أوباش الناس كسبية لتنزع منه وتزف على غيره وهذا الفكر كان لايدعه ينام براحة لا بليل ولا بنهار ولا يهدأ له روع قط حتى كان ذاك الصباح وقد عزم على الرحيل وهو يتمنى أن يطير بنفسه وينزل على إيران ويشاهد ما يكون هناك وماهو جار على أبيه وزوجته ورجال وطنه وبعد أن ركب الفرسان والأبطال والأمراء كل بموكبه وتحت علمه ركب الملك بهمن تحت الراية الكبيرة وأركب إلى جانبه فى هودج من الحرير المزركش بالذهب زوجته شمس بعد أن ودعت أبيها ورجال قومها وأوصاها أبوها بطاعة زوجها وأن تكون على الدوام محبة له ولقومه ووسيلة لبقاء السلام بين زوجها وأبيها فوعدته بكل جميل وقبلت يديه وأذرفت دموع الوداع وفعل هو كذلك لأنها كانت وحيدة له ثم تقدم جهان من صهره فودعه وبكى كل منهما على فراق الآخر . ثم قال أنت تعلم ان شمسا وحيدة ولم يبعث لى الله سبحانه وتعالى سواها ولذلك أحببتها حبا خالصا وكنت لا أقدر على الدوام ان أفارقها يوما واحدا حتى أصبحت زوجة لك وهذا من حسن حظها لأنها وجدت لها أبا ثابتا حنونا محبا لها ولا أريد ان أوصيك بشيء إلا بها ان يكون لها على الدوام المحل الأول عندك ولا تفتر محبتك لها مع تمادى الايام كأكثر المتزوجين الذين يضعف حبهم مع الايام وإذا أخذت زوجة ثانية غير شمس فلا

تنزلها منزلتها بل تكون هذه المملكة ويكون نسلها الوارث من بعدك وانى أقسم عليك بحياة أبيك فيروزشاه فهو عزيز عليك وحياته لا تضيع أن تصغى الى كلامى ولا تحط من قدر بنتى . فقال له الملك بهمن انى اخذت بنتك عن حب خالص وحبى هذا يزيد على الدوام ولا ينقص قط كما تزعم ومن كانت كبنتك شمس وكان لها زوجا كبهمن بن فيروزشاه لا ينقص بينهما الحب ولا تضعفه الحوادث فكن مرتاحا من هذا القبيل

وبعد اجراء الوداع اللازم واسكاب الدموع الغزيرة تحركوا من تلك الأرض ورحلوا عنها سائرين فى طريق بلادهم بالسرعة التى يرغبها فيروز شاه وهو سائر فى المقدمة يطلب الطيران الى بلاده حتى يوصلوا مدينة السرور فخرج اليهم ملكها ولاقاهم بالترحيب والاكرام وانزلهم عنده للراحة وأضافهم ثلاثة ايام وبعد ذلك امر فيروزشاه بالركوب فركب معسكره وفرسانه وودعوا رجال مدينة السرور وملكها واخذوا ما كان لهم فى تلك المدينة وساروا عنها فى طريق بلاد الرومان وداموا فى مسيرهم عدة اسابيع إلى أن وصلوا إلى عاصمة البلاد وعرف الشاه سليم بقرب وصولهم اليه فخرج برجاله وقومه ولاقاهم احسن ملاقاة وترحب بهم كل الترحب وهنأهم بالرجوع سالمين من بلاد الصين وادخلهم المدينة وهو فرحان بهم مزيد الفرح واكثر فرحه كان بصهره فرخوزاد وحفيده اردوان وعمل لهم الولائم الفاخرة والاحتفالات العظيمة وكان بنية فيروزشاه ان يرحل فى اليوم الثانى فمنعه طيطلوس وقال له ان دمت على السير على هذه الصفة تهلك العساكر قبل ان تصل البلاد ومن العدل الرفق بهم والنظر فى راحتهم لا سيما انى انا رجل مسن تجاوزت المائة سنة ولم يعد فى وسعى السير بالعجلة اكثر من اللازم وعليه فانى اريد منك ان تبقى هنا عشرة ايام بحيث تكون العساكر قد ارتاحت تمام الراحة وذهب عنها التعب الذى لحق بها من جرى السير الطويل الذى لاقيناه من بلاد الصين الى هذه البلاد وليقدر الجميع ايضا على السير من هذه البلاد الى مصر فاجاب فيروزشاه طلبه ورأى ان الحق بيده وانه اصبح عاجزا عن ملاقاة الاتعاب . وكان صبره هذا شديد عليه جدا يزيد بانشغال ضميره وارتباك افكاره وخوفه على ابيه وزوجته وكان يمر عليه اليوم بمقام سنة وفى تلك المدة شاع خبر وصوله فجاءت اليه امراء العواصم وملوك البلاد للسلام عليه وفى جملتهم سيف الدولة صاحب ملاطية فلاقاه فيروزشاه بالترحيب والاكرام وسلم عليه مزيد السلام واظهر شوقه اليه وصرف عنده فى المدينة إلى اليوم الأخير اى الى اليوم الذى امر فيه الملك بهمن قومه بالركوب فركبوا ودعوا الشاه سليم وباقى الملوك واصحبوا معهم الهدايا النفيسة والتحف الفاخرة إلى الملك ضاراب

وأصحبوا معهم أيضا الأغنام والأبقار وغيرها ما يكفيهم إلى عدة سنين وساروا عن تلك البلاد وداموا فى مسيرهم على طريق مصر إلى أن وصلوا وأقاموا فيها عدة أيام على الترحيب والاكرام وعمل لهم الشاه صالح الولائم الفاخرة وبعد أن صرفوا نحوا من عشرة أيام فى مصر وتفقدوا أحوالها وأعمالها رحلوا عنها على طريق اليمن يقطعون القيافى والسهول والأوعار عدة أسابيع حتى وصلوا إلى بلاد اليمن وقد مروا بالطريق على لدن الطائف فأقاموا فيها يوما واصحبوا معهم من فاكهتها وبلحها شيئا كثيرا . ولما لاحت لهم تعزاء اليمن وشاهدوا عن بعد أسوارها تذكروا الأيام الماضية فيها وكان أشدهم ذكرى فيروزشاه رقة. ظهرت له الحوادث التى مرت عليه بالتتابع واحدة بعد واحدة وحركة حبه لعين الحياة الى التذكر بما كان يلاقى منها وعندها وماكانت تفعله لأجل حبه وهى تزوره فى السجون أو فى القصور قائمة على الوفاء والمودة وكانت هذه الحوادث تزيد فى هيامه وشوقه وتذكر يوم مجيئه إلى تلك البلاد مع الخواجا اليان وحربه من الزنوج وقتله بهروز وميسرة فعض على كفيه ندما كيف ترك الشاه روز ولم يقتله فى تلك الايام وكان بوسعه أن يتأثره إلى بلاده ويقتله هناك ولا يتركه غير انه كان عارفا انه لا يجسر بعد أن عرف أنه أصبح زوجا لعين الحياة ان يفكر بها أو تحدثه نفسه ذات مرة أن يتخذها زوجة ولاسيا بعد أن خرجت من سن الزواج وصارت أما وعلى عهد أن تصير جدة

قال ولما بلغ الشاه سرور خبر وصول صهره برجاله وقومه إلى تلك البلاد فخرج مع قومه إلى ملتقاه وهو فرحان جدا مسرور بملاقاته وخرجت أيضا كل رجال المدينة من كبيرهم إلى صغيرهم ولما قربوا من فيروزشاه وهو فى مقدمة العساكر نزلوا عن خيولهم وتقدموا امامه فنزل هو عن كمينه اكراما لعمه واعتبارا له وسلم عليه وقبل يديه فقبله وهنأه بالسلامة وترحب به وبقومه وسلم عليهم جميعا وعادوا على الانشراح والبسط والموسيقات تعزف بأصوات الترحيب والهناء ودخلوا المدينة ونزلوا القصور وأقاموا مدة أيام عند الشاه سرور وهو يقدم لهم الأطعمة والمآكل ويذبح لهم الذبائح ويرسل العلف إلى خيولهم وفى كل يوم تأتى سكان العواصم والنواحى فيسلمون على فيروزشاه وقومه وولده . ولما صرفوا عشرة أيام عند الشاه سرور سألوه أن يأذن لهم بالمسير لكونهم مستعجلين وفى نيتهم السرعة إلى البلاد الفارسية وقد أخبر فيروزشاه عمه بعمل الشاه روز وخروجه على أبيه واستنجاده بالابشع ملك السودان أخى طومار الزنجى وأن الذى بعثه على ذلك طمعه بعين الحياة . فقال له الشاه سرور انى أسمع أن الابشع فارس عظيم جدا وانه أشد بأسا من طومار ولا ريب أنكم ستلاقون معه صعوبات وويلات جمة وتكون حربكم معه قوية جدا . قال انى لا أهتم به ولا

بعريه ما زلت قادرا على ركوب جوادي ونقل حسامي لكن أخاف من أن يكون وقع حادث عظيم في غيابنا ولا أصل إلى إيران إلا بعد فوات الوقت أو يكون لحق سوء بعين الحياة

ومن بعد أن ودع فيروز شاه عمه ركب جواده الكمين وخرج في مقدمة الجميع وركب من خلفه فرخوزاد واردوان وشيرزاد بعساكرهم واعلامهم ومن خلفهم بهمنزار قلي وخورشيدشاه وجمشيد شاه وطهمور ومصفر شاه وكرمان شاه وقادرشاه وباقي رجال الفرس كل تحت اعلامه المختصة به وفي كل المؤخرة بهزاد الايراني بهلوان بلاد فارس وابن فيلزور البهلوان برجاله واعلامه المختصة به وكان في الوسط الملك بهمن بين وزيريه وطيطلوس وبزرجمهر ومعهما مهريار الوزير ومن فوقه العالم الفارسي اي علم الأسد والشمس ونقلوا من تلك الديار سائرين إلى إيران وداموا في المسير حتى خرجوا من حدود اليمن وكان في المقدمة فيروز شاه وهو طائر الفؤاد إلى جهة إيران يرى الطريق وهي قريبة المسافة طويلة جدا وكان قلبه يحدثه ان قومه واباه وزوجته بحاجة اليه وان وصوله يكون نافعا وهو لا يصدق ان يلتقي بعين الحياة ويبل شوقه منها ويراها بخير ولما دخل في حدود مملكة الفرس هاج عليه شوقه ولعب به غرامه وتذكر بعده عنها أكثر من ثلاثين سنة أي منذ تدرج في بداية هذه الحياة واعظم فكر كان يخطر له هو ان سبب وصوله إلى بلاد الصين كان بداعي سعيه وراء عين الحياة والا لولاها لما كان خرج من إيران ولا كان وقع على رجاله امر من كل هذه الحوادث التي مرت عليهم ودام على حاله وهذا الفكر يشغله سرا الى نواحي إيران

قال فهذا ما كان من امر فيروز شاه ولنرجع الى ما ذكرناه بخصوص الشاه روز ابن الملك كندهار فانه كان كل هذه المدة صابرا على هواه لا يقدر ان يبدي حركة أو يأتي امرا خوفا من فيروزشاه ومن سطوته ومع كل هذا الزمان الذي مر لم ينقلع من قلبه غرام عين الحياة ولا نسيها يوما واحدا بل كان الحب يقوى به ويزيد معه الى ان عرف انها تزوجت به في بلاد الرومان فكادت تنشق مرارته ووقع باليأس وقطع الرجاء عوضا أن يتركها عن باله ويؤكد من نفسه ان لا صالح له فيها بعد بل بقي على عزمه وهو يود ان الزمان يقربه منها وينال غايته وكانت حالته لا تخفى على احد ولا سيما على ابيه الذي كان صارفا كل الجهد إلى مساعدته دون جدوى وكان يلعب به الهوى ويزيد عليه فتقع تارة في الفراش ويحل به الضنى والسقام فيصرف اشهرا واياما طورا يعلق آماله ويعلل نفسه بالمواعيد فيخفف عن قلبه ما يكون عليه وينتظر الفرص الى ان عرف برجوع الملك ضاراب إلى بلاده ومعه

عين الحياة فأرسل رجلا من قبله إلى إيران يسأل عن سبب حضور الملك ضاراب وهل أن فيروزشاه جاء أو أصيب بنكبة أو رحل إلى جهة ثانية أو هو آت على الطريق وبقى منتظراً عودة رسوله إلى أن رجع اليه وأخبره أن فيروزشاه سار إلى بلاد الصين لقتال الملك جهان فوقع هذا الخبر على قلبه مفرحا وظن أن فيروزشاه لا يعود من بلاد الصين لأنها بلاد جيدة صعبة المسالك وربما من التعب والمشاق يصاب بمرض فيموت به أو تحل به نكبة أخرى وكان هذا الأمل قد قوى منه العزم وعلق كل الرجاء بنوال الغاية وأرسل بالرسل إلى إيران تعود عليه على الدوام بالأخبار عن فيروزشاه وعما يكون فى إيران وهو كلما عزم أن يقصد ملكا أو أميراً يستجير به يقول له أبوه لا تفعل الآن واصبر إلى أن نعرف ماذا جرى على فيروزشاه لأنه إذا كان حيا ولو كان بأطراف الدنيا وصل الينا بأقرب وقت وضيع مسعانا ورمانا بالفشل والخيبة ولا تظن أن أحداً من فرسان هذه الدنيا وملوكها يقدر أن يقف فى وجهه أو فى وجه بهزاد بن فيلزور البهلوان وفرسان الفرس لا يقاس بهم غيرهم ولاسيما أننا نحن من عمال الملك ضاراب ومن جنسيته فينسب الينا الغدر والخيانة دون الحصول على نتيجة لكن إذا عرفنا أمراً رديئا عن فيروزشاه وعن رجال الفرس فى الصين وأنهم تبددوا إذ ذاك نخرج على الملك ضاراب ونستعين بمن لنا من الأحلاف فنملك إيران ونكون نحن الحكام عليها ونأخذ لك عين الحياة زوجة وحليلة .

وكان كل ما تقدم فى العمر يزيد فى آماله وتعليق رجائه ولا ضعف ميله قط مرة واحدة ولا أرى من نفسه أن عين الحياة قد أصبحت أما وليس من العدل الانسانى أن تميل اليه وتترك زوجها بل كان يظن أنه إذا قدر على الحصول عليها وملكها تزوجها أى أنها تقبل به ويكون قد نال غايته ومن العجب ثباته على هذا الأمل عدة سنين أى نحوا من عشرين سنة من حين رجوعه من تعزاء الـ ن وهروبه من وجه فيروزشاه إلى ذاك اليوم الذى بلغه فيه أن الملك ضاراب قد أرسل ابن فيروزشاه وأبناء الفرسان إلى الصين لانقطاع خبر آبائهم عنه وذلك أن الرسل عادت فأخبرته به وأن العساكر سارت عن إيران ولم يبق بها إلا الضعفاء والشيوخ فزاد أمله وأمل بالنجاح . وكان شخص عين الحياة يلوح على الدوام أمام أعينه ويزين له فكره أنها كلما تقدمت بالسن تقدمت بها المحاسن وزادت رونقا . وبقى على الانتظار مدة طويلة بعـــد ذلك إلى أن اجتمع أخيرا بأبيه فقال له لقد وهى جسمى ولم يعد لى من قدرة على حمل أثقال الغرام وليس هذا فقط بل إن لى أكبر ثأر على الفرس لا أصبر عليه ولا أطيق تركه فانظر فى أمرى وانى أعدك وأنا على يقين من وعدى أن فيروزشاه هلك فى تلك البلاد ولم يعد قط الى هذه الديار لأن الزمان الذى مر هو كاف لأن يحارب به

سكان الدنيا ويعود إلى بلاده ولو لم يكن قد تأكد أبوه هذا الخبر فى سره لما بعث بالعساكر الى بلاد الصين وقد مضى على الذين ساروا ثانيا مدة ولم يرجعوا وقدعرفت من الرسل الذين بعثهم إلى إيران أن الملك ضـــاراب والباقين فى المدينة يصبحون ويمسون على الخوف والوجل وأن عموم سكان إيران باضطراب عظيم أليس ذلك بسبب الأخبار عن قومهم وإنى أعرف لو سرت أنا وحدى . ولا يمكن يا سيدى أن أصبر أكثر مما صبرت لأنى أصبحت بالدرجة الوسطى من العمر لا أقدرعلى الثبات فيه وإذا طال على الزمان بعد عدة سنين أصبحت شيخا وإنى لا أريد زوجة غيرعين الحياة ولو طال على المطال وكان كل منا يدب على العصا . فقال له أبوه إنى أعرف جيداً باولدى أن فيروزشاه لا يعود من الصين قط لأن البلاد صعبة المسالك بعيدة جداً ورجالها أقوياء وكثيروا العدد لا ينالون منهم مراداً وصار من اللازم أن نسعى خلف نوال المراد وامتلاك البلاد والاتيان بعين الحياة لنزفك عليها وهذا لا نقدر عليه نحن لأن الملك ضاراب وإن كان أصبح شيخا مسنا إلا أنه كامل العزيمة ويقدر على المقاومة وعنده ثلاثة من بهلوانى بلادهم وهم عبد الخالق القيروانى وشمرين الشبيلى الطلقانى ومرادخت الطبرستانى والثلاثة من الأبطال الصناديد . وعندى الآن أن تذهب من هنا إلى بلاد السودان وتقع على الملك الأبشع صاحب بلاد السودان الذى تملك الزنوج بعد قتل أخيه طومار ولا ريب أن للمذكور على الفرس ثأر فاذا ذكرته به وتوقعته عليه سار معك وهو فارس صنديد وبطل مجيد لا يوجد له ثان فى هذه الأيام لا بين الانس ولا الجان طول قامته خمسة عشر شبرا إذا ركب الفيل وشد عليه برجليه ألقاه إلى الأرض . ومتى قبل الأبشع بالاتيان معك نلت المرام وحظيت بعين الحياة وإلا فلا أمل بالفوز وإذا رأيت منه الاجابة والعزم على المسير فارسل لى بالخبر كى أجمع العساكر وأقيم إلى حين وصولكم فنرحل معا ونبغت بلاد الفرس ونمتلكها من الأول إلى الآخر.

فلما سمع الشاه روز كلام أبيه خفق قلبه من الفرح وقال هذا هو وجه الأمل ولا بد لى من المسير إلى بلاد الزنوج وأقدم على ملك السودان وأساله المعاونة وأذكره بأن فيروزشاه قد قتل له ثلاثة إخوة وبدد شمل الزنوج وفعل بهم أفعالا شنيعة وعندى أنه سيسرع فى الحال الى اجابة سؤالى ويسير معى بالعساكر والابطال وغير هذه الفرصة لا يكون له . ثم ان الشاه روز ودع أباه فى الحال وأخذ جماعة من رجاله ليكونوا رفاقه فى طريقه وركب وسار فى طريق بلاد السودان ودام فى مسيره الى أن وصل اليها مع قومه ودخل على الملك الابشع وعرض عليه حاله وعرفه بنفسه وقال له انى كنت قبلا صديقا للمرحوم طومار أخوك الذى قتله الفرس وقد عرضت عليه

حالى ذات مرة وسألته المساعدة على حرب اليمن حيث كان ملكها قد امتنع على بابته ولما قدمنا على افتتاح المدينة ونوال المرادجاءنا فيروزشاه ابن الملك ضاراب فخيب مسعانا وقتل اخوى طومار الذين كان ارسلهما لمساعدتى مع عساكره وأبطاله وهربت أنا وتشتت قوى دون نوال غاية وبعد ذلك سار أخوك صديق طومار الى تعزاء ليمن فالتقى هناك بفيروزشاه فقتل أخوك وبدد شمل رجاله كما أنك تعرف ذلك. وبقيت أنا محسرا عليه وليس فى وسعى أن آخذله بالثأر ولايطيعنى قلبى على ترك ثأره وبقيت صابرا الى هذه الأيام حتى عرفت أن فيروزشاه هلك او كاد يهلك فى بلاد الصين مع جماعته وعساكره فنويت ان اسير الى ايران فامتلكها واقبض على الملك ضاراب الموجود فيها وابعثه اليك لتقتله وتأخذ بثأر اخيك واخذ عين الحياة سبية بالرغم عن زوجها وابيها فمنعنى ابى من ذلك وقال لى ان هذا ليس بصواب لأن الملك الأبشع سيد كريم وفارس عظيم ويحب ان يأخذ لنفسه بالثار بيده ليشفى غليله من اعدائه فاذهب اليه واعرض عليه هذا الأمر ولا بد ان يكون بانتظاره ومن ثم نسير نحن تحت حمايته الى بلاد الفرس اى الى ايران ونوقع بهم ونمتلك بلادهم وندعهم بحالة الفناء فصغيت الى كلام ابى واسرعت اليك لأعرض عليك الذهاب واخذ الثأر فان هذه الفرصة مناسبة جدا لقلع هذه الدولة وخراب هذه العائلة التى اعتدت وجارت وامتلكت البلاد من حد ايران الى حدود بلاد الصين وقتلت سيدى واعز الناس عندى البطل طومار. ثم جعل يبكى امام الأبشع حتى ابكاه ولعبت به الحمية وقال له انى كنت مخطئا كل هذه المدة حيث لم افكر بأخذ الثأر ولاعرفت ان الملك ضاراب رجع الى بلاده واطمأن باله ولم يحسب حسابا للملك الأبشع وانى اقسم بالنار والنور والفلك الذى يدوران لاارجع عن بلاد الفرس حتى اهلكهم عن بكرة ابيهم واجعلهم مثلا يذكر بين كل قائم وقاعد واذا سمحت لى النار وجمعتنى بفيروزشاه عرفته كيف يتطاول على ملوك الزنوج ويمد اليهم يدا. نعم انه قتل الملك طومار واحرق قلبى عليه ولكن ثاره لا يفوتنى وسوف آخذه منه بيدى.

ثم ان الأبشع جعل يستعد للرحيل من تلك الساعة ويجمع العساكر والمؤن وبمدة قليلة اجتمع عنده كل ماهو طالبه وسار بمائة وخمسين الف فارس من فرسان السودان مع اثناعشر اميرمن الأمراء المشهورين والقواد المذكورين فى بلاده وسار الشاه روز الى جانبه وهو فرحان كل الفرح ومؤمل بالنجاح والفوز ونوال غايته وهى اخذ عين الحياة وكان يعجب من عظم جثة الملك الابشع وطول قامته التى لاتوجد فى غيره بين الرجال وعلاوة على ذلك فانه كان يركب اكبر فيل بين الفيلة ويحمل عمدا ثقله

الف وثلاثمائة من . وبقيت الجيوش سائرة الى ان وصلت الى كشمير الى الملك كندهار وكان قد عرف من حين خروجهما واتيانهما فاستعد وجمع العساكر واقام على الانتظار الى ان وصلت فخرج اكراما للابشع ولاقاه اعظم ملتقى وسأله المساعدة والنجدة فوعده بكل جميل وانه سيدوخ بلاد الفرس ويقتل ملوكها وكبرائها ويزوج الشاه روز بعين الحياة بعد ذلك فسر الملك كندهار من هذا الكلام واقام على عمل الولائم واعداد المعدات للابشع ورجاله عدة ايام الى ان صدر امره بالمسير الى ايران فركبت العساكر وركب الصغير والكبير وساروا على طريق المدينة وفى مقدمتهم الملك الابشع والاثنا عشر اميرا وسار الملك كندهار وابنه الشاه روز مع رجاله وتقلوا من تلك البلاد وبارحوها وداموا على مسيرهم الى ان قربوا من ايران وتبينوها واذا هى قائمة على الحصار ورجالها على الاسوار يستعدون للدفاع ومنع الهجوم .

قال وكان كما تقدم معنا فى تحرير للملك ضاراب الى ولده ان اخبار الشاه روز بلغته وهو سائر الى الابشع وعرف ان الابشع بعد ذلك وعده بالمساعدة وعليه فقد بعث ذلك التحرير وحسب الف حساب من حرب الابشع لانه كان يعرف انه فارس لا يقاس بغيره من الفرسان ولا يمكن لاحد ان يثبت امامه الا ان كان ولده فيروزشاه واقام بعد ذلك على الانتظار يسأل الله الفرج ورفع هذه البلية العظيمة وكان أعظم شيء يكدره عليه بان ما من فارس فى بلاده يقدر على ملاقاة الابشع وليس من معسكر يقدر على دفع عساكره واعظم من كل هذا كان يغتاظ عند ما يفكر ان الملك كندهار قد خان عليه مع أنه من الاعجام وأنه لم يسيء اليه قط طول العمر بل كان يحسن اليه ويراعيه ويكاتبه مكاتبة الاصدقاء والاحباب . ومن ثم بعث بالديادبة الى كشمير بلاد كندهار تنظر له وصول الابشع ومقدار من معه من العساكر ومتى رأوا الجميع قد ركبوا قاصدين ايران يأتونه باخبارهم قبل أن يصلوا ليكون على حذر فذهبت الرسل ورأت ما رأت ثم عادت واخبرته أن عدد القادمين هو ثلاثمائة الف فارس من سودان واعجام مع الملك الابشع وامرائه وكندهار وولده الشاه روز . فزاد هذا الخبر فى كدره ورأى من نفسه انه عاجز عن القيام بالقتال فقصد المطاولة وحصن المدينة من كل جهاتها واكثر فيها من المؤن والذخائر حتى اذا صار الحصار تقدر على الثبات ولا يفرغ الطعام من المدينة قبل اتيان النجدات من بلاد الصين ورجوع ولده اليه وبوقت قريب انتهى من التحصين والاستعداد ووضع الرجال على الاسوار ترقب له وصول الاعداء الى ان تبينوهم ورأوهم وقد وصلوا وحطوا خارج المدينة فخبروا الملك ضاراب بذلك فدعا اليه عبد الخالق القيرواني ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشيلي الطلقاني واوصاهم بالثبات والدفاع وقال لهم

انتم الآن ركن رجالي ومعتمدهم فيثبتون لثباتكم ويتفرقون لتفريقكم فدبروا أمرهم بحكمة واصابة إلى أن يأتينا الله سبحانه وتعالى بالفرج من حيث لا ندرى فأجابوا أمره وقالوا له اننا حتى الآن قائمون على خدمة دولتنا ولا نبخل بأرواحنا فى سبيل الدفاع عنها وانتا نسأل الله المعونة والمساعدة على هذا الخطب الجسيم والمصاب العظيم . ففرح بكلامهم وسر منه ودعا إلى الله وأمر كل رجل بالمدينة أن يصوم ويصلي ويطلب منه تعالى المساعدة وإرجاع جيوش الفرس وهكذا كان حتى كانت المدينة أشبه بالمعابد والمساجد وفى كل ناحية الصلاة قائمة

قال ولما وصلت الجيوش القادمة وضربت خيامها حول المدينة وارتاحت نحو ثلاثة أيام كتب الملك الابشع كتابا إلى الملك ضاراب يقول فيه . اعلم أيها الملك المكابر أنك أقفلت أبواب المدينة وعولت على الحصار وبظنك أن هذه الأسوار تحميك منى أو تمنعني من غايتي فانى أقدر على هدمها بعمدى وحدى وانى إذا ضربت به سورا أسحقه إلى الاسفل فكن عارفا بذلك واصغ إلى قولى وامنع خراب المدينة وهدمها فانى لا أرغب أن أمتلكها خرابا ولا أضر بأحد من سكانها إذا كانوا على الطاعة والانقياد وهو أن تأتى إلى مقيدا مكبلا بنفسك وتظهر خضوعك لسلطتى وتعلمنى بأمر ولدك فيروز شاه هل هو باق بقيد الحياة وإذا كان باق لا أضربك ولا أصل اليك بشر إلى حين مجيئه بل تبقى أنت بالأسر عندى فانى وحده أطلب وغيره لا أريد كونه قاتل أخى طومار وأريد أن أقاتله بنفسى ليعلم أن الرجال تتفاوت وآخذ لطومار بالثأر . وفوق كل ذلك فانى أريد منك أن تزين عين الحياة وتعتقها عن ولدك وترسلها الينا لنسلمها إلى الشاه روز لأنه مغرم بها من قبل ابنك ولولاه لكان أخذها وتزوجها منذ زمان طويل وإياك من المكابرة فتحسب من أجهل الجهلاء فليس لك من القوة ما يمنعنى عما أطلبه وإذا أجبت طلبي تحقن دماء قومك والسلام

وبعد أن كتب هذا الكتاب أرسله مع عياريه إلى الملك ضاراب فأخذه وسار إلى أن قرب من المدينة فطرق الباب وأخبر البواب أن بيده كتاب إلى ملكهم ففتح له ودخل حتى جاء قصر الملك ودفع اليه الكتاب ولما قرأه وعرف ما فيه لعب به الغضب وذم الزمان كيف أبعد عنه أنصاره وفرسانه حتى أصبح وحيدا بهان من الاعداء وبعد التروى والامعان أجاب الملك الأبشع على كتابه يقول له فيه

بسم الله القادر على كل شيء الحى القيوم

من الملك ضاراب صاحب بلاد الفرس ونواحيها ووكيل أحكامها إلى الملك الأبشع ملك السودان والزنوج

اعلم ايها الملك انك لا تعرف قدر الملوك ولا تراعيها ولا تعتبر حرمة العرض

والناموس لقد بعثت إلى تهيننى بقولك أن أسلمك نفسى أسيرا لأكون عندك بالأسر وتطلب منى أن أسلمك عين الحياة لتعطيها إلى الشاه روز وما ذلك إلا من باب التعدى والجور ولو قصدت أن أسلمك بنفسى الآن وأجيب سؤالك من جهة عين الحياة لكان ذلك عليك وبالا وفناء لأن إذا جاء ولدى فيروز شاه ورآنى بالأسر ورأى زوجته بيد غيره أنزل صواعق انتقامه عليكم وأبادكم عن آخركم ولا تظن أن ذلك منى على نوع المكابرة والمباهاة بولدى والتهديد لكم بل لابد أن يكون فى قومك من شاهد حربه وقتاله مع طومار الذى لم يثبت أمامه إلا ساعات قليلة وبعد ذلك ضربه ضربة رسخت فى أذهان كل من شاهدها ولو كان مع طومار عشرة أبطال مثله لقطعوا بتلك الضربة مع أفيالهم وان كنت تجهل ذلك فاسأل عنه قبل أن ترمى نفسك بالمخاطر ولا تصدق ما تسمعه من الشاه روز والملك كندهار فانهما خائنان فاذا رغبت بسلامة نفسك اقبض عليهما وأرسلهما إلى ويكون بيننا الصلح والسلام إلى الأبد وتحقن دماء العباد وإذا كنت تطلب ثار طومار فاننا لم نعتد عليه قط بل هو جاء الينا وتعدى علينا وكان السبب الشاه روز وقد قتل بسبب صالحه وطمعه بعين الحياة وانى أخيرا أنذرك أن ولدى لا يزال بقيد الحياة ولا يلبث أن يكون قريبا بهذه النواحى مع جيوش الفرس وأبطالهم بأجمعهم ومعهم بهزاد بن فيلزور البهلوان بهلوان الدولة الفارسية وفارسها ولا بد أن يكون بلغك طرف من أعماله وأردوان عروس ميدان هذا الزمان وكثير من الأبطال والفرسان الذين تضرب بهم الأمثال وكل واحد منهم يقدر على دفعك والانتقام منك والسلام على كل من عرف الحقيقة وعمل بموجبها

ولما فرغ الملك ضاراب من كتابة كتابه سلمه إلى رسول الملك الأبشع فأخذه وسار حتى وصل اليه فدفعه له ولما قرأه زاد به الغضب وحنق كل الحنق وقال لا بد لى الآن من امتلاك المدينة وفيما بعد انتظر رجوع فيروز شاه وقومه وافعل بهم العجائب . وأمر من تلك الساعة أن تحتاط العساكر بالمدينة وتهجم عليها من كل الجهات ويضربون بالنبال ويهدمون الأسوار بالمعاول والآلات فاجاب رجال قومه وتفرقوا حول المدينة من كل جهاتها وسدوا كل الطرقات ومنعوا مرور الطير منها وداموا على ذلك إلى صباح اليوم الثانى وفيه أمر الأبشع بالهجوم على الأسوار فهجمت رجال السودان من كل ناحية ومكان ووقع رمى النبال كأنه العارض الهطال وأصابت مقاتل الرجال فمددتها على بساط الرمال وأوقعت الفرسان عن الأسوار إلى الحضيض ودام القتال إلى المساء وفيه رجع فرسان الزنوج إلى الوراء وكان الأبشع قد سطا على ناحية من الأسوار فهدم قسما منها بعمده لأنه كان يضرب على السور فيهزه ويمتع

جوانبه وبقى على ذلك والنبال تسقط عليه دون أن تؤثر به لثقل ما عليه من الحديد حتى فتح نافذة من السور الأول ولولا انقراض النهار واتيان الليل لما رجع إلا بعد أن تمكن من هدم قسم كبير منها غير أنه وضع جماعة من قومه مع بعض أمرائه كحراس فى تلك الناحية طول ذاك الليل كى لا يتمكن الفرس من ترميم السور وسد النافذة وبعد العشاء أقبل الفرس إلى تلك الناحية لبناء السور فمانع عنه الزنوج ودار القتال إلى الصباح دون أن يتمكنوا من سده

وفى الصباح ضربت طبول الحرب وقامت الفرس على الأسوار وبرز الملك ضاراب راكبا فوق جواده يتفقد الأسوار وينخى الأبطال ويسألها الثبات فى الميدان واستعارت نار الحرب واخترقت النبال صدور الفرسان من كلا الفريقين إلى المساء وإذ ذاك رجعوا إلى الخيام وقد هدم كثير من الأسوار الأولية بعمد الأبشع لأنه كان إذا وقع جبل سحقه وأزاحه وأيقن الملك ضاراب بفتح المدينة ودخول الأعداء اليها وصار يسال الله الفرج واتيان رجاله حيث كان قد بعث لهم بالأخبار يستعجلهم اليه قال ودام حصار السودان على مدينة إيران مدة سبعة أيام حتى ضايقوها كل المضايقة وهدموا جانبا عظيما ولم يبق من مانع يمنعهم أو دافع يدفعهم فصعب هذا الأمر على الملك ضاراب وتكدر مزيد الكدر وأيقن بخراب الديار وسبي الحريم ونهب الأموال ولم ير من طريقة تساعده على الثبات والممانعة والموت فى سبيل المحاماة عن الوطن وعن الحريم والعيال فدعا اليه بهلوانيته الثلاثة وأوصاهم بالقيام معه عند الجهة التى فتحت من الأسوار وأن يقاتلوا فى تلك الناحية فاما أن يفوزوا واما أن يقتلوا فاجابوا سؤاله ووعدوه أنهم يقفون فى وجه الأبشع ولا يمكنونه من الدخول وهم أحياء فشكرهم على قولهم وبات يدعو الله أن يفرج عنهم ويفتح لهم أبواب رحمته ويساعدهم على رفع هذه المصيبة وكانت ليلة عظيمة صعبة على كل سكان المدينة ولا سيما على عين الحياة زوجة فيروزشاه وأم الملك بهمن فانها كانت عارفة أن هذه الحرب صائرة بسببها وأن غاية الشاه روز الحصول عليها والتزوج بها وكانت كلما فكرت بمثل هذا الامر تنطبق الدنيا عليها ويصعب فى وجهها ويضيق صدرها وكان مما يزيدها غيظا تفكرها بان ما من أحد يقدر على الدفاع عنها والمحاماة عن عرضها ومنع الأعداء من سبيها وقطع رجائها من المساعد والنصير وصرفت تلك الليلة تبكي وتندب حظها وتنوح على ما جرى عليها من غياب زوجها وولدها وطمع الشاه روز بها مع أنها كانت لا تقبل أن يقبل لها أحد غير رجلها وكانت تقول فى نفسها ألم يكفني مالاقيت من العذاب من حين صباى وما كان من تشتيتى وبعدى إلى أقاصى الأرض وأخيرا غياب زوجي وولدى سنينا كثيرة فى بلاد الصين وأنا أقاسى

ألم بعادها وفراقهما لاأنام ليلة مرتاحة ومع كل ذلك أرجو آخرة رضية براحة بال ، واطمئنان حتى يعاد إلى زمن الصبا ويقع القتال بسبو وهذا كان يغيظها كثيرا ويحزنها ! وهي غائبة عن الهدى ترى من نفسها وتتأكد أنها فى الغد ستؤخذ سبية وتقبض عليها الأعداء. وفيما هي على مثل ذلك أرسلت اليها الملكة تمرتاج زوجة الملك ضاراب تدعوها اليها فسارت وهي بحالة الحزن والكآبة ودخلت عليها فوجدت عندها كل نساء الامراء والأعيان ولما وصلت لاقتها الملكة وعزتها وقالت لها لاتقطعي الرجاء من الخلاص فان الله لايترك عبده بشدة ولابد من اتيان الفرج كيف كان الحال وهذا عهدى بالله سبحانه وتعالى . فقالت لها كيف لا أحزن وألوم الايام والحوادث على فعلها معي وعنادها لي وأنا لم أعش مرتاحة زماني بطوله غير اني لما كنت فى أول عمري كنت أرى من نفسي اني خلقت للمصائب وان من الاصابة الثبات فى وجهها فكنت أتحمل العذاب بالصبر وأنتظر الفرج بعده ولاأتضجر من ثقل الحوادث التي كنت الاقيها مهما كانت ثقيلة وعظيمة وعرف ذلك مني الجميع وكل هذا على أمل منى أعيش مع زوجي فيما بعد مرتاحة على الهناء والراحة فكان من أمرى اني فارقته حالا وبعدت عنه فأقمت فى أول الارض وهو فى آخرها وبيني وبينه ألوف ألوف الأميال لاأعرف عنه خبرا ولاأعلم إذا كان باقي بقيد الحياة لأعاق عليه آمالي أو طرأ عليه حادث بعد مضي عدة سنين طويلة كالتي مرت وفوق كل ذلك فقد سار من خلفه ولده على رجاء أن يعود حالا أو يرسل من نحوه خبر فكان غياب الآخر أشد ضربة على مما قبل لأنه حتى اليوم لم يرجع ولا جاءنا من نحوهم خبر ولا علم نعم اني سأحزن وحزني لايقاس به حزن وفوق كل هذه المصائب التى مضت على ووقعت فوق رأسى تتجمع الأعداء وتتعدد وتقام الحروب لأجلي بعد ان صرت والدة وصار لي من العمر ماأوجبني إلى الدخول بدرجة الكمال ولابد من ملاقاة حوادث صعبة الآن إذا لم يأتنا الله بالفرج القريب ويعيد زوجي وباقي الفرسان الابطال لقتل الابشع واهلاك قومه .

فقالت لابد من اتيانهما فان الخبر وصل اليهم منذ زمان طويل أى من حين بلغنا أن الشاه روز قصد الملك الابشع لأجل هذه الغاية وحتى الآن لم يرجع ولابد أن يكون عائدا معهم ومن هذا صار لنا كبير رجاء بالمساعدة حتى ولو تأخر مجيء رجالنا ووقعنا بيد الاعداء فهم قادرون فيما بعد على خلاصنا .

قالت لها إذا تأخر مجيئهم يوما واحدا التزمت إلى أن أميت ولاأمكن الشاه روز مني لأنه لابد ان يطلب زواجي والحصول علي ويعتمد على اجبارى بالزواج عليه قالت لاتخاف واتكلي عليه تعالى واستعملي الحكمة ولاريب ان كل واحدة منا تفضل الموت على تسليمها إلى يد الاعداء على سبيل الانهتاك ولذلك قد جمعت الجميع إلى قصري حتى

إذا وقع الحرب فى الغد وتسهل للزنوج الدخول إلى المدينة عصينا عن التسليم ولا نسلم إلى أحد منهم فقط نقبل ان نبقى أسارى إلى بعضنا وكل واحدة منا تأخذ خنجراً تحفظه فى يدها فاما ان نموت ولانعرف كيف ان الله يفعل بنا فى الغد وعلى مثل هذا اتفق النساء كل واحدة منهن على اليأس وقطع الرجاء تتمنى ان يكون زوجها حاضراً يخلصها ويدافع عنها مصائب السبى والانهتاك .

قال ولما كان الصباح نهض الجميع من مراقدهم وتقدموا إلى جهة الاسوار وأقامت رجال الفرس عند تلك الجهة التى فتحت من أسوار المدينة عازمة كل العزم على منع دخول الزنوج منها وفى مقدمتهم مرادخت الطبرستانى وشبرين الشبيلى الطلقانى وعبد الخالق القيروانى وفيما بينهم الملك ضاراب ومالبثوا فى تلك الجهة حتى تدفقت بحور الاعداء تفيض من تلك الناحية واندفعت إلى داخل الاسوار وفى مقدمتها الملك الابشع وقد سد مسد السور من جهة إلى جهة من عظم جثته وهو راكب فوق الفيل فانقض عليه عبد الخالق القيروانى واستل فى يده الحسام وضرب به على جسمه وبفكره أنها تكون القاضية فانكسر الحسام أربع قطع ولم يؤثر فيه لما عليه من الحديد وإذ ذاك رفع الابشع العمد وضرب به عبد الخالق القيروانى فاستتر منها وهو يرجف من عظم هولها فوقعت على طارقته سحقتها وسحقته وسحقت الجواد من تحته ولم يعرف لحمه من عظمه. فصاحت رجال الفرس أسفا عليه وهجمت على الابشع فسطا عليها واستطال وفرقها إلى اليمين والشمال ودخلت من خلفه رجال الزنوج والاعجام إلى المدينة كأنهم البواشق إذا انحطت على العصافير وتفرقوا فى كل جهاتها ووقع الابشع بشبرين الشبيلى الطلقانى فضربه بعمده وذهب بروحه وأرداه قتيلا ثم التقى بعده بمرادخت الطبرستانى فأنزل عليه الويلات والمصائب وألحقه برفاقه وأنهى من هذه الدنيا أمله وعجل إلى دار الآخرة مرتحله وفعل بعد ذلك أفعالا عجيبة أهلك كثيرا من الرجال وبدد كثيرا من الابطال وهو لايكل ولا يمل وأخيرا وقع بالملك ضاراب فتجاول وإياه طويلا وأخيرا مد يده كأنها الصارى وقبض على الملك ضاراب ورفعه فى الهواء وقال له لو لم تكن ملكا لضربت بك الارض وأنهيت أمرك فى هذه الساعة ولكنى سأبقى عليك إلى حين الحاجة لقتلك ثم دفعه لبعض قومه أن يربطوه بالحبال وبقى سائراً حتى وصل إلى قصر الاحكام فدخله وتملكه ومن قاوم قتله ومن أطاع تركه .

بينما كان هو على مثل هذه الحالة التى تقدمت كان قومه ورجاله يقتلون وينهبون وقد ملكوا الاسوار وطردوا من عليها من الفرس وأصبحت المدينة برمتها فى أيديهم ولم يبق فيها من يقدر على الممانعة والمدافعة وحينئذ بعث الابشع مناديا ينادى بارجاع

عساكره عن الأهالى كونهم أصبحوا من رعاياه وأمر أن تنزل عن الاسوار أعلام الفرس وترفع أعلام السودان وتعرف أهل المدينة بأن المالك من تلك الساعة هو الابشع أخو طومار الزنجى الذى قتله فيروز شاه وهكذا صار .

قال وأما الشاه روز فانه كان يقاتل مع الداخلين وفى ظنه أنه يسبق إلى عين الحياة فى أول الناس وكان مرافقا له أحد أمراء الابشع بامر منه فبقى سائرا حتى استدل على قصر عين الحياة فلم يجد لها أثرا فسار إلى قصر آخر ولازال حتى وصل إلى قصر تمرتاج فدخله عنوة ومعه جماعه من قومه وأحد أمراء الزنوج ولما صار وافى الداخل وجدوا النساء منضمات إلى بعضهن فاراد الشاه روز أن يقبض على عين الحياة فصاحت به وأخذت الخنجر بيدها وقالت له إذا قربت منى قتلتك وقتلت نفسى فلا تطمع نفسك بالمحال ولا ترجو مالا ينال لأنى عارفة بقصدك وفعل مثلها جميع النساء وأقمن الصياح والصراخ من كل ناح وحينئذ تقدم الامير الزنجى إلى الشاه روز وقال له ان سيدى الملك الابشع أوصانى ان أرافقك كى لاتتعدى على الحريم وهكذا أوصى كل أمير وفارس من قومه ان يمد أحد يده إلى امرأة حراما بدون اذنه بل من أراد زواج امرأة سأله بها فزفه عليها ويكون ذلك باطلاعه ولهذا صار من اللازم الآن أن نضع الحراس على النساء اللاتى هنا وبقيهن لايخرجن ولايدخل أحد عليهن إلى حين صدور أمر الملك ويمكنك أن تساله زواج عين الحياة فيزفها عليك فى الحال وهو لأجل هذه الغاية جاء هذه الديار فكن مطمئنا ولا تقرب امرأة فيغضب الملك

فقال لابد من مسيرى اليه وسؤالى منه سرعة الزفاف فالمدينة قد أصبحت بيدنا وتملكناها بقوة السيف وصار كل ماهو فيها غنيمة لنا وأريد منك ان تضع الحراس كى لاتهرب عين الحياة وانا أيضا أضع جماعة من قومى يحرسون فى هذا القصر كى لايخرج احد منه ولايدخل احد اليه إلا بامر الملك الابشع ثم ان الشاه روز عاد من هناك منفطر القلب وقد وضع جماعة من قومه عند ابواب القصر يحرسونه وقد رأى عين الحياة وهاج به غرامه من اجلها وكان يظن انها اقل مما رآه من جمالها لتقدمها فى العمر إلا أنه رأى بخلاف ماظن فانه رأى جمالا لم ير مثله قط لابين الاعجام ولا بين غيرهم وتحقق ان الكبر والحوادث والهموم لم تقدر ان تغير شيئا من جمالها ولا قللت من بهائها وما تلك إلا صفات ملكية

وبقى الشاه روز مع الأمير سائرا حتى دخل قصر الاحكام ودنا من الملك الابشع فوجده جالسا على كرسى الملك ضاراب ومن حوله الأمراء والقواد فهنأه

جنبك وقال له لقد بدئت السعادة فى خدمتك يا سيدى ومثلك يليق أن يكون حاكما على بلاد الفرس والأعجام كونك تستحق العظمة والفخار والأمل أن يقع بين يديك فيروزشاه لتعدمه الحياة وتنزل به النوازل وتأخذ منه بثار أخيك طومار . قال انى سأستقصى عن اخباره وأين كان موجودا لا بد من اتباع آثاره لآخذ منه بثأرى وانى أعرف جيدا أنه لا يأتى هذه الديار خوفا منى إذا بلغه مافعلت فى بلاده وبابيه وقومه . فقال الملك كندهار لابد من مجيئه ياسيدى فانه جاهل لايقدر العواقب ولا يحسب حساب الفرسان ولابد من أن تصل اليه أخبارك فاذا عرف بما حل على قومه أسرع فى الحال والتى بنفسه فى هذا الخطر العظيم قال إن ذلك ماأرجوه وأطلبه وأنا على الانتظار بهذه الديار . وبعد أن جلس الشاه روز اخذوا بتدبير احوال المدينة وافتقاد خزائنها وأموالها والوقوف على ما هو فيها إلى ان مضى على دخوله ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع تقدم الملك كندهار من الملك الأبشع وقال له انت تعلم يا سيدى ان ولدى مغرم بحب عين الحياة بنت الشاه سرور زوجة فيروزشاه وهى الآن بايدينا وقد ملكناها وما من مانع يمنعه عن ان يكون زوجا لها وحائزا عليها . قال انى اجيب طلبه ومن هذه الساعة ارسل اليها ادعوها لأرى هل هى قابلة فيه ام لا وان كانت غير قابلة اجبرتها عليه ثم انه دعا باحد امرائه وقال له اذهب الآن إلى مكان النساء وأتنى بهن جميعا بين يدى عزيزات كريمات دون ان يلحق بهن ادنى اهانة : فاجاب سؤاله وسار إلى قصر تمرتاج ودخل على النساء وقال لهن ان الملك يدعوكن اليه لأمر وقد بعثنى لأحضركن على الاعزاز والاكرام فلما سمعت عين الحياة ذلك وقع الخوف بقلبها لعلمها ان هذه الدعوة على الاكثر هى لأجل الاهتمام بزواجها على الشاه روز ووطدت العزم على قتل

انتهى الجزء الثامن والثلاثون ويليه الجزء التاسع والثلاثون

الجزء التاسع والثلاثون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

نفسها في الحال أمام الملك الابشع اذا كان يريد ان يجبرها على مثل هذا الأمر وأخذت خنجرها واخفته تحت ثيابها وكذلك سائر النساء كل واحدة أخذت خنجرا وسرن مع الرسول إلى أن وصلن اليه وأمامهن تمرتاج زوجة الملك ضاراب وعين الحياة ولما وقفن بين يديه حيينه وأطرقن إلى الأرض فاندهل من حسنهن وجمالهن ورقتهن وعرف عين الحياة من القرينة الدالة عليها لأنها كانت تفوق الجميع بكل ما هو ظاهر للعيان من المحاسن والصفات المحبوبة المألوفة. وأما الشاه روز فانه كان يصفق فرحا ويترنم حبورا وظن أن الملك الأبشع في نفس ذلك اليوم يزفه على عين الحياة وصار يحسب من نفسه أنها أصبحت في يده وما من مانع يحول بينه وبين غايته

وبعد أن أمعن جميع الوجود فيهن وقتا طويلا يتعجبن من بهائهن قال الملك الأبشع لعين الحياة اعلمي أيتها الصبية أني دعوتك لأمر أريد أن أجريه وإن كان بوسعي أن أرغمك عليه الا أني لا أحب أن أهان ربات الخدور لأنهن ضعفاء. والضعف لا يجار عليه وهو أن الشاه روز ابن الملك كندهار صاحب بلاد كشمير قد دعاني إلى نجدته وذلك لأجلك حضرت وملكت البلاد واريد أن ازفك عليه حيث وعدته وعدا صادقا ولا اريد ان احنث بوعدي ولهذا اريد منك ان تقبلي بزواجه فتزفين كعادة بلاده ويكون لك المقام الاول وكذا انى سأزف كل واحدة من النساء اللاتي هنا على امير من امراء مملكتي واجعل اياما للسرور والافراح وقيام الاعراس. وحينئذ انطلق لسان عين الحياة فتكلمت بفصيح عبارة ورأسها إلى الارض وقد ارسلت يدها إلى داخل ثيابها قابضة على الخنجر. فقالت اعلم ايها السيد الكريم اننا عرفنا عنك قبل ان اتيت هذه البلاد وقبل ان تملكتها وقيل بانك جامع لكل الصفات الحسنة من الدعة والرفق والعدل والرحمة وانك تكره في الجور والتعدى وهذه بالحقيقة صفة كل بطل وملك عادل وسيد يحق له ان يتملك البلاد ويحكم في العباد ويتخذ لنفسه المقام الاول بين عموم العالم ليكون محبوبا وحيث تأكد لنا نحن النساء ما سمعناه عنك وثبت عندنا الآن ما نراه فيك من كمال الانسانية جعلنا في امان واطمئنان فلا نقطع رجاءنا من مساعدتك وعنايتك واني اقول لك الآن ان

زواجي على الشاه روز لا يتم فى هذه الأيام ولا أقبل وحاشاك من أن تجبرنى عليه بذلك لأنى متزوجة ولى بعل وهو فيروزشاه وكذلك كل واحدة منا هي ذات بعل ليس من العدل الانسانى أن تنزعونا من رجالنا بمثل هذه الصفة بل إذا تخلصنا من زواجنا وصرنا أحرارا صار يمكننا أن نتزوج بمن نريد وإنى أخبرك يا سيدى أن فيروزشاه حى وقد بعث أبوه يدعوه ليأتى بالعساكر والابطال ومازال فى قيد الدنيا لا أقبل بغيره قط إجابة لكرامة التربية التى تربيتها ولكن إذا قدرت عليه وقتلته جبت الشاه روز إلى طلبه لا رغبة فيه ولا حبا بزواجه لأنى أكرهه كل الكره منذ بداية سؤاله بزواجى يوم كنت بنتا بل إجابة لأمرك وإيفاء لوعدك له وبغير هذا لا يمكن قط أن أرضى يا سيدى ولا أظن أن ملكا مثلك جمع بين الشجاعة والكرامة ينفذ قواه بامرأة ضعيفة لا قدرة لها على الدفاع نظيرى ويرضى بظلمى حبا بصالح رجل آخر يطلب اليه أن يأخذنى كسبية ولو كنت بلا زوج لكان حق له أن يسألنى الزواج وأما الآن فانه يرغب أن يخترق حرمة الملوك ويعلق آماله بأنك تساعده على الشر وقلة الانصاف وحاشاك من ذلك

فلما سمع الملك الأبشع كلامها تعجب من فصاحتها وانتفخ من كلامها وأعجب بنفسه كل الاعجاب وقال لها لقد أصبت وما قلت إلا بالحكمة والعقل ومادام زوجك حيا فأنت له وأنا لا أرضى أن أظلمك بل انى مزمع على قتل زوجك إذا جاء هذه البلاد لأن لى عليه ثارا عظيما لا أتركه ما زلت فى هذه الدنيا ومتى قتل زوجك صار للشاه روز الحق أن يطمع نفسه فيك ويسألنى اقناعك فاذهبى الآن مع رفاقك إلى المكان الذى كنتن فيه وابقين هناك على الاكرام محفوظات من بعض الخفر والأطعمة ترسل على الدوام لسد احتياجكن إلى أن يأتى فرسانكن وتنظرن ما أفعل بهم وأنا قاسم بأن لابد من قتلهم وابادتهم كيف كان الحال والآن أزيد قسمى بدينى وصادق معبودى أن لا أدع أحدا يقرب منكن أو يطمع بزواج واحدة منكن مادام رجالكن أحياء ومتى هلكوا جميعا رغمتكن على الزواج برجالى ورجال كشمير ثم أمر أن يؤخذن الى القصر الذى كن فيه ويبقى الحراس قائمون على حراستهن وإن تقدم لهن على الدوام معدات الاكرام ولا يحرمن من شىء يطلبنه فقط لا يسمح لأحد أن يدخل أو يخرج إلا بأمر الملك فقط وبغير أمره لا أحد يدخل القصر فأخذن إلى القصر وهن فرحات جدا بهذا التوفيق العظيم وجميعهن شاكرات من عين الحياة وحسن أساليبها بالخلاص ولا سيما هى فانها كانت أشد الجميع فرحا وأعظمهن سرورا لخلاصها من الشاه روز وشكرت الله على ذلك وقالت لحماتها تمرتاج إنى ما قلت له ذلك إلا لأعظمه بنفسه من جهة ولأزيده رغبة فى ملاقاة سيدى

فيروزشاه وأنا عالمة حق العلم أنه لا يثبت أمامه يوما واحدا ولابد له أو لبهزاد من قتله وخلاصنا منه وبهذه الوسيلة أصبحنا أمينات على نفوسنا لانخاف أحدا من الأعداء حيث أن ملكهم أقسم بما أقسم . فشكرتها تمر تاج وقالت لها القد عرفت كيف يجب أن تخلصي نفسك ففعلت وخلصتينا معك . واما الشاه روز فانه أصبح على جمر الغيظ يتقلب ويتحرق من قبول الأبشع بتأخير مدة الزواج ورضاه باجابة عين الحياة على كلامها غير انه لم يقدر أن يبدى كلاما أو يعاند على وعد الملك فالتزم أن يسكت ويظهر قبوله من عمل الملك وهو معجب ومأخوذ من عمل عين الحياة وحكمتها ودرايتها وزاد رغبة فيها عندما سمعها تتكلم بألفاظ عذبة فصيحة يضيع فيها كل عقل ويعجب بها كل إنسان . وهكذا بقى الملك الأبشع وقومه فى مدينة إيران مدة أيام وهم على يقين من امتلاكهم المدينة وسلطتهم عليهم ينتظرون قدوم رجال الفرس أو خبر اعنهم والملك ضاراب عندهم بالأسر محفوظا بالحراس متكدر من الحالة التى وقعت عليه ووصلت اليه ينتظر الفرج من الله سبحانه وتعالى وقلبه يحدثه بأن ولده سيأتى عند وصول الأخبار اليه إذا كان حيا وانه إذا لا يترك الأبشع على حاله بل يقتله ويطرد قومه عن إيران ويجازى الملك كندهار على خيانته وخروجه عن الطاعة لأنه كان السبب فى جلب هذه المصائب على مدينة إيران وتسليمها إلى أيدى السودان

فهذا ماكان من الملك الأبشع والملك ضاراب وما جرى على مدينة إيران وسكانها وأما ما كان من قوم الفرس وفيروزشاه والملك بهمن ورجاله فانه بقى سائرا حتى أصبح بينه وبين مدينة إيران نحو سبعة أيام وهناك أمر رجاله أن تنزل فى تلك الساحة وقال لهم ارتاحوا هنا مدة ثلاثة أيام ومن ثم نسير إلى المدينة رأسا فاذا كان وصل الملك الأبشع اليها أجليناه عنها وإذا كان لم يصل نكون ارتحنا ودخلنا المدينة باحتفال عظيم وسلمنا على قومنا فاجاب الجميع أمره ونزلوا عن خيولهم وسرحوا فى تلك الأرض وفيروزشاه يرى من نفسه راحة عظيمة باقامته فى أرض من أعمال بلاده وقد استنشق رائحة نسيم بلاده وتذكر أيام مر من تلك الجهة مع فرخوزاد . وبقى كل ذلك النهار يتحادث مع طيطلوس وبزرجمهر وبهزاد وباقى قومه عن أحوال بلاده وسكانها وعن أراضيه وقال لهم انى تركت هذه الأرض صغيرا لا أعى عليها ولا أعرف جودة مناخها مثلما أعرفه الآن ولى الآن أكثر من ثلاثين سنة فارقتها فأشكر الله الذى أعادنى اليها سالما من نكبات الحوادث وطوارق الايام بعد أن لاقيت ما لاقيت فى كل هذه المدة . فقال له طيطلوس هذا الوطن الجاذب المحبوب وما منا إلا من هو زائد الفرح مرتاح البال لعودته إلى بلاده وملاقاة أهله

وقومه واسأل الله أن يتمم راحتنا فنصل المدينة ونراها بخير مع سيدى الملك ضاراب ورجاله وأمرائه مرادخت وشبرين وعبد الخالق فقال الملك بهمن إنى أظن أن قومنا الآن على الحرب مع الأعداء ولابد أن يكون وصل الأبشع اليها حيث قد طال علينا المطال وأقمنا بزيادة عدة أيام فى حرب الهنود وفى المدن التى مررنا عليها . وقال فيروز شاه انى لا أخاف أن التقى الأبشع فى حرب وقتال لكن أخاف ان يكون فقد احد من قومنا فأتكدر لفقده او ان يكون لحق بابى وزوجتى سوء وهذا بعونه تعالى لايحدث لأنى مطمئن بمساعدته تعالى . فقال بهزاد اعلم يا سيدى أنى كنت على الدوام محروق الفؤاد مبلبل البال كونى لم اكن فى ايام طومار ولم يسمح لى الزمان ان التقى بمثله فى ميدان وعلى ما اظن وما اسمع ان الأبشع هو اشد بأسا واقدر على الثبات واعظم هيكلا وجثة ولذلك افرح واحسب ذلك من ترفيقاته تعالى إذا سمحت لى الأيام وبعثته إلى إيران لكى لا تبقى حاجة بنفسى فقال طيطلوس انى اعرف حق المعرفة ان الأبشع هذا مثل طومار لا بل اشجع منه كثيرا ما سمعت عنه الأخبار العجيبة ولذلك ترى ان ضميرى لا يرتاح عندما افكر انه إذا سبق مجيئه إلى بلادنا قبل مجيئه اهلك كثيرا من قومنا واخربها وربما تملكها وليس فيها من الفرسان والأبطال من يدافع عنها وجميع العسكر الذين فيها من الشيوخ وان تكن الأيام قد حنكتهم ودربتهم على الحرب والقتال إنما قللت من هممهم واضعفت قواهم حتى اصبحوا لا يقدرون على حمل السلاح

قال وفى المساء بعد ان صرفوا السهرة تفرقوا كل واحد الى جهة للمنام فى الخيام وذهب فيروزشاه إلى صيوانه وهو يفكر بامر الأبشع وقد اثر فيه كلام طيطلوس الأخير من ان خوفه اذا سبق بمجيئه إلى إيران يمتلك المدينة ويحدث الضرر باهلها وصار يهتم بذلك وضاق صدره لأجله وقال ماذا ياترى اذا ملك المدينة يحدث بابى ويجرى عليه وهو شيخ كبير اليس انه يهان فى آخر عمره بعد ان صرف ايامه كلها لايجسر احد ان يمد اليه يدا . مسموع الكلمة نافذ السلطة فى مشرق الأرض إلى مغربها او ماذا ياترى يجرى على عين الحياة اذا ملك الأبشع بلاد إيران وتسلط على اهلها اليس انه يقبض عليها ويجبرها على الزواج بالشاه روز وإذا أبت عذبها واهانها وربما اماتت نفسها لتتخلص من شره ولا تسلم بنفسها اليه مع انها عندما كانت باول عمرها كنت اطير اليها اينما كانت ولا ادع احدا يصل اليها بضر واى مكان قصدته تراني صرت حولها ادافع واقاتل وامانع كأنى رسول الحق وملاك السرعة والآن ترانى بعيدا عنها لا افكر بها بعد ان صارت زوجتى وصار لها ولدا كابنها بهمن لا نظير له فى هذه الدنيا من الحكمة والعقل والعلوم والمعارف فكان من الواجب أن اصحبها معى إلى

إلى بلاد الصين . وبقى فيروزشاه طول ليلته يتقلب على مثل هذه الأفكار وقد
عليه الأمر وكبر المصاب فى وجهه حتى نوى كل النية أن يبكر ويأمر رجاله بالركوب
والسرعة إلى المدينة لعله أن لا يطمئن باله إلا إذا رأى زوجته وأباه وبلاده بخير
وفيما هو على مثل ذلك نام نحوا من نصف ساعة فرأى عين الحياة راكعة أمامه وأيديها
على صدرها وأدمعها تنسكب إلى الأرض وهى تنظر اليه كأنها تعاتبه على تركها وتهامله
بأمرها فنهض مرعوبا وصاح بصوت جفل منه كل المقيمين حواليه من ملوك الفرس
والشاهات والوزراء وخرجوا من خيامهم وجاءوا اليه تحت ظلام الليل أى قبل بزوغ
شمس النهار بقليل فرآه يلبس ثيابه ويتعدد بعدته فسأله طيطلوس عن السبب فقال
له انى نويت أن أسبقكم الآن وحدى ومن ثم تلحقونى فى الغد فان قلبى يدلنى بوقوع
مصائب عظيمة على إيران وضميرى لم يقبل أن يسلم معى أن أنام مرتاحا هذه الليلة ولما
تسلط على النوم وغفلت عينى قليلا رأيت زوجتى باكية حزينة شاكية فهم الآن
بعذاب ولم يسبق لقلبى مرة أن خشى . كنت مرتاحا من نفسى بوصولى إلى وطنى
وأما الآن فأرى نفسى تعبا جدا قلقا مضطربا مضطرا إلى أن أكون فى هذه الساعة
فى إيران . فقال له بهزاد لا يمكن يا سيدى أن ندعك تسير وحدك بل كلنا نسير
على عجل الى ايران والذى يهمك يهمنا ألسنا نحن خدامك وخدام هذه الدولة وانى
سأركب من هذه الساعة ولما رأى الملك بهمن أن أباه يضطرب ويرتجف وهو يرسل
صوتا بعد صوت والقلق يفعل به بشدته فاخاف عليه من أن يصاب لهذا الاضطراب
بعارض مؤلم فامر بالحال أن تضرب طبول الركوب وأن يركب الجميع ويسوقون
الأموال قبل طلوع النهار على أعجل ما يكون من السرعة . وأما طيطلوس فانه خاف
مزيد الخوف على ما رأى من فيروزشاه وعلم انه لحدة طباعه وحنقه من الشاه روز
يصاب بالجنون اذا لم يتمكن من اطمئنان باله ويرى زوجته وأباه بخير ولذلك قال
له كن هادىء البال يا سيدى فاننا لما كنا ببلاد الصين كنت على الهداء والسكينة
والآن لما صرنا فى بلادنا وحول ايران فعل بك القلق كل هذا الفعل فاعتمد الى
تمسك ونحن قادرون بعد أيام قليلة أن نعرف حالة بلادنا وما هى عليه فاذا كانت
بمصيبة خلصناها واذا كانت براحة زدناها راحة وهناء . فاستحى فيروزشاه من وزيره
وقال له انى مطمئن البال وما وقع على هو كان بالرغم منى وانى اعرف من نفسى ان
بى بضيقة فوددت ان اسير فاسبقكم كى تصلوا بعدى براحة واطمئنان وحيث اعتمدت
على المسير فهلموا بنا ثم انه خرج من صيوانه وركب فوق كمينه وانطلق فى المقدمة
تحته بهزاد واردوان وشيرزاد وركب الملك بهمن وكانت العساكر والفرسان قد

ركبت خيولها وتقلدت نصولها واندفعت من خلفهم وما أصبح الصباح وأنار بنوره الوضاح إلا كانوا بعدوا عن تلك الأرض وساروا بجد على طريق إيران

هذا وفيروزشاه مضطرب الفكر لايعرف أهل زوجته براحة أو ماتت أو أصيبت بنكبة وسوء بسبب أن زيارتها له على تلك الحالة إلى الصحة وانها حزينة باكية وكلما تصور تلك الحالة التي رآها بها في منامه ورأى دموعها تنحدر على خدودها بكى هو أيضا ولعبت في فؤاده نار القلق وما ساروا إلا القليل حتى شاهدوا جماعة من رجال ايران ذاهبين على الطريق الذي ذهبوا هم فيه وكان كما تقدم فيروزشاه في المقدمة وحوله الفرسان والأبطال منقطعون عن العسكر بعيدون نحو ساعة تقريبا ويسبق الجميع بهروز العيار وهو يسير كالسهم الطيار ولما رأى الآتين انخطف اليهم وتبينهم فاذا هم من الايرانيين وعليهم سمة الذل والاضطراب فقال لهم على أي حالة أنتم وما أصابكم فابشروا باتيان سيدكم فيروزشاه بطل هذا الزمان ورافع الشدائد والأحزان ولما رأى الآتون بهروز وسمعوا صوته صفقوا بأيديهم من الفرح وصاحوا سيدنا سيدنا أوصلنا اليه الآن. فان الله نظر الينا أين سيدنا وحامينا وفي الحال وصل اليهم فيروزشاه لأنه كان لم يصبر على وصول الخبر اليه بل أطلق لجواده العنان خلف بهروز العيار حتى أدركه وهو يسأل الايرانيين عن حالتهم ولما رأوه وعرفوا انهم بحضرة مولاهم ورافع الشدات عنهم صاحوا النجدة النجدة يا رافع الشدات فان البلاد أخذت والرجال قتلت والأسوار تهدمت والملوك أسرت والنساء سبيت وصارت الزنوج مالكة علينا وعلى بلادنا وحريمنا وأموالنا فلطم فيروزشاه بكفه على فخذه وأرسل صوتا عميقا خارجا من داخل قلبه وانكبتاه قد صح المنام ونفذت الأحكام فاخبروني بالعجل أهل أصيب أبي بنكبة قالوا كلا بل هو بالأسر ومثله عين الحياة وباقي النسوان في قصر والدتك تمرتاج

وفي تلك الساعة وصل بهزاد وطيطلوس وباقي الفرسان واستعادوا الخبر من المخبرين. فاخبروا به بتمامه من حين وصول الأعداء إلى بلادهم إلى ذلك اليوم.

فقال طيطلوس وأنتم الى أين ذاهبون الآن قالوا اننا لما شاهدنا ظلم الزنوج وجورهم بالفرس ووجدنا أنفسنا أننا غير قادرين على السكنى في المدينة خرجنا منها ليلا نقصد نحو بلاد اليمن لكي نقيم عند الشاه سرور بينما نسمع برجوعكم سالمين والحمد لله تعالى الذي أرسل الينا الفرج من أعجل طريق وأقربه

وكان فيروزشاه بغيظ وحنق عظيمين عند سماعه ما جرى على أبيه وعلى بلاده وزوجته غير انه عرف من نفسه انهما بأمان من الموت وانه صار قريبا من المدينة وان في وسعه في ان يخلصهم من يد الأعداء وهو محترق الفؤاد من الشاه روز يتمنى ان يراه او تقع عينه عليه لينتقم منه ويقطعه باسنانه وبعد ذلك تقدموا جميعا إلى جهة

إيران وقد انتشر الخبر إلى جميع رجال الفرس كبارا وصغارا بعمل الملك الأبشع فصار كل واحد منهم يتمنى الوصول إلى بلاده ومباشرة الحرب مع السودان . وداموا المسير مدة ستة أيام وكلما تقدموا يرون من قومهم فرقا فتنضم اليهم وتشكوا لهم مالاقت وفيروزشاه يعدهم بكل ما هو حسن وفى صباح ذاك اليوم أشرفوا على مدينة إيران وتبينوها وهى توهج من وقوع الشمس عليها وعساكر الأعداء قائمة فى خارجها متهيئة للحرب والقتال وكانت كما تقدم أسوار المدينة متهدمة فلم يكن الحصار فيها لاسيما وأن الأبشع كان يظن أنه لو جاءت اليه طوائف الدنيا جميعها لاتقدر أن تنزع إيران من يده وبعد أن وصل فيروزشاه برجاله إلى تلك الجهات اطمأن باله وارتاح ضميره وعلق أمله أنه يستخلص البلاد بوقت قريب ويعود كل شيء كما كان ويقتل الأبشع والشاه روز وكل من جاء بهذه الغزوة . وبعد أن ضربت خيامه فى الخارج وضرب له الصيوان المخصوص به والصيوان الكبير اجتمع مع وزرائه ورجال دولته وأمر فى الحال وزيره طيطلوس أن يكتب كتابا إلى الملك الابشع يتهدده به ويأمره بالخروج إلى خارج المدينة وترك كل ما استولى عليه . فأجاب سؤاله فى الحال وكتب ما يأتى

بسم الله رافع الشدات وفارج الكربات يفعل بعباده ما يشاء فهو الحى القدير

من الملك بهمن بن فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس واليمن والمصريين والرومان والصين ومدوخ جميع أقطار الارض من مشرقها إلى مغربها إلى الملك الابشع ملك السوادان

اعلم أيها الرجل الذى حدثه طمعه وغشه عقله أنك ما أتيت بلادنا الا غنيمة لنا ووسيلة لاتمام نجاحنا كى لا نقصد بلادك لان الله الذى ملكنا الارض من إيران إلى بلاد الصين وسلطنا على كل الامم لندعوهم إلى عبادته وجد أننا بحاجة إلى اتمام خدمته لنزع عظمتكم وكبريائكم وابطال كم دينكم أو هلاككم عن آخركم ولهذا بعثكم الينا إلى حد بلادنا لنفعل بكم إرادته . وقد اتيتم إيران ونحن غائبون عنها بعيدون جدا فى بلاد الصين فخلا لكم الجو وفعلتم مشتهاكم وتملكتم البلاد حيث لا فارس فيها يدافع عنها او يمانع عن اسوارها ووصلتنا اخباركم ونحن نمتلك بلاد الصين ونتسلط عليها وعند وصول هذا الخبر اسرعنا بالرجوع بعد قتل الملك شنكال ملك الهنود وهلاك ابطاله القمقام والعظام والهراس وتشتيت شمل رجاله واحدا واحدا وعليه الآن فاننا نحذرك لتكون على بصيرة وتعلم ان من كانت هذه الافعال افعالهم لا يعجزون عن من هو مثلك ولا بد ان يكون بلغك ما فعلنا باخيك ظومار ورجاله وبغيره من فرسان هذا الزمان المشهورين وبسحرته وكهانه وفوق ذلك فانك

مهما تعاظمت وظننت بنفسك البسالة والاقدام لا تقدر أن تثبت أمام أبى الذى أهلك المردة وفرق طوائف الانس والجان وليس لك إلا طريق واحد للخلاص وهو أن تخرج بنفسك من المدينة صاغرا إلى بين يدى نادما على ما فرط منك وتقدم عذرك إلى أبى وتقبض على الشاه روز وأبيه كندهار وتسلمهما لنا لنجازيهما على العصيان والخروج والطمع بحريمنا ونسائنا بعد أن تطلق جدى الملك ضاراب وتسأله السماح عنك والعفو وانتا نقبل منك ذلك كله بشرط أن تدخل بدين الله سبحانه وتعالى وتترك العبادات الفاسدة وإذا فعلت ذلك قبلنا منك عذرك وأنعمنا عليك وأرجعناك إلى بلادك وإذا امتنعت تراها فى صباح اليوم القادم فوق خيول تقتحم المنايا وتخوض بحور المعامع ولا تخشى الرزايا والمصائب ولا ندعكم فى بلادنا أكثر من يوم واحد أى إننا نهلككم ونمحو آثاركم وننتقم منكم جزاء على فعلكم والسلام ختام

وبعد أن فرغ طيطلوس من هذا الكتاب قرأه لفيروزشاه فأعجبه وفى الحال بعثه مع شبرنك العيار وأوصاه أن يسرع بالجواب فأخذ المكتوب وسار إلى أن دخل المدينة وتخلل أسواقها وهو يتأثر مما يشاهد من سلطة السودان على الفرس وقيامهم فى كل مكان وامتلاكهم المدينة وحكمهم بأهلها

قال وكان الملك الأبشع قبل وصول الفرس بيومين وصلت اليه أخبارهم وتأكد قدومهم فأظهر على نفسه الفرح والسرور وقال للملك كندهار ها ان زحل نظر الينا من علاه فبعث بالفرس وبفيروز شاه سيدهم قاتل اخوتى لآخذ لنفسى منه بالثار ومن جميع فرسانه وسوف ترى بعينيك وبعد هلاكه لابد من زفاف عين الحياة كما وعدت ودفعها لكم. فقال له الملك كندهار انى كنت مثلك بانتظار هؤلاء القادمين لينتهى بنا الأمر وتعجل بزفاف ولدى كى لا نكون قد فعلنا إلا بارادتك وبما أمرتنا. وأما الشاه روز فانه لم يفه بكلمة بل كان قلبه يخفق وجوارحه ترتعد وترتجف وهو بحالة يرثى لها وقد أخذ منه الخوف كل مأخذ عند سماعه بوصول فيروزشاه وتأكد من نفسه أنه لابد من أن يقتل الأبشع ويعدمه الحياة كما قتل اخوته ومن ثم أمر الأبشع أن تقيم العساكر إلى بعضها خارج المدينة فى وجوه الفرس وأن يكونوا على حذر واستعداد للقتال حيث بعزمه أن يلقيهم فى الحال ويبدد شملهم ولا يدعهم يرتاحون أو يصلون إلى داخل المدينة وشاع الخبر فى كل المدينة ففرح أهلها وأملوا الفرج وأكثروا الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يعين فيروز شاه على الملك الأبشع وأصبح الجميع على الانتظار إلى أن رأوا أعلام الفرس قد لاحت ومضاربهم قد ضربت فى خارج المدينة فخرج اليهم كثير من سكان تلك الأماكن وشكوا إلى فيروز شاه ما لاقوا فطيب بخاطرهم وأرجعهم إلى المدينة وأوصاهم بالبقاء مع عيالهم

ووعدهم أنه لا يترك أمر الأبشع يطول . وبلغ الخبر عين الحياة فوقعت إلى الأرض مغميا عليها من شدة الفرح واجتمع اليها النساء ورشوا على وجهها الماء وأخذنها إلى إلى صدورها تمرتاج حتى وعيت الى نفسها وهى طائرة الفؤاد وقالت للملكة تمرتاج قد استجاب الله دعانا وأعطانا ما طلبنا وتخلصنا من السودان ومن الشاه روز فاشكره شكرا عظيما حيث أعطانى زوجا قويا مساعدا لى عند الشدات لا يتغافل عن أمرى قط ساعة ولو كنت داخل جبال قاف وكانت الشدائد محيطة بى ودعوته لوجدته فى الحال يقاتل ويدافع ويرمى بنفسه فى حفر المخاطر ليصل إلى نعم انه سيقتل الشاه روز وينتقم منه ويخلصنا ويخلص البلاد ويهلك الأبشع . قد عاد إلى فيروزشاه مع ولدى بهمن بعد غياب طويل وشعرت بالسعادة التى أنا مؤملة أن تكون لى فى آخر عمرى فاهنأن أيتها النساء وافرحن فيوم خلاصكن قريب جدا قد جاء المخلص اليوم فارفلن بثوب من الفرح وملن ميلان الدلال واشكرن الله والزمان وادعين لمن جاء يفديكن بنفسه . فقالت لها تمرتاج هذا نحن بانتظاره الآن وما من شىء يفرحنا إلا وهو وحده الآن وفيما مضى وعلى الدوام ولا ريب انه جاء منتصرا حائزا ملك بلاد الصين ومن الواجب عليك أن تفرحى ولكن بثبات وتأن ولا تدع دواعى الفرح تلق بك إلى الغيوبة والضياع ولا سيما أننا بحاجة إلى الاعتناء لانه سيتوصل إلى أخذنا اليه

قال واما شبرنك فانه بقى سائرا بالتحرير فى أسواق المدينة حتى وصل إلى الأبشع ودفعه اليه فاخذه وقرأه ولما عرف ما به من التهديد والتوعيد كاد يطير صوابه ويفقد عقله وصاح من ملء رأسه وهو يرغى ويزبد ويضطرب لاريب أن ملوك الفرس مجانين وضعفاء العقول لا يدركون أحوال العالم ولا يعرفون مقام الفرسان ويظنون بانفسهم ما هو فوق مقدرتهم ولابد لى من أن أريهم من الذى يفوز على الآخر ويهلك الآخر ويوقع بالآخر وهذا المكابر فيروزشاه انى أقسم بزحل وبكل كوكب وضاح انى لا أضربه بعمدى إلا ضربة واحدة فتكون القاضية عليه والذاهبة بحياته . وأمر فى الحال أحد أمرائه أن يكتب جواب الكتاب بقدر ما استحق فاخذ وكتب

من الملك الأبشع سلطان الزنوج والسودان . وفارس هذا العصر والزمان إلى بهمن الطفل الصغير . والملك الحقير

لقد تشرف كتابكم بالمطالعة منى ووعيت كل من فيه وأنا أضحك منه ومن معانيه وأعجب من كبريائكم وتفاخركم بنفسكم وأنتم لا تعرفون قوتى وتظنون أنى مثل الذين لاقيتموهم فى غابر أزمانكم وما مضى عليكم من الوقائع التى تحسب من الاعمال

الصيبانية أسكرتكم حتى ظننتم بأنفسكم أنكم تقدرون على الوقوف أمام وجهى إذا التقيتكم فى ساحة الميدان وأما ماتدعيه من أعمال أبيك فيروزشاه فهو مباهاة صادرة عن طيش وقلة عقل لاتوجد بغيرك من الملوك وسوف يجمعنى وإياه الميدان فترى بعينيك .الاأظنه ومهما كان قادرا لا يقدر على الثبات فى وجه ضربة واحدة من عمدى الثقيل الذى ضربت به السور فهدمته ولو ضربت به جبلا لسحقته وكان بقصدى بعد أن أقتله وآخذ بثأرى منه أعفو عنك وأتخذك خادما كونك صغير السن ولم تشارك أباك بقتل إخوتى وبأعماله القبيحة بغيرهم وأما الآن فامن شفقة بعدلك فى قلبى وعندما اطلعت على كتابك نويت كل النية أن أقتلك مع جدك وأنزع منك الحياة وأكد أنى أفعل أكثر ما أقول وبالامتحان يظهر البرهان وفى الغد يجمعنا الميدان .

وبعد أن فرغ من كتابة هذا الكتاب ووقع عليه دفعه إلى شبرنك وقال قل لمولاك سيكون اليوم الآتى يوم حرب ونزال ليظهر فيه فضل الأبطال . فأخذ شبرنك المكتوب ورجع فى طريقه وهو يعجب من هول منظر الأبشع وكبر جثته ودماغه حتى وصل إلى صيوان الملك بهمن فدخل اليه وناوله الكتاب فأخذه وقرأه وعرف الجميع مابه وعرفوا أن فى الصباح يكون القتال عظيما وما منهم إلا يشتاق أن يشاهد قتال الأبشع ويرى فعله وأما بهزاد فدنا من فيروزشاه وقال أريد منك يا سيدى أن تسمح لى بقتاله لأنى على شوق زائد إلى ذلك وكنت أتحسر أن أكون فى زمن أخيه ضومار لكنت أجرب نفسى معه وأما الآن فهذا الأبشع أخوه مشهور بين أهل هذا الزمان وبقتاله أنال الفخر العظيم والمجد الرفيع وإذا قتلته أكون فعلت بحق لأن من وظيفتى الدفاع عن الدولة والأمة . فقال له فيروزشاه إنى كنت أحب أن أبرز اليه أنا بنفسى لأنه تطاول على وقصد بلادى لأخذ ثأره منى ونزع زوجتى من يدى وتزوجها بغيرى وذلك لأشفى غليل قلبى منه ومع ذلك فلا أريد أن أحرمك من حقوقك فمن منا صادفه وتسهل له مبارزته يفعل . فقال طيطلوس أترك ياسيدى أمر قتاله إلى بهزاد وإذا قتله يقال إن أحد أتباعك قتله وأهلكه . فسمح له فيروزشاه بالقتال وأخذ بهذه البراز على نفسه وهو يركن كل الركون اليه إلا أنه كان يفضل أن يلقاه بنفسه ويبارزه ويشفى غليل فؤاده منه . وأمر فيروزشاه بعد ذلك قواده وأمراءه وقال لهم فليكن كلا منكم فى الغد على الاستعداد التام ويرتب أمر معسكره فانى أريد أن تنتهى الحرب بمدة أسبوع واحد لأفرج عن المدينة وعن أبى والنساء الأسيرات فأجابه الجميع وصرفوا الباقى من ذلك اليوم إلى أن كان صباح اليوم الثانى .

وفى الصباح تحركت الفرسان فى كل جهة ومكان وسارت إلى خيولها فأجتها وعلت

فوقها ورفعت الرايات وعزفت الموسيقات الحربية من كلا الفريقين وأخذت الفرق تتقدم واحدة بعد واحدة فتقف فى مركزها تحت إمرة قائدها وركب الملك بهمن تحت العلم الكبير علم الشمس والأسد وبين يديه الحراس والمقدمون وإلى جانبه طيطلوس وبزرجمهر ومهرياروهم ينظرون إلى ساحة القتال متفرجين إلى ماسيكون من المتقاتلين وتقدم فيروزشاه فوق كمينه وهو كالبرج الحصين ونظر إلى الأعداء فرأى الأبشع يتقدم وهو كأنه البرج العظيم يزيد عن الناس بقامات لعلوه وعلو فيله وبين يديه اثنا عشر أمير وهم أمراؤه وقواده ولما اصطف الصفان . وترتب الفريقان . أشار فيروزشاه إلى رجاله بالهجوم وهجم هو فى المقدمة وانحط على الأعداء انحطاط الصواعق. وانقض عليهم انقضاض البواشق . وفى الحال التقت الرجال بالرجال . والأبطال بالأبطال . وجرى الدم وسال . وتقطعت الأوصال . وصال الشجاع واستطال . وانخطف من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال . واغتنم الجبان فرصة الانفلال فرجع إلى الوراء باعدا عن ساحة القتال . وكان الملك الأبشع كقضاء الله إذا سقط واندفع . وقد فرق الكتائب وبدد المواكب . وشتت الفرسان . وأهلك كثيرا من الشجعان . وما ضرب ضربة بعمده إلا وأهلك بها ثلاثة أو اثنان . وفرسان الفرس تفر من بين يديه من مكان إلى مكان وهو يشردها ويسطو عليها ويبددها . وعلى بساط الرمال يمددها . وفيروزشاه مشغل عنه بقتال الزنوج يخترق صفوفها ويهلك مئاتها وألوفها وهى تحيط به وتقصده من كل مكان فيصبر عليها إلى أن تدنو منه وتقرب اليه . فيصيح بها ويفرقها من حواليه بعد أن يمدد أكثرها على الأرض . أمواتا لا يقومون إلى يوم العرض . وفعل بهزاد نظير أفعاله . وعمل أردوان كأعماله . واقتدى جميع الأبطال بقتاله . وهم محترقو الفؤاد على بلادهم وما وقع عليها يتمنون خلاصها بأقرب وقت والدخول اليها . وبقى القتال عاقدا إلى المساء ففرق الظلام بين المتقاتلين ورجعا من تلك الساحة كل إلى مقامه بعد أن تركوا الأرض مغطاة من جثث المقتولين والدماء تسيل على الحضيض كالأنهار الدوافق . وعند ما رجع الفرس إلى الخيام واستقر بهم المقام اجتمعوا فى صيوان الملك بهمن وقد وصل اليهم علم المفقودين من جيوشهم وإذا هو غفير لم يسبق أن وقع عليهم قبل ذلك الآن فاظهر فيروزشاه غيظه وكدره من ذلك وقال لقد كلفنا قتال الأبشع دماغزيرا منا وأخاف إن طالت الحرب بيننا عدة أيام يقع بنا النقص العظيم ويفقد منا الجمع الكثير فقال الملك بهمن إن هذا كله من فعل الابشع وقد رأيته يخترق الصفوف ويسطو عليها ويبدد شملها ويفرقها فكنت أتحسر على قتله وأحترق من عمله . فقال طيطلوس إنى اختبرته بمعرفتى وتيقنت مقدرته ومقدار

سطوته فالحق يقال إنه من أعظم الفرسان الذين لاقيناهم فى زماننا الماضى فاذا تركناه الجو رتع فيه وأهلكنا الرجال وتركهم بأسوأ الأحوال فلنعمل أولا على قتله ومن بعد ذلك نبدد قومه وإلا مازال هو بينهم لامطمع لنا بالدخول إلى بلادنا . فقال بهزاد إنى سأبرز فى الغد إلى ساحة القتال وآخذ العهدة على نفسى حتى إذا برز إلى قتلته لامحالة واكتفينا شره وانتهى بين الفرس الامر إلى أن يتركوا الحرب بالهجوم ويلتجئوا إلى البراز طمعا بحقن دماء قومهم .

وأما الابشع فانه عند رجوعه إلى ما بين قومه وجلوسه فى صيوانه اجتمع اليه الامراء والاعيان من قومه وبلغوه عدد المقتولين وكثرة مافقدمنهم فتعجب واغتاظ من هذا الامر وقال لا بد من منع القتال والاعتماد على النزال وإنى أعرف أن ما فعل هذه الافعال إلا فيروزشاه وكنت أظن أنى أقع فيه أثناء الحرب فأسحقه بمدى فكأنه علم منى ذلك واختفى عن أعينى وقاتل فى جهة ثانية ولابد لى إذا برز فى الغد أن أبرز اليه وأعدمه الحياة ولكن إذا برز غيره من قومه فليبرز اليه أحدكم وبهذا نحقن دماء قومنا ونحفظهم من سيوف الايرانيين لاننا أقدر منهم عند البراز وليس بين فرسانهم من يقدر أن يقف أمام فرساننا . فوافق الجميع على سؤاله واعتمدوا على أن يتركوا الهجوم ويبرزوا واحدا لواحد .

قال وفى الصباح ركب الفريقان . وتقدما الى ساحة الميدان . وبعد أن اصطفوا على أحسن ترتيب وأعظم تدريب ووقفت الملوك فى مراكزها والفرسان فى مواقفها سقط بهزاد الى وسط الساحة كأنه السرحان وصال وجال ولعب على أربعة أركان الميدان حتى حير عقول الابطال والفرسان . وبعد ذلك وقف فى الوسط وصاح بالزنوج وقال لهم ويلكم ايها المعتدون لقد جرتم علينا واغتنمتم فرصة غيابنا وأتيتم الينا تملكوها وفى ظنكم اننا انقرضنا ولم نقدر على العود اليها والدفاع عنها وها اننا والحمد لله قد عدنا سالمين منصورين ظافرين بأعظم ما فارقنا هذه البلاد لنهلككم عن بكرة أبيكم فلتبرز الى فرسانكم وابطالكم وان كنتم لا تعرفونى فانا اعرفكم بنفسى انا بهزاد بن فيلزور البهلوان بن رستم زاد صاحب الافعال المجيدة والاعمال الحميدة وما انتهى بهزاد من كلامه حتى فاجأه احد امراء الزنوج وكان من الابطال المعدودين والفرسان المشهورين فوق فيل كبير وأخذ مع بهزاد بالحرب والطراد واختلف بينهما الضراب والطعان وتقاتلا قتال الابطال والشجعان . وتناضلا مناضلة أسود خفان . الى ان تناصف النهار واذ ذاك تمكن بهزاد من خصمه فضربه بالحسام على راسه شقه الى تكة لباسه والقاه الى الارض قتيلا وبدمائه جديلا فصاح اخوه وانحدر الى بهزاد ليأخذ له بالثار فتجاول واياه مدة ساعتين حتى اتعبه بهزاد واكربه وضربه بحسامه على رأسه فرقه

عن جسده . ثم صال وجال وطلب براز الأبطال لينهى بقية يومه فبرز اليه أمير ثالث من الأمراء وصدمه صدمة جبار فالتقاه كما تلتقى الأرض الجافة وابل المطر وأخذ معه بالقتال والجولان حتى كادت الشمس أن تغيب وتعول الفرسان على الرجوع إلى الخيام فخاف بهزاد أن يرجع خصمه من أمامه سالما فصاح به وانحط عليه وخبله وقام بمتين عزمه وضربه بحسامه على وسطه قطعه قطعتين وألقاه إلى الأرض قسمين وفى تلك الساعة ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن ساحة القتال وقوم الفرس مسرورون ببهزاد فرحون بأعماله يرجحون أنه إن دام القتال على هذا المنوال يفنون فرسان الأعداء وينزلون بهم الخيال ويقتلونهم واحدا بعد واحد إلى أن يقتل ملكهم الأبشع فيتفرقون بعد موته ويجلون عن المدينة .

وكانت حالة الأبشع خلاف حالتهم وقد رجع مغتاظا من عمل بهزاد حزينا على فرسانه الذين قتلوا فى ذلك اليوم ولما استقر به الجلوس فى مركزه قال لبقية أمرائه والذين حواليه أنى لم أكن أعهد أن بهزاد هذا يثبت أمام أحد أمرائى وأبطالى ولذلك تهاملت عنه حرصا على شرفى أن أبرز إلى وسط الميدان ويرانى القومان معه فى قتال ونزال وهو دونى قدرا ومقدرة ولكن فى الغد لا بد من أن أبرز اليه وأنهى أمره فنهض الأمراء الباقون وقالوا حاشاك من أن تهين نفسك بقتال هذا الصعلوك فنحن نبرز اليه واحدا بعد واحد ولا بد أن نقتله ونأخذ منه بثأر الذين قتلهم منا وإذا نزلت أنت له فمن ياترى ينزل لفيروزشاه . فقال لهم أحسنتم فانى مزمع أن لا أهين نفسى بقتال هذا الايرانى الحقير الصغير مع أنى أعرف أنه لا يثبت أمامى وإذا رآنى آتيا إلى قتاله فر هاربا وعليه فلا نبلغ منه المراد ولا ننال المقصود . وإذا أتيتم به حيا شكرتكم وأثنيت عليكم حيث مرادى أن اشويه على النار واذرى برماده تحت ارجل فرسانى وابطالى فوعدوه بكل جميل وفعل حسن وانصرفوا تلك الليلة إلى مراقدهم على امل انهم فى الصباح يعودون إلى قتال بهزاد ويعدمونه الحياة .

ولما كان اليوم الذى بعده عادت العساكر إلى مواقف الحرب واصطفت كجارى عادتها ونزل بهزاد إلى الوسط وهو يطلب أن يبرز اليه الأبشع ليجرب نفسه معه وينهى أمره فلم يبرز اليه فى ذاك النهار بل نزل اليه امير من أمرائه فتجاول وإياه مدة ثم قتله وبعد ذلك برز اليه غيره فقتله وقتل فى ذاك النهار ثلاثة كاليوم الأول ورجع فى المساء مسرورا ورجع الأبشع مقهورا وفى اليوم الثالث قتل بهزاد أيضا ثلاثة آخرين فأتبعهم برفاقهم وأعدمهم الحياة وعاد إلى الخيام وعاود البراز فى اليوم الرابع وأقام فى الميدان كل ذاك النهار يشتغل فى عمله حتى قتل باقى أمراء الابشع وهم الاثنا عشر أميرا الذين جاءوا معه وكانوا اقواد معسكره فغاظه هذا الأمر جدا وكدره حتى كادت تنشق مرارته واجتمع

اليه الملك كندهار وابنه الشاه روز فقال لهم ما من وسيلة بالرجوع عن بهزاد وكان بظنى أن أحد أتباعى يقتله ونرتاح منه فلم يتسهل لنا ولا تقدر أحد منهم عليه وإنى ندمت الآن حيث أهملت امره حتى فعل ما فعل . فقال كندهار إن بهزاد هو من ابطال هذا الزمان الذين يندر وجود مثلهم وليس فى برازه إهانة ولا احتقار بل شرف وفخار كونه بهلوان دولة الفرس وحاميهم فاذا قتل وقتل فيروزشاه ملكت الجميع فى الحال وأنزلت عليهم صواعق سطوتك وارتحت راحة عظيمة دائمة إذ لا يكون من بعدهم أحد يقدر على الثبات . قال لا بد لى فى الغد من قتله وأن اريك ما افعل به ثم انه دعا عياره وكان اسمه واطين وهو من العيارين الماهرين المتفننين فقال له اريد منك فى هذه الليلة أن تطرق معسكر الفرس وتجس لى احوالهم وتحدث لى به امرا يشغله فقال له سوف ترى يا سيدى ما يسرك ويرضيك .

فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من امر الفرس وفيروزشاه فانهم تلقوا بهزاد بملء الاحضان وشكروه على فعله واثنوا عليه مزيد الثناء وتفرقوا لمناولة الطعام فى اول الليل وجلس فيروزشاه يأكل الطعام وفكره مشغل عند عين الحياة يفكر امرها وحالها وماذا جرى عليها وبينما هو على مثل ذلك دخل عليه بهروز العيار وقال له اريد منك ياسيدى ان تسمح لى بالنزول الى المدينة مع بعض العيارين فقال له لما ذلك قال لانى اريد ان اجيئك بعين الحياة ومن معها من النساء وانى وجدت وسيلة لهذا ياسيدى واخبرك ان بالامس وقبل الامس عند الغروب نزلت المدينة وسهلت طريق الخلاص وقد ذهبت مرتين بالطعام الى النساء من مطابخ طباخى الطعام ولكن دون ان يعرفنى احد او يفكر بى احد تسهيلا لمثل هذا اليوم . فقال له جزاك الله عنى خيرا يابهروز فانى مضطرب البال من اجل عين الحياة اخاف ان يهرب بها الشاه روز اذا وجد نفسه غير قادر على الثبات وذلك بعد قتل الابشع ومتى فر بها بالرغم عنها لا اعود اعرف ابن ذهب بها فابقى حزين واقع بصعوبة ثانية فاذهب وانى انتظرك هذه الليلة الى آخر الليل . قال انى لا اغيب كثيرا . ثم ان بهروز دعا اليه بدرفتات العيار وطارقا والاشوب ولبس الجميع ملابس رجال كشمير وانطلقوا الى المدينة وكان الوقت اذ ذاك عند العشاء اى الساعة واحدة ونصف بعد الغروب وهو الوقت الذى تفرق فيه الاطعمة والمآكل على النساء وغيرهم من مطابخ الملك وعند وصول بهروز دعوه ليأخذ طعام النساء مع الحاضرين لانه كان فعل ذلك مرتين قبل تلك الليلة فتقدم وقال للعشى الاكبر إن معى رفاقا أتيت بهم يحملون الباقى وعند العودة نطعمهم ما يفضل من فضلات الاطعمة لانهم فقراء الحال فقال له اذهب الآن واذا بقى شيئا اطعمتك واطعمتهم . فرفع طارق الطعام على رأسه

ـومثله فعل بدر فتات والأشوب وأما بهروز فانه أخذ سلة الخبز وسار أمامهم وساروا ـ
ـهم من ورائه لا أحد يعرفهم ولا يظهرون لأحد حتى بعدوا عن قصر الملك وتوسطوا
الطريق وفى الحال أخذ بهروز كتابا كان قد كتبه إلى عين الحياة يقول لها فيه ان داخل
أحد الارغفة ورقة فيها دقيقا من البنج فبعد ان تأكلوا وتشبعوا من الطعام رشوا من
هذا الدقيق فوق الباقى وقدموه للحراس ليأكلوه وبعد أن يقعوا إلى الارض انزعوا
عنهم ثيابهم والبسوها واخرجوا من القصر حالا ونحن على انتظاركم فى جهة قصر
طيطاوس الحكيم لنسير بكم من هناك إلى جيوش الفرس حيث أن سيدى فيروزشاه
بانتظارنا هذه الليلة ولا ينام إلى أن نعود اليه . فوضع بهروز الكتاب ضمن رغيف
من الخبز وأطبق عليه ووضع أيضا ورقة الدقيق فى رغيف آخر وأعاده كما كان بحيث
لا يعرف إلا عند فتحه وبعد ذلك داوم المسير حتى وصل إلى القصر القائم فيه النساء
فصاح بصوت عال ليسمعه من فى الداخل هلموا أيها الحراس وخذوا الطعام منا إلى
النساء وكان صوت بهروز معروفا من عين الحياة جيدا فوقع فى آذانها وتأكدته حق التأكيد
وعرفت انه هو الذى جاء بالطعام وقدحت فكرتها إلى معرفة الحقيقة وقالت لتمرتاج
ان صح حذرى يكون بهروز العيار قد دبر طريقة لخلاصنا ونجاتنا من يد الأعداء لأنى
سمعت صوته الآن آت بالطعام وما قصد ذلك إلا ليسمعنا من الداخل غير أننا لا نعلم
كيف تكون الطريقة ومن اللازم ان نكون على انتباه .

فقالت نور زوجة طيطاوس لا ريب أن بهروز يكتب كتابا يبعثه الينا يعلمنا به
ما ذا نعمل وعلى الأكثر يضع الكتاب داخل رغيف من الخبز فلتنتبه كل واحدة
منا إلى ذلك .

وفى ذاك الوقت دخل الحراس بالطعام إلى النساء وقدموه لهن وخرجوا ينتظروا
فراغهن من الاكل ليأخذوا الباقى ويأكلوه وبعد خروج الحراس أخذت كل واحدة
تنظر فى الخبز فوجدوا الرغيفين المشرقين ففتحوهما ووجدوا أن فيهما المكتوب
وورقة الدقيق فاخذت عين الحياة المكتوب وقرأته وعرفت ما به وأعلمت حالها وباقى
النساء ففرحن جميعا وشكرن عمل بهروز وأكلت كل واحدة قليلا من ذاك الطعام
ليعدنه كثيرا وبعد أن فرغن من الطعام أخذت عين الحياة ورقة الدقيق وذرته على
وجهه ومزجته فيه وبعد ذلك دعت الملكة تمرتاج بالحراس وقالت لهم ارفعوا الطعام
وكلوه فقد اكتفينا منه فسر الحراس بذلك ونظروا ان الطعام كثير افظنوا أنهن غير
جائعات فجلسوا للطعام إلى أن فرغوا منه ولم يبقوا منه شيئا وبعد ذلك وقعوا إلى
الارض كالأموات من ثقل البنج وفعله فى رؤوسهم وعندما تأكدن حالتهم نهضت
عين الحياة وأنوش بنت الشاه سليم لأنهما كانتا أشد قلبا من الجميع وتقدمتا من الحراس .

ونزعنا ثيابهم الخارجية ودفعناها إلى النساء زوجات الأمراء فلبستها ولبست عين الحياة وأنوش كل واحدة ثوبا وخرجن فى الحال وقلوبهن مملوءة من الفرح وثبت عندهن الخلاص وأملن بالوصول إلى معسكرهن وأن تجتمع كل واحدة بزوجها وبروق لهن الوقت بعد ذلك . وما مشين إلا القليل حتى وصلن إلى طيطلوس فرآهن بهروز وعرفهن بصوته فتقدمن اليه فأخذهن وخرج من الأسوار المتهدمة وذهب من هناك وقد أمن من أن يراه أحد وستره ظلام الليل ودام بالمسير والعيارين والنساء من خلفه إلى أن وصل إلى معسكر الفرس فعرف الحراس بنفسه ودخل مطمئنا مرتاحا بنجاح عمله وفوزه ورجوعه بعين الحياة زوجة فيروز شاه وتمرتاج والدته وباقى نساء الأمراء من بنات الملوك . ولما وصل إلى صيوان فيروز شاه فدخله وإذا به قائما على الانتظار . فدنا منه وقال له بشراك يا سيدى بقدوم مولاتى عين الحياة ووالدتك تمرتاج الملكة فسر فيروز شاه ونهض مسرعا إلى باب الصيوان فوجد النساء وهن بصفة الرجال فلم يعرفهن فى البدية إلا بعد أن دخلن الصيوان وتبينهن على نور المصباح ولما وقعت عينه على عين الحياة ووقعت عينها عليه لم يعد يتمالك أحدهما نفسه فهجما على بعضهما وتصافحا وسلما سلام الاحباب بعد الغياب وكذلك دنا من والدته فقبل يديها وقبلته وهنأ باقى النساء بالسلامة فشكرته وأثنين عليه وهنأنه أيضا بالسلامة والرجوع سالما .

وبعد أن انتهوا من السلام بعث فيروز شاه العيارين تخبر الفرسان والأبطال والوزراء بوصول النساء اليه فأسرعوا إلى صواوين الملوك والشاهات وأخبروهم بان زوجاتهم موجدات فى صيوان فيروز شاه وأسرع الجميع إلى تلك الجهة وانتشر الخبر عندهم بخلاص النساء فكان فرحهم لا يوصف وجاءوا صيوان فيروزشاه وكلما دخل الصيوان واحد سلم على زوجته وعلى الجميع حتى احتشد الصيوان بسائر الأمراء والأعيان ماخلا الملك بهمن فانه لم يحضر فشغل الفكر بسببه ولا سيما فكر عين الحياة فانها كانت بانتظاره مشتاقة اليه تحب أن تراه وتشاهده . ولما لم يحضر أراد فيروزشاه أن يرسل يسأل عنه ويستدعيه وإذا ببدر فتات العيار قد دخل ومن خلفه شمس بنت الملك جهان وهى باكية نائحة فاضطرب الجميع ولا سيما فيروز شاه فانه حسب حساب المصائب وخاف من وقوعها وهم بتلك الاحوال فنهض وتقدم مستفسرا عما جد فقال له بدر فتات انى توجهت إلى صيوان سيدى الملك بهمن فوجدت الحراس قائمون عنده على حالتهم فتقدمت إلى جهة الباب وفى ظنى أن الأشوب قائم هناك حيث أوصيناه هذه الليلة بالمحافظة والانتباه فلم أره فخفق قلبى وفتشت عليه وإذا هو ملقى إلى الارض فرفعته وتبينت من حالته انه غائب بمفاعيل البنج وحسبت وقوع أمر جديد

فدخلت الصيوان على غير انتباه ودون أن أنتظر الاذن من الملك وان كنت أعلم انه نائم عند زوجته إلا انى قلت بنفسى مابنج الأشوب إلا الاعداء وما القصد بذلك إلا سيدى الملك بهمن وهكذا كان فانى عند دخولى الى الداخل وجدت مولاتى شمس مبنجة غائبة عن الوجود وهى فى فراشها ولم أر أثرا لسيدى الملك فثبت عندى ماتوهمته وأسرعت فايقظت الأشوب وسألته عن الخبر فلم يعرف قط السبب الذى أوجب ذلك ولا أين ذهب الملك بل يعرف انه تركه بالداخل مع زوجته وكان هو نائم عند الباب لحراسته فايقظت بعد ذلك سيدتى شمس وسألتها إذا كانت رأت أحدا أو جاء الملك أحد فلم تفدنى بشىء حيث نام من حين اتيانه ونامت هى أيضا ولا تعرف بعد ذلك ماذا جرى ولما أكثرت من البكاء أتيت بها الى هنا وأخبرتها بقدوم مولاتى عين الحياة وسيدتى الملكة تمرتاج وباقى النساء .

فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام زاد اضطرابه وصاح ياللمصيبة وياللعار أيسرق ملك الفرس ونحن موجودين ولدينا من العيارين مالايوجد مثلهم فى هذا الزمان واننا مافرحنا بقدوم نسائنا حتى تكدرنا كدرا عظيما بغياب ملكنا فهيا تفرقوا فى كل انحاء الجيش واسألوه عنه وهل رأى أحد أحدا أو شاهد غريبا أو قريبا خارجا من الخيام الى غير جهة فاجاب وكانوا قد تكدروا عما سمعوا من بدر فتات وكذلك النساء وباقل من ساعة من الزمان انتشر الخبر فى كل المعسكر واضطرب الجميع له ومامنهم من يعرف كيف كان وقوع هذا الأمر ومن الذى جاء وانتشل الملك من بينهم .

قال وكان السبب فى غياب الملك أن واطلين عيار الابشع الذى تقدم ذكر خبره وأن سيده أوصاه بالذهاب الى معسكر الفرس يكتشف له على أحوالهم ويحدث فيهم مكدراً فانه لبس ملابس عيارى الفرس وأتقن الصنعة حتى صار من يراه لايشك إلا بانه من عيارى العجم وكان أقرب الناس الى بدر فتات العيار ولذلك كان كل من رآه من الأعجام يتوهم أنه واحد منهم وأنه بدر فتات فلا يهتم به ولا يتحسب منه حتى جاء صيوان الملك فوجد الحراس قائمون بعيدون عنه يحرسونه من كل جانب وكان بين الحارس والحارس مسافة أذرع فدنا من أحدهم وسلم عليه فعرفه أنه بدر فتات فقال له ماذا تريد قال إنى أريد فى هذه الليلة أن أذهب الى المدينة لقضاء بعض مصالح وقد أوصانى سيدى الملك أن أنتخب بعض حراسه بطريقة سرية حيث مرادى أن أسطو على الملك الابشع أو أخلص الملك ضاراب فكن على حذر وسأعود اليك لتسير معى فاكتم الامر فان شغلا عظيما مهما ساعون به .

قال انى لاأخالف أمر الملك وترانى بانتظارك يامولاى هنا فدخل واطلين يتلبد ويتلصص حتى انتهى الى باب الصيوان فرأى عنده الاشوب جالسا يتثاءب ولم ير

غيره فعرف أن باقى العيارين غائبون من هناك فأسرع إلى قطعة البنج أشعلها ورماها أمامه وهو غافل نعسان فخرج الداخل إلى أنفه وفى الحال وقع إلى الارض كالمائت ورأى ذلك راظين ففرح وجاء باب الصيوان وألقى قطعة ثانية من البنج وصبر إلى أن احترقت وذابت فداخل ورأى الملك بهمن نائما إلى جانب الملكة شمس فانبهر من جمالها وشغل خاطره بها وأراد أن يحملها مع الملك ولكن افتكر أنه وحده ولا يمكن أن يترك الحارس أن يساعده بالحمل خوفا من أن يطلع على الدسيسة ويعرف باطن الأمر ولذلك حمل الملك على عاتقه بعد أن لفه بحرندانه كى لا يظهر للحارس ولا يعرف ماهو ومشى إلى جهة الحارس فوجده مكانه فقال له سر أمامى وارقب لى الطريق إذا كان أحد يرانا بعد خروجنا من المعسكر فسار أمامه وهو يتبعه والحارس لا يعرف مايحمل وهو يظنه بدر فتات العيار وداما إلى أن خرجا من المعسكر وتوسطا الطريق وهناك وقف راظين وقال للحارس اصبر قليلا فانى تعب وأريد أن ارتاح قبل وصولنا الى معسكر السودان فاجاب الرجل طلبه ووقف فوضع الملك الى الارض وتقدم الى الحارس واستل خنجره فضربه به فى صدره ألقاه مائتا الى الارض وعاد الى الملك فحمله وسار إلى معسكر قومه ولما رآه الحارسون اعترضوه فعرفهم بنفسه ودخل الى الداخل وسار حتى وصل الى الملك الابشع فايقظه من نومه ودفع اليه الملك بهمن وحكى له كل ماتوقع له ففرح الأبشع بعمله وقال له حسنا فعلت ولو أتيت بزوجته لكنت استحققت الثناء الكثير فانى أريد أن آخذها لنفسى وأبقيها الآن مع النساء لأنها بنت ملك الصين . قال سوف آتيك بها بعد أيام بينما يغيب عن ذهنهم غياب ملكهم لانهم لا يعرفون كيف كان غيابه . قال لا بأس فانى فى الغد أو بعده أبدد شمل الاعداء واستولى على هذه الصبية بالقوة واتخذها زوجة بالرغم عن كل إنسان والآن أرى أن من الضرورة أن أبعد من هنا الملك بهمن وأريد فى الصباح أن تسير به إلى الضارى الاسود فى داخل بلاد الحبشة وتسلمه إياه ليبقى هناك عنده إلى حين إرسال خبر منى اليه فوعده راظين بالاجابة وانه يستعد للسفر بالملك بهمن من تلك الساعة وفى الصباح يبارح إيران قاصدا بلاد الحبشة

وعلى هـــذا كان سبب غياب الملك بهمن دون أن يعلم به أحد فى تلك الليلة وبسببه وقع على الفرس الخيبة والفشل وتكدروا الكدر العظيم واعهدوا العيارين الاطلاع على أمره والبحث عنه ليعرفوا أين أخذ ومن الذى أخذه ورأت عين الحياة نفسها أن الحزن لا يزال يتبعها من مكان إلى مكان وأن النحس يرافقها فلا يريد مفارقتها فانها كانت تظن من نفسها أنها تلاقى زوجها وابنها بوقت واحد وثبت لديها كل الثبوت أن لولا نحسها لما فقد ولدها كى لا تكون مرتاحة وليبقى فكرها مشغلا

وقلبها مضطربا وكلها حزينة واما شمس فانها لم تكن عرفت قبل ذلك الحين بوقوع المصائب ولا أصيبت بمثل هذه المصيبة ولذلك أثرت تأثيرا عظيما واشتدت عليها الحال وخافت من أن يلحق الملك بهمن أمر مكدر يلقى بها إلى اليأس وقطع الرجاء وهى فى أول عمرها وصباها غير أنها كانت تخفى حزنها حياء من النساء ومن حماتها عين الحياة وكن جميعهن يتعجبن من جمالها وحسنها الباهر وفرط آدابها وكمال صفاتها ورأى الجميع أنها عين الحياة بنفسها

ولما كان الصباح نهض الأبشع من فراشه وقبل أن يركب جواده وصل اليه الخبر من المدينة بغياب النساء من القصر وأن الحراس وجدوا جميعهم منبجين واقعين على وجه الأرض وثيابهم منتزعة عنهم وما فيهم من يقدر أن يأتى حركة ولم يروا داخل القصر إلا الآثار والدلائل فقط . فاغتاظ الأبشع من هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وقال ان هذا من أعجب العجائب أن الحراس أكثر من عشرة أنفار كيف يقدرون على أخذ النساء من بينهم وضياعهم جميعا ولابد من أن العيارين الذين فعلوا ذلك يرجعون إلى خلاص الملك ضاراب ولذلك أريد أن تراقبوهم كل المراقبة وتكثروا من الحراس على الملك ضاراب وأرسل من قبله من يحفظه ويراقب حالة كل من يأتى إلى جهة المكان القائم فيه وبعد ذلك ركب جواده وتقدم إلى ساحة القتال وعقله يشغل عند زوجة الملك بهمن وقد اشتد عليه عشقه بها لوصف واظين وكلامه عنها وهان عليه كل صعب وفكر بنفسه أنه بذاك النهار يبارز الأعداء ويقتلهم جميعا وينحط على الفرس فيبددهم وينال غايته ويرجع النساء أيضا إلى أسرها . وأما الشاه روز فانه قلق مزيد القلق لغياب عين الحياة ورجوعها إلى زوجها وشعر من نفسه بصعوبة أمره وبعد نواله غايته وخاف من فيروز شاه وركب إلى جانب أبيه وقال له انى أرى أن ضميرى يحاربنى ولا يريد أن يغشنى وقلبي يخبرنى أن فيروز شاه سيقتل الأبشع ويصعب علينا بعد ذلك القيام بهذه البلاد ولا سيما أن فيروز شاه أصبح يحب الانتقام منا فاذا قتله قتلنا لا محالة وانزل علينا ابل غضبه وكدره . قال انى سأوصى رجالى وقوادى أنهم متى رأوا الأبشع قتيلا رجعوا فى الحال عن ساحة القتال وطلبوا الفرار والبعد عن هذه الديار فتنجو بأنفسنا ونذهب إلى بلاد الحبشة فنسكن هناك ونترك بلادنا لغيرنا بعد أن نأخذ منها كل ما يخصنا وما نافع لنا وهكذا اعتمد الأب والابن على الهرب وهما يرجحانه على نوال المراد وبلوغ الغاية ولا سيما أن الشاه روز فانه كان شاهد أعمال فيروزشاه فى تعزاء اليمين ورأى فعله بيبروز وميسرة وتفريق عساكرهما وهو طفل صغير لم تحنكه الأيام ولا حضر وقائع حرب عظيمة

وكان الفرس قد ركبوا واصطفوا فى جهتهم وكلهم ينتظرون عمل ذاك النهار

لعلمهم أن بهزاد سيقاتل الأبشع ولابد من أن أحدهما يقدر على الآخر ويهلكه وكان فيروز شاه خائفا كل الخوف على بهزاد ولذلك جعل مركزه قريبا منه حتى إذا رآه يحتاج إلى المساعدة ساعده وأما بهزاد فانه اعتلى فوق جواده وتقلد بسلاحه وسقط إلى الوسط وصال بجارى عادته وجال يمينا وشمالا وطلب مبارزة الأبشع فما أتم كلامه حتى خرج الأبشع من بين قومه كانه الطود العظيم وتقدم إلى جهته وكانت هيئته مرعبة مخفية. تجفل منها الأبطال وقد أفرغ عليه فى ذاك النهار من رأسه إلى قدمه الحديد الثقيل العيار وأخذ عمده الطويل الثخين الذى يبلغ ثقله الف واربعمائة من لا تحمله العفاريت ولا مردة الجان ونقل بيده طارقة سميكة ثقيلة لا يقدر أحد غيره على حملها ولما صار أمام بهزاد كاد يغطيه بظله وقال له ويلك أيها الايرانى لقد قتلت أبطالى وفرسانى وما حسبت لى حسابا ألا تعلم انى كنت ساكتا عنك احتقارا بك حتى دعوتنى بالرغم عنى إلى نزالك لانتقم منك لأبطالى الذين قتلتهم فقال له بهزاد انى ما كنت أقصد قتالهم بل كان قصدى أنت منذ الاول فامتنعت ولم تجسر أن تنزل إلى حتى وقع ما وقع منى عليهم والآن قد جئت إلى لانهى أمرك واريح الناس منك وسوف تعلم منا من الخاسر ومن الرابح . فغاظ هذا الكلام الأبشع وانحذف على بهزاد فالتقاه بقوة قلب وفؤاد وأخذ معه فى الحرب والطراد وكان يعرف صعوبة مركزه ولذلك كان ينتبه إلى نفسه كل الانتباه من أن تصل اليه ضربة من ذاك العمد على غير استعداد لها فتسحقه وتميته وكان كاللولب ينخطف من جهة إلى ثانية ومن ناحية إلى أخرى والأبشع يصول عليه كانه الغول وهو يود أن يتمكن منه بضربة فيقضى عليه فلم يتسهل له ولا قدر ان يصل اليه حتى تحير من قتاله وتعجب من أعماله وعرف أنه فارس شديد وبطل صنديد وانه كان يخطأ من جهة فكره به ودام معه على أشد قتال وأعظم نزال والارض تهتز من تحتهما كما تهتز الأغصان من عواصف الرياح والآذان تصم عند سماعها ما يخرج منهما من الصراخ والصياح . والغبار يعلوا عليهما من كل ناح وداما على مثل ما تقدم إلى أن انقضى أكثر النهار ومالت الشمس إلى جهة الغروب . وإذ ذاك صاح الأبشع والغيظ يمزق أحشاءه ويلك أيها المسخ الصغير ان هذه الحالة لا تنول أحدنا مراده وكنت أظن انى بساعة واحدة أقتلك وانهى أمرك حتى رأيت منك ما رأيت فاستصغرت نفسي ولم أر وسيلة أقرب إلى الهلاك وقضاء الامر من المضاربة بالعمدان كل بدوره وبذلك يكون أنصف أحدنا الآخر وعرف القوى من الضعيف . فقال له بهزاد افعل ما شئت فانى مجيبك إلى ما تطلب واضرب عوض الثلاث ثلاثين فانى لا أحسب لك حسابا قال اضرب أولا . قال حاشا لى من ذلك فلا أفعله وما سبق أن

كان الفرس إلا أسبق من غيرهم بالانصاف . فاضرب أولا ثم أعود أنا فأضرب ثانيا وكان بهزاد مشغل الفكر من جهة ثباته أمام عدو خصمه كما كان الابشع يركن إلى نفسه كل الركون بانه يقتل بهزاد من ضربة واحدة بحيث يتمكن منه ويضربه بتأن وبعزم

وحينئذ أجاب الابشع طلب بهزاد وقال له اثبت مكانك واستعد لضربي وأخذ العمد بيده واداره بالهواء وبرمه ثلاث برمات ورفعه إلى اعالى السحاب وسقط به يهوى بما اعطاه الله من القوة والمقدرة فسمع لسقوطه دوى ورعيد ورأت جيوش الفرس سقوط العمد فصاحت عن افئدة خائفة تدعو الله إلى مساعدة فارسهم ونجاته من هول تلك الضربة واما بهزاد فانه استعد لملاقاة الضربة غاية الاستعداد وتحذر كل الحذر منها وقبل ان تصل إلى طارقته دفع العمد خيفة من ثقله نصدر عن ذلك قرقعة وصوت اشبه باصوات الرعود القواصف عند اشتدادها ونظر الابشع إلى ما تحت العمد وإذا به يرى خصمه واقفا على حاله فغاب صوابه وعميت عيناه وتعجب كل العجب من قوة بهزاد واشتداد عزمه فصاح به بهزاد وقال له اكمل ضربك واستعد لموتك فاليوم يوم اجالك وكان قد شعر بخدر فى زندة لعظم تلك الضربة إلا انه لم يقبل ان يظهر على نفسه بل تجلد وقال فى نفسه لابد بمساعدته تعالى ان احمل ثقل الضربتين الباقيتين ومن ثم يعود الدور لى . وبعد ذلك رفع الابشع يده بالعمد ثانية وارسله إلى طارقة بهزاد فوقع عليها كالاولى وزاد تخدر يد بهزاد وشكر الله على نجاته من تلك الضربة وصبر ينتظر الثالثة والابشع لا يعلم بما هو عليه بل ما كان يراه منه من الفرح وعدم الاكتراث يغيظه ويخيفه من ان تذهب ضرباته سدى دون نتيجة ودون ان ينال مرادا من خصمه . ولذلك قام فى عزم ركابه وبذل كل قوته ورفع يده بالعمد ثالثة وضرب به بهزاد وهو مستتر بالطارقة فلقوة الضربة وثقل العمد وضعف زند بهزاد من جرى الضربتين السابقتين انثنت يده عند وقوع الثالثة بالرغم عما بذل من المدافعة واشتداد العزم ولذلك ضربت الطارقة على الخوذة وسمع لها صوت ثقيل فاراد فيروز شاه ان يسرع إلى نجدته وإذا به يراه كما هو وقد اطلق لجواده العنان ذهابا وإيابا فشكر الله سبحانه وتعالى على سلامته من تلك الضربة العظيمة التى لم ير مثلها قط من انسان وخلاصه من دور خصمه واصبح ينتظر خلاصه بدوره وكانت الشمس قد قاربت الزوال وعلا وجهها الاصفرار

ثم ان بهزاد بعد ان شعر من نفسه بالسلامة فرح غاية الفرح وامل بالفوز فصاح بالابشع وهو غائب عن هداه وقال له استعد فقد جاء دورى فالوقت قصير ولا أريد ان ارجع عنك وانت حى فقال له افعل ما انت فاعل ثم ان بهزاد استل سيفه ولعب

به الهواء وتمطى بركابه وضرب الأبشع به وفى ظنه أنها تصيبه أو تقطع طارقته كما وقع بغيره على غيره فلم يفعل شيئا بل استتر من الضربة بالطارقة وأضاعها بمعرفته وحينئذ ضرب بهزاد الثانية والثالثة والأبشع يتلقى الضراب بمعرفة وهو يكاد ينشق من الغيظ كيف أن خصمه يرجع سالما من بين يديه ولما رأى فيروز شاه أن ضربات بهزاد قد ذهبت سدى وعرف أنه ليس من رجاله وانه لا ينال منه مرادا ولذلك أمر بضرب طبول الانفصال لما رأى الظلام اعتمد على التقدم هازما جيوش النهار . وللحال رجع كل واحد من المتقاتلين من ساحة القتال وكان رجوع بهزاد على تلك الحالة ثقيلا عليه مخجولا من نفسه لأنه من حين يقاتل الأبطال ويطاعن الفرسان لم يرجع قط خائبا ولا نجا من بين يديه فارس فضلا عن أنه فى هذه المرة وقع بالغلبة مع خصمه ولاقى ما لا يظن أنه يلاقيه وبعد أن ذهب إلى صيوانه وارتاح قليلا وأكل الطعام وجد من نفسه تعبا فعزم أن لا يذهب إلى صيوان فيروز شاه فى تلك الليلة فأقام إلى أن جاء بدر فتات فقال له ان سيدى فيروز شاه يدعوك اليه فنهض وسار وهو من الحياء على جانب عظيم ولما دخل الصيوان أطرق رأسه إلى الأرض ولم يقبل أن تقع عينه على أحد من الفرسان فنهض اليه فيروز شاه وقبله بين عينيه وقال له لماذا الخجل بعد الفوز والانتصار وقد عرف جميع رجال العالم أنك فارس هذا الزمان وواحده وان ثباتك فى وجه من هو مثل الأبشع شجاعة لا تقاس بها شجاعة ولا يمكن لأحد لا من الانس ولا من الجان أن يحمل مثل هذا العمد ولا أن يحتمل ثقل ضرباته والحق يقال أن خصمك هو مارد قوى ولا بد أن نلاقى صعوبة عظيمة فى قتاله وحربه ونزاله وإذا لم تساعدنا عليه العناية نغلب لا محالة . فقال بهزاد انه كان يهون على أن ألاقى الموت من يده من أن أرجع سالما دون بلوغ غرض منه . ومع كل هذا فانى أعترف أنه قوى العزم والحيل لم ألاق زمانى بطوله فارسا مثله ولا بطل نظيره . فقال فيروز شاه لا بد من أن أبرز اليه فى الغد وأجرب نفسى معه وعلى الله الاتكال بقتاله . فقال طيطلوس اعلم يا سيدى أن الأبشع لا يقتله إلا أنت لأنك مسلط على هذه العائلة وكما قتلت اخوته تقتله ولا يلام بهزاد على ما لاقى اليوم لأن منية الأبشع على يدك لا على يده ولذلك لم يفز بالمطلوب وهذه غايات الله سبحانه وتعالى يميت من يشاء ويحيى من يشاء ويوم الغد هو اليوم الأخير . وهكذا صرف الفرس السهرة بذكر الأبشع وبسالته وعند انقضاء السهرة انصرف كل إلى صيوانه للنوم ينتظرون الغد ليروا قتال الأبشع مع سيدهم فيروز شاه

وانصرف أردوان مع شبرزاد وقال له انى أعرف حق المعرفة أن فيروز شاه سيقتل الأبشع فى يوم الغد وإذا قتل الأبشع هربت رجال السودان والأعجام الذين

معهم من قوم كندهار ولذلك أريد أن أذهب وإياك مع قومنا فى طريق المدينة من الجهة الثانية ونربط هناك حتى إذا فر أحد أعدمناه الحياة ولا نترك أحدا ينجو من هذه الديار فنبيدهم عن آخرهم . قال حسنا فكرت وانى سأستعد بقومى للسير وعند الصباح نركب الطريق ونقطع على السودان سبيل فرارهم وبعد أن اتفقوا على ذلك دخل كل إلى صيوانه ونام إلى الصباح وعند الصباح نهض أردوان وشيرزاد وذهبوا إلى تلك الطريق التى أشار اليها واقاما عليها ينتظران ما يكون من أمر الأبشع وفيروز شاه

وأما الأبشع فانه بعد رجوعه من ساحة القتال ودخل صيوانه والأرض لا تسعه من عظم ما لحق به من الفشل كيف يتخلص بهزاد من بين يديه وهو لا يقدره بذبابة بالنسبة اليه وكان ذلك يهيج النار فى فؤاده كل الوقت ولا أحد يجسر أن يكلمه أو يدنو منه أو يسأله عن حاله ولم يقبل هو ان يكلم أحدا وقد عرف حق المعرفة أن بهزاد فى الغد لا ينزل اليه وأن لا بد لفيروز شاه أن ينازله وكان يحسب ويقدر فى ذهنه أن فيروز شاه أشد من بهزاد عزما وجنانا واثبت فى مواقف الحرب ويقول فى نفسه ان كان بهزاد قد فعل ما فعل ولم أقدر أن أنال منه مرادا النهار بطوله فكيف أقدر على فيروز شاه الذى يقال بأنه ثابت العزم قوى البنية شديد البسالة أكثر من كل رجال الفرس . وصرف أكثر تلك الليلة على مثل الحالة إلى أن كان الصباح نهض من فراشه وتقلد بسلاحه وأفرغ الحديد عليه وأمر أن يقدم اليه فيله فركبه ورفع الطارقة على عاتقه وعلق العمد بالميل وتقدم مع عساكره إلى الأمام بينما كانت عساكر الفرس تتقدم وتصطف فى مواقفها وتترتب بحسب عادتها . وأمر فيروزشاه فرخوزاد وسيامك سيافيا أن يدخلا المدينة برجالهما ويهجما على من فيها عندما يشاهدان وقوع القتال واشتباك الأبطال ويسرعان إلى خلاص أبيه والملك بهمن إذا كانا فى المدينة ثم ان فيروز شاه نظر إلى الأبشع فوجده قد توسط الميدان وهو يصول ويجول وينهب الساحة بفيله من العرض إلى الطول ولذلك خرج من بين عساكره على جواده الكمين المسرج المذهب والمرصع بالحجارة الكريمة فيأخذ العقول وبين يديه بهروز العيار وهو يقمز كالغزال ويدور من حول الجواد كالدولاب السريع الدوران

ولما وقف فيروز شاه مقابل الابشع شخصت نحوهما كل عين وتمنت الفرسان أن تعرف ما يكون بينهما فتقدمت إلى الامام عالمة أنهما من أشد جبابرة ذلك الزمان . وأما فيروز شاه فانه صاح بالابشع وقال له ويلك أيها الجانى على نفسك لقد ساقك القدر إلى الممات لتذوق فى هذا اليوم منى شر ما جنت يداك بهجومك على بلادى

تهديك على أجنادي وأسرك أبي واهانتك له مع انه لم يهن قط يحاول الحياة فقال له الأبشع انى ما أتيت هذه البلاد إلا لأتركها خرابا واقتل كل معاند فيها واجعلها تابعة لحكم الزنوج وقد تسهل لى ذلك من أقرب طريق ونلت ما أنا طالبه ولم يبق على إلا فريقكم وهذا سهل على جدا حيث انى مزمع فى هذا اليوم أن أقتلك وأعدمك الحياة وبعد هلاكك لا يبقى قط أحد سواك يقدر على الثبات أمامى لان بهزاد قد لاقى فى الامس منى ما اضعف عزمه والقى الخوف والرعب فى قلبه . ثم ان الابشع بعد ذلك حمل على فيروز شاه فتلقاه بعزم يزيح الجبال وفؤاد يقد الحديد واخذ معه فى المجاولة والمطاولة والمراوغة وقد اشهرا بأيديهما السيوف الحداد وتضاربا مضاربة الآساد وتفننا بسائر فنون الحرب والطراد . ففتحا الابواب واقفلاها . واظهرا العجائب بالحرب إلى منتهاها . وكل منهما ينحط على خصمه انحطاط البواشق . وينقض عليه انقضاض الصواعق ويؤمل منه نيل المراد والمقصود . وان يلقيه مقهورا مكمود . وكانا ككفتى ميزان . أو فرسى رهان . كيف مال الاول مال الآخر عند الجولان . ودأما على مثل هذا الشان تحت صليل ثقيل الرنان . لا يتمكن احدهما من الآخر بضربة واحدة ولا يرى له من دهره عليه معاضدة ولا مساعدة وقد رأى فيروز شاه ان خصمه بطلا شديدا وفارسا صنديدا يزيد على طومار الدرهم قنطار . فاظهر كامل ما عنده من فن الحرب . ومن سرعة الطعن والضرب . حتى اضطرب الابشع اى اضطراب ووقع فى قلبه الخوف والارتهاب . واختشى من ان لا ينال المقصود من فيروز شاه فيرجع من بين يديه سالما كما رجع بهزاد وكان يظن فى نفسه ان لا احد من فرسان الفرس ولا غيرهم من العالم يقدر يقطع الحديد الذى عليه لكنه كان يخاف من رجوع منازله سالما او من ان يتمكن من اسره إذا كان اشد حيلا واقوى ساعد منه . ولذلك اراد ان يعود إلى المضاربة بالعمدان عساه ينال منه المراد او يحل به الضعف كما حل ببهزاد . فيهجم عليه بعد ذلك ويفعل به ما اراد . وعليه فقد صاح مهلا ايها الملك العظيم لقد اعجبنى قتالك وسرنى نزالك حتى التزمت ان اشهد لك بانك من اشد الفرسان الذى جمعنى وإياهم الميدان . غير ان الحالة التى نحن عليها لا تأتى بالمقصود ولو صرفنا العمر بطوله فاذا شئت اضربنى بسيفك او عمدك ثلاث ضربات فاضربك مثلها حتى من كان منا اشد ساعدا واقوى حيلا نال من خصمه ما تمنى . فاجاب فيروز شاه انى اعرف ان بذلك الانصاف والعدل وعليه فانى اجيبك فاضرب انت اولا ومن ثم اضرب بدورى فوافق الابشع ذلك واخذ بيده العمد ورفعه إلى ما فوق رأسه بقوة وعزم متين ثم سقط به يهوى وعموم الفوارس تنظر اليه وتشخص فى اذهانها مقدار ثقله وعظم

وقوعه حتى انتهى إلى طارقة فيروزشاه واندفع إلى الوراء عدة أذرع كأنه اندفع بقوة الصواعق ولأجله وقف الابشع باهتا متحيرا غائب العقل فاقد الحس كيف أن فيروز شاه قدر على حمل مثل هذه الضربة وليس فقط بل دفعها بقوة تفوق قوته وقوة ثقل عمده كأنه سبلة من حشيش

ورأى فيروز شاه حالته وما هو عليه فصاح به وقال له لما هذا التوانى أهل عجزت عن اكمال ضربك أو وقع بزندك الخدر حتى ما عدت تقدر على رفع العمد وحمله فلم يبد الابشع كلمة واحدة ولا أجاب بكلمة ولكنه أخذ العمد ثانية ورفعه وضرب به فيروز شاه فصار به كما صار بالاولى وبالثالثة أخذ بيده العمد وتمطى بالركاب وأبدى كل جهله وظن أن ربما يكون قد ضعف عزم فيروزشاه ولحق به ما لحق ببهزاد فلا يقدر على حمل الثالثة بحيث يكون زنده قد تخدر من فعل الضربتين ورأى فيروز شاه اشتداد حيله واهتمامه بضربته الأخيرة فوطى يده بطارقته إلى أن كاد العمد يقرب منها ورفعها بسرعة وقوة حيل وكثرة خبرة فصدمت العمد وهزته فافلت من يد الابشع ووقع إلى الارض بعلى. فصفق الساحة هذا والفرسان تنظره وتتعجب من عمل هذا البطل العظيم والفارس الجسيم الذى لا يوجد له ثان فى ذاك الزمان ولا يثبت أمامه لا إنس ولا جان . هذا وفيروزشاه وقف يضحك ويظهر الاستهزاء بما وقع على الابشع من الاندهال ثم خاف من ضياع الوقت فصاح به وقال له ان النهار قد ذهب نصفه ولم يبق منه ما يكفى لنهاية العمل وانى عازم على أن أجلى عساكرك عن مدينتى فى نفس هذا اليوم فاستعد لنفسك والتق ضربى فانى لا أضربك إلا ضربة واحدة فاذا لم تفعل لا أعد إلى غيرها غير انى متأكد كل التأكيد انك لا تحتاج إلا إلى ضربة . وبعد ذلك تركه فى مركزه وأطلق لجواده الكمين العنان ولعبه فى ذاك المكان على أربعة أركان الميدان ثم عاد ينخطف مثل الطائر أثناء الطيران وصافح الابشع وجها لوجه وشكم اللجام فجمد الجواد وإذذاك صاح فيروزشاه صيحة أدوت بها الوديان وصمت لها الآذان . وانتبهت اليها الفرسان بالعيان . وقال هاك ضربة من يد فيروز شاه حبيب عين الحياة . ورفع السيف بيده وضرب برجليه الركاب فاندفع مستويا إلى ظهر الجواد وهو واقف كأنه الجبل لا يتحرك قط ثم ضرب رجليه بظهر الجواد وعلا عنه عدة أذرع حتى صار فوق رأس الابشع والسيف مسلول بيده ثم سقط به يهوى وهو نازل معه بقوة عزم لم يسبق أن سمع بوجود مثلها بين بنى الانسان وكان الابشع قد استتر من الضربة بطارقته وهو أمين منها إلا انه كان مأخوذ بعمل فيروزشاه وخفته وعجيب اعماله فلم يشعر إلا والسيف قد وقع على الطارقة فقطعها نصفين ووقع بعد ذلك على الخوذة ففعل

بها فعله بالطارقة ونزل من هناك طالبا مداه وقد قسم الرأس إلى قسمين ونزل فى العنق والصدر والجوف إلى ما بين الرجلين فشطرها كلها إلى شطرين مع ما عليها من الحديد ولم يضعف كل ذلك شدة فعله بل سقط أيضا إلى ظهر الفيل فنزل به ثلاثة أشبار .

قال وشاهدت الفرس فعل سيدها فوحدت الله وشكرته على ما أعطاه من القوة ووحدانية البسالة وصاحت كلها عن فرد لسان لاعدمناك يافارس هذا الزمان ووحيد الجبابرة والشجعان فبمثلك تفتخر رجال إيران وتباهى سائر الأقران . ورأى بهزاد فعل فيروزشاه فانبهر واندهش ووعب قلبه فرحا واندفع على جيوش الزنوج يصيح وينادى بالنصر والظفر وتبعته رجال الفرس من الكبير إلى الصغير وكان فيروزشاه بعد هذا العمل لم يقف ولا استراح ولا باهى بنفسه بل اندفع فى الحال إلى جيوش الأعداء وصاح فيهم ويلكم قدجاءكم قضاء الله . من سيف فيروزشاه فاستعدوا للموت والفناء . ونزول البلايا والعناء . وأما السودان فانهم بعد أن رأوا ما رأوا من فيروزشاه وقع الرعب فى قلوبهم وخافوا مزيد الخوف ولم يقدر أحد منهم أن يمديده إلى الحسام تزلا سيما بعد أن شاهدوا ملكهم قتيلا ملقى على التراب فألووا أعنة خيولهم وطلبوا الهرب مفضلين النجاة على الممات فتأثرهم جيوش الفرس تضرب فى أقفيتهم وتشفى غليلها منهم وكان كندهار والشاه روز أسبق الجميع إلى الهرب لأنهما كانا فى مؤخرة المعسكر فعند الهرب أصبحا فى مقدمته وعليه فقد أسرعا فى الجرى وهما يؤملان بالخلاص والنجاة مع من خلفهما من عساكرهما ورجال الزنوج وبقيوا مسرعين فى الركض إلى أن بعدوا عن المدينة وساروا فى طريق بلادهم وإذا بالبطل أردوان كامن لهم هناك مع شيرزاد ابن خورشيد شاه ورجالها فصاحوا عليهما وحملوا من كل الجهات وأوقعوا فيهم السيوف الحداد وذبحوهم ذبح الأغنام ولم يتركوا سبيلا لواحد منهم ينجو وقبضوا على كندهار والشاه روز وبقيوا على مثل ذلك إلى ما بعد الغروب بساعتين حتى أشفوا غليل قلوبهم وأجروا الدماء كالغدران وملأوا الأرض من جثث القتلى وبعد ذلك عاد أردوان إلى جهة المدينة ليقدم كندهار وولده إلى فيروزشاه .

وكان فيروزشاه وباقى فرسان الفرس ورجالهم يضربون فى أقفية الزنوج حتى أبعدوهم عن الديار وأشفوا منهم الغليل وعند غياب الشمس رجعوا عنهم وتركوهم مبددين مشردين وفيروزشاه لايعرف ماوقع على الشاه روز هل قتل أو فاز بالنجاة وتسهل له الفرار إلا أنه كان يفكر إذا فاز بالنجاة يرسل فى الغد خلفه بهزاد ليسير إلى بلاد كشمير ويقيم عليها حاكما جديدا ويطيع البلاد . وما وصل إلى أبواب المدينة حتى شاهد أباه الملك ضاراب راكبا وخارجا لملاقاته فترجل فى الحال ورمى

بنفسه عليه ففعل أبوه مثله وجعل يقبله ويذرف دموع الفرح بقدومه ويشكر الله على هذا النصر المجيد وهو يقبل يديه ويهنئه بالسلامة ويقول له لا كان يوما قدر الاعداء أن يهينوك ويوصلوا اليك شرهم ومهما وقع عليهم فهم يستحقون أكثر من ذلك . وكان سبب خروج الملك ضاراب سيامك سياقبا وفرخوزاد فانهما بعد أن شاهد قتل الأبشع فى الحال أسرعا اجابة لأمر فيروزشاه إلى داخل المدينة لخلاص أبيه ودااما على السرعة وقد تفرقت عساكرهم فى كل المدينة وأوقعوا القتل بن على الاسوار وكسروا أعلام السودان ووصل فرخوزاد وسيامك إلى امام الملك ضاراب فكاوثاه وقبلا يديه فسألهما عن الابشع فقالوا له انه فى هذه الساعة قتله سيدنا ومولانا وفارسنا ولدك فيروز شاه وقد جازاه على قبيح فعله وأهلكه بضربة لم يسمع ان سبق مثلها قطعته هو والفيل معا فلم يسع الملك ضاراب الا البكاء من الفرح وقال اعطونى جوادا فانى لا صبر لى عن مشاهدة ولدى وإنى أريد فى هذا الوقت المسير إلى الخارج لأراه فأجابوا طلبه وركب وخرج وبين يديه فرخوزاد وسيامك حتى التقى به وسلم عليه ورجع إلى الداخل وسار إلى قصره الكبير وأخذت الفرسان تتجمع من حواليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع الجميع فسأل عن اردوان وشيروه وشيرزاد حيث كان لا يعلم بموت شيروه فقال له فيروزشاه ان اردوان وشيرزاد فى هذا الصباح خرجا معا للقتال ومن ثم لم نعد نراهما لا هما ولا جيشهما ولا ريب انهما تأثرا الاعداء لانى أعرف من خصائل اردوان عدم الرفق بالاعداء وانه يرغب على الدوام هلاكهم عن آخرهم . فقال طيطلوس ان صح حذرى يكون قد تأثر كندهار والشاه روز كى لا يتركهما يفرا ويرجعا إلى بلادهما سالمين ومن الموافق أن يسير بهزاد خلفهما يفتش عليهما ليرتاح بالنا من نحوهما وفى تلك الوقت جاء اردوان وشيرزاد ومعهما كندهار والشاه روز أسيرين بالحبال ولما دخلا على الملك ضاراب فرح بهما ولاقاهما وسلم عليهما فقبلا يديه وهنآه بالسلامة وقدما اليه الشاه روز وأباه وأخبراه بما كان من أمرهما وكيف انهما قاطعا على الاعداء كى لا يفر أحد منهما وانهم وقعوا من سيوفهم بالبلاء والفناء حتى امتلأت الارض من جثثهم ففرح فيروز شاه بأسر كندهار وقال لاردوان انى كنت أحب وأريد أن ألومك على عمل تعمله وقت الحرب دون علمى واطلاعى ومعرفتى وما ذلك إلا خوفا عليك ولأكون عارفا بمواقف فرسانى كلها غير انى ألوم نفسى كيف قصرت أن أبعث إلى ربط الطريق والوقوف فى المكان الذى وقفت به وأسامحك على عملك هذا حيث أتيتنى بشفيع عظيم وهو أسرك كندهار الخبيث والشاه روز ولده

ثم ان فيروز شاه أمر أن يقدما إلى بين يدى أبيه فقدما فقال لكندهار ويلك

أيها الشيخ الجاهل أهل وصل بك الحد إلى أن تقابلني بمثل هذه الأعمال القبيحة و تلقيني بوهدة العذاب مع انى بطول حياتى كنت أوصل اليك باحسانى وكنت لا أكلفك ولا قومك ماهو متوجب عليك فعوضا من أن تأتى بلادى فتدافع عنها من الأعداء كونك عجميا ومن أبناء جنسى فضلا عن أنك ملزوم اليه بمالى عليك من السلطان وما أعطيته من الله من النفوذ كونى ملك البلاد الفارسية ومولاها وسلمها الله إلى لأرعاها بحسب معرفتى. فلم يجب كندهار بشيء بل أطرق إلى الارض. فقال فيروزشاه ان كندهار وابنه تطاولا على واعتديا على شرفى وقصدا أخذ زوجتى ولكن قبل الدخول بمحا كمتهما بهذا الشأن أريد أن أسألهما عن ابنى الملك بهمن أين هو ومن الذى أخذه وإلى أى جهة بعث * فقال الشاه روز اننا لانعرف أى مكان ذهب ولاعندنا علم عنه وقد أجبرنا إلى الاتيان مع الابشع بالرغم عنا حيث إذ كان يريد الاخذ بثأر اخوته فدعانا لنسير معه وخفنا من أن نمتنع فيوقع بنا ولا قدرة لنا على مقاومته. فجاء بهروز إلى أمامه وقال له لابد أن تخبرنا بخبر الملك بهمن واذا امتنعت كان عذابك على يدى فاذقتك مره. فلما رأى بهروز وقد مال اليه خاف جدا لانه رأى النار تتطاير من أعينه ويده على خنجره ولم يقدر على الكلام وجرى ذلك على أبيه كندهار فقال للملك ضاراب إنى لم أر سيدى الملك بهمن غير انى عرفت من ان الأبشع ارسل واطين عياره فسار تحت الظلام وذهب إلى خيامك ودخل على الملك وانتشله من خيمته وجاء به إلى سيده وأخبره ما كان من امره وحكى له عن جمال زوجته شمس وما رآه منها فطمع فيها واراد ان يأخذها لنفسه ولذلك قصد ان يبعد زوجها فارسله مع عياره واطين إلى بلاد الحبشه الداخلية إلى بلاد الضارى الاسود ليبقيه عنده إلى حين عودته إلى بلاده فيطلبه منه وهذا ما علمته بخصوص الملك بهمن ولم اعلم شيئا بعد ذلك عنه لأنه سار إلى تلك البلاد اسيرا

انتهى الجزء التاسع والثلاثون ويليه الجزء الأربعون

الجزء الأربعون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

فلما سمع فيروزشاه ماجرى على ولده وانه اخذ إلى بلاد بعيدة سقطت الدموع من عينيه وبكى على فراقه وقال لا ابكى على صعوبات لاقيتها حياتى بطولها ولا اخاف من اهوال ألاقيها بعد وانى لو كنت اخذت بنفسى اسيرا إلى تلك البلاد لكنت اخف حالة بكثير من الآن كونى تعودت على العذاب والمشاق وعرفت ان الله سبحانه وتعالى قد ضرب على بملاقاة الصعوبات حياتى بطولها فلا أرى راحة قط لكن ابكى على ولدى ان تكون ايامه كأيامى مجبولة بالمخاطر ينتقل على الدوام من مكان إلى مكان والحروب تجاهه فى كل موقع وموقف و بين كل قوم . فقال بهزاد اننا ماخلقنا ياسيدى الا للحروب ومن الواجب علينا ان نفرح عند ذكر الحروب ولذلك اطلب اليك ان تأذن لى ان اذهب عنك إلى بلاد الحبشة احارب فيها وأدوخها وارجع بسيدى بهمن . فقال طيطلوس لفيروزشاه لاتحزن ياسيدى على أخذ ولدك إلى تلك الجهات فان العناية الالهية تريد ذلك والقصد منها نشر كلمة الحق فى تلك البلاد ودخولها فى طاعتنا وان عليك أمرا واحدا وهو أنه لولم يكن لله سبحانه وتعالى غاية بك لما أعطاك من القوة والمقدرة مالا يوجد بغيرك ولا سمع بمثله قط فى الازمان الغابرة وما أعطاك ذلك الا لتضرب بسيفه من مشرق الارض إلى مغربها ولتكون دولة الفرس من الدول الكبيرة واسعة السلطان والملك فلا تبق قطعة من الارض الا وتدخل فى يدها وعندى أن من الصواب أن نسير باجمعنا إلى بلاد الحبشة إلى الضارى الاسود لانه قوى البطش والسلطان وعنده فارس صنديد يفوق كامل الفرسان الذين رأيناهم فى هذا الزمان اسمه رعد المجنون

فسكت فيروزشاه عند سماعه هذا الكلام وقال انى أشكر الله انه لم يترك علينا مذلة بل يساعدنا فى كل حروبنا وانى أريد الآن أن نرى بامر كندهار وابنه أولا لنعاملهما بما يستحقان وبعد ذلك أريد أن أعمل يوم حزن على شيروه الذى فقدناه فى بلاد الصين لتحزن عليه بلاد فارس باجمعها فهو من أبناء عمنا الذين نفعونا وقاتلوا عن دولتنا . فرأى الجميع صوابية قوله ومن ثم ضرب الملك ضاراب مجلس مشاورة للحكم على كندهار وابنه . فقال فيروز شاه انى ادعى عليهما انهما قصدا أخذ عين الحياة

وتزويجها بأحدهما الشاه روز مع أنها هى زوجتى وحليلتى . فأجاب كندهار منكرا فجاء الشهود وشهدوا على الشاه روز عند دخوله المدينة وذهابه إلى قصر عين الحياة وطلب زواجه بها من الابشع . ودعا الملك ضاراب بأحد سياح بلاده الذى أخبره منذ الأول بمسير الشاه روز إلى السودان فشهدانه كان فى بلاد كشمير وشاهد الشاه روز مسافرا إلى بلاد السودان وعرف ان سبب سفره كان لاستنجاده على الملك ضاراب ولتحريكه لأخذ ثاره منه ولذلك جاء إلى إيران بالعجل وأخبر الملك فبعث برسوله إلى الصين . وحينئذ حكم طيطلوس وبزرجمهر وباقى الأمراء بنزع كندهار من ملكه أولا وبموته وموت ولده ثانيا وبعد أن بلغنا الحكم انفذ عليهما وقتلهما بهروز شر قتلة وانتهت حياتهما . وبعد ذلك أخذ فيروز شاه بتعيين يوم لقيام عزاء شيروه فألبس ايران ثياب السواد ودار بها النواح فى كل مكان وبكت كولندان بنت صاحب الاسكندرية بكاءمرا وجلست فى قصرها تنوح واجتمع كل عليها نساء المدينة وبالاختصار ان الحزن كان عاما بين الخاص والعام وما من أحد إلا وبكى ودام ذلك من الصباح إلى المساء .

قال وبعد ان انتهى من عمل عزاء شيروه اجتمع الجميع عند الملك ضاراب يتخابرون فيماذا يريد أن يفعل فى أمر الملك بهمن فقال عرفت أن حفيدى أخذ أسيرا وأرسل إلى بلاد الحبشة ولذلك صار من اللازم أن نبعث بالعساكر والأجناد إلى تلك البلاد وبالعيارين لتجس لنا أحوالها وتنظر أمورها بمساعدة الجيوش وعندى ان تلك البلاد صعبة المسالك حارة الهواء تلاقى فيها جيوشنا كل صعب وكل عذاب ولكن الله سبحانه وتعالى سيساعدنا على ما نطلبه كما ساعدنا سابقا وفى كل آن .

فقال طيطلوس لاريب أن حربنا هذه ستكون آخر الحروب ولابد من انهائها بوقت قريب كى نرتاح منها ونبقى براحة بعد ذلك ولابد من السرعه فى ذلك فقال فيروز شاه انى كنت أزمعت على أن أرسل بهزاد مع الوزير مهريار يجلسه على بلاد كشمير العجم مكان كندهار وذلك لأن هذا الوزير العظيم قد عمل معنا معروفا عظيما وجميلا لا ننساه إلى الأبد وحتى الساعة لم نكافأه على معروفه وجميله إلى أن خطر لى هذا الخاطر ولا بد من اجرائه بعد رجوعنا من بلاد الحبشة وخلاص الملك منها فقال بزرجمهر اننا خارجون من حرب الأبشع والجيش لا يزال تعبا وعندى أننا نرسل الآن كتابا إلى الضارى الأسود نخبره بقتل الأبشع والملك كندهار وماحل عليهما وعلى جيوشهما ونطلب اليه أن يرسل الملك بهمن فان أجاب كان خيرا وخف عنا أمر هذه النقلة إلى تلك البلاد وإذا امتنع سرنا اليه ونكون فى هذه المدة

قد ارتحنا وهيئنا المؤن والذخائر اللازمة فاستحسن الجميع كلامه واستصوبوا رأيه وكتب طيطوس إلى الضارى الأسود كتابا يقول له فيه :

بسم الله الحي الباقي الأزلي .

من الملك ضاراب وكيل الملك بهمن وأبي فيروزشاة إلى الضارى الأسود

لا يخفاك أيها الملك أن دولة ايران هي دولة عظيمة الاركان مشيدة العمران ملكت الارض من مشرقها إلى مغربها فنصرها الله على من طلب خصومتها وعنادها وأخيراً كان قومنا فى بلاد الصين ولم يكن فى البلاد غيرى فجاءنى الملك الأبشع مع كندهار والشاه روز واستولوا على البلاد وفى تلك الاثناء جاء قومنا وولدى فيروزشاه فقتلوا الابشع وأهلكوه وقتلوا بعده الشاه روز ووالدة كندهار واستعادوا البلاد وكان فى مدة الحرب سرق العيار حفيدى الملك بهمن وأرسله الأبشع فى الحال اليكم ليبقى عندكم وحيث أن المذكور قد قتل وذاق شر عمله ولاقى من سيف ولدى مالاقى ولم يكن من خصومة بيننا وبينكم أطلب ارجاع الملك بهمن لتبقى الحالة بيننا على السلام ونشكرك على فعلك هذا الشكر الجزيل وإلا فنلتزم أخيرا أن نسير إلى خلاصه ولا يمكن أن نتركه فندوس بلاد الحبشة وتقع بيننا وبينكم الحروب الهائلة التى لا داعى لها وعلى كل فقد يفعل الله ما شاء .

وبعد أن انتهى من كتابة الكتاب بعثه مع طارق العيار وقال له سر عاجلا إلى بلاد الحبشة وادخل على الملك الضارى الأسود وبلغه كتابى وأتنى بالجواب حالا فانى على مقالى الجمر وأرغب بسرعة العمل لأعرف كيف حال الملك بهمن وماذا جرى عليه فى تلك البلاد .

فأخذ طارق الكتاب وانطلق من هناك إلى بلاد الحبش يطوى القفار والسهول والأوعار إلى أن دخل البلاد ووصل إلى العاصمة وسلم الكتاب إلى الضارى الاسود فأخذه منه وقرأه وعرف فحواه وفى الحال أمر ان يجتمع اليه ديوانه وأمر طارقا ان يبقى إلى الغد ليدفع اليه الجواب وعندما اجتمع اليه وزيره الأكبر واسمه الراصد وفارس بلاده رعد المجنون وباقى أعيان قومه وعرض عليهم التحرير وبلغهم كلام الملك ضاراب فقال الوزير الراصد اعلم ياسيدى انه لم يكن بيننا وبين الفرس سابق عدواة ولا تمدوا على لادنا واننا براحة وأمان من جهتهم ولاسيما أن الملك الابشع الذى بعث الينا بالملك بهمن قد قتل وعدم الحياة ولم يعد لنا من سبب يدعونا إلى مراعاة خاطر الابشع والخوف منه فقال رعد المجنون ان الابشع لا يزال حيا ولا يخطر بفكرى قط أن أحدا من الفرس يجسر على أن يدنو منه أو يقرب اليه بأذى ولو فرض انه قتل فا الملك بهمن عندنا إلا أمانة ومن الطبيعى حفظ الأمانة ومن الواجب علينا أن نحافظ على حقوقه ونأخذ له بالثار من

الذين قتلوه وأرى من اللازم أن نقتل الملك بهمن الآن فما فى بقائه رجاء ولاصالح لنا وبعد مباحثة طويلة واظهار آراء الجميع وقع الاختلاف بينهم فالبعض طلب بقاءه حيا والبعض طلب موته والاصرار على الحرب وعناد الفرس وإذذاك قال لهم الضارى انى أريد أن أستشير بنتى هدوب لأنى اعتمد على أفكارها وأقوالها وطالما نصحتنى فوجدت فى نصحها لى خيرا ٠

ثم انه أرسل اليها يطلب حضورها فجاءت وكانت ذات عقل وذكاء سمراء اللون عادلة القوام حسنة اللفظ رقيقة الطباع جذابة للقلوب مع ماهى عليه من اللون الحبشى وعند دخولها الى ديوان أبيها وقف الجميع إكراما لها واحضر أبوها الملك بهمن وقال لها اعلمى أيتها الابنة النصوحة أن هذا ملك الفرس وابن ملكهم وقد بعثه الى الابشع ليبقى عندى أسيرا الى حين يطلبه ثم عاد عليها كل ماجرى بشأنه وبخبر تحرير الملك ضاراب وموت الابشع واختلاف رجاله فى أمره فنظرت هدوب الى الملك بهمن وتأملته بعين خبيرة فلم تقدر أن تضبط قلبها من التعلق بهواه لأنها رأته بديع الطلعة جميل الصورة زاهى الجبين وبالرغم عما أعطيت من الحكمة والدراية أحبته محبة عظيمة وعشقته بنظرة واحدة وتمنت قربه وفكرت بالطريقة التى تنولها مرادها ٠

وبعد أن تبصرت بهذا المعنى التفتت الى ابيها وقالت له ليس فى اطلاق سبيله نفع الآن ومن الأوفق ننظر مايكون قد جرى على الابشع وهل قتل أم لا وأما من جهة قتله فما من فائدة فيه بل هو خير لنا لأن لابد لرجال ايران من الدخول الى بلادنا لأجل خلاصه فاذا فزنا عليهم كان لنا اوانئذ ماتتمنى فنقتل كل من يقع بأيدينا منهم وإذا تأخر حالنا معهم والزمنا ان نصالحهم فنصالحهم بملكهم ونعقد معه الشروط التى نريدها حيث يكون بيدنا وتحت إرادتنا نجبره أن يقبل بما نطلبه منه .

فلما سمع الضارى الاسود كلام بنته أعجبه جدا وقال لها لقد اصبت ونظرت صوابا وأرى فى رأيك الخير والنجاح فقد عرفت مالا يعرفه أحد غيرك من رجال الدولة ومشيريها . وبناء عليه خذى الملك بهمن الى حبس قصرك وضعيه تحت نظارتك واتركى خدمك تخفره فلا يعرف به احد ولا يتوصل اليه عيار .

قالت انى سابقيه فى السجن الى حين تطلبه وانى سأضع الخفر والحراس عليه ومتى طلبته اقدمه لك وانى وإن كنت اعتبره مسجونا واكثر الحراس إلا انى اوصيهم أن يعاملوه معاملة الاكرام لاحبا براحته بل حفظا لشرف الملوك والعيال الشريفة حتى إذا قضى الزمان علينا كان لنا وجه كلام معه وإذا وفقتنا الايام والليالى عدنا الى عذابه حيث نكون قد عرفنا الحالة التى نحن فيها وماصدقت هدوب ان سمعت من ابيها هذا الكلام وقلبها يطير من الفرح والمسرة أولا بنجاحها ببقاء حبيبها حيا وثانيا بوجوده فى قصرها

وتحت سلطتها وبيدها تتصرف به كيف شاءت جسما وروحا هناء وراحة .

قال وكان الملك بهمن من حين قبض عليه من إيران وجيئه مع واطين محفوظا بأربعة من الأنفار وهو مبلبل البال على حالته مشغل الفكر عما لحق به لأنه أخذ وهو مطمئن مرتاح نائم إلى جانب زوجته لايتصور بعقله أن الاعداء يتوصلون اليه وفوق كل ذلك ان همه كان على الدوام الوقوف على حالة جيشه مع الابشع لأنه كان يؤكد صعوبة المركز الذى هو فيه وقد أخذ إلى بلاد الحبش ووضع فى السجن دون أن يهتم به أحد أو يعرف ما تنتهى اليه حالته حيث كان يفكر الضارى الاسود أنه بعد أيام يرجعه إلى الذى بعثه وهو الابشع ودام على ذلك إلى أن وصله كتاب الملك ضاراب يذكر له فيه أنهم قتلوا الابشع وجرى ماجرى إلى أن سمع بهمن مادار بين الاب وابنته وكيف أنها نظرت اليه نظرة الحب واحكمت العمل فى خلاصه وبقائه عندها وأعجبه ذلك جدا ورآه صادرا عن فؤاد نصوح محب الدولة من جرى ظاهره ومن الباطن مالا يعلمه إلا من قلبه يعذب على نيران المحبة وذاق شدة ولوع الهوى وفرح بها وانتظر ذهابها معه الى أن سمعها أمرت اثنين من خدامها أن يأتيا به الى قصرها وودعت أباها وسارت الى قصرها وأخذ الملك بهمن اليها أسيرا وعند وصوله الى قصرها وضعته فى سجن داخل القصر ووضعت عنده كل مايحتاج اليه من أسباب التنعم والراحة كى لايكون متعبا حين قيامه فى حبسه . وبقيت صابرة عليه باقى ذاك النهار الى أن كان المساء وفى قلبها نيران تضطرم وهى تعد نفسها بالاجتماع بشاب أبيض اللون صبوح المحيا زاهى الطلعة كامل الهيبة جليل القدر فصيح اللسان بليغ المعانى وهى تدفع الساعات والدقائق بقلة الصبر وفروغه الى أن صارت الساعة الثالثة من الليل وقطعت الرجاء من مجيء أحد اليها فى تلك الليلة وإذذاك دعت بقهرماتها وقالت لها لدى حاجة أريد أن أعرضها عليك فهل تكتمين أمرى وتساعديني عليها قالت كيف لا وأنا خادمتك ومغروسة نعمتك وزمام أمرى بيدك وقد اصطفيتنى لمثل هذه المهنة فاذا كنت أتخلى عنك أولا أكتم لك سرا فلااستحق ان أدعى بقهرمانتك واقرب منك

قالت لاأخفاك ان عندى فى هذا القصر الآن أسير سلم الى من أبى وهو ملك الفرس وسيدهم شاب فى العشرين من العمر لم يخلق الله سبحانه وتعالى أبهى طلعة منه وقد أحبه قلبى كثيرا وولعت به كل الولوع فأريد ان اقيم معه كل مدة إقامته عندى على الحظ والانشراح وان يعدنى إذا تخلص من هنا وعاد الى بلاده ان يأخذنى معه إما حليلة أو خليلة أى كيف شاء بشرط ان اكون عنده وبين يديه ولاافارقه وبذلك اكون سعيدة فى هذه الحياة وأتخلص من أن أكون زوجة لرجل حبشى غليظ الجسم والطباع شديد السمرة

خشتان بين هذا الملك وغيره من قومنا وأريد منك الآن أن تذهبي إلى أسفل القصر إلى الغرفة الموضوع فيها وتطلبي منه إجابة سؤالي وقبول رجائي وتأتيني به ولك كل ما تطلبين .

فلما سمعت القهرمانة كلام مولاتها وافقتها عليه إذ لم يكن مثل هذا الأمر عظيما فى عينيها ولكنها قالت لها إنى أجيئك به الآن ولك الحق أن تهتمي بمثل هذا الرجل الذى تصفينة لى وتذكرين جماله وما من مانع يمنعك من نوال غايتك منه والتمتع بجماله لكن كيف يمكنني ان أصل اليه والحراس قائمون عند أبواب سجنه . قالت إن الغرفة التى هو فيها لها بابان كما تعلمين باب عند الحراس وباب إلى الدهليز الموصل إلى الممر المنتهى بسلم هذا الطابق ومفتاح هذا الباب عندى منذ القدم وما وضعته فى تلك الغرفة إلا لهذه الغاية فيمكنك الآن أن تذهبي وتفتحى الباب من جهة الدهليز وتدخلي وتتعطفى بخاطره وتدعيه فى الحال إلى لصرف هذه الليلة عندى على الحظ والانشراح وعديه إذا أجاب طلبي سعيت فى خلاصه وسهلت له طريق الخلاص وإذا امتنع فانى أقدر على الاضرار به وإيصال كل أذية اليه وحاشاى أن أفعل معه شيئا من ذلك فان قلبي يحبه محبة لا تقدر.

فأجابت القهرمانة كلامها وأخذت بيدها المفتاح وسقطت إلى أسفل القصر ومشت من داخل الدهليز حتى انتهت إلى باب الغرفة السابق ذكرها ففتحته بتأن ودخلت منه إلى الداخل وإذا بهاترى الملك بهمن قائما وحده منفردا على تسبيح الله وذكره يتسلى بترديد آيات كتابه . فلما رآها حدثته نفسه أنها مرسلة من قبل هدوب بنت الضارى حيث كان ينتظر وقوع مثل هذا العمل . ولذلك هش فى وجهها وبش وقال لها من أنت وماذا تطلبين . فقالت له إنى قهرمانة السيدة هدوب صاحبة هذا القصر وبنت ملك هذه البلاد وأطلبك اليها حبيا فلا تقطع لها رجاء منك وقد أحبتك محبة صادقة وتريد منك أن تبقى عندها كل ليلة على الحظ والهناء وفى النهار ترجع إلى حبسك وتبقى على ذلك إلى حين تجد طريقة لخلاصك وخلاصها من هذه البلاد وأكون أنا معكما وإننا نحافظ على حياتك فلا ندع شرا يصل اليك .

ففكر الملك بهمن مدة طويلة بهذا المعنى وكان يحب أن يمتنع ولا يقبل بما دعتها اليه إلا أنه وجد أن ذلك مضر بصالحه الذاتى وأنه محتاج إلى مساعدتها ومعاضدته لنجاته بتلك البلاد وحفظ حياته مازال فيها ولم ير من مانع يمنعه من أن يجيب طلبها ويتخذها له زوجة إذا كانت توافقه على عبادته تعالى وترضى التدين بدينه ولذلك قال للقهرمانة إنى رأيت السيدة هدوب وأنا عند أبيها ومال اليها قلبي وكنت لا أعرف الطريقة التى توصلني اليها فخذيني الآن إلى غرفتها لاجتمع بها وأرى ماذا يكون من

أمري وأمرها فأقيم عندها العمر على أحب ما تريد وتشتهي وها أنا سائر أمامك حالا ثم نهض ومشى ففرحت مزيد الفرح بنوال غايتها وسرت سرورا لا مزيد عليه وسارت أمام الملك بهمن لتوصله إلى مولاتها وبقيت تصعد أمامه إلى أن أوصلته إلى غرفة هدوب وإذا بها مضيئة بالأنوار والروائح الزكية تنتشر منها إلى الخارج وهي تكاد ترقص من حسن إتقانها وترتيبها وقبل أن يصل إلى باب تلك الغرفة شعرت هدوب بوطيء أقدامه فخرجت اليه وترحبت به وسلمت عليه وشكرته على اتيانه اليها وأدخلته الى الداخل وأجلسته الى جانبها وأبدت له كل اكرام واعتبار وهي لا تصدق أن تراه أو تنال منه مرادها وكانت تنظر اليه ولا ترفع نظرها عن وجهه وهو أيضا يشكرها ويثني على التفاتها اليه ويتأمل فيها ويفكر في صفاتها وكانت قريبة من قلبه جدا ولم يكن اسمرار وجهها ولونها الحبشي مانعا يمنعه من أن يعلق قلبه بها أو أن يستر هيئة جمالها وعليه فقد كان الحب بينهما متبادلا إلا أن زواجه الأول وحبه لشمس كان يحول دون اظهار غايته في الأول ويدفعه الى الامتناع عن الاجابة ولهذا كان بحرب داخلي بين قلبه وميله وبين صالحه بالنجاة بواسطة هدوب وحبه الأصلي لشمس زوجته واذذاك أمرت خادمتها أن تقدم له الشراب ففعلت ثم جاءتها بالطعام فأكلا وأخيرا أحضرت لهما النقل والخمر والمشمومات وتركت لهما المقام وخرجت عنهما ولدى خروجها أخذت هدوب كاسا فشربته وملأت آخر وسقته الى الملك بهمن ثم أخذ هو أيضا فسقاها وهي بفرح زائد من حالتها وقد أنشدته :

فضحت جيد الغزال بالجيد ... وفقته بالدلال والغيد
لست أطيع العذول فيك على ... غي يديه ولا على رشدي
ياساقيا مهجتي كؤوس هوى ... وسائقا مقلتي الى السهد
وموردي صبوة أوائلها ... يقصر عنها أواخر العدد
عندي من الوجد ما به أجلي ... يفني ولم أبده الى أحد
أول عهدي بالحب فيك غدا ... آخر عهدي بالصبر والجلد
يا شعره قد أعنت ليلي في الطو ... ل على ناظري فاتسـ
وأنت يا خده نسبت الى الر ... قة الا على أخي الكمد
وأنت يا طرفه السقيم أما ... ترحم ماقد حكاك من جسدي
يميل قلبي الى رشف ريقته ... من أين للنار من نسبة البرد
هل لقتيل الخدود من دية ... أو لطعين القدود من قود
أين الليالي وأين عندي قد ... حواك طرفي وأنت ضوء يدي
حيث أنادي وأنت مبتسم ... ياعين رودي ويا شفاه ردي

واليوم لى أدمع تشرب الـ خد كورد فى خد منتقد

ولما فرغت هدوب من شعرها لم تقدر تضبط نفسها من شدة غرامها فرمت بنفسها عليه تقبله وقالت له أنت منذ هذه الساعة حبيبي وسيدى وعليك رجائى واتكالى ومعولى وها أنى مسلمتك جسمى وحياتى فكن الحاكم على والقاضى بامرى . ولما رأى منها مارأى لم تطعه رقة طباعه الا أن يعاملها بالمثل فبادلها الحب . وقال لها أنت لى وستكونين زوجتى وملكة بلادى وأعاهدك منذ هذه الساعة على ذلك بشرط واحد وهو أنك تكونين على دينى أى أن تتركى عبادتك وتتمسكى بدين الله سبحانه وتعالى قالت انى على دينك من هذه الساعة وقد درسته وعرفته منذ القدم وأنا أشهد أن الله وحده هو القادر على كل شىء يحيى ويميت ويدبر أمر عباده كيف اراد فهل يرضيك منى ذلك . قال نعم انى الآن مسرور بعملك واعاهدك عند وصولنا الى بلادنا وخلاصى من الأسر ادع طيطلوس يزفنا على القواعد الدينية ويعمل لنا عرس بهى زاهر . قالت كيف لا تكون زوجى من هذه الساعة واكون امرأتك وبذلك يلتزم كل واحد منا على المحافظة على الثانى طبعا ودينا ولا أرى مانعا لذلك . قال ان الزواج يحتاج الى شهود وروابط دينية وهذا لا نحصل عليه الآن . قالت اننا حاصلون على الشهود ولدينا شاهد عظيم كبير وهو الله سبحانه وتعالى يشهد على وعليك ان كل واحد منا رضى بالآخر وقبل ان يكون شريكه بحياته وهو وحده يباركنا المباركة الدينية التى نرغب بوجوبها ومتى جاء الزمان المحفوف بالراحة والسرور ندع رجال قومك يشهدون ويقومون بالاحتفالات الواجبة ثانية . وكانت تكلمه وتسقيه الخمر لعلمها أن الخمرة ستساعدها على نوال مرادها . وبالاختصار انه صرف طول تلك الليلة على الراحة والهناء والمسرة معها وقد اجاب طلبها واتخذها زوجة له من تلك الساعة ووطد العزم على ان تكون عنده طول حياته وان يدع طيطلوس يزفه عليها عند ارتياح باله من جهة اسره وكذلك هى فانها نظرت منه صدرا رحيبا ولطافة انستها كل اهلها وبلادها وصارت تحسب ان وجوده عندها راحة كبرى وصارت فى كل يوم تنزله من الصباح الى حبسه خوفا من ان يدعوه ابوها او ان ياتى اليها فيراه عندها وعند المساء تأتى به فتتعشى واياه وتصرف السهرة معه ثم ينامان الى الصباح وعند الصباح تعيده ايضا . فلنتركهما على مثل هذه الحالة الى ان نعود اليهما مرة ثانية .

ولنرجع الآن الى طارق العيار الذى كان جاء بالكتاب الى الضارى الاسود فانه اقام فى مكان عين له طول النهار وفى المساء دعاه اليه الوزير راصد واجتمع به سرا وقال له بلغ منى السلام الى مولاك فيروزشاه وانى قائم على خدمته كيف اراد ولا ادع

الضارى الأسود يصل بأذى إلى ولده بهمن وكان فى نيته ونية رعد المجنون قتله فى هذا اليوم فدفعت ومانعت عنه ليبقى إلى حين مجيئهم بلادنا وساعدتنى على ذلك بنت الضارى الأسود وأخذت الملك بهمن إلى قصرها ليبقى عندها فى السجن طول مدة أسره ولا ريب أنه يبقى بأمان عندها . فشكره طارق العيار وقال له لا تخفاك حالة الفرس وفرسانهم ولا بد من أن بعد أشهر قليلة يكونون فى هذه البلاد فيمتلكونها لا ريب كما امتلكوا غيرها من البلدان والممالك الكبيرة ويقتلون الضارى كما قتلوا غيره من الملوك الذين ضربت بهم الأمثال من الهند والصين والرومان وسواهم وسوف أبلغ مولاى معروفك فيجازيك على عملك بكل خير وسترى بعينيك ما يصل اليك فلا يتقاعد عن مكافأتك فطالما أقام ملوكا وحكاما من الذين خدموه بالمعروف وساعدوه بالخدمة .

وبعد أن انقضى ذاك الليل وجاء اليوم الثانى واجتمع ديوان الضارى الأسود ذهب طارق اليه وسأله جواب الكتاب فكتب له الجواب يقول فيه انه لا يمكن أن يسلم الملك بهمن لأنه أمانة عنده من الأبشع واذا كان الأبشع قد مات فعلا فيكون بدلا منه ويأخذون بثأره وأنهم مستعدون للقتال والدفاع الى مثل ذلك من الكلام . وبعد أن أخذ طارق الكتاب خرج من تلك البلاد وسار قاصدا ايران الى أن بلغها بعد مدة ليست بقصيرة لأن الطريق كانت طويلة ولما دخل على سيده فيروزشاه وسلم اليه الكتاب وبلغه ما قاله له وزير الضارى الأسود وماجرى على الملك بهمن فى تلك البلاد وكيف أنه وضع عند هدوب بنت ملكها . فاغتاظ فيروزشاه من ذلك وتكدر مزيد الكدر وعرف أن لابد من مخاطر وأهوال سيلاقونها فى بلاد الحبشة وفى تلك الساعة ذهب الى أبيه وجمع ديوانه وعرض عليهم كتاب الضارى الأسود وامتناعه عن تسليم ولده وقال لهم أخيرا ما من حاجة للمخابرة فى هذا المعنى فان السفر لا بد منه وكل جيوشنا حاضرة مستعدة للسفر والمون والذخائر كاملة كافية لنا فى مثل هذا السفر وإنى فى الصباح سأركب قاصداً تلك البلاد فليكن كل واحد منكم على استعداد للجد والرحيل إلى بلاد الحبشة فأجاب الجميع طلبه وما منهم إلا من قال بالسفر والسرعة إلى خلاص الملك وأخذوا فى أن يهيئوا أنفسهم الى اليوم الثانى وفى صباحه نهض فيروزشاه فى مقدمة الجميع وركب فوق كميته وأراد الذهاب فجاءت اليه عين الحياة وقالت له انى أسألك أن تصحبنى معك فى هذه المرة ولا تتركنى هنا فما من صبر لى على فراق ولدى وزوجى وكفانى ما لاقيت فى كل الأيام الماضية السالفة من العذاب وصعوبة الفراق . فقال لها ان البلاد بعيدة وصعبة المعيشة حارة الهواء وأخاف أن تلاقى مصائب على غير انتظار

منا وليس لك من طاقة على احتمال المشاق والعذاب . فقالت له إن مشاق السفر وعذابه لا يقوم مقام الفرقة وصعوبتها على أنك تعرف أنى لاقيت فى مدة حياتى صعوبات كثيرة وقد اعتاد جسمى على احتمال أشدها وإنى مصرة الآن على الذهاب معكم ولم يكن من مانع يمنعنى إلا رضاك وسماحك لى بذلك . فقال إنى أسر بذلك وأريد بأن تكونى معى بحيث أبقى أمينا عليك تاركي فى هودجك وارفعى حوائجك على ظهور الجمال والبغال . ففرحت بذلك وأمرت أن يقدم لها الهودج فركبت وسارت بينهم وقصدت شمس زوجة الملك بهمن أن تقتدى بحماتها وسألت فيروزشاه أن يصحبها معه فقال لها إن ذلك مضر بك وبصالحك ولا يمكن أن أجيبك عليه لأنك لاتقدرين على احتمال مثل هذه المصاعب التى ستلاقيها لاسيما وأنك كنت معنا قبل الآن فى سفر طويل وتحتاجين إلى الراحة عدة أشهر وسنين فابقى فى المدينة عند أبى وإننا بعونه تعالى فى هذه المرة سنعود حالا ولا يكون غيابنا طويلا ولا بد إذا سرت معنا يغضب زوجك لذلك فضلا عن أنى لا أرضاه أنا أيضا فلما سمعت كلامه لم يمكنها المخالفة بل رجعت إلى قصرها .

وسار فيروزشاه وبهزاد وخورشيد شاه وجمشيد شاه وكرمان شاه وأردوان وشيرزاد وفرخوزاد وبقى بيلتا وباقى الفرسان عند الملك ضاراب فى المدينة وأخذوا معهم من أبطال الفرس وعمال البلاد نحو ستمائة ألف فارس من الفرسان المعتادين على الحرب والقتال وداموا فى مسيرهم أياما طويلة يقطعون الفيافى والقفار ويمرون على البلدان والعمران حتى وصلوا إلى أطراف بلاد الحبشة فجعلت القبائل تنفر من أمامهم وتفر قاصدة العاصمة وفيروزشاه يتلطف بحال العباد ولا يضر بأحد من سكان تلك البلاد بل كان يطمنهم على حياتهم ويدخلهم بعبادته تعالى ولا زال يتقدم إلى أن قرب من مدينة الضارى الأسود ولم يبق بينه وبينها إلا مدة ثلاثة أيام فقط . وهناك أمر رجاله أن تنزل فى تلك الساحة وتقيم مدة أيام للراحة من التعب حيث أنهم سيحاربون حال وصولهم إلى المدينة . ومن ثم نزل الجميع وضربوا خيامهم للراحة وضرب لعين الحياة صيوانها بقرب صيوان زوجها بابا لباب وأقيم عنده الحراس والعيارين . وكانت رجال الحبشة الذين يفرون من وجه الفرس يقصدون المدينة وقد أوصلوا الخبر إلى الضارى الأسود بقدوم الفرس إلى بلادهم فاستعد إلى ملتقاهم وجمع جيوشه ورجاله وكانت بلاد الحبش واسعة جداً وكثيرة السكان فجمع نحو تسعمائة ألف فارس وقال لقومه إنى أحب أن ألاقى الأعداء على بعد من هذه المدينة وأرجعهم بالخيبة قبل أن يصلوا إلينا وأبدد شملهم ومن وقع بأيدينا منهم انتقمنا منه وعندى أننا سنفوز عليهم وننال منهم مرادنا . وبعد ذلك ركب الضارى الأسود وركب معه رعد المجنون وباقى رجاله وفرسانه وتقدموا إلى جهة المكان المقيم فيه

الفرس ولما التقوا بهم وشاهدوا مكان نزولهم أمر الضارى بنزول عساكره فى ذلك المكان وأن تضرب خيامها وتكون على استعداد الحرب فى اليوم الثانى ففعلت وأقام القومان تجاه بعضهما البعض يتحارسان إلى الصباح وقد فرح فيروزشاه بقدوم الأحباش إلى تلك الجهة لأنها كانت واسعة جدا صالحة للقتال والحرب والنزال . وأمر كل رجاله أن تكون فى الغد على نية القتال لأنه يحب السرعة فى العمد والرجوع إلى بلاده .

وقبل صباح اليوم الثانى ضربت طبول الفرس منذرة بوقوع الحرب والقتال فأجابتها طبول الحبش فى الحال ولصوتها جعلت الفرسان تخرج من خيامها وتذهب إلى خيولها فتركبها وتصطف فى مواقفها كل واحد تحت إمرة آمره حتى إذا أشرقت الشمس كان الجميع على أتم استعداد للهجوم واقتحام وعند ذلك هجم فيروزشاه فى المقدمة وقد أشهر بيده الحسام وأشار به إلى قومه من اليمين والشمال أن يتبعوه وينحطوا على الأعداء فصاحوا مجيبين طلبه وانقضوا انقضاض البواشق على الأحباش فالتقوهم وعاملوهم بالمثل وفى تلك الساعة اختلط الحبشى بالفارسى وامتزج الابيض بالأسود وقام سوق الطراد واشتعلت نار الحرب بالاتقاد . وسطت الفرسان على الفرسان . والشجعان على الشجعان . وكان يوما عظيم الشان . سطا فيه فيروزشاه على قوم الضارى الأسود . وأنزل عليهم الهم والنكد . وأبلاهم بالذل والعذاب وسد فى وجوههم كل باب وفعل مثله بهزاد ليث الغاب . وأردوان وشيرزاد وباقى الأمراء والنواب . وأما الضارى الأسود فإنه أطلق لفيله العنان فدخل بين قبائل الفرس وهو يضارب ويطاعن ويبدد ويفرق والفرسان لا تثبت بين يديه ولا تقدر على حمل ضرابه ومثله فعل رعد المجنون وكانت على الدوام تقع الفرسان بين يدى رعد وتسقط عن خيولها لأنه كان يحمل عمدا ثقيل العيار وفى رأسه طاسة من النحاس السميك وقد علق بها عدة أجراس فاذا وقع عمده على طارقة خصمه سمع لها قرقعة وطنين قوى من جرى ضرب الأجراس فيجفل جواده ويقع من فوقه أو يفر إلى الوراء هاربا ولذلك كانت تجفل رجال الفرس وأكثرها يقع إلى الأرض وقد قتل منهم رعد المجنون مقتلة عظيمة . ودام الحرب على مثل ذلك إلى المساء وعند المساء رجع القومان عن ساحة الحرب والطعان ودخلوا الخيام .

وبعد أن رجع فيروزشاه من ساحة المجال دخل على عين الحياة فنزع عنه ثيابه واغتسل من جرى ما لحق به من الأدمية بقتال ذاك النهار وبعد أن استراح قليلا ذهب إلى الصيوان الكبير واجتمع حواليه الأمراء والوزراء والأعيان بقدر درجاتهم كل فى مركزه وحينئذ قال فيروزشاه إن رعد المجنون قد فعل أفعالا فى هذا النهار يصعب علينا أن نذكرها إنها وقعت بين قومنا قبل الآن ولذلك أريد أن أقتله فى الغد كى لا يصل أذاه إلى قومنا وبعد ذلك الضارى الأسود ومتى قتلا هان علينا الأمر وملكنا البلاد بوقته

قريب وانما أريد ان أبعث بعيارى بهروز الآن الى المدينة يكتشف لنا خبر ولدى بهمن وما هو عليه الآن وقبل قتل أحد الاثنين أريد أن يتخلص ويرجع الينا . فقال بهروز انى أعدك يا سيدى أن أذهب من هذه الليلة الى المدينة ولا أعود الا بسيدى بهمن وبعد أيام أكون هنا أى انى لا أقيم فى المدينة اكثر من ليلة واحدة ومن ثم اعود بالمطلوب ان شاء الله تعالى فمدحه فيروزشاه وشكر اهتمامه ومسعاه وبعد ذلك قام بهزاد وقال انى ياسيدى أرجوك السماح لى فى الغد بمبارزة رعد والضارى الأسود وأن أكون حامى الميدان فى مثل هذه الحرب . فقال له فيروزشاه اليك ماطلبت فافعل ما انت فاعل ومن ثم تفرق الجميع الى الخيام وسار كل الى محل منامه ينتظر الصباح .

فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الضارى الأسود وقومه فانهم فى المساء اجتمعوا الى بعضهم وتخابروا بأمر الحرب فقال لهم احد القواد ان رجالنا فى هذا اليوم قد لاقوا كثيرا وفقد منهم كثير ووقع الضعف والخوف فيهم من اعمال فيروزشاه وفرسانه واذا لم نقتل القواد فامن وسيلة للفوز عليهم فقال رعد المجنون انى مزمع على ان اقاتلهم فى الغد وحدى ومن برز الى جازيته بالقتل وسوف ترون بالغد ما يكون منى ومن الاعتداء فشكره الجميع على كلامه واملوا منه النجاح والفلاح وباتوا تلك الليلة ينتظرون الصباح.

قال وفى الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الصفان وترتب الفريقان واذ ذاك سقط بهزاد الى الميدان وصال وجال ولعب على ظهر الحصان حتى حير العقول واذهل الخواطر ومالت اليه من الفريقين النواظر ثم وقف فى الوسط وصاح هيا ايها الفرسان فابرزوا الى فانى حامى بلاد فارس وبهلوانها بهزاد بن فيلزور البهلوان فلما سمع رعد المجنون كلامه انحدر اليه وهو كأنه الأسد الكاسر وأخذ معه فى الطراد والطعان والضرب بالسيوف اليمان حتى حارت من قتالهما الفرسان وتعجبت من دخولهما وخروجهما الشجعان ودام الحال بينهما اكثر ذاك النهار الى ما بعد الظهر وحينئذ ترك رعد المجنون السيف وعمد الى العمد وسأل بهزاد ان يتضاربا بالعمدان فأجابه اليه واستعد كل منهما لضرب الآخر وفى الحال رفع رعد المجنون عمده وضرب به بهزاد ضربة قوية من ساعد متين وقعت على طارقته فسمع لها قرقعة قوية قد صمت لها الآذان وسمعت فى كل مكان واهتزت لها الأرض من أربع جهاتها لأن العمد كان ثقيلا والضارب متين العزم والطارقة محمولة من يد بهزاد مسندة بزنده ولذلك جفل جواد بهزاد واراد الهرب فلم يدعه ان يلوى رأسه ولذلك سقط من تحته الى الأرض ووقع بهزاد فى الحال الا انه لم يصب بأذى بل بقى واقفا جامدا على الأرض والطارقة بيده واراد رعد المجنون ان يضربه بعمده ضربة ثانية وهو على الأرض واذا بفيروزشاه قد صاح بصوت اعلا من صوت

الأجراس وانحط كالبرق الخاطف إلى أن قرب من رعد المجنون وكان سيامك قد صاح ، وانحذف من الجهة التي هو فيها وكذلك أردوان نادى بأعلى صوته وأسرع إلى خلاص عمه خوفا من أن تلحق به أذية أرياله أمر مضر وهو واقع بين يدى خصمه إلى الأرض ورأى الضارى الأسود هجوم فرسان إيران على فارس بلاده فأطلق لفيله العنان وحملت من وراء الأحباش ففعلت مثل ذلك رجال الفرس وحمل الفريقان على بعضهما البعض فارتجت لحملهما جنبات تلك الأرض واندفقت الأدمية من الصدور وجرت فى جداول الأرض كالنهور . وعملت السيوف فى الرقاب والنحور . وأظهر كل فارس جهده وأبدى ما عنده . وكان باقى ذاك اليوم عظيما وقتاله جسيما دام أسودا مقتما إلى أن أقبل الظلام واندفع النهار إلى الوراء راجعا من وجه الليل منتظرا العودة فى اليوم التالى . ولقدوم الليل افترق القومان ورجعا إلى المضارب والخيام وهنأ رابهزاد بسلامته من عدوه وقال فيروزشاه أن رعدا قد اتخذ هذه الطريقة لاجفال خيول أخصامه طمعا أن يتمكن منهم وينال مراده من الفوز عليهم ولهذا سأبرز اليه فى الغد وأريه كيف ملاعيب الرجال لأن جوادى هو أثبت من فيله لا يتزعزع من مكانه لو انطبقت الأرض على بعضها أو خرجت الصواعق من أفواه السحاب دفعة واحدة . فقال بهزاد إنى لا أتكدر على شىء ولا أتأسف لفقدان شىء إلا موت جوادى الذى قتل عندما لاقانى ان كركانى الساحرة بجيوشه وأنا منفرد وحدى فى البرية وهذا الذى على الدوام الكبير أبكيه وأتحرق عليه لأنه كان من خيول البحر ومن أعظم الخيول ثباتا وعلوا وموافقة فى مواقف الحرب وعند البراز . فقال فيروزشاه إن ذلك من أفعال العناية لأن جوادك لو بقى وخرج من نسله غيره يكثر جنسه فى الأرض وعلى التمادى يعم هذا النوع الذى لا يقبل الله أن يبقى فى البر .

وفى اليوم الذى بعده برز رعد إلى ساحة المجال عند اجتماع الجيوش فى مراكز الحرب ووقف كل أمير فى مركزه وقبل أن يفتل عنان فيله صدمه فيروزشاه صدمة جبار لا يصطلى له بنار وأخذ معه فى القتال والتوسع فى ساحة المجال وكثر بينهما القيل والقال واختلاف الضرب بالصارم الفصال . والتغلب بفنون الحرب على سائر الأحوال فكانا تارة يفترقان وطورا يجتمعان والفرسان تحدق بهما بالعيان وتنظر اليهما من كل مكان إلى أن تضايق رعد المجنون من خصمه وعرف أنه ليس من رجاله ولا يعد من أبطاله وأن لا ينجيه منه إلا عمده ذو الأجراس وعليه فقد تأخر إلى الوراء . وصاح بفيروزشاه تمهل أيها الملك العظيم والفارس الكريم فان الحرب إنصاف لا جور ولا إسراف وقد اصطلح رجال عصرنا أن يضرب الفارس خصمه ثلاث ضربات فاذا لم يأت بالمقصود عامله خصمه بنفس هذه المعاملة وبهذه الحالة يظهر الأشد حيلا وقوى

من الأكثر خداعا وتحيلا فقال له ويلك أتذكر ذلك أمام فيروزشاه وأنا أسرع الناس إلى الانصاف وإنى بانتظار طلبك فاضرب أنف ضربة وأضربك ضربة واحدة وهكذا أشهد على نفسى . قال إنى لا أريد إلا الانصاف ولا أضرب إلا ثلاثة بحسب قانون البراز ثم إن رعد المجنون تمطى فى ركابه ورفع العمد بيده وضرب به فيروزشاه بكل ما أعطاه الله من الحيل والقوة واشتداد الساعد وهو يظن أن تلك الضربة وحدها تأتى بالمقصود حيث يكون قد تمكن من وقوعها باحكام على الطارقة فسمع له صوت قوى جدا وهكذا صار فان صوتها كان شديدا جدا عظيما توهم كل من سمعه أن فيروزشاه وجواده يقعان الى الأرض غير أن الكمين كان أعظم خيول ذاك الزمان قد اعتاد على مثل هذه المواقف وهو مع كبر سنه شديد القوائم يحافظ على حياة راكبه كثيرا ولهذا لم يتأثر من عظم أصوات تلك الاجراس ولا جفل بل بقى ثابتا فى مكانه مع أن خيول أكثر الأبطال الذين كانوا وقوفا عن بعد قد جفلت وركضت الى جهة ثانية . ولما رأى رعد أن فيروزشاه باقيا فى مكانه وأن جواده لم يجفل ولا تأثر من تلك القرقعة مع أن فيله تحرك واضطرب وكاد يركض تخلصا عما سمع فغاب صوابه وعرف أنه مائت لا محالة وأن خصمه من أفراد ذاك الزمان الذين لم يسبق أن سمع بمثلهم فى غابر الأجيال . فوقف مبهوتا ساكتا لا يبدى حركة ولا يجيب بكلمة وعليه فقد صاح به فيروزشاه وقال له لما هذه المطاولة ألا تعلم ان الوقت قصير وانه ليس لنا فاعجل بضربتيك الباقيتين واستعد بعد ذلك لضرب سيفى ضربة واحدة لا غير .

فلما سمع رعد هذا الكلام زاد به الغيظ والاحتدام لكنه لم يسعه الا اتمام ضرباته ولذلك ضرب الثانية والثالثة وفيروزشاه واقف فى مكانه لا يتحرك ولا يتزعزع ولا يأخذه وهم ولا يتحرك جواده من مكانه وعندما فرغ رعد المجنون من دوره صاح فيه وقال له اثبت ان كنت تدعى الانصاف والق ضربتى ان كنت من فرسان هذا الزمان لأنى قد اعتدت ان لا اضرب الا واحدة فقط وهى تأتى بالمقصود . وبعد ذلك اشهر الحسام بيده حتى بان ابطه وضرب به رعدا فوقع على طارقته فقطعها وجاء على كتفه الأيمن خرج من تحت ابطه الأيسر ووقع قتيلا الى الأرض وحينئذ صاح الضارى الأسود وحمل بكل جيوش الاحباش فاجاب بهزاد صياحه وصاح حاملا برجال الفرس على الاعداء وكانت وقعة عظيمة بقيت عاقدة إلى المساء وعند المساء افترق الفريقان ورجع المتقاتلون عن الحرب والطعان وباتوا فى الخيام الى اليوم الثانى وفيه نهض الضارى الأسود وهو مغتاظ كل الغيظ من عظم ماجرى على قومه فى اليوم السابق ومتكدر من قتل فارس بلاده رعد الذى كان يعد من فرسان ذاك الزمان . وبعد ان اجتمعت الجيوش فى وسط الساحة على الترتيب المعتاد سقط الى الوسط وهو فوق فيل عظيم الهيكل شديد الحيل ضخم الجثة فصال

وجال ولعب بعمده حتى حير الأفكار ثم طلب مبارزة الفرسان فبرز اليه خورشيد شاه فتقاتلا وتصادما واختلف بينهما الضرب واشتد النزال إلى ما بعد نصف النهار و بعد ذلك ضربه الضارى بعمده ضربة تعتعه بها وألقاه إلى الارض غائبا عن صوابه فأسرع اليه رجال الحبشة وسحبوه أسيراً فى الحال وحمل فيروز شاه بقصد خلاصه وإرجاعه فحملت الاحباش للدفاع عنه وبقى القتال شديداً إلى المساء وعند المساء عاد فيروزشاه حزينا متكدرا على أسر ابن عمه وبات تلك الليلة إلى الصباح وعند الصباح ركب الابطال والفرسان وتقدمت إلى الامام وبرز الضارى الاسود فوق فيله كسابق عادته وقبل أن يفتل العنان برز اليه شيرزاد وأخذ معه فى الجولان والطراد وأظهر من فنون الحرب كل ما كان عنده وبعد قتال طويل من الصباح إلى نصف النهار أخذه أسيراً وسلمه إلى قومه وطلب برز غيره وعند ذلك برز اليه سيامك سياقبا وصدمه صدمة جبار عنيد وكان كما تقدم من الفرسان المشهورين فثبت أمامه إلى آخر النهار وقبل غياب الشمس أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا ورجعت الفرسان من ساحة الطعان وعاد كل واحد إلى خيامه وفرسان الفرس مكدرة لأسر أمرائها وقوادها وهى تنتظر أن يبرز بهزاد أو فيروز شاه فيقتل لهم الضارى الاسود ويعدمه الحياة وكانت الأحباش فرحة جدا بعمل سيدها وفى كل ظنهم أن ملكهم سينهى الحرب بوقت قريب ويأسر كل فرسان الأعداء واحدا بعد واحد .

وفى صباح اليوم الذى بعد ضربت طبول الحرب والكفاح وتقدمت الفرسان إلى الحد المعين كل واحد فى جهته وقبل إتمام الانتظام برز على ظهر جواده كأنه السرحان وطلب براز الضارى الاسود ملك الحبشة فبرز اليه فى الحال وقال له ويلك من أنت من الفرسان قال له أنا بهزاد فارس فرسان هذا الزمان وبهلوان تخت بلاد فارس وحاميها أنا الذى أتيت فى هذا اليوم لقتالك وحربك ونزالك لأعجل من هذه الدنيا ارتحالك . ثم انهما صاحا واطبقا والتحما وافترقا وأخذا فى الحرب والقتال والمراوغة فى ساحة المجال وكل منهما يجهد نفسه ويظهر براعته ويطلب الفوز على خصمه ودامت بينهما الحال إلى أن قرب الزوال ومالت الشمس إلى الغروب فخاف الضارى أن يفوت النهار ولاينال المقصود من خصمه وقد رآه بطلا عظيما وفارسا جسيما ولهذا سأله بأن يصبر لضربه بالعمد ثلاث ضربات ومن ثم يعود فيضربه هو أيضاً بما أراد فأجاب سؤاله وبعد ذلك أخذ العمد بيده وضربه ثلاث ضربات متوالية وبهزاد يلتقيها بقوة عزم واشتداد حيل وثبت أمامه دون أن تؤثر فيه أو تضعف عزمه . ثم أخذ بهزاد يستعد بدوره ليضرب خصمه فأشهر السيف بيده وامتطى ركابه فانقطع من تحت أرجله بقوة عزمه وكثرة شده ووقع على جنبه وأراد أن يلملم نفسه

وإذا برجال الاحباش الذين بركاب الضارى قدانقضوا عليه وأخذوه أسيرا وقادوه إلى رفاقه وهو بحالة يرثى لها من الغيظ والغضب وقد تمنى أن يكون قتل ولحق آباءه وأجداده من أن يكون قد أصيب بمثل هكذا مصيبة ونكبة .

وبعد ذلك رجع الفريقان عن ساحة الحرب والطعان إلى الخيام وباتوا تلك الليلة وفيروزشاه مغتاظ من هذه الأعمال كل الغيظ وحدثته نفسه أن يبرز فى الغد إلى الضارى الاسود ويعدمه الحياة إلا انه كان يرغب فى التطويل إلى حين مجيء بهروز بولده بهمن خوفا من أن يكسر الأعداء قبل خلاص ابنه فيرجعون إلى المدينة ويحاصرونها وانهم يبعدونه من هناك حيث انهم مقيمون على بعد من المدينة وصرف أكثر ليلته مرتبك الافكار مضطرب الفؤاد وفى الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح واصطفت الرجال فى تلك السهول من الطول إلى الطول وتقدمت كل فرقة وراءها قائدها وفى الحال برز الضارى الاسود وهو يعتز بنفسه ويظن أن لا أحد يقدر على الثبات أمامه وهو ينتظر براز فيروزشاه ليأخذ منه بثار رعد المجنون والملك الابشع وقبل أن يفتل عنان فيله أو يبدى حركة سقط اليه اردوان وهو كأنه فرخ من فروخ الجان فوق جواده معتد بعدته وآلة حربه وجلاده ولما صار أمام الضارى صدمه صدمة الليوث الضوارى . واتسع معه بالقتال ودار من حواليه دوران دولاب الأعمال عند اندفاعه بقوة الرجال هذا والضارى الاسود يتعجب من قتاله مع صغر سنه وعدم وجود نبات بعارضيه وكان يسخر به لذلك وبقى معه فى قتال شديد حتى عرف بعين الحقيقة ان قتاله ليس كقتال غيره من الابطال وأن خفته كخفة بهزاد لايثبت تحت ضربة ولايصيبه سيف ولا عمد وهو كأنه النجم ينخطف من ناحية إلى ثانية ولما رأى منه مارأى أراد ان يطلب منه الانصاف بضرب العمدان فلم يمكنه اردوان من الرجوع بل صاح فيه وانحط عليه انحطاط الصواعق وسبقه بضربة من سيفه وقعت على وسطه ألقته قتيلا إلى الارض قطعتين . وفى تلك الساعة حملت جيوش الفرس وفيروز شاه وهو مسرور من عمل اردوان ومن قتله الضارى الاسود ولم يكن إلا القليل حتى اختلطا القومان ببعضهما البعض واشتد القتال والصدام فى تلك الارض كأنه قد آن يوم العرض وما أمسى المساء إلا وتأخرت رجال الحبشة إلى الوراء أى تأخير وعولت على الهرب والانفلال فنعها وزير الضارى الاسود وقد دعا اليه بالقواد وقال لهم من الصواب ان نذهب إلى فيروزشاه ونطلب منه الأمان ونسأله العفو عن بلادنا وحريمنا وإلا إذا انهزمنا تبعونا وأهلكونا وعملوا بنا ما عملوه بغيرنا ونزعوا البلاد منا وحيث ما من صالح الفرس بالاقامة عندنا يرحلون فى الحال ويسيرون الى بلادهم ولايكون ثم ضرر علينا بقدر ما إذا خاصمناهم وعاندناهم فوافقوه على هذا الرأى واعتمدوا على انهم عند الصباح ينكسون سيوفهم ويتقدمون الى جيوش الفرس شاه ويظهرون علامة الرضا والخضوع ويطلبون التأمين على أموالهم وأرواحهم وعلى حريمهم وأولادهم .

قال فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من بهروز العيار فانه سار من بين جيوش الفرس فى تلك الليلة التى وعد بها سيده وأخذ معه طارق العيار وقد تزيا بزى رجال الحبش واصطبغ بصبغة من لونهم ولبس ملابسهم ودخل المدينة فى اليوم الثالث من مسيره لأنه جد فى الطريق ليعود حالا وكان يعلم جيدا من طارق العيار أن الملك بهمن موجودا فى قصر بنت الملك هدوب وكان أيضا بأمان من معرفة القصر حيث أن طارق عرفه منذ إتيانه فى الأول إلى تلك البلاد وبعد أن دخل المدينة وجاء إلى القصر طاف من حواليه وفكر مع رفيقه من أين يمكن دخوله وبقيا يتمعنان ذلك إلى أن كان المساء وقد سهل عليهما الأمر واعتمدا على الدخول من الباب الكبير بواسطة البنج لان القصر كان عاليا صعب الدخول لا يمكن الصعود على سطوحه ولا من جهة أخرى وكذلك نوافذه عالية وبعد المساء تقدم بهروز إلى الحراس القائمين على الباب وكانوا أربعة وسلم عليهم وتكلم بلغتهم فاستأنسوا به وسألوه عن حاله وحال رفيقه فقال لهم اننا كنا مع الجيوش فى قتال الفرس وقد عدنا بأمر سيدنا الضارى الاسود إلى المدينة لقضاء مصلحة وسنعود اليه فى الغد حالا وسألنا أن نأتى قصر بنته ونبلغها أنه منتصر على الاعداء فائز عليهم وانه بعد قليل من الايام يعود اليها ففرحوا وقالوا ان ذلك غايتنا ومرادنا واننا قائمون هنا ليلا ونهارا خوفا من ان يهرب الملك الفارسى الذى عندنا ولا ريب بعد كسرة الفرس يقتله ملكنا ونخلص من هذا المكان. فقال لهم بهروز مالى أراكم تحرسون فى الخارج والملك الفارسى فى الداخل. قالوا ان لا خوف عليه أن يدخل أحد إلا من هذا الباب ولا سيما أن سيدتنا هدوب تطلب ذلك وتريد أن لا ندخل إلى الداخل فلما سمع بهروز هذا الكلام اشتبه به وقال فى نفسه لابد من منع بنت ملكهم لهم من الدخول إلى القصر من سبب موجب تحب أن لا يطلع عليه أحد وبعد ذلك أخرج من جيبه زجاجة من الخمر وشرب نصفها ودفع نصفها إلى طارق فشربه دفعة واحدة فقال له الحراس من أين لك هذا الشراب وهل لك أن تسقنا منه قال انى أحمل منه كثيرا ولا أقدر على مفارقته لانى معتاد عليه ثم اخرج زجاجة وقال لا اقدر ان ادفع اليك غير هذه فاقسموها بينكم ففرحوا بها واخذوها وشرب كل واحد ربعها وكانت ممزوجة بالبنج وفى الحال سقطوا إلى الارض كالاموات ولما رأى بهروز ذلك فرح غاية الفرح ودخل القصر ومشى على الظلام فى كل دهاليزه إلى ان انتهى إلى دهليز طويل فاراد ان يسلك فيه وإذا به قد سمع حركة فانزوى إلى جانب مختفيا فى مكان مع رفيقه طارق لا يراهما احد فيه

وبعد أن مضى عليها مدة أشهر وجدت نفسها حامل فتكدرت من ذلك وغضبت من نفسها وتيقنت أنه لابد من ظهور أمرها ذات يوم واشهار حالتها إذ لا يمكن أن تختفي حيث من المثل الدارج الحبل والركوب على ظهر الجمل لا يختفيان وأخبرت بذلك الملك بهمن وعرضت عليه خوفا من جرى ذلك ومن أن يحكى بحقها الكلام القبيح . فتأثر من نفسه تأثيرا عظيما وتكدر كدرا لا مزيد عليه وقال لها بعد أن تبصر بهذا الأمر كثيرا اعلمي أن أباك ربما إذا عرف بمثل هذا الأمر لا ينتقم منك وان غضب من عملك كونك وحيدة له وأما أنا فلا ريب انه ينتقم مني ويجازيني بالقتل ومع كل ذلك لا أخافه ولا أخشي باسا ما زلت زوجتي وأنا زوجك واتكل بذلك على تدبيرات العناية ومن الصواب أن تتمارضي وتجعلي نفسك فى الفراش فلا يظهر حبلك ولابد قبل الولادة من مجيء قومي إلى هذه البلاد وحال مجيئهم يخلصونا ومن ثم لا نعود نخاف أحدا فاستصوبت كلامه ورأت فيه راحة موقتا ونجاة باخفاء نفسها عن أعين ناظريها . وبقيت على عملها مع الملك بهمن تأتي به فى الليل وترجعه إلى سجنه فى النهار حتى مضى عليها نحو سبعة أشهر وهي حامل وقامت أكثر من اربعة أشهر وفى كل يوم يأتي أبوها ويسألها عن حالها ومرضها فتقول له بخير وانها قريبا تشفى فكان مشغل الفكر لأجلها إلا انه لم يكن يهتم بأمر تمارضها كل الاهتمام لما يراه من اعتدال وجهها وعدم وجود خطر يخيفه من جهتها إلى أن كان ما كان من أمر مجيء الفرس إلى تلك البلاد وذهاب أبيها إلى خارج المدينة بالفرسان والأبطال وبسبب ذلك فرحت كثيرا وسرت سرورا لا مزيد عليه وأخذها الشفاء من هذا المرض الاسمي ونهضت من الفراش وهي تنظر إلى نفسها نظر المتعجب لكبر حملها وأخرجت زوجها وأعلمت بقدوم قومه وقالت له من الواجب الآن أن ندعو الله ونفرح فقد جاء قومك وخرج أبي فى هذا اليوم إلى ملتقاهم بسائر جيوشه وجنده فقال لها انى أعدك وعدا صادقا صحيحا انه لابد من أن يكسر أبوك أو يقتل ونمتلك بلاده ونؤخذ نحن إلى قومنا ونرتاح من هذه الحالة التي نحن فيها وقائمون عليها وأريد منك الآن أن تأمرى جاريتك أن تروق لنا المدام وتأتينا بالصفرة كاملة فقد صح لي ان أفرح وأسر ودعيها أيضا أن تهيء ما لك من الملابس والجواهر فلابد من إتيان العيارين إلى خلاصنا قبل نهاية هذه الحرب لنكون بين رجالي وقومي

ففى الحال أمرت هدوب قهرمانتها أن تنفذ أمر الملك بهمن وتأتيهما بالشراب والنقل ففعلت وجلسا على بواطى المدام والملك بهمن مسرور جدا لا تسعه الدنيا من عظم فرحه وهو أن أباه لا يتأخر قط عن فتح المدينة وعن إرسال بهروزاليه لينتشله من ذلك الحبس ومن تلك المخاوف التى كانت تحيق به على الدوام فى مدة قيامه مع زوجته الجديدة ولما دارت برأسه مفاعيل الخمرة ورأى من ضميره راحة واطمئنانا

وهناء تذكر زوجته شمس وبعده عنها وكيف أخذ معها زوجة ثانية وجعل يردد بفكره ماذا يا ترى تقول عنه أليس تنسب ذلك إلى ضعف بحبه وقلة أمانة بوداده إلا انه أخيرا وجد سلوى من نفسه حيث طرق ذهنه أن شمساذات عقل يندر وجوده بغيرها من ربات الخدور وبنات ذاك الزمان ولابد أنها متى عرفت انه أجبر لزواجه بها بسبب أسره عندها تعذره ولا تلومه عليه وتذكر أيام راحته مع شمس فكاد يبكي لولا وجود هدوب أمامه وخوفه من أن تلحظ عليه شيئا من ذلك فاخفى ما كان يتردده في ضميره وانعكف معها على الهناء وشرب العقار والتسلي بمناشدة الأشعار وقد أنشد

يأخذها وثنى قدها الألف ... من أطلع الشمس في غصن النقا الترف
ويا فتور بلحظيها وهدبهما ... من حير الظبي بعد الغنج والوطف
ويا أراكة عطفيها ولينهما ... من أوقف الغصن بين اللين والهيف
خود بدت فارتك الظبي في غيد ... والزهر في ترف والبدر في شرف
أعيذها وعيون الله تحرسها ... من محنة العجب أو من محنة الصلف
حكى ابن زهر محياها لنا فورا ... يروى سبيليها عن روضة الأنف
واقد الخد عن ماء الحياء روى ... حديث مقتبس من عند معترف
يريك درا على الياقوت مبسمها ... فيغتدى هازئا بالصبح في السدف
ومن يرى الدر في الياقوت منتظما ... لم يلتفت لنثير الدر في الصدف
شكوت سقمي لشاكي لحظها فسطا ... يا من رأى دنفا يسطو على دنف
وقد عجبت لمستشف بناظرها ... والسحر اودع فيه آية التلف
انى لها عن سقامي جئت معتذرا ... إذ لم أكن مت من وجدي ومن لهفي
وعاذل زادني تركيب عجمته ... لما صرفت عناني عنه الأسف
وجدته عادما عدلا ومعرفة ... قلت انصرف فغرامي غير منصرف
قال ارتجع قلت إلا عن محبتها ... قال استمع قلت إلا منك فانصرف
وإن ظننت بأن اللوم يعطفني ... عنها اليك تجدني غير منعطف
وان جهلت بما القاه من كلف ... فلا تسل غير أحشائي عن الكلف
يا عبرتي انهملي يا دمعتي اشتعلي ... يا سلوتي ارتحلي يا لوعتي اكتنفي
لي ظبية صاغها البارى وصورها ... من جوهر اللفظ أو من عنبر الترف
وفي حديث ثناياها وبارقها ... رى لمرتشف بره الملتهف
وللوشاح اعتناق من معاطفها ... أو ما رأيت اعتناق اللام للألف

ولما سمعت هدوب انشاده ترنحت منه وطربت ودنت منه وضمته اليها وقالت له لا عدمتك من حنون رقيق وفصيح بليغ وخليل ودود جمع الله فيك كل صفات

محبوبة حتى جعلت فتنة للعالمين وانى أعرف من نفسى أنها حصلت على سعادة لا يمكن أن يحصل عليها سواى الاشمس التى سبقتنى عليها واليها . فقال لها ان امرا واحدا أريده منك وهو أن تعلمى أنى أحبها واحبك فهى رقيقة الطباع جدا حلوة الخصال ولا ريب أنها تميل اليك جدا إذا عرفت بما فعلته معى من المعروف والجميل والأمر الوحيد الذى يهمنى أن تكونى إذا سمحت لنا الأيام بالراحة والاجتماع مع شمس على الحب والوفاق فقالت كيف أنسى ذلك وأنا أريده وأطلبه وسوف ترى بعينيك وتشاهد خدمتى لها وحبى الثابتة لأنى مؤكدة ان ذلك يرضيك ويريح بالك وأنت تعلم مسعاى بكل ما يسرك ويكفينى مالقيته منك من الانس والالتفات والمحبة وأنا أشرب واياك كاسات الخمور

وأضم منك معاطفا بردت حبور قلبى ببرد
وتميل إذ تهوى إلى نحوى وجيدك فوق زندى
وتقول عجبا إذ ترى مثلى وأهل الحسن جندى
والشمس والبدر المنير سناه جاريتى وعبدى
والغصن يقصف قده أن قاس قامته بقدى
ومنحتنى منك الوصال تبرعا وهجرت ضدى
فجعلت وجهك حضرتى وحديث راح لماك وردى
وعلمت لما بان روض الوجه ان الخد وردى
وشهدت لما ذقت طعم الريق أن الثغر شهدى
والفرق يشرق صبحه فى ليل فرع منه جعدى
فاطعت فيك صبابتى وعصيت لوامى وزهدى
وقضيت أوطارى وقد غفل الرقيب فنلت قصدى
والحصر انهمنى بانى بت فى اكناف نجد
أحبب بتلك لياليا قد أشرقت ببدور سعد

ولا كلام الا بعد الامتحان وانى أمينة على حبك ولا أدع شمسا أشد منى ميلا ولا أكرم طباعا . وبقى عندها باقى تلك الليلة وفى الصباح انزلته وقالت له وان كان ما من محذور باتيان ابى الينا الآن الا انى اعرف انه لا بد من ان يجىء بعض النساء اوغيرهن من عائلتى او نساء المملكة ولا سيما بعد علمهن بانى مريضة وما من باس عليك الآن فبقاؤك ان شاء الله لا يكون الا لأيام قليلة . فقال لها انى مؤكد ان بهروز او غيره من العيان يزوروننى فى هذه الليلة او التى بعدها وترينى على الدوام بالانتظار حيث ذلك من عوائدهم ولا يصعب عليهم امر قط من الامور الصعبة ثم انه عاد فى الصباح وبعد المساء نزلت اليه القهرمانة فأخرجته وفى الصباح الثانى

أوجهته ودام ذلك إلى أن كانت الليلة التى جاء بها بهروز ودخل القصر مع رفيقه وسمع الحركة

وكانت تلك الحركة صادرة عن مجىء القهرمانة لاخذ الملك بهمن وبيدها مصباح فرآها بهروز وطارق دون أن تراهما لأنهما اختفيا فى ناحية من الدهليز لا تمر من صوبهما ولكونها أيضا بأمان من وجود أحد غيرها فى تلك الجهة . ثم انها وصلت إلى باب السجن ففتحته ودخلت ثم خرجت ومن خلفها الملك بهمن فسارت أمامه بالمصباح وقد رآه بهروز وتأكده حق التأكيد وعرفه حق المعرفة ففرح جداوسر مزيد السرور وشكر الله على سلامته وزاد فرحه عندما سمعها تقول له ان مولاتى هى الآن بانتظارك لتخبرك بخبر من جهة قتل رعد المجنون وتأكد عند بهروز أن الملك بهمن عالق بحب بنت الملك وانه قائم بالراحة والاطمئنان معها و بعد أن بعدا عنه سار ومعه طارق العيار وفى أثرهما بوطىء أقدام خفيفة جداوصعدا السلم وراءهما وبدقائق قليلة صارا فى وسط الدار وشاهدا الغرفة التى دخل منها الملك بهمن مضيئة بالمصابيح الكثيرة الأنوار وتخرج منها الروائح العطرية فتملىء القصر فصبر بهروز إلى جانب الحائط بزاوية مظلمة منتظرا خروج القهرمانة من تلك الغرفة لعلمه أنها لا يمكن أن تبقى هناك كثيرا بل من الواجب أن تخلى لهما المكان ولا تكون كرقيبة عليهما . وهكذا كان فانها بعد دقائق قليلة خرجت من تلك الغرفة ودخلت فى غرفة ثانية وأقفلت من خلفها . وحينئذ تقدم بهروز رويدا رويدا إلى جهة الباب وأصغى إلى ما يكون من أمرهما فسمع هدوب تبشر الملك بهمن بانتصار الفرس وقتل والده لرعد المجنون وقالت له ان الأمر قد هان وقد شاع هذا الخبر فى المدينة أن رجال أبى بتأخير ولولا أبى لتفرقوا وانى وان كنت لا أكره مكدرا لأبى لكنى لا أقدر أن أبقى فى هذه البلاد وأحب إلى أن أموت من أن يظهر أمرى وتعرف الناس عاشقة لك بانى وعلقت منك بالخفاء . وأنت عندى أسير فيا من عار أشد على من هذا . قال لابد لأبيك من أن يقتل من سيف أبى ولا بد لأبى من امتلاك هذه البلاد وأخذها فنذهب اليهم ونقيما بين معسكرنا وأكون أنا إذذاك الملك والحاكم وتكونين عندى ولا أحد يعرف بأمرك على انى من حين وصول عساكرنا إلى هذه البلاد حتى الليلة وأنا بانتظار بهروز العيار عيار أبى فهو آفة من آفات هذا الزمان ولابد له قبل نهاية هذه الحرب أن يأتى لخلاصى وأخذى إلى ملكى . وكان هذا الكلام يدور بينهما وبهروز وطارق يسمعان وقد اكتشفا على سر المسألة وعرفا أن الملك تزوج بهدوب وأراد بهروز السرعة فى العمل والرجوع على عجل فقال لطارق اطرق الباب خفيفا لندخل ونسير من هذه الساعة فما من إفادة بالبقاء والتطويل . فتقدم طارق من الباب وطرقه قليلا وقال بصوته المعروف ان بهروز وصل ياسيدى فاستعد للسير الآن

ولما سمع الملك بهمن صوت عياره طارق عرفه حق المعرفة وتأكده وكاد يطير فرحا عند سماعه كلامه وهو يقول له قد جاءك بهروز ياسيدى وفى الحال نهض إلى جهة الباب مسرعا وفتحه فوجدهما واقفان هناك وعند ذلك تقدما منه وقبلا يديه وهناءاه بالسلامة وقال له بهروز اعلم ياسيدى أن الوقت حرج ومامن سبيل إلى التأخير وانا نحب العودة قبل قتل الضارى الاسود وتشتيت رجاله أو بالحرى تأخيره واتيانه إلى هذه المدينة كى لا يكون لنا مانع أو عائق يمنعنا ويعيقنا فأمرهما أن يدخلا إلى الداخل فدخلا وسلما على الملكة هدوب وقالا لها انتا سمعنا وعرفنا مادار بينك وبين سيدنا من الكلام وحيث ثبت لدينا أنك أصبحت ملكة من ملكات الفرس صار من الواجب علينا خدمتك والسعى فى راحتك فهلى بنا لنذهب إلى جيوشنا وكذلك أمرها الملك بهمن أن تستعد للسير فنهضت وهى فرحة جدا مسرورة لاتعرف ماذا تجيب وماذا تفعل ودعت قهرمانتها وأمرتها أن تدفع بملابسها الضروزية وبجوهراتها إلى العيارين وبعد أن هدأ بالها من جرى الفرح قالت لبهروز كيف يمكننا السير والخروج من القصر وعند أبوابه الحراس أوكيف أمكن دخولكم وهم يحرسون فأعاد عليهم أمر الحراس وكل ماكان من أمرهما وكيف دخلا القصر ففرحت بهذا التوفيق العجيب وقال بهروز لسيده من الصواب أن تلبس ملابس الاحباش وكذلك السيدة هدوب كى لا يراكما أحد فيعرفكما قبل وصولنا إلى معسكر الفرس لأن الطريق من هنا إلى محل القتال هى باقية بيد الحبشة .

فأجاب سؤاله وطلب منه أن يأتيه بثوبين من ثياب رجال الحبش فانخطف إلى المكان الموجود فيه الحارسون فرآهم لايزالون على الارض فاستل الخنجر وقتلهم بعد أن أدخلهم إلى الداخل ونزع ثوبين من ثيابهم ودفعهما إلى سيده فلبس هو واحد ولبست الآخر هدوب وأخذت معها كل ماتحتاج اليه من الثقيل الثمن وطلبت أيضا من بهروز أن يأتيها أيضا بثوب لقهرمانتها ففعل ومن ثم خرج الجميع من ذاك القصر وأقفلوا من خلفهم وساروا مسرعين على الامان والاطمئنان وخرجوا من باب المدينة وداموا السير بسرعة طول تلك الليلة وعند الصباح جلسوا وأكلوا وشربوا وهم بامان من طوارق الزمان حيث كل من رآهم لايظن إلا انهم أحباش وبعد أن ارتاحوا بما يمكنهم من السير عاودوه وهم يمشون على أرجلهم وكانت هدوب متينة البنية قوية الأعصاب فلم يتعبها السير على أرجلها وكان أملها بالخلاص والنجاة ورجاؤها بالسعادة والاقبال يمكناها من ملاقاة الصعوبات والمخاطر والاتعاب بقبول ورغبة وطلب وهى لاتصدق أن تتخلص من تلك الارض وتدخل بين جيوش الفرس وتحسب نفسها ملكة حرة وزوجة شرعية للملك بهمن ويعرف الكبير والصغير ذلك فلا تعود تلام على حبلها وولادتها بينهم .

قال وفى مساء اليوم الثالث من حين خروجهم من المدينة دخلوا بين جيوش الفرس بعد نصف الليل بساعتين أى فى نفس اليوم الذى قتل الضارى الاسود وعند دخولهم أراد بهزاد أن يسير بهم إلى صيوان فيروز شاه أولا فلم يقبل الملك بهمن بل قال له احضرلى أولا صيوانا مخصوصا لأنزع فيه ثيابى وأغتسل وأضع به زوجتى ومن ثم أعود الى أبى وليس من الصواب أن أتقدم الى أبى بهذه الحالة أو أطلعه بمثل ذلك على زوجتى فأخذه بهروز الى صيوانه المخصوص وتركه مع زوجته فيه وأحضر صيوانا كبيرا فنصبه قرب الصيوان الكبير أى صيوان الملك المعتاد الذى يجتمع به مجلسه وفرشه بالفرش اللائق به وأخبر بذلك الملك بهمن فجاء مع زوجته اليه ووضعها فيه ووضع على الصيوان عياره طارق وأوصاه بالمحافظة ومن ثم سار مع بهروز الى أبيه ولما وصلوا الى بابه دخل عليه بهروز وأيقظه من النوم وقال له بشراك يا سيدى بخلاص ولدك فقد جئت به الآن وكانت عين الحياة نائمة فاستيقظت أيضا عند كلام بهروز وعند سماعها بذكر ولدها .

وفى الحال دخل الملك بهمن ورمى بنفسه أولا على والدته لأنه كان بشوق زائد اليها فضمته الى صدرها وهى تتنشق روائحه وتذرف دموع الافراح والمسرة وصرفت أكثر من نصف ساعة على مثل ذلك والملك بهمن غائب عن الصواب وهو لا يظن أنه يرى والدته هناك ولم يخبره بهروز بذلك ولا أعلمه باتيانها معهم ثم عاد الى أبيه فقبل يديه وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة والخلاص من بين الأعداء وطلب اليه ان يطلعه على ما كان من أمره فأخبره بقصته من البداية الى النهاية وكيف كان خلاصه من يد بنت الضارى الاسود وانه تزوج بها حلالا ففرحت به أمه وقالت اريد ان أراها فاين هى الآن لأنها فعلت معنا جميلا لا يمكن ان ننساه ويحق لك ان تتخذها زوجة بعد شمس . فقال لها هى الآن صيوان قريب من هنا . ثم امر بهروز ان يحضرها الى أمام أمه ففعل ولما وقفت أمام فيروز شاه وعين الحياة اطرقت الى الارض حياء بعد ان سلمت عليهما فقامت اليها عين الحياة وقبلتها وقالت لها لا يجب ان تستحى فانت منذ الآن واحدة منا وقد اصبحت ملكة بفارس مع انك بنت ملك كبير من اكبر الملوك بلاداً وجيشا وان كان ابنى لم يزف عليك زفافا شرعيا فهو لم يتخذك إلا زوجة منذ البداية وسوف يكون لك وله عند رجوعنا الى إيران يوم فرح مخصوص لأنى لم افرح بولدى ولا حضرت زفافه على شمس وكان بعهدى ان احتفل له بزفاف يكون ابهى من زفاف ابيه غير ان الايام لم تسمح لنا قط ولا ارتحنا من الحروب دقيقة واحدة . وعليه فما من سبيل للحياء الآن محبتك عندنا لا تقدر ولا سيما فانت مخلصة ولدى ولولا مساعدتك إياه وانضمامك اليه وانعطافك عليه لكان قتله ابوك او كان لاقى اتعابا وعذابا عوض الراحة والهناء ثم استأذن الملك بهمن

إياه بالذهاب إلى صيوانه لينام باقى تلك الليلة حيث كان من التعب على جانب عظيم .
فأذن له إنما أوصاه أن لايقرب من هدوب وقال له لما كنت فى يدها وأسيرها كان
لها الحق أن تتصرف بك وأما الآن وأنت حر وهى بيدك فلا يسمح لك ما لم تزف
عليها الزفاف الشرعى من طيطلوس بشهادة شهود وهكذا سبحانه وتعالى فانه قد أمر
بشريعته المطهرة . فوعدها بذلك وسار إلى صيوانه فنام إلى الصباح . وعند الصباح
نهض من فراشه وجلس حيث سمع طبول الحرب تضرب لأجل القتال

وكان ذلك من فيروز شاه لانه كان فى الليلة التى قبلها فرح جدا بعمل اردوان
وشكره على قتل الضارى الأسود وكذلك أبوه فرخزاد فانه أثنى عليه وعلى شجاعته
وصرفوا تلك السهرة على نية أن يفاجئوا الباقين فى الصباح فيبددوهم ويبعدونهم عن
تلك الديار ومن ثم يسيرون إلى المدينة وعلى ذلك بكر القوم إلى القتال فالتزم الملك
بهمن أن يخرج من صيوانه حالا على مرأى من الجمع ويركب جواده ولما رأى
الناس أن الملك بينهم فرحوا جدا وسار يهنئون بعضهم وشاع الخبر بين الخاص
والعام وكانت الفرسان تقدم اليه وتسلم عليها وتهنئها بسلامة وقبل أن يتم انتظامهم
ويسكن شاغل فرحهم رأوا الوزير واصد وزير الضارى الأسود آتيا ومن خلفه أكثر
من عشرين رجل من أمراء الحبشة فعرف فيروز شاه من هيئتهم أن مرادهم التأمين
وحينئذ أمر أن يدخل إلى الصيوان الكبير كل فارس وبطل من أمراء الفرس ويجلس
الجميع فى مراكزهم وجلس الملك بهمن على كرسيه والجميع من حواليه وإذا بالوزير
وقومه قد دخلوا عليه فترحب بهم والتقاهم أحسن ملتقى وكان خورشيد شاه وباقى
الأسارى معهم قد جاءوا بهم للتوسط

فلما دخل الوزير ورأى الملك بهمن تعجب غاية العجب ووقف مبهوتا نحو دقيقة ثم تقدم
وقبل يدى فيروزشاه وطيطلوس الحكيم وسلم بعد ذلك على الفرسان وفعل مثل ذلك جماعته
ثم طرحوا سيوفهم أمام فيروزشاه وطلبوا منه التأمين على أموالهم وعيالهم وأرواحهم .
فقال الوزير انى اعرف ما أنت عليه من كرامة الأخلاق وحسن الآراء والتدبير وقد
وصل إلى من كرم أخلاقك ما أشرت به على الضارى الأسود من تأخير أجل ولدى أو اطلاقه
فلم يقبل وقد لاقى شر عمله واكرامالك فانى لا أضر أحدا من هذه المدينة ولا أريد منها
شيئا وأقيمك عليها ملكا هذا إذا كنت أنت وقومك تأمنون بالله وتدينون بدينه قالوا
إننا نؤمن به وبوحدانيته ولسنا من الكفرة وعبدة الأوثان . فقال الملك بهمن حيث
الأمر على هذا المنوال فانى باذن أبى أقيمك ملكا على كل بلاد الحبشة تحت حماية
المملكة الفارسية ويكون لك النفوذ على قومك ومن عصاك لايكون جزاؤه إلا الموت
والهلاك . ثم التفت الى قومه الآتين معه وقال لهم وأنتم هل تقبلون بأن يكون الوزير
واصدا ملكا عليكم وتكونوا انتم من اعوانه وأنصاره . فقالوا هذا الذى نطلبه ونراه

حنوافقا وغيره لانريد ملكا . ثم إنه قال لهم وأيضا اخبركم أن أحد عيارى بلادى ذهب إلى المدينة وخلصنى من سجنكم وقد جئت بنت ملككم هدوب لتكون عندى وزوجة لى وبهذا يتصل نسبى وحسبى بحسبكم فاظهروا من ذلك سرورهم وفرحهم عندهم اياما . فأبى فيروز شاه وقال انى لا ارغب ان اتعدى هذه الارض وانى احب الرجوع حالا إلى بلادى كى أعيش مرتاحا بها بقية عمرى إذ انى الآن لا أرى من مكدرا يكدرنى وما من ارض باقية تعصانا وتخرج عن طاعتنا واشكر الله على ذلك وعلى منته وانعامه فهو السميع المجيب وعليه فانى أبقى فى هذه الارض مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك اعود إلى بلادى ومن ثم ودعوه ووعدوه بكل طاعة واطمئنان وشكروا منه وعا اظهره من العناية لنحوهم وساروا إلى معسكرهم واخذوه ورحلوا من هناك إلى بلادهم بعد ان ارسلوا إلى معسكر الفرس كل ما كان عندهم من المون والذخائر والاسلحة والخيول وبعثوا إلى فيروزشاه بكثير من هدايا بلادهم وعند وصولهم إلى المدينة نادوا باسم الوزير راصد ورفعوه ملكا عليهم وجلس على كرسى الضارى الاسود وعين الحجاب والنواب والوزراء ورتب المدينة على احسن ترتيب وبعث بالاوامر والرسل إلى سائر البلاد يخبرهم بما كان منهم ومن الفرس وكيف انهم لم يضروا البلاد وقد اقاموا ملكا عليهم ويأمرهم ان يرفعوا عوضا عن الاعلام الحبشـــية الاعلام الفارسية لتكون البلاد تحت سلطة الفرس وحمايتهم كما وعدوا به

فهذا ما كان من امر الحبشة وحروبهم وما جرى عليهم وأما فيروزشاه فانه فى اليوم الرابع من ذهاب الوزير عن تلك الارض ورحيل جيوش الحبشـــة دعا اليه طيطلوس واطلعه على امر الملك بهمن واستشاره بذلك فقال له انه ما زال يقبل ان أن يتخذها زوجة له فهو فى حل لانه لما أراد زواجه بها لم يكن قادرا أن يستشهد عليه لبعد الشهود عنه ولا قادرا أن يقوم بشروط الزفاف ولكنه أشهد الله عليه فلا يلزم أن يخونه وصار من اللازم أن يمتنع عنها إلى حين زفافه بها قال أريد أن يكون الزفاف بهذا اليوم لانها حامل منه فاذا ذهبنا إلى بلادنا يعرف الجميع أنها تزوجته فتلد له . قال ان كل ذلك بأمر منه تعالى ولا بد أن يأتى من هدوب هذه ولد سعيد وبطل صنديد ويجرى عليه من الامور مالم يجر عليك ولا على غيرك من الذين سبقوا ويدخل بلاد الافرنج أى البلاد التى لم ندخلها نحن ولا رآها أحد من سكان الفرس والعرب وغيرهم ويكون قوم كثير تحت طاعته ويكون محبا لاخيه الذى يلد من شمس ويحكم على بلاد فارس . ففرح فيروزشاه بذلك غاية الفرح وأمر أن يذهب بزرجمهر وباقى الأمراء إلى صيوان عين الحياة فذهب الجميع إلى ذاك الصيوان واحضروا هدوب وزفوها على الملك بهمن وهنأها الجميع بذلك وهنأ ونملكهم

بفرحت بذلك غاية الفرح وتم لها ما كانت تطلبه وترجوه من الملك بهمن وبعد أن انتهى الزفاف أمر فيروز شاه أن تستعد العساكر للرحيل في صباح اليوم القادم فأجابوا سؤاله وهيء كل واحد نفسه واستعد للسفر حتى إذا كان اليوم التالي ركب فيروز شاه فوق كمينه ورفع زوجته عين الحياة إلى هودجها وركبت أيضا هدوب فوق بازل ومشت بالقرب من عين الحياة وبين يديها الحراس من الفرسان والأبطال والخدم تسعى ومن ثم ركب جميع من في ذلك المكان من الفرس اتباع فيروزشاه وساروا إلى جهة بلادهم مدة شهر ثلاثين يوما حتى انتهوا إلى أرض واسعة طيبة الهواء والمناخ فأقاموا بها مدة وهناك دعا فيروز شاه اليه بهزاد وقال له أريد منك أن تذهب من هنا مع مهريار الوزير إلى كشمير العجم وتقيمه ملكا هناك وتكبح كل معاند ومخاصم ومن لا يقبل بذلك وخذ معك سيامك سياقبا ومن اخترت من الفرسان وبعد أن تنتهي من ذلك تعود إلى إيران واني أطلب منه تعالى أن تكون إقامتنا بايران إقامة راحة وهناء ولا يحصل لنا ما يكدرنا بعد الآن فنصرف باقي عمرنا على العيشة الرضية بين الأهل والخلان فاجاب بهزاد طلبه واختار له خمسين الف فارس ومعهم سيامك سياقبا وجمشيد شاه .

وبعد أن أقاموا مدة ثلاثة أيام في تلك الارض ركب فيروزشاه وركب جميع من معه وركب بهزاد برجاله الذين اختارهم وترك الباقين مع جيوش الفرس وودع قومه وسار من هناك على طريق كشمير وهي بلاد الملك كندهار الذي قتل في حرب الأبشع ولا زال سائرا ومعه مهريار الوزير إلى أن وصلوا إلى تلك البلاد وشاعت أخبارهم بين الخاص والعام فخرجت سكان المدينة برمتها على الطاعة والتسليم وكانوا لا يزالون بلا ملك يحكمهم الوكيل الذي أقامه كندهار قبل سفره ولما وصلوا إلى بهزاد وسلموا عليه وعلى الذين معه وترحبوا بهم جميعا وأظهروا طاعتهم وقالوا له انا لم نكن المخطئين بحق مولانا الملك ضاراب ولم يكن ماجرى بارادتنا بل كل ذلك من الملك كندهار وولده الشاه روز طمعا بعين الحياة ونحن نعرف ونؤكد أن ذلك سيعود عليه بالوبال إلى أن هلك ومات والحمد لله على ذلك فوعدهم بكل جميل وقال لهم اني ما أتيت إلا لانظر في أمركم فمن كان طائعا خاضعا لأوامر الملك بهمن ملك ملوك الفرس وسيدهم تركناه على حالته وكافئناه على طاعته بالشكر والالتفات ومن كان عاصيا أنزلت عليه صواعق الغضب وبعثت به إلى دار الهلاك وقد أرسل معي الملك وزيرا حكيما عاقلا خبيرا باحوال هذا العالم وتدبيراته وهو الوزير مهريار وزير الملك جهان صاحب بلاد الصين قد استصحبناه معنا ليكون في بلادنا وعندنا مكافأة على عمله مع فيروزشاه وملوك الفرس من المعروف والجميل فاجاب الجميع قوله وقالوا له اننا نتمنى هكذا رجل كامل الصفات حسن المزايا كريم الأخلاق وما ذلك إلا رحمة لنا ولو لم يكن كذلك لما اخترناه ملكنا .

ومن ثم رجعوا عائدين إلى المدينة مسرورين بملكهم الجديد يدعون له وللملك بهمين بالنصر وطول العمر ودخلوا المدينة واجتازوا أسواقها وفى المقدمة بهزاد وإلى جانبه سيامك سياقبا وباقى القواد يحيطون الملك مهريار وكانت الناس تزدحم على الطرقات لترى بهزاد الذى انتشر خبر صفاته فى كل البلاد ولم يبق أحد من مشرق الدنيا إلى مغربها إلا وسمع بوحدانية بسالته وثباته وإقدامه وأعماله النجيبة وهو يحيي الجمع عن الطرقات وفوق السطوح وفى النوافذ من رجال ونساء إلى أن كاد يصل إلى قصر الأحكام فنظر إلى قصر عن يمينه مرتفع يدل على عظم مكانة صاحبه لحسن إتقانه فنظر بهزاد إلى أعلاه يتأمله وإذا به وقعت عينه على إحدى نوافذه المشرفة على ذاك الطريق فرأى فيه فتاة فى سن العشرين سنة واقفة تحدق به وعليها ثوب من الديباج أحمر اللون يرهج بلمعانه كأنه أيام العيد وهى بخد أبيض ناعم ووجه مستدير مقطوع ببيكار العناية الالهية ولم تكن لا رقيقة الجسم ولا ضخمته ممتدة الطول قد جمع الله بها كل حسن فلا يمكن أن يكون خلق أجمل منها من أبناء عصرها وسنها وقد نظرت اليه بماتر طرف أحور وأبدت تبسما ليلا وعند وقوع نظرها عليه كانت تعجب من حسنه وما أعطاه الله من الهيبة والوقار ولم يكن إلا القليل حتى غاب عن تلك القصر وتمو يشخص بذهنه تلك الصبية ولم يكن يعرف من هى ولا قدر أن يدرك سر العناية فى الحال بأنها لا ترغب أن تبقيه على حاله بلا زواج ولا نسل وأن النصيب يجىء على الدوام فجأة ولذلك كانت تشتد به دواعى الميل كلما بعد عن ذاك القصر وكلما أراد أن يغيب عن ذهنه شخصها وما رآه من بديع جمالها يرسخ وينمو بسائر صفاته وأحواله حتى كان كيفما نظر وكيفما مال بأعينه يرى تلك الصبية واقفة تنظر اليه تلك النظرة وتتأمل فيه باسمة عن ذاك الثغر المفتر عن شنب وبدقائق قليلة دخل قصر الاحكام وحال وصوله إلى الديوان اجلس مهريار على الكرسى العالى وهو فى صدر القاعة وأمر أن يؤتى اليه بتاج كندهار وصولجانه ووشاحه الملكى فأتى بها جميعها فألبسها للوزير مهريار وأمر بان ينادى بالمدينة بتتويجه وقيامه ملكا على تلك البلاد وأمر أيضا أن يكتب إلى كل ملحقات كشمير وبلادها ليعلموا بأن الملك عليهم مهريار فسارت الرسل بالكتب معلنة ذلك فى كل النواحى. ومن ثم استدعى بأحد أمراء البلاد وسأله هل من ولد باق فى المدينة للملك كندهار فقال له ما من ولد ذكر له قط ولكن له بنت واحدة فقط تسكن فى قصر مخصوص بها على الطريق التى مررنا بها ونحن آتون إلى هذا القصر وهو لم يرزق من الله إلا هذان الولدان وهما الشاه روز وأخته هذه واسمها روزه وهى لا تزال بكرا وعليه فما من أحد يطمع بالملك من نسل كندهار. فلما سمع بهزاد هذا الكلام ثبت عنده أن الصبية التى رآها فى الطريق هى روزه بنت كندهار لأن ذاك القصر هو قصر ملكى.

انتهى الجزء الأربعون ويليه الجزء الحادى والأربعون

الجزء الحادى والأربعون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

قد تزين واكتسب بهاء وجلالا من سنائها وبهائها غير أنه أظهر الجلد وأخفى ما كان يدعوه اليه ضميره ويحركه اليه قلبه وصرف باقى النهار فى قصر الحكومة والناس ترد للسلام عليه ولتهنئة الملك مهريار بملكه الجديد وعند المساء دعاهم الوزير فى خدمة الدولة لمناولة الطعام فساروا اليه وكان قد أعد لهم وليمة فاخرة وقام بكل أسباب الحظ والهناء

قال وكانت تلك الصبية هى روزا التى أشار اليها الأمير لبهزاد نفسها وكانت حزينة على أبيها جدا ولم يكن من يسليها على حزنها بل كانت من بعد مسير أبيها قائمة فى قصرها لوحدها وعندها بنت عم لها تقابلها احسانا واعتدالا كانت قد اختارتها لتقيم عندها وعندما شاع خبر موت أبيها تكدرت كثيرا وعرفت ان ذلك مما يعود عليها بالذل والانكسار . وبقيت فى قصرها على مثل ذلك الحزن لا تخرج منه ولا تريد أن يدخل أحد اليها وعندها بنت عمها فقط واسمها نفوز وقهرمانتها وخادمتان لخدمتها وصرفت على ذلك نحو شهر ومع ما هى عليه من الحزن على أبيها والكدر من انفرادها بعيشتها وانقطاعها عن الناس كان جمالها لا يزال ثابتا ولا ينقص منه شىء لأنه لم يكن تصنيعيا بل كان طبيعيا وكان سنها يحافظ عليها ويداريها فلا يفقد منه شىء وبقيت على ما تقدم إلى أن بلغها خبر مجىء الفرس وبهزاد لقيام ملك على بلاد أبيها مكانه فتكدرت من ذلك . وقالت بنت عمها إن الدهر لم يساعدنا قط وهو يظهر أنه يريد عنادنا فلو كان أبى ممن يعقل ولم يطع أخى لكانت البلاد بقيت بيدنا ولا عدمنا الوريث الكرسى الملكى واما الآن فانى أرى ان أيام دولتنا قد انقرضت وانتهى عزنا ولا لابد أن نلاقى ذلا واهانة باقى عيشتنا فى هذه الحياة بعد أن كنا اصحاب البلاد وحكامها وملوكها نلتزم ان نعيش عيشة الفرام ولا نعرف ماذا ينتهى إليه حالنا ولا فى نصيب من نكون ولا ريب اننا نبقى متروكين من الناس . فقالت لها نفوز ولا تقطعى الرجاء من النجاح وان كان أبوك قد مات فموته كان بتعد منه لا حق به على الفرس ولا على فيروزشاه بل قصد ان يأخذ زوجته لأخيك لجازاها على ذلك وعندى أنه عند إتيان الفرس مع بهزاد الايرانى نذهب اليه ونعرض عليه حالنا ونطلب منه ان يصحبنا معه إلى بلاده ويقدمنا إلى فيروز شاه لنخبره بأمرنا ونشكو

اليه صعوبة دهرنا وانقطاعنا عن الناس وانقطاع الناس عنا وفقدان النصير والمساعي ولا ريب أنه متى رأى منا ذلك يلتفت الينا ولا يتركنا لأنه من أعدل الناس حكماً وأرقهم قلباً ومع ماهو عليه من القساوة فى القتال أثناء الحرب هو بعكس ذلك عند الرحمة والشفقة فاستحسنت روزا كلامها ورأيها وقالت لها لقد أصبت بما أشرت فان قيامنا بهذه البلاد ذل لنا وإذا اتكلنا على فيروزشاه وأخبرناه بحالنا وسألناه المساعدة مال الينا ودبر لنا حالة موافقة لنا وانى وان كنت حزينة على أبى وأخى بفاعيل الطبيعة إنما أعرف حق المعرفة أن قتلهما منه كان بحق ماعملاه كان على غير رضى منى وكنت أكره مثل ذلك منهما ونصحت أبى تكراراً فلم يقتنع بل كان كل قصده انفاذ غايات أخى .

وأخذت روزا ونفوز بالانتظار لقدوم الفرس ودخولهم المدينة فى نفس ذلك اليوم إلى أن دخلوا وكانت روزا تعرف أنه لابد من مرورهم من تلك الناحية أى من تحت قصرها أثناء مسيرهم إلى قصر أبيها ولذلك كانت تنظر على الدوام من شباك قصرها إلى الطريق إلى أن سمعت غوغاء مرورهم وضجيجهم فتأكد عندها وصولهم ولكنها كانت لاتقبل أن ترى تلك الجماهير على تلك الحالة ولا تريد أيضاً أن يراها أحد منهم ولا سيما أهل مملكتها ورجال أبيها . ولهذا نظرت من الشباك إلى مقدمة تلك الجماهير فوجدت فى المقدمة بهزاد وإلى جانبه سيامك وحال وقوع نظرها عليه وجدت منه فوق ما كانت تنتظر ولم تقدر أن تضبط نفسها من فعل تلك النظرة وما أهاجت بها ورأت منه قمراً يسير فى موكبه كأنه الملك الكبير الشان كما رأى منها عندما طلعت من النافذة من وراء الحائط بدراً يطل من فوق الغيوم فيبعث بنوره إلى الأرض وكاد يضيع عقلها ولم تتمالك نفسها من أن تتبسم فى وجهه تبسم الحب والرقة ثم رجعت إلى الوراء مكتفية بتلك النظرة من قمرها عن سواه وعادت إلى كرسى هناك فجلست عليه وألقت برأسها إلى الحائط مسندة إياه عليه وإذا بنت عمها نفوز قد جاءت إلى تلك الغرفة وجلست على كرسى آخر وأسندت برأسها إلى الحائط وجعلت تنظر كل واحدة منها إلى الأخرى لاتعلم مابقلبها وكانت نفوز قد نظرت سيامك سابقاً وعلقت به كبير أمل لما رأته كالأسد فى هيئته ورأته أيضاً يحدق بها إحداق الامعان والتروى وشعرت بحبه وهامت به فى الحال مصادقة على قول من قال إن أول الحب نظرة وعادت إلى كرسيها كما تقدم وبعد أن جلست برهة وهى تنظر إلى روزا قالت لها كيف رأيت رجال الفرس فزاد لهذه الكلمة هيام روزا وارادت ان تجيبها فلم تقدر فى الحال بل غصت بالكلام وادركتها دمعة واحدة تدحرجت على ناعم خدها وسقطت إلى صدرها فادركت نفوز صعوبة حالتها وما هى عليه ولكن لم تعرف الاسباب

فنهضت اليها وقالت لها ماذا جرى عليك أهل تشعرين بوجع أو مرض أو لا يزال الحزن يفعل بك ويكدرك فقد أبيك . قالت لا بل أشعر بمرض عضال وقع على بغتة فألقانى فى ضعف وقلة حيل وزاد بى اشغال بال قالت هل تأذنين لى أن آتيك بطبيب فقالت لها إن الطبيب الذى يداوينى لا تقدرى أن تأتى به فأدركت نفوز فى الحال ما أصابها وعرفت أن ذلك فعل الحب وثبت عندها انها أصيبت بما أصابها فعادت إلى كرسيها وجلست عليه وقلبها يخفق وقد خافت كل الخوف من أن يكون نفس الرجل الذى رأته وتعلقت به هو نفس الذى أحبته بنت عمها ولذلك كانت تخاف أن تسألها أكثر عما سألتها طمعا أن تبقى نفسها بلذة أوهام من أن تقطع رجاءها لأنها إذا عرفت ان بنت عمها أحبت الذى أحبته هى تلتزم إلى ترك رجائها وقطعه ولو تحملت بذلك صعوبة الموت والعذاب . غير أن روزا كان قد ألقاها الحب فى وهدة عميقة وأخذ بها مأخذا نهائيا حتى أوجبها إلى ان تبوح إلى بنت عمها بما فى قلبها وتتخذها عضدا لها وساعدا وتساعدها فى آرائها فقالت لها ألا رأيت ذاك الرجل اللطيف الذى يسير فى المقدمة كأنه ملك القوم نعم هو الملك وهو السيد بينهم ولا يخطئنى ظنى أنه بهزاد الايرانى بهلوان تخت بلاد فارس وأشرف ملوك الارض قالت نعم رأيته وعرفته حق المعرفة ولم يخطئك ظنك أنه بهزاد فماذا تريدين منه قالت انى كنت قبلا لا أريد منه شيئا لكن بعد ان رأيته صرت أريد منه كل شيء فهل يا ترى ان الله سبحانه وتعالى يساعدنى ويسهل لى ان أكون بين يديه أخدمه فى الصبح والمساء هل يسعدنى الزمان فأكون زوجة له أو يبعدنى عنه فأموت ولا أرى لى غيره رجاء وسلوة وأملا نعم هو وحده أريد وعندى انه يقبلنى خادمة لأنه نظر إلى نظرة جرحت فؤادى ومع ما أوقعت على من آلام الوجد أراها نافعة لى معزية لأحزانى ولو لم تكن تلك النظرة وقعت منه على ذات معنى مؤثر يخطر فى ذهنى فى كل لحظة لكنت اقطع الرجاء منذ الآن وارمى بنفسى إلى حجر الهلاك لأنى كنت أظن ان من هى مثلى لا تسامح لمن يراها من تحت شباكها وينظر اليها نظرة العاشق المغرم نعم ان تلك النظرة شفيع وحيد عن صدقه وبرهان عن حبه وعليها أعلق آمالى وأنتظر الفرج ثم أنشدت :

هويته تحت أطمار مشعثة ... وطالب الدر لا يغتر بالصدف
وخبرتنى معان فى مراسمه ... به كما خبر العنوان بالصحف
ولاح لى من أمارات الجمال به ... ما كان من لحظ غيرى بالخمول خفى
فرحت أرخص ما أبديه من درن ... به وأدحض ما يخفيه من جنف
حتى إذا تم معنى حسنه وبدا ... كالبدر فى التم أو كالشمس فى الشرف

وجال فى وجهه ماء الحياة كما   يجول ماء الحيافى الروضة الانف
ووالد الحسن فى احداقه حورا   وضاعف الدل ما بالجسم من ترف
يالرجال أما للحب منتصر   لضعف كل محب غير منتصف
ماطيب العيش لولا ان سالكه   يمسى لأسهم كيد الناس كالهدف

ثم سكتت قليلا ونفوز تنظر اليها وتريدان تبيح لها بهواها ايضا وتشكو لها الحالة التى هى فيها ايضا وقبل ان تبتدىء بذلك سمعتها عادت فأنشدت مستجيرة مستغيثة بالله

يارب اعط العاشقين بصبرهم   فى الخلد غايات النعيم المطلق
واذقهم برد السرور فطالما   صبروا على حر الغرام المقلق
حتى يرى الجبناء من حمل الهوى   غايات عزمهم التى لم تلحق
فيكون اصغر جاهل حمل الهوى   يلهو بأكبر عالم لم يعشق

فكان إنشادها هذا مساعدا لنفوز معينا لها على ما بقلبها محركا إياها إلى الاباحة بما فى قلبها ولذلك قالت لها . لاشك يا بنت عمى ان رجال إيران هم اكثر الناس رقة وأشدهم بسالة واحسنهم وجها ومعانيا وكنا نسمع ذلك ولكن لانلتفت اليه حيث نجهله إلى ان رأيناه عيانا ولابد ان اخبرك ان الذى وقع بك وقع بى ايضا غير ان الذى احببته انت هو غير الذى أحببته انا بل هو الذى كان إلى جانبه العريض الواسع الصدر فهو الذى قد اخذ بمجامع قلبى واشعل فى فؤادى نار حب لاتطفىء إلا بالتقرب منه والشكوى اليه والاجابة عن ذلك بقبولى عنده رفيقة وخادمة ثم انشدت ايضا :

تحجبت يا ناظرى   عن الناظر الساحرى
فما غبت عن خاطرى   يبعدك عن ناظرى
بصدرك الشوق لى   على البعد كالحاضرى
ويسبقنى بالقيا   م قلبى بل سائرى
لقد جار سقمى على   ضعيف بلا ناصرى
وعلمه الفتك لى   شبا طرفك الساحرى
فلم يبق غير الغلي   ل والمدمع الماطر
وغير صفير الزفير   فى عظمى الناضر
وعلمت نومى الصدو   د بعدك ياهاجرى
فما مر لى خاطرا   بجفن ولا خاطر
اضفت اعتكار   الهموم الى ليلى العاكر
ترى قبل موتى ارا   ك ياهاجرى زائرى

بحق السقام الصحيـ ـح فى جفنك الفاتر
وبالورد فى وجنتيـ ـك يا فتنة الناظر
أيجنى عما بفيـ ـك من قرقف عاطر
أقل إذا ما بخلـ ـت من نعبة الطائر
وان شئت فاسفك دمى ولا تخشى من ماتر

وسمعت روزا كلامها وعذرتها عليه وقالت لها انى لا ألومك على مثل عشقك لحبيب أحببته لأن الحب صعب المسالك يقود الفتى إلى أشد الضيقات وأصعب المصاعب وأعظم العظائم فانظرى فى أمرنا ودبرى لنا طريقة توصلنا إلى من أحببنا لنتوصل اليهما ويتوصلا الينا . قالت هذا لابد منه لأن بهزاد يسأل عنا ويسأل عن كل أهل الملك كندهار وأولاده ولابد أن يأتى هذا القصر ليعرف من فيه ولا سيما انه رآك ورفيقه رآنى وكل منهما دل من نظره انه عرف بوجودنا ومن الواجب أن نصبر بضعة أيام فاذا لم يأتينا الينا سعينا إلى الوصول اليهما وبعثنا نستنجد بهما أن يأخذونا إلى إيران ومن ثم نتعرف بهما ونبقى عندهما فصبرت روز على ما بقلبها وهى تتمنى الوصول إلى من ترجو وصاله كما يتمنى الوصول هو أيضا اليها

فهذا ما كان من روزا ذات الحسن الفائق والجمال الرائق والطباع الحسنة وبنت عمها نفوز وأما ما كان من بهزاد فانه أقام مع سيامك ومهريار أكثر تلك الليلة عند الوزير وبعد نصف الليل ذهب إلى قصر أعد له ليبيت فيه مع سيامك وذهب مهريار إلى قصر المملكة المخصوص به وكان بهزاد يحب الانفراد ليمتحن نفسه عما لحق به من جرى ذاك الارتباك بعد تلك النظرة لبنت كندهار وعند دخولهما القصر دخل بهزاد إلى غرفة مخصوصة ومثله سيامك فانه دخل إلى غرفة ثانية أعدت له وحال دخوله نزع ثيابه وقصد النوم بالفراش ونزل فى سريره وجعل يتقلب دون أن يأخذه نوم وقلق جدا ولهذا وجد نفسه غير قادر على النوم ورأى أمام عينيه جمال تلك الصبية الفائق وحسنها الرائق وهى نفوز وصار يفكر فيها وفى محاسنها العجيبة الفتانة والحب يشتد عليه ويقوى به حتى تمكن منه تمكنا عجيبا ولذلك جعل يسلى نفسه بمناشدة الأشعار فيقول

من لم ترعه صوارم الأحداق لم يدر كيف مصارع العشاق
ان لم ترعك ولم تشاهدها فهل برق الحمى عن قلبى الخفـــاق
فالسحب دمعى والشهاب جوارحى أنذرت بالاغراق والاحراق
وبسهد جفنى واكتئاب حشاشتى أرسلت للعشاق بالأشواق
فالحب دينى والتوله شرعتى والوجد عهدى والهوى ميثاقى

والشوق طبعي والصبابة شيمتي ... والتوق وصفي والجوى أخلاقي
يكفيك مني أن أبيت معذبا ... قلق الفؤاد مسهد الأحداق
ارعى النجوم وهن أوضح مخبر ... عما أقاسي في الدجا وألاقي
وأراسل الغيم الهتون وبرقه ... بلظا حشاي ومدمعي الرقراق
وأطارح القمري في تغريده ... بنوى يراعي أو بهول سياق
وأسائل الأظعان والركبان عن ... بدر تظلل في دجا الآفاق
من مبلغ الأحباب عني انني ... فأن على دين المحبة باق
لا أنثني عن حب من لم يثنها ... عند الوداع تذلل الأشواق
فجرت من الأجفان حمر مدامعي ... صارت بسفح الخد فضل سباق
يا أمة الأشواق هل من مسعد ... يرجى لدفع حوادث الاشواق
أم هل لنار تلهفي من مطفيء ... أم هل لفيض مدامعي من واق
أم هل لكسر حشاشتي من جابر ... أم هل لداء صبابتي من راق
أم هل لاول لوعتي من آخر ... أم هل لذاهب مهجتي من باق
أم هل لعهد الملاقي من موعد ... فلقد وهي جلدي وشد وثاقي

وصرف أكثر من ساعة على تلك الحالة وهو على مثل هذا القلق والاضطرابه إلى أن زين له الحب أخيرا أن ينهض من مكانه إلى بهزاد ويطرق عليه الباب ويشرح له حالة ويشكو له ما نظر وما لاقى من الوجد من جرى تلك النظرة فنهض من فراشه وسار إلى الغرفة التي دخلها بهزاد

ولم تكن حالة بهزاد أقل من حالته قلقا واضطرابا بل كان بعد دخوله إلى غرفته لينام مرتبك الداخل لا يرى وسيلة الراحة وعند نزوله في فراشه جعل يلوم نفسه على ما أصابه من شدة هذا العشق حيث انه كان يظن من نفسه أنه لا يعشق قط ولا يفكر بمثل هذا الامر ويعجب ممن يعشق ويسلم نفسه إلى مفاعيل الغرام ويجعل ذاته مملوكا لمن أحبها مقيدا بها غير أن شخص روزا الذى كان يلوح له في كل دقيقة من دقائق تلك الساعات كان يذهب به إلى التطرف بالطاعة ويهون عليه ما لا كان يهون عنده قلبه ويظهر له أن الحب ضربة لازب لكل ابن انثى وأنه كالموت يمر على كل إنسان ذى حالة وضمير وقلب أى لكل من كان من الجبلة البشرية وأخيرا لما رأى نفسه أن لا مناص له من الوقوع من شرك الهوى ووجد ذاته قد قيد بالرغم عن إرادته وامتناعه إلى السلوك في ذاك السبيل وجه أفكاره إلى تلك النافذة يمعن النظر بمن رآها وقال ماذا يا ترى يضر بي إذا كانت عندى وفي جانبي أصرف العمر مسرورا بها وتتعاون على هذه الحياة اليس اني أكون سعيدا وتكون

حياتى الباقية محفوظة بالحظ والبشر والأنس . فما هو المانع الذى يمنعنى عن الزواج أهل الزوجة تنقص من شرفى كلا وهل تحط من شجاعتى كلا فاذا كنت لا أزال كما كنت فما الذى يمنعنى من أن أتقرب من هذه الصبية التى أحبها وأسعى فى أن آخذها إلى بلادى وأزف عليها وأساوى بذلك بقية فرسان قومى وجميع رجالها فهى أجمل فتاة رأتها عينى واعدل قواما من الغصن القويم وأبهى من القمر نورا واشراقا ولا ريب أن ملاحظات سعدها تدعو من التقرب منى كما أنها تدفعنى إلى التقرب منها ثم أخذ فى أن يتصور ذاك الجمال وتلك الهيئة ويوجه بأفكاره الى ما رأى منها ثم أنشد

روزا اسمحى لى أن أقبل فاك ... كرما وأروى من عذيب لماك
وأشم من روض الجمال عبيره ... وأضم عادل قدك الفتاك
زورى محبك رحمة وكرامة ... تحت الدجى وتعطفى بلقاك
انى امرء عالى الذرى لولاك لم ... أذق المذلة والاسى لولاك
برزت نهودك زينة تسمى بها ... كل الحسان فجل من أعطاك
نممت خدودك من حفيف يد الجم ... ال وو ردت من بعد ذا خداك
تالله ياروزا انظرى حال الذى ... أمسى سقيم الجسم حين رآك
سقم من الهجران حل بجسمه ... ورمته فى شرك الهوى لحظاك
عز المناء عليه مذ أشرفت وا ... فقة كبدر التم فى الشباك
دمع يسيل من العيون ولوعة ... القت على حبائل الاشراك
أنا عبد عبدك ان وصلت كرامة ... أو فاحكمى بتضيعى وهلاكى

وصادف وصول سيامك إلى باب غرفته فى تلك الدقيقة فسمع إنشاده ورأى من صوته انه عاشق مغرم بفتاة جديدة لا علم بها وقد سمعه يذكر اسمها وهو روزا فقال فى نفسه لابد ان تكون أخت الشاه روز لانطباق اسمه على اسمها فصغى إلى استماع ما يجده منه ايضا فسمعه ينشد

يا روزا ان كان الجفاء مزية ... بك فارفقى بالمغرم الملسوع
وارضى عليه تكسبى اجرا ومن ... يرضى الاله يرق للمرجوع
ان كان سعدك مانعا لوصولنا ... قصدا فلا ترضى بذا الممنوع
بل اعلى فرض اللقاء وحاذرى ... عين الرقيب وكفكفى لدموعى

وإذ ذاك طرق سيامك الباب فانتبه اليه بهزاد ودعاه ليدخل فدخل وسلم وجلس إلى جانبه فقال له ما الذى اوجب إعادتك إلى فى مثل هذا الوقت بعد ان دخلت من اكثر من ساعتين غرفتك للمنام قال ان وجدا وجد بى فلم يدع عينى تغمض ولا

جفني بألف الكرى ولذلك قصدت أن أجيء اليك لأشكو لك ما الاقي من شدة هذا الوجد والهيام الذى لم أكن أظنه قبل هذا اليوم وعند وصولى من باب غرفتك سمعتك تنشد ما أنشدته فعرفت أن ما بي بك وان هذا الانشاد لا يصدر إلا عن القلب المولع العاشق الولهان المتعمق بالعشق إلى الحد الأخير . فقال له انى كنت قبل الآن لا أعرف شيئا من هذا وكنت أعجب ممن يعشق وأحمد نفسى على امتناعها عن السلوك بمثل هذا الباب إلى أن دفعتنى يد التقادير إلى هذه المدينة وسرت فى أسواقها وبالقضاء والقدر لاحت منى التفاتة إلى قصر فى الطريق وإذا باحدى نوافذه صبية ليست بأدنى من البدر إشراقا ولا من الغصن قواما نظرت إلى باسمة عن ثغر تطرح منه الدرارى وأعرضت إلى الوراء ومنذ تلك اللحظة وهى فى خاطرى تطل من ذات الشباك ثم تعرض ملتفتة التفات الغزال النفور وقد ثبت عندى أنها بنت الملك كندهار وأخت الشاه روز واسمها روزا وهذا الذى أشغلنى وقد نويت كل النية أن أصحبها معى واتخذها زوجة لى عند وصولى إلى بلادى فمن هى صاحبتك والتى تشكوا غرامها ووجدك بها فقال له ان الذى أصابك أصابنى تماما وما من فرق بين قصتى وقصتك وأريد منك فى الغد أن نسعى فى قضاء هذه المصلحة عيانا أى أن نذهب إلى مكان وجود الصبيتين ونخطبهما لأنفسنا ونأخذهما معنا إلى إيران وما من حياء بمثل هذا الأمر لأننا نعشق حلالا ونحن مالكون البلاد ولا أحد يخالفنا فى ما نريده ولاريب أن كل فتاة من فتياتنا ترضى بمن نظرته ونظرها فقال هذا لابد منه وفى الصباح نسعى خلف ما تطلب

وعلى هذا إرتاح فكر سيامك واطمأن خاطر بهزاد ولم يناما إلى أن أشرق الصباح وهما يتعاطيان الحديث ويتناشدان الأشعار كل واحد يذكر هيامه وغرامه إلى الآخر ولما كان الصباح خرجا من ذاك القصر وأتيا دار الأحكام حيث كانت ترد الأعيان والأمراء واحداً بعد واحد إلى أن استقر الجلوس بسيامك وبهزاد فقال الأخير لوزير المملكة انى أريدك لأمر أريد قضاءه قال وما هو فمرنى به لأجرينه على رأسى لانى معد لخدمتك وخدمة رجال الفرس وأمرائها . قال هو انى أحب أن اذهب إلى قصر أظنه قصر كندهار وهو انى رأيته فى طريقى وأحبت نفسى أن تدخل اليه للفرجة عليه فلحظ الوزير منه غايته ولذلك قال له اعلم يا سيدى أن لا يسكن هذا القصر ذكر وإنما تقيم به بنت كندهار فقط مع بنت عم لها اسمها نفوز وهى منفردة عن الناس لا تريد أن يدخل أحد اليها ولا تحب أن ترى أحد من بعد موت أبيها ولذلك تركت من الجميع والآن ذهابك اليها ضرب عن المجابرة والالتفات لأنها حزينة على أبيها جدا قليلة الناصر لا ترى أمامها أحدا من أهلهـــا لقتل أبوها

وأخوها معا . قال ولأجل هذه الغاية أحب أن أسير اليها وأضمد جراحاتها وأزيل حزنها وحيث أشرت أنها بعيدة عن الناس منفردة أرى من الواجب أن نبعث اليها من يخبرها بقدومنا قبلا فاستصوب الوزير ذلك وبعث بخادمه يسأل من روزا أن تسمح لبهزاد ورفيقه سيامك بالمجيء لعندها فسار الخادم اليها وأخبرها بذلك وهى بحالة يرثى لها لاشتداد عشقها وهيامها وارتباكها وعندما عرفت بذلك كادت تطير من الفرح وقالت للخادم من أنا لأجسر على منع مثل هذا البطل العظيم والسيد الكريم الذى انتشر صيته من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وإنى قائمة على انتظاره لأخدمه بنفسى فعاد الخادم وأخبره سرا بذلك فنهض الوزير وبهزاد وسيامك وساروا إلى ذاك القصر ودخلوه وبهزاد فى شاغل فكر وخفقان قلب من جرى ملاقاة حبيبه وهى أيضا كانت كذلك لا تعرف ماذا يحل بها عندما تشاهد بهزاد وعند دخوله القصر وجدها داخل بابه تنتظره مع ابنة عمها لابسة أثواب السواد مظهرة حزنها من الحالة التى كانت فيها باسمة بملاقاته مترحبة بقدومه فسلم عليها وسلمت عليه وسلم أيضا على ابنة عمها نفوز وكذلك سيامك فانه سلم على الفتاتين ودخلوا جميعا إلى قاعة الجلوس فجلسوا فيها وقدمت روزا لهم الشراب وبعد ذلك وقفت بين يدى بهزاد وقالت له أنت تعلم يا سيدى أن أبى قد قتل ومثله أخى كان قتلهما جزاء على خيانتهما وإنى ان كنت أحزن عليها بداعى الأسباب الطبيعية والواجبات الوالدية لكنك لاترانى أشد حزنا من ذلك على حالتى وانقطاع أهلى وانفرادى ولذلك نويت أن ألقى بكل اتكالى عليك واتخذك غوثا لى لتأخذنى إلى إيران كى أعرض نفسى على الملك بهمن وعلى فيروزشاه حيث ما من رغبة فى البقاء لى فى هذه البلاد . وانى أشكرك على جميلك ورقة أخلاقك حيث لم تنسنى بل فكرت بى واهتممت بأمرى وزرتنى على غير استحقاق منى

وكان بهزاد يسمع كلامها ويعجب من فصاحة لسانها ورقة معانيها وطلاوة حديثها . ولذلك أجابها انى ما أتيت هذا القصر إلا لأجل الاعتناء بك والاهتمام بأمرك وما من حاجة لعرض نفسك على فيروز شاه ملكنا فانى أكفيك بنفسى ماتطلبينه وأنا هو الغوث الذى يساعدك ويعينك عند وقوع الضيقات والشدائد وأنا الذى أشاركك فى المعيشة لدى السراء والضراء فاقبلى بى وسواى لا ترجى وهذا مما يسر به فيروزشاه ويريده وعند سماعها كلامه هذا لم تقدر تضبط نفسها من شدة الفرح ولم تصدق أنه يخطبها بمثل هذا الكلام ويبدأ معها به ولشدة فرحها ترقرق الدمع بأعينها وقالت من أنا يا سيدى لأكون شريكتك على الحياة وما كنت أطلب فى نفسى إلا أن يسمح لى الزمان بأن أكون خادمة فى بيت أقل رجال الفرس وأن

المملكة الفارسية لدى ملكها وسيدها يكون قد أعطانى فوق ماأستحق وفوق ماأرجو وأطلب وأريد منك ياسيدى ومولاى أن تنظر فى حال بنت عمى هذه الذى ألقاها الزمان عندى واتخذتها صفية لى لتسليني فى وحدتى وانفرادى ولا أريد أن أنساها قط .

وكان سيامك مدة قيامه هناك ينظر إلى نفوز نظر المغرم وينتظر فراغ بهزاد ليأتى بدوره ويطلبها لنفسه وهو يعجب من أعمال الصدف كيف سمحت أن التى أحبها هى بنت عم روز وتقيم معها فى قصر واحد وكان يرى منها نظرها فيه عند سنوح الفرص مرة بعد مرة فيزيد به هيامه إلى أن سمع بنت عمها تطلب من بهزاد النظر فى أمرها فاغتنم الفرصة وقال لست أعلم يا أخى أن العناية الالهية قد دبرت بحكمتها ما لا تدركه العقول فان نفوزا هذه هى التى أريد أن أختارها لنفسى وقد جاء الأمر على أحب ما نرغب وأريد منك كونك أرفع مقاما منى وأتيت متبوعا لك أن تكون الوسيط لى بذلك وتسألها أن ترضى بمثل مارضيته ابنة عمها فأسرعت نفوز إلى الاجابة وقدمت شكرها لبهزاد ولسيامك وهى فرحة جدا لا تصدق أن ماسمعته هو الذى كانت ترجوه وعلى ذلك انقضى الأمر وخطب كل واحد حبيبته من نفسها وصفى لهم الزمان وهدأ بال الجميع وأوصى بهزاد روزا أن تكون مع بنت عمها على الاستعداد إلى السفر بعد عشرة أيام حيث فى ظنه أن يرجع قريبا ليزف فى مدينة إيران أمام الملك بهمن والملك ضاراب وتحت عناية فيروزشاه واهتمامه فأجابتاه إلى ذلك وأخذتا بتدبير حوائجهما من ذلك الحين وعاد بهزاد فى كل يوم عند المساء يأتى مع سيامك إلى خطيبتيهما فيصرفان عدة ساعات عندهما على الراحة والهناء والحظ والمسرة ومن ثم يدخلون إلى مكان منامهما وداما على ذلك إلى أن مضت المدة المضروبة وارتاح بال بهزاد من عمال البلاد بأجمعهم حيث كانوا قد جاءوا إلى خدمة الملك مهريار وأظهروا طاعتهم له فجدد أوامره لهم وأوصاهم بالعدل والرحمة بعباده تعالى عز وجل . وأن يكونوا جميعا على محافظة الشريعة الفارسية العادلة ومن خالفها كان جزاؤه الموت والاعدام كبيرا كان أو صغيرا .

وفى اليوم الأخير ركب بهزاد وأحضر هودجين من الحرير المزركش بالذهب الوهاج ركبت روزا واحدا ونفوز الآخر وأما العسكر الذين جاءوا معه بالركوب فركبوا جميعا وسار هو فى المقدمة وسار سيامك لدى الهودجين ينظر فى راحة روزا ونفوز اللتين عليهما وذلك بعد أن ودعوا الملك مهريار وداموا بمسيرهم مدة أيام إلى أن قربوا من إيران وبلغت أخبارهم الملك ضاراب وولده فيروزشاه فخرج الأمراء والوزراء إلى ملتقاهم والتقى القادمون بالمقيمين وسلموا على بعضهم البعض وحكى بهزاد لطيطلوس كل ما كان

من أمرهم فى بلاد كشمير وأخبره بخطبته لروزا بنت كندهار وإتيانه بهامع بنت عمها التى خطبها سيامك ففرح به طيطلوس وقال له لقدأصبت وأنا كنت أفكر على الدوام أن من الواجب عليك أن تتزوج ليأتى الفرس من نسلك من يقوم مقامك . ومن ثم دخل الجميع إلى المدينة وسار بهزاد فى الحال إلى قصر الملك بهمن ودخل عليه فلاقاه الى الخارج مع أبيه فيروزشاه وجلس فى الديوان وبعد أن سلم عليهم حكى لهم ما كان من أمره فأظهر فيروزشاه سروره وقال لا شيء أحب عندى من هذا الخبر من حين وجودك بيننا إلى هذه الساعة لأنى أعرف جيدا أن دولة الفرس مشيدة بهذه العائلة أى عائلتكم المناط بها حمايتها وأحب أن كل ذكر منها يتزوج لتكثر وتنمو فتكثر فى إيران الفرسان ومن المقرر أن كل ذكر يخرج من هذه العائلة يكون فارسا مجيدا وبطلا صنديدا وإنى منذ هذه الساعة سآخذ بترتيب العرس وعمله على أحسن نظام ليكون ذلك لائقا بك ويكون فرح عين الحياة أيضا بولدها حيث أنى وعدت أن أجدد زفاف ولدى بهمن على شمس وإن كان قد ولدت له ابنا وأيضا على هدوب التى ولدت أيضا.

وكان كما تقدم معنا أن بهزاد فارق فيروزشاه فى الطريق وسار الى بلاد كشمير وبقى فيروزشاه سائرا مع باقى الفرسان والأبطال ومعه عين الحياة وهدوب وداموا فى مسيرهم الى أن وصلوا الى إيران وعرف بهم الملك ضاراب من أنهم جاءوا بعد أن ملكوا بلاد الحبش وخلصوا الملك بهمن فسر بذلك سرورا لا مزيد عليه وأمر أن تخرج سكان المدينة بأجمعها لملاقاة ملكهم فخرج الجميع نساء ورجالا شيوخا وشبانا أطفالا وعجائز حتى امتلأت الأرض ولما قربوا من بعضهم نادوا له بالنصر والظفر وفرحوا به وبقدومه وهنأوا الملك بهمن بخلاصه من أسر الأعداء وتقدم نساء الأمراء والوزراء من عين الحياة وسلموا عليها وترحبوا بهدوب ورجعوا جميعا إلى المدينة على أحب مايكون من السرور والأفراح وأخذت شمس هدوب اليها وأكرمتها غاية الاكرام وفرحت بها مزيد الفرح واظهرت سرورها منها وقالت لها إن حق خدمتك واجب على لأنك قد خلصت لى زوجى من الموت واكرمته فى حال اسره وعذابه ولولاك لما نظرته عينى وكانت عين الحياة قد اخبرتها بذلك وشرحت لها كل ما كان من امر هدوب واوصتها بها وعند رجوع الملك بهمن من ديوانه فى المساء دخل على زوجته وسلم عليها وسلمت عليه وعرضت عليه ولدها حيث كانت قد ولدت فى غيابه ذكرا ففرح به وقبله ورأى به علائم السعادة والاقبال وقال لها لا بد فى الغد من ان اعرضه على طيطلوس يختار له اسما يليق به ويوافق حياته وصرف تلك الليلة عندها واوصاها بهدوب واعتذر اليها عن زواجه بها. فقالت له ان

ذلك يرضيني ولاسيما بعد ان عرفت انها هي التي خلصتك واكرمتك وعملت جهدها في بقائك ولولم تتزوج بها لكنت اغضبتني وسببتك ناكث المعروف وعليه فاني اوصيك اكبر وصية اريدها منك وهي ان تحافظ عليها باكثر مما تحافظ علي وتميل اليها اكثر مما تميل إلى كوني مديونه لها الآن وعلى الدوام . فأعجب الملك بهمن من كرامتها وحسن صفاتها وعرف انها تقصد بذلك راحته كي لا يتكدر عيشه او يراها مغتاظة فيغتاظ

وفي الثاني جاء الملك بهمن إلى ديوانه واجتمع حواليه كل ابطاله وفرسانه وعندما انتظم ملك الاجتماع انتظاما حسنا امر الملك ان يؤتى بولده الجديد من شمس فأتي به وقدمه إلى امام طيطلوس وقال له اريد منك ايها الحكيم ان تختار لولدي هذا اسما سعيدا بحسب معرفتك وخبرتك قال اني بعنايته تعالى قد عرفت ما يكون لهذا الغلام في حياته ولذلك اسمه ولد معه وهو ساسان حيث يكون رفيع القدر عالي الشأن ويكون له حظ عظيم وتوفيق عجيب بواسطة اخيه الذي يلد من زوجتك هدوب وذاك يكون اسمه واجد شاه وبايام ولديك هذين ترتفع دولة الفرس إلى اسمى الدرجات ولا يبقى مكان في العالم إلا ويخافهما ويهابهما ففرح بذلك الملك بهمن وانعم على طيطلوس انعاما عظيما وارجع الغلام إلى والدته بعد ان دعي بساسان وبعد ايام قليلة ولدت هدوب غلاما وهو ابن يوم كانه ابن اربعة اعوام اسمر اللون احمر العينين واسع الجبهة طويل الايدي والارجل فلما رآه ابوه فرح به جدا وتصور صدق كلام طيطلوس الوزير واصبح ينتظر ما يكون من امرهما في ما يأتي من الحياة وقد دعا اسم ولده هذا كما اشار طيطلوس الوزير وهو واجد شاه ومن اصبح فيروزشاه ينتظر رجوع بهزاد من بلاد كشمير ليقوم بالافراح التي كان يتمناها لتكون عوضا عن عذابه الذي تعذبه حياته بطولها

ولما جاء بهزاد وسيامك كما تقدم معنا وفرح بهما الجميع وسر الكبير والصغير من رغبة بهزاد بالزواج ومنذ ذلك اليوم اخذ فيروزشاه بتدبير معدات العرس وما يحتاجه لقيام الولائم وبعث بالمكاتيب إلى كل عمال بلاده واقاربه واصفيائه يدعوهم إلى عرس ولده وعرس بهزاد وسيامك حتى اجتمع خلق كثير بقدر ما اجتمع في عرسه واكثر من ذلك وكانت الذبائح تذبح في كل الجهات والعلوفات تقدم للعساكر والفرسان والكبراء والامراء مع اختلاف اجناسهم وكلهم يجتمعون وينزلون في تلك الارض حتى ضاقت بهم وحينئذ امر فيروز شاه ان يقام على المدينة رواق من الزهور ذات الروائح الزكية ينتشر من اولها إلى آخرها على قوام من خشب السرو وتعلق المصابيح بين تلك الزهور في ذاك الرواق الممدود فأخذ الناس يشتغلون بذلك بتدبير طيطلوس حتى انتهى بمدة ايام وبعد ذلك امر ان تفرش المدينة اسواقها

وساحاتها بالبسط العجمية الغالية الأثمان كي مدة هذا الزفاف لا يدوس أحد على غير البسط فيكون الجميع من الكبير إلى الصغير على بساط الملك ففعلوا . ومن ثم أخذ باجراء الزفاف والهناء بعد أن فرش القصور بالأقمشة الفاخرة وزينها بالأنوار وكل أسباب الزينة من كل جهاتها واخرج كنوز الذهب لينثرها ولده على رؤوس الناس ودام هذا الفرح مدة عشرة أيام والناس على أتم ما يكون من المسرة والحبور وشرب الخمور ودق المزمار والطنبور والموسيقات والطبول والزمور أى أن ما من رجل فى المدينة إلا وكان مسرورا بهذا الفرح العظيم وكان يغنى على ذوقه ويطرب على حسب مشتهاه والأطعمة والأشربة ترد اليه على الدوام فى أوقاته وبعد نهاية العشرة أيام دخلت عين الحياة على ولدها وهنأته بنهاية أفراحه وكانت فى كل هذه المدة قائمة الأفراح فى قصرها وعندها النساء من سائر أنحاء البلاد وهى تقوم باكرامهن وتترحب بهن وتبدى كل أنس ولطف وبشاشة بوجه الجميع كأنها بين أيديهن من بعض الرفيقات حيث تكره الكبر والتعجرف وتعرف أن الانسان من جبلة واحدة وأن الله لا يفرق بين المالك والمملوك وان كان يرفع فى هذه الدنيا درجاتهم غير انه ساواهم فى اليوم الأخير وفضل من كان على طاعته محبا لأبناء جبلته

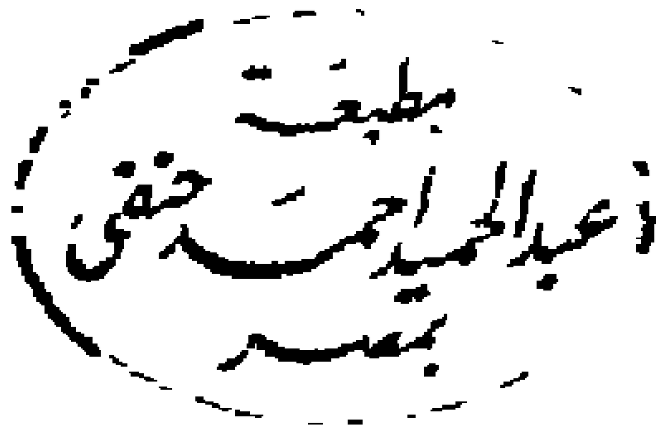
وبعد ذلك أدخلوا بهزاد على السيدة روزا صاحبة الحسن الفائق والخد الناعم والأنس واللطف فاجتمع بها ونال منها الاقبال وأصبح بنعمة لا تقدر وسعادة لا تدرك وبالحقيقة أن بهزاد قد صبر فلاقى وحق له أن يهوى فتاة كالتى هويها وهى روزا هذه التى يحق أن تضرب بحسنها الأمثال وتباهى بجمالها ودلالها ربات الجمال فما هى إلا كسروية الالحاظ شامة المعانى جمعت بين كل صفة حسنة وأدب

قال وصرف عندها عدة أيام لا يخرج وهى تزيد فى بسطه وتقرب له كل مايسره وتشكره فى زواجه بها ومجاراته لها ولم يكن ادنى منها جمالا ولا اقل اوصافا بل كانت ترى منه كل من يرضى ومعاملة تسر خاطرها وقد كان عقلها ينشد لقلبها عنه

ولى غزال صاد اسد الشرى ... بسهم جفن فى فؤادى رشق
غصن رنا لما انثنى عطفه ... فاحذره مما هز أو مما امتشق
رقت كؤوس الراح فى جفنه ... فاصطبح اللحظ بها واغتبق
وقلم الصدغ بخديه لم ... اعلم لدال او للام مشق
بدر على غصن لوى جيده ... يامن رأى شكلا عليه السبق
البدر من أضوا سناه أضا ... والمسك من ريا شذاه عبق
لولم تكن ماء الحيا خده ... ماعاش فيه الورد بعد العرق

وكذلك جرى على سيامك وقد صرف وقتا عند عروسه تفوز يفوز منها بأثمار الجمال

وقد يأتى بهزاد ولد ذكر يدعونه رستم زاد ولسيامك ولد آخر يدعونه
زيزوان ويكون لهما شأن . وبعد نهاية هذه الافرح بمدة اشهر توفى
الملك ضاراب فحزن عليه جميع الخلان والاصحاب ودفنوه
وتوفى بعده طيطلوس الحكيم فدفنوه إلى جانبه وأقاموا
مكانه ابنه بزر جمهر وبقى الجميع عائشين بالنعمة
والاقبال والحظ والسعادة وقد نسوا كل
ما مضى عليهم وما لاقوا من الامور
والاحوال عدة سنين واعوام لا
يأتيهم مكدر يكدرهم وقد غفل
عنهم الزمان وبارحتهم
الحوادث وقالت
لهم كونوا بامان
سالمين



انتهت قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب بمطبعة الفاضل عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر وكان الفراغ منها فى ٢٠ شوال ١٣٦٦ هجرية
على صاحبها ازكى السلام وافضل التحية آمين